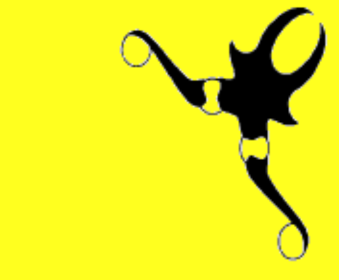



حرب 1948 ونكبتها

أحمد زكريا محمد فرج   محررًا

لواء أ.ح.متقاعد/ حمدي

عبد القادر ياسين   شعراوي   د/ عبد الكريم العلوجي   محمد حسني

خالد سعيد   أحمد منصور إسماعيل   أسمهان شريح   آمال الخزامي

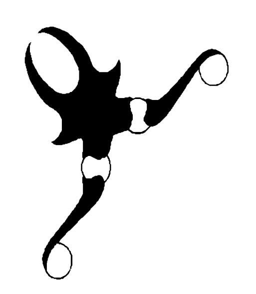
نظيمة سعد الدين   رشا حسني   ياسمين مجدي   رضوى عبد القادر

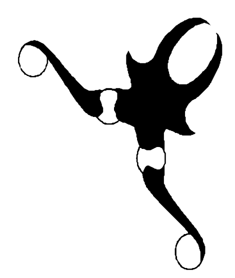
رانيا عبد الرحيم

المدهون   نعيمة عبد ربه أبو مصطفي   نهال قاسم   هدى فاروق

أسماء الغرباوي   منى محروس   ياسمين حلمي العايدي   كريمة عزوم





حرب 1948 ونكبتها

أحمد زكريا محمد فرج محررًا

لواء أ.ح.متقاعد/ حمدي

عبد القادر ياسين شعراوي د/ عبد الكريم العلوجي محمد حسني

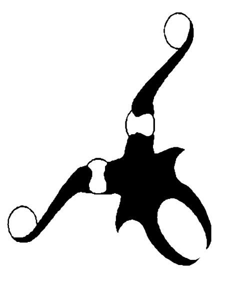
خالد سعيد أحمد منصور إسماعيل أسمهان شريح آمال الخزامي

نظيمة سعد الدين رشا حسني ياسمين مجدي رضوى عبد القادر

رانيا عبد الرحيم

المدهون نعيمة عبد ربه أبو مصطفي نهال قاسم هدى فاروق

أسماء الغرباوي منى محروس ياسمين حلمي العايدي كريمة عزوم



بطاقة الفهرسة

اسم الكتاب:	
الطبعة:	طبعة أولى / 1431هـ - 2010 م
الناشر:	مكتبة الإيمان - مكتبة جزيرة الورد
رقم الإيداع:	
الترقيم الدولي:	

مكتبة جزيرة الورد - القاهرة / ميدان حليم
خلف بنك فيصل شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا
02/27877574 - 012/9961635
010/0004046 - 010/0104115

مكتبة جزيرة الورد - القاهرة
شارع محمد عبده - أمام الباب الخلفي لجامعة الأزهر
02/5114371 - 012/2108493

مقدمـــة

حرب 1948

حرب 1948 ونكبتها

تظل الحرب العربية الصهيونية الشاملة الأولى، علامة فارقة، في تاريخ الصراع العربي الصهيوني، وستظل كذلك، لما لها من انعكاسات، على ملامح مجمل المنطقة العربية، ليس ملامحها السياسية، فحسب، بل ولِما كان، لتلك الحرب، وما زال، من تأثيرات اجتماعية، وآثار ثقافية، وحتى سلوكية، على الشعوب العربية، وما يرتبط بتلك الشعوب، من قوميات أخرى، أيضًا.

وعبر الكتاب الماثل بين أيدينا، تضافرت جهود واحدٍ وعشرين باحثًا، عبر ثلاثٍ وعشرين فصلاً، غير المدخل، مقسمين على أربعة أبواب، للتعرض إلى تفاصيل تلك الحرب، على مختلف الجبهات القتالية، والمستويات السياسية، والجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، ليقدمون نظرة بانورامية، لا تفتقد إلى العمق البحثي الجاد.

فيعالج المحرر عرضًا سريعًا لمجريات الأحداث، في " مدخل الكتاب "، مع بعض الأهداف، التي حققتها إسرائيل عبر حرب 1948، ثم ينقسم الكتاب إلى أربعة أبواب، عنوان الأول منها هو " الحرب "، حيث تتطرق الباحثة رانيا عبد الرحيم المدهون، في الفصل الأول، إلى " الاقتصاد السياسي للنكبة "، ثم تكتب الباحثة أسماء الغرباوي، في الفصل الثاني، عن أداء " المقاتلين الفلسطينيين " قبل الحرب، وأثناءها، فيما تكتب الباحثة ياسمين مجدي، عن " المتطوعين العرب "، في الفصل الثالث، ليتناول السيد اللواء أ. ح. متقاعد/ حمدي شعراوي، في الفصل

الرابع، بقلم المتخصص، استراتيجيًا، وتاكتيكيًا، في الشئون العسكرية، عن وقائع الحرب على " الجبهة المصرية "، وتتلوه الكاتبة الصحفية نظيمة سعد الدين، في الفصل الخامس، لتكتب عن وقائع الحرب على " الجبهة السورية "، ليتناول، بعدها، في الفصل السادس، الكاتب، والمحلل السياسي العراقي، الدكتور/ عبد الكريم العلوجي، فيكتب عن أداء " الجيش العراقي في الحرب "، وفي الفصل السابع، تتحدث الباحثة ياسمين حلمي العايدي، عن دور " الجيش الأردني في الحرب "، لتختتم الباحثة المتميزة آمال الخزامي، بالفصل الثامن، الباب الأول، بالكتابة عن " الحرب على الجبهة اللبنانية "، ليبدأ الباب الثاني، بعنوان " الأبعاد والروايات "، بالفصل التاسع، الذي تناولت فيه الباحثة نعيمة عبد ربه أبو مصطفي " الأبعاد الدولية للحرب "، أما في الفصل العاشر، فيكتب الباحث المتميز خالد سعيد، عن " الرواية الإسرائيلية للحرب "، فيما يكتب الباحث محمد حسني، في الفصل الحادي عشر، وتحت عنوان " الذات والآخر في الحرب "، عن تأثير الحرب، على تشكيل صورة ذاتية للعرب، وصورة ذهنية عن الآخر، كنتيجة لتلك الحرب، مُفَصِّلاً تفاصيل الصورتين، لتنتقل الباحثة رضوى عبد القادر، في الفصل الثاني عشر، وتكتب عن " الرؤية الإسرائيلية للنكبة "، ثم كتب لنا أحمد منصور اسماعيل، في الفصل الثالث عشر، عن " أبعاد قيام الدولة الصهيونية "، والتي أعطاها عنوانًا مرادفًا وهو (من الييشوف إلى الدولة)، وعن " ملابسات تأسيس جيش الدفاع الإسرائيلي "، تعود الباحثة رضوى عبد القادر، في الفصل الرابع عشر، لتنهي الكاتبة كريمة عزوم، الباب الثاني،

بالفصل الخامس عشر، الذي تحدثت فيه عن " إتفاقيات الهدنة ".

يبـدأ البـاب الثالـث، والـذي يحمـل عنـوان " النكبـة "، بالفصـل السـادس عشـر، الـذي تكتبـه الباحثـة أسـمهان شـريح، تحـت عنـوان " الحـرب المزعومـة "، لتعقبهـا الباحثـة الجـادة هـدى فـاروق، فـي الفصـل السـابع عشـر، بالكتابـة عـن " جامعـة الـدول العربيـة والنكبـة "، فيمـا يكتـب المناضـل، والمـؤرخ، والكاتـب، والمحلـل السياسـي الفلسـطيني، عبـد القـادر ياسـين، مجيبًـا علـى سـؤال " كيـف نُسـجت النكبـة الفلسـطينية؟! "، فـي الفصـل الثـامن عشـر، ثـم يعـود، مـرةً أخـرى، ليخـوض عبـر الفصـل التاسـع عشـر، " فـي أسـباب النكبـة مـن داخلهـا "، ثـم تنهـي أسـمهان شـريح، البـاب الثالـث، بــ " قـراءة فـي وثائق النكبة "، في الفصل العشرين.

وفيمـا يخـص " تـداعيات النكبـة "، يغـوص البـاب الرابـع، والأخيـر، مـن الكتـاب، عبـر الفصـل الحـادي والعشـرين، الـذي كتبتـه رشـا حسـني، عـن " الأبعـاد الجغرافيـة والديموغرافيـة للنكبـة "، لتعـرض منـى محـروس، فـي الفصـل الثـاني والعشـرين، لأهـم نتـائج، وانعكاسـات الحـرب، سياسـيًا، ألا وهـو " ثـورتي مصـر والعـراق "، فيمـا تختـتم نهـال قاسـم الكتـاب، بالفصـل الثالـث والعشـرين، فتكتـب عن " انعكاسات النكبة على سوريا ".

لا شـك أن هـذا الكتـاب، وهـو يجمـع ثمـرة أبحـاث، وجهـد، باقـة مـن ألمـع البـاحثين، المتخصصـين فـي الشـأن الفلسـطيني، وقضـايا الصـراع العربـي - الصـهيوني، قـام بالكشـف عـن جوانـب كثيـرة،

متعلقــة بحــرب 1948، كانــت مســتغلقة، وكشــف عــن الكثيــر مــن الأســـرار، والخبايـــا، مـــا يجعــل قارئـــه، يفـــوز بمتعتـــي القـــراءة، والاستكشـاف، لعـوالم مازالـت آثارهـا حاضـرة، وتـؤثر فـي الواقـع السياســي الــراهن، للمنطقـة العربيـة، ومـا جاورهـا مـن منـاطق أخرى.

المحـرر

القاهرة في 2009/12/17

* * *

مدخل..
ما جرى في 1948 - وهم، أم حرب!؟

أحمد زكريا محمد فرج

ما أن وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة، على قرار تقسيم فلسطين، بأغلبية 33 عضوًا، ومعارضة 13، وامتناع 10 أعضاء عن التصويت، في 1947/11/29، حتى تفجرت الإشتباكات المسلحة بين المناضلين العرب الفلسطينيين، ورجال العصابات الصهيونية المسلحة، في أول ديسمبر/ كانون الثاني 1947، إثر رفض طرفي الصراع للقرار آنف الذكر، والذي خصص للصهاينة 55% من مساحة فلسطين، بينما لم يكن في حوزتهم آنذاك سوى 7% فقط. ورغم قلة السلاح والذخيرة الفلسطينية وتواضع التدريب وافتقاد القيادة الموحدة، خلافًا للوضع على الجانب الصهيوني، الذي حظي بتأييد القوات البريطانية في فلسطين، إضافةً إلى توافر السلاح (الخفيف والمتوسط والمؤلل)، والذخيرة، والتدريب العسكري الراقي، ووجود قيادة عسكرية وسياسية موحدة، ومحددة الأهداف، إلا أن المقاتلين الفلسطينيين حققوا إنتصارات ميدانية، مكنتهم من السيطرة على الموقف العسكري في فلسطين، وقطع طرق الإمداد على الصهاينة، وشددوا الحصار على الأحياء والمستوطنات الصهيونية، الأمر الذي حدا بالولايات المتحدة الأمريكية، التقدم - بواسطة ممثلها السيناتور أوستين - في 1948/3/15، إلى مجلس الأمن، بعدولها عن التصويت لصالح

قرار التقسيم، إنقاذًا للموقف الصهيوني المتدهور عسكريًا، واقتراحها بدعوة المجلس للتراجع عن قراره، ودعوة الجمعية العمومية، للإنعقاد في دورة طارئة لتقرير وضع فلسطين، ومع تناقص الأسلحة والذخيرة، لدى المقاتلين الفلسطينيين، نظرًا لاستهلاكها عبر أربعة أشهر من القتال الضاري، مع عدم ورود أي إمدادات إليهم، وتدفقها على الصهاينة، من البريطانيين، بدون حساب، لجأ المقاتلون العرب، إلى اللجنة العسكرية بدمشق، والتابعة للجامعة العربية، يستنجزونها وعود الجامعة، بمد الفلسطينيين بالسلاح، إلا أن تلك اللجنة، قبضت يدها عن مد المقاتلين بما يلزمهم، رغم توافر الأموال، والأسلحة، والعتاد، التي جُمعت باسم فلسطين، وأهلها، ومع استمرار هذا الخلل في الدعم اللوجستي للطرف العربي، وتدفقه لصالح الطرف الآخر، استطاع الصهاينة، استعادة زمام الأمور، تدريجيًا، إلى أن استولوا على قرية القسطل في 1948/4/6، وعقب استشهاد عبد القادر الحسيني، في 1948/4/8، في معركة استعادة القسطل، والتي انتهت بهزيمة ساحقة للصهاينة، شن مقاتلو منظمتي " الأرجون "، و " شتيرن " الصهيونيتين، بقيادة مناحيم بيجن، غارةً عنيفةً، على قرية دير ياسين، العزلاء، غربي القدس، في 1948/4/9، أسفرت عن مجزرة يندى لها جبين الإنسانية، مخلفةً وراءها 245 شهيدًا عربيًا، من القرويين، غير المسلحين، قُتِلوا بطرقٍ بشعةٍ، وتم التمثيل بهم، وسيق من بقي حيًا، من أبناء القرية، حفاةً، عراة، جرحى، ومشوهين، وقذف بهم خارج الخطوط الصهيونية، لإذاعة أخبارالمجزرة، وإلقاء الرعب، والفزع، في قلوب

القـرويين الفلسطـينـيين، فـي المنـاطق الأخـرى، ودفعـهم للفرار، وعدم المقاومـة، ولعـبت الإذاعـات العـربية دورًا هامًـا، فـي هذا الأمـر، عـبر الإعـلان المتكرر، لأخبـار المذبحـة، وتفاصيلها، وكـرر الصـهاينة مـذابح مماثلـة، فـي قـرى ناصـر الـدين، وعـيلوط، وحـواسة، وسـكرير، وبيت دراس، وبيت الخوري، والزيتـون، والقـبو، وغيرهـا، كمـا تحـول التدخل البريطـاني، إلـى السـفور والعلانـية، لمعاونـة القـوات الصـهيونية، فـي الإسـتيلاء علـى العـديد مـن المـدن العـربية (حـيفا، ويافـا، والقـدس الغـربية)، وإخلاء بعضها من أهـلها العـرب (طـبريا)، الأمر الذي أربك المقاتليـن الفـلسطيـنيين، وأسـهم في إنكسارهم النسـبي، وقد نجم عن هذه الممارسات الصـهيونية، والبريطـانية، والرسمية العربية، طرد وفرار ما يزيد عن 300 ألف فلسطـيني، من قراهم، ومدنهم، خلال بضعة أشهـر، قبيل إنهـاء البريطانيـين لانتـدابهم، علـى فلسطـين، توزعـوا فـي المـدن، والقرى الفلسطيـنية، الواقعة تحت سيطرة المقاتلين الفـلسـطـينيـين، اللد، والرملة، وغزة، والمجدل، والمثلث العربي في الجليل، وعكا، والناصرة، علاوة على نزوح بعضـهم إلى سوريا، والأردن، ولبنان، ومصر.

فـي حـين اكتفـت الـدول العـربية، بالتصـويت علـى رفـض قـرار التقسـيم، فـي مجـلس الأمـن، ولـم تعـمل علـى تحويل رفضـها هذا، إلـى إجـراءاتٍ عمليـة لمنـع تـنفـيذ القـرار، ومـن ثـمَّ إعاقـة إقامـة الدولـة الصـهيونية. ترجمت القـوى الصـهيونية رفضـها لقـرار التقسيم، لإدعائـها بأحـقيـتها في كل فلسطـين، خلافًا لما منحه لها ذلك القرار، بزيادة قدراتها التـنظـيمية، والعـسكرية، والتمويـلية، اسـتعـدادًا للمعـركة الفاصـلة، فقد

أعلن بن جـوريون، آنذاك " إن تكوين الدولة لا يعـتمد على قرار التقسيم، لأن الدولـة سـتخـلق بواسـطـتـنـا، فنحــن الـذين نقـرر مصـير الـبلاد ". وتحــركت القيـادة الصـهـيونية فـي عـدة اتجاهـات، فـور صـدور القـرار، ففـضلاً عـن دفـع مقاتــليهم فـي أتـون المعـارك والإشـتباكات المسلحة، لتــنظيمهم ميـدانيًا، وتطـوير قـدراتهم القــتالية، وتوسـيع منـاطق الـتحكم والسـيطرة، والخـوض فـي مـذابح للقـرويين مـن عـرب فلسـطين، بهـدف ترويعــهم، وبنـاء نفـسيةِ المقاتـل الصـهيونـي علـى سـفك الـدماء بوحشـية، ودون رحمـة، أو تـردد، أو اعتبـارات انسـانية. وفـي الوقـت نفسـه، كانـت قيـادة " الهاجانـاه " تضـع تفاصـيل خطتهـا العـسكرية الشـاملة، للإسـتيلاء على فلسطين (الخطة دال)، كما عقد بـن جوريـون صـفقة سـلاح ضخـمة مـع تشيكوسلوفاكيا، اشتملت علـى أسـلحة ثقـيلة، كالـدبابات، والطـائرات المقاتلة، و15 ألف قطعة من الأسلحة الخـفـيفة، والتي وصلت تباعًا إلـى فلسطين، منذ بداية 1948، وحتى منتصـف الهدنـة الأولـى، عقب إعـلان الدولة الصـهيونية (يونيو/ حزيران - يوليو/ تموز 1948)، وقـد كـان بـن جوريـون قـد حصـل، خـلال رحلتـه إلـى نيويـورك، فـي يونيـو/ حزيـران 1945، علـى صـفقة ضـخمة، قوامهـا آلاتٍ، ومعــداتٍ، وخطـوط إنتـاج أسلحة خفيفة ومتوسطة، مكنت الصـهاينة من إقامـة صـناعات للذخيرة، والأسلحة المتوسطة، والخفيفـة، فـي فلسطين، ومـع الإستجابة الأمريكيـة السـريعة، تمكـن الصـهاينة مـن إنشـاء تلـك القاعـدة الصـناعية العسـكرية، تحت سمع وبصـر الإنتـداب البريطـاني، وفـي إطـارٍ مـن الصـمت، وعـدم الإكتراث الرسمي العربي، الذي كان يـراهن آنـذاك علـى حياديـة الموقـف

البريطاني، بل تحدوه الآمال لأن يلعب " الصديق البريطاني " دورًا لحل المشكلة، حلاً سلميًا، فلطالما حفل تاريخ نضال الشعب الفلسطيني، ضد الإحتلال البريطاني، وضد المشروع الصهيوني، منذ عشرينات القرن العشرين، وحتى حرب 48، بتدخل الحكومات العربية بالنداءات، والبيانات، والتعهدات المضللة للفلسطينيين، بناءً على طلب من البريطانيين في كل مرة، لتهدئة الإنتفاضات، والثورات العربية في فلسطين، ضد الإحتلال البريطاني، والتسهيلات المقدمة منه للمشروع الصهيوني، المتمثلة في تسهيل الهجرة اليهودية لفلسطين، ومنح الصهاينة آلاف الدونمات من أراضي الدولة في فلسطين، وتشكيل المفارز الليلية المشتركة بين الجنود البريطانيين ورجال " الهاجاناه " و " البالماخ "، والموافقة على تشكيل قوات الشرطة الخاصة اليهودية في فلسطين، فيما قبل، والتي عُدت أحد الأنوية الهامة التي مهدت لتشكيل قوات " الهاجاناه " بدءًا من 1938.

مع انسحاب القوات البريطانية من فلسطين، يوم 14 مايو/ آيار1948، تاركةً كل أسلحتها، وذخائرها، ومعداتها، ودباباتها، وسياراتها العسكرية، ومخازن ذخيرتها، وإمداداتها التموينية، والغذائية، وحتى الملابس، وتجهيزات الإتصالات، والثكنات العسكرية، ومراكز البوليس، لقوات " الهاجاناه "، في كل المدن الفلسطينية، علاوةً على تسليمها للمطارات والموانئ إليهم، أيضًا، أعلن بن جوريون قيام " دولة إسرائيل "، في اليوم التالي (1948/5/15)، وعلى الفور دخلت إلى فلسطين، جيوش خمس دول عربية هي مصر، وسوريا، والعراق،

والأردن، ولبنـان، عـلاوةً علـى قـوات فـوزي الـدين القـاوقجي، الضـابط السابق، في الجيش السوري، وأحمد عبد العزيـز، الضـابط المستقيل من الجيش المصري، ومن التف حوله من الجنود والضباط المصريين، الذين تركوا الخدمـة العسكرية، ومئـات مـن الفـدائيين المصـريين، إضـافة إلـى متطوعين من السعودية، كان إجمالي قوام تلك القوات مجتمعـة 24 ألـف مقاتـل. وفـور دخـول تلـك القـوات، قـام الجيـشان المصـري، والأردنـي، بنـزع سـلاح المقـاتلين الفلسـطينيين، وعـزلهم عـن المعركـة، وسـجن مـن رفـض مـنهم تسـليم السـلاح، بـدلاً مـن الإسـتقـواء بهـم، كقـوة مضـافة، خَـبِـرَت أرضَ ودروب فلسطين، وعـادات شعـبها، وتمرست فـي القتـال الطويل ضـد العـدو الصـهيوني، ومسلحةً بوضـوح الهدف، ولـديها الـدافع القـوي، للقتـال حتـى اللحظـة الأخيـرة، لإسـتعادة الأرض والـديار، وفـي المقابل تشكلت القوات الصـهيونية من " الهاجاناه "، التي تم إعادة تنظيمها في قسمين كبيرين، همـا جيش الميـدان، وقوامـه 20 ألـف مقاتـل، وجيش الـدفاع 17 ألـف مقاتـل، إضـافةً إلـى البالمـاخ (وهـي قـوات النخبـة فـي الهاجانـاه) 2500مقاتـل، والشـرطة اليهوديـة 6000 مقاتـل، واللـواء اليهودي، العائد لتوه من ميادين القتال فـي الحـرب العالميـة الثانيـة، وكـان مركزه في إيطاليا، وقوامه 5000 مقاتل، علاوةً على المتطوعين اليهود فـي صـفوف الجيش البريطـاني، الـذين خاضـوا معـارك الحـرب العالميـة الثانيــة، مــوزعين بــين مختلــف أفــرع الجــيش البريطــاني (بحــرية، ومدرعات، وطـيران، ومدفعيـة، ومشـاة)، وبلـغ عـددهم 23 ألـف مقاتـل، أي أن جملة قوام القوات الصـهيونية بلغت 73.500 مقاتـل، ومثلهم فـي

الإحتياط، وتنامى عدد المقاتلين إلى أن وصل إلى 106 ألف مقاتل صهيوني، عشية اتفاقات الهدنة، في 1949، طبقًا لما ورد في مذكرات بن جوريون، وهكذا بدلاً من أن تُشَكِل القوى العربية المهاجمة، ثلاثة أضعاف القوات المعادية، اي ما يوازي 250 ألف مقاتل على الأقل، طبقًا للقاعدة العسكرية المعروفة، في المعارك النظامية الحديثة، دخلت الدول العربية الحرب، بما يوازي ثُلُث قوة خصومها، مع افتقاد قواتها للتسليح، والتدريب الحديث، بل إنها لم تخض غمار أي حرب حديثة، لعدة عقود مضت، وتخضع لخمس قيادات ميدانية مختلفة، بعضها يدين بالولاء الكامل لبريطانيا، الحليف الرئيسي للحركة الصهيونية، فقائد الجيش الأردني كان الجنرال: جون باجوت جلوب - الإنجليزي، الذي قام بسحب السلاح من المقاتلين العرب، عقب الهدنة الأولى، في اللد والرملة، ثم ما لبث أن سحب القوات الأردنية، نفسها، منهما، وتركهما مكشوفتين، فاستولى عليهما الصهاينة، وعلى عشرات القرى المحيطة بهما، دون مقاومة تذكر، كما سحب القوات الأردنية من النقب، في 1949/3/3، أثناء مفاوضات الهدنة بين الأردن والصهاينة في رودس، وعقب توقيع الهدنة بين الصهاينة ومصر، في 1949/2/24، تاركًا الطريق مفتوحًا إلى خليج العقبة، بعد أن نَبَّه الصهاينة إلى الأهمية الإستراتيجية لوجود منفذ للدولة الصهيونية الوليدة، على البحر الأحمر، فقامت القوات الصهيونية، في سبعة أيام، بالإستيلاء على النقب بالكامل، وأم الرشراش (المصرية)، مُؤَسِسَةً فوقها ميناء إيلات. لقد كانت الجيوش العربية المشاركة في القتال تجهل الهدف الذي تقاتل في سبيله،

وتعاني من عدم الإلمام بطبيعة الأرض التي تقاتل فوقها، وترزح تحت صنوف قهرٍ طبقي إجتماعي، طال أوضاعها داخل الجيش، بل في ميدان القتال، أيضًا، وتنافُر بعضها عن بعض، في التشكيل، والتنظيم، والتسليح، والتدريب، وتفتقد الخطة العسكرية الموحدة، بل القيادة الموحدة، أيضًا، وترزح تحت حكم أنظمة فاسدة، وتابعة للإستعمار البريطاني، وتخضع لنفوذه، في آنٍ، مما جعل تلك الأنظمة تذعن للسيدين البريطاني، والأمريكي، بقبول الهدنتين، الأولى، فالثانية، فأتاحت للقوات الصهيونية فرصة لالتقاط الأنفاس، واعادة تنظيم الصفوف، وتقوية الدفاعات، وسد الثغرات، وتَلَقِي الإمدادات التسليحية القادمة من الخارج، وتوظيفها في ميادين القتال، بعد توزيعها في سانحةٍ ذهبيةٍ من الوقت، فيما أمضت القوات العربية، فترات الهدنة، في انتظار فرجٍ من الله، لم يأتِ، لمن لم يسعَ له حثيثًا، واستكان لوعودٍ من الخصم، لم تتحقق، لقد اجتمعت كل العوامل المُؤهِلَة لهزيمةٍ عربيةٍ مُدَوية في حرب 1948، فمن استهانة بقوة العدو، إلى التضخيم في القدرات الذاتية، دون الإستناد لأي مقومات موضوعية لهذا التضخيم، إضافةً إلى التأثير السلبي لغياب الديمقراطية، حيث أضعف الإحساس بالمواطنة، فضلاً عن التخاذل، وعدم الجدية والإرتجال، على حساب التخطيط، في مواجهة عدوٍ يستقوي بالعلم والتكنولوجيا، عدا عن تعارض أهداف الدول العربية مع بعضها البعض، من دخول جيوشها إلى فلسطين.

وعلى المستوى الخارجي، فلقد تركت الدول العربية الساحة الدولية خاليةً أمام القوى الصهيونية، ترتع فيها، وتجند الأصدقاء، وتنسج التحالفات، بل إن غفلة الدول العربية وصلت إلى مداها، عند احتكامها، المرة تلو الأخرى، إلى أعدائها، لنصرتها على عدوٍ آخر، لقد كان الحكام العرب أسرى أوهام، لم يخلصهم منها كل ما حاق بهم من هزائم، الأمر الذي يلقي بظلال من الشك حول حقيقة هذا الموقف من جانب الحكام العرب، فلم تكن النتائج لتختلف لو اتخذ الحكام العرب موقفًا صريحًا معلنًا بالتواطؤ مع الحركة الصهيونية، فيما يتعلق بانشاء الدولة الصهيونية.

لقد حققت حرب 1948، للكيان الصهيوني، من الأهداف، ما فاق التوقعات، على النحو التالي: -

1) رسَّخت الحرب على الأرض، قرارًا دوليًا كان على الورق، بإنشاء دولةٍ إسرائيلية، دون أن تعترف هي بهذا القرار، وبما يترتب عليه من إلتزامها بما ورد فيه من حدود دولية، تقيد أطماعها التوسعية، في المنطقة، مستقبلاً.

2) حصلت إسرائيل بالحرب، على أكثر مما منحه لها قرار التقسيم، فاستولت على ما يناهز 78% من مساحة فلسطين، في حين لم يعطها قرار التقسيم سوى 55% فقط، فضلاً عن أنها سدت كل الثغرات التي كانت تعتبرها نقاط ضعف في الخريطة السياسية، التي أقرها قرار التقسيم، للإسرائيليين، فأوجدت منفذًا لها على البحر الأحمر، وتفادت وجود إدارة دولية للقدس، بل

سـيطرت عليهـا بكاملهــا، علـــى دفعتــين، خـــلال حربـــي 48، ثـــم 1967، أقامـت دولتهـا هـي، بينمـا فوتـت الفرصـة علـى الفلسـطينيين إقامـة دولـتهم، وفقًـا لقـرار التقسـيم. فقـد انتهـت الحـرب بعقـد اتفاقـات الهدنـة بـين " دولـة إسـرائيل "، والـدول العربيـة المشـاركة فيهـا، دون الطـرف الفلسـطيني، حيـث لـم تمثلـه فـي المعـارك قـوات مسـتقلة، بـل خـاض الفلسـطينيون حـربهم، مُجبَـرين، تحـت أعـلام الـدول العربيـة الأخرى، ووفقًا للشروط التي فرضتها عليهم تلك الدول.

3) فرضت إسرائيل بالحرب على الآخرين، وفي المقدمة منهم الدول العربية المحيطة بها، والرافضة " ظاهريًا " لمشروعها، معاملتها كدولة، ومنذ اللحظة الأولى لميلادها، وليس كمجموعة عصابات، كما كـان يـردد الحكام العرب، بغطرسةٍ كاذبةٍ جوفاء.

4) فرضت إسرائيل توازنًا جديدًا للقوى في المنطقة، تكون لها فيه اليد العليا، ومؤسَّس على أمر واقع، لا على مزايدات كلامية.

5) أرسـت إسـرائيل بموجـب تلـك الحـرب، دعـائم، وأسـس تعاملهـا المستقبلي، مع جيرانها الرافضين لوجودها، قائمٌ على أساس البطش بمن يقف ضد طموحاتهـا. وقد وعـى الطرف العربـي الدرس جيدًا، ومـن لم يستوعبه منهم هذه المرة، فهناك مرات تالية تؤكد نفس المفهوم، وترسخ نفس الواقع.

6) رَوَّجَت إسرائيل لإدعاء جديد، يضاف لأساطيرها المؤسسة للدولة الإسرائيلية، وهو أن تلك الدولة قامت على الأرض بموجب " حرب استقلال، حرب تحرير "، بموجب " نهوضٍ قومي "، صاحبه ثورةٌ مسلحة، على الإحتلال الأجنبي البريطاني، وعلى التخلف الإجتماعي، والثقافي، والإقتصادي العربي، فصورت نفسها على أنها امتدادٌ لحركة النهوض القومي الأوروبي في مواجهة التخلف الإقطاعي، وهو السمة الأساسية للثورات الرأسمالية، مما يكسبها تعاطف تلك الدول الرأسمالية الغربية، على مستوياتها الرسمية والشعبية. كما صورت نفسها على أنها امتداد لحركات التحرر الوطني، في دول العالم الثالث، وأنها جزء من حركة التحرر الوطني في العالم، عَلَّها تكتسب بذلك تعاطف حركات التحرر الوطني في المستعمرات، والدول التي نالت استقلالها حديثًا. ثم عبر ادعائها بانتهاج الأفكار الإشتراكية، في ظاهرها، الإستعمارية الإستيطانة، في جوهرها، والتي أسست على أساسها المزارع الجماعية، فيما بعد، سعت إلى اكتساب تعاطف الدول الإشتراكية.

7) دشنت إسرائيل، ومنذ اللحظة الأولى لنشأتها، دخولها نادي الدول الإستعمارية، التي تفرض ما تريده بقوة الأمر الواقع، بالقوة المسلحة، وليس عن طريق العلاقات المتوازنة، القائمة على احترام إرادة ومصالح الشعوب الأخرى، فحازت بذلك على تقدير الدول الإستعمارية (الملقبة بالعالم الحر)، ورأت فيها تلك الدول حليفًا أساسيًا، يمكن الإعتماد عليه، في تحقيق مشاريعها الإستعمارية في المنطقة، لإخضاعها وابتزازها، فأوجدت لنفسها دورًا وظيفيًا استثمرته، فيما بعد، الدول الإستعمارية

الكبرى، عبر الستــين عامًا التالية.

وإلى مزيد من التفاصيل، نغوص في فصول هذا الكتاب

المحـرر

القاهرة في 2009/12/15

* * *

البـــاب الأول
الحـرب

الفصل الأول:
الاقتصاد السياسي النكبة

رانيا عبد الرحيم المدهون

اندلعت الحرب، بمجرد صدور قرار تقسيم فلسطين، عن الجمعية العمومية، للأمم المتحدة (1947/11/29)، ولأن النصر إنما يتحقق في الجبهة الداخلية، أولاً، ولأن الأساس في الجبهة الداخلية هو البنية الاقتصادية، لذا كانت هذه الدراسة.

اقتصاد القطاعين

واجه الشعب العربي الفلسطيني (1932 - 1939)، إجراءات من الضغط والحصار الاقتصادي، المنظم، والمبرمج، التي مارسها التحالف الإمبريالي البريطاني - الصهيوني، والتي أدت إلى نتائج مأساوية، على طريق التطور الاقتصادي للشعب العربي الفلسطيني [1].

إن حصيلة التطور، حتى العام 1939، أثبتت أن الإمبريالية لجأت إلى مختلف الأساليب، لإجهاض الكفاح التحرري للشعوب، وقد كانت المنظمة الصهيونية، أحد وسائل الإمبريالية البريطانية، لتثبيت وحماية مصالحها الاحتكارية، وتنفيذ سياساتها (الإمبريالية) في الشرق الأوسط، والمحافظة على مواقعها الاقتصادية - النفط، السوق، والاستراتيجية - في

(1) أحمد سعد، **التطور الاقتصادي في فلسطين**، ط1، حيفا، دار الاتحاد للطباعة والنشر، أيار/ مايو 85، ص 121.

الطريق إلى الهند، ولمقاومة الحركة العربية المعادية للامبريالية [1].

كما أكدت حصيلة التطور، عجز القيادة التقليدية العربية، من ممثلي عائلات أسياد الأرض، والإقطاع المتبرجز - الذين تحولوا من تأجير الأراضي، إلى توظيف رأسمالهم في التجارة وغيرها - عن قيادة الزخم التحرري لجماهير الشعب العربي الفلسطيني المسحوقة، التي فجَّرت انتفاضة 1933وثورة (1936 - 1939). خاصة في مواجهة عدو متمرِّس، ذي خبرة، من ممثلي الرأسمالية المتطورة - الإمبريالية والصهيونية [2].

يتضح من خلفية التطور الاقتصادي، أنه بفعل حكم الانتداب البريطاني، المتساوق مع الاستيطان الصهيوني، وتأثيره على سوق المنافسة الاقتصادية - الجارية في فلسطين - نجحت إمكانيات تطور برجوازية يهودية صناعية قوية، وبروليتاريا عمالية صناعية. كما كانت هناك قاعدة جماهيرية واسعة جدا من الكادحين، والفلاحين وصغار البرجوازيين المسحوقين العرب، - بفعل الإمبريالية، والاستيطان الصهيوني، مستعدين للتضحية في سبيل التحرر، والاستقلال[3]، كما تفشَّت البطالة، في وسط العمال العرب، والفلاحين [4].

---

(1) **المصدر نفسه**، ص152.
(2) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.
(3) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.
(4) عبد القادر ياسين، **كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام 48**، ط 2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 135.

إلـــى جانـــب أســـياد الأرض، والعـــائلات الكبيـــرة (الحســـيني، والنشاشيبـــي...)، التـــي ضُـرِبَت مصــالحها الاقتصــادية، أيضًــا، بفعـل الإمبرياليــة والصــهيونية، ولكنهــا ظلــت ترهــب التحــولات الجاريــة، الاقتصادية، والاجتماعية [1].

في عهد الانتداب:

انشطر الاقتصاد الفلسطيني، فـي عهـد الانتـداب، إلـى ثلاثـة أجـزاء، احتـوى الأول منهـا علـى الاقتصــاد العـام المشـترك، أو الكلــي، الــذي ضمَّ المدخلات، والمخرجـات، البريطانيـة، العربيـة، واليهوديـة، واحتـوى الثــاني علــى الاقتصــاد اليهـودي، الـذي ضــمَّ تجمعـات الجاليـة اليهوديـة (ذات النزعة الصهيونية) المتنامية بمؤسساتها، وتمثل الثالث في الاقتصاد العربي الفلسطيني [2].

الإطار المؤسسي للنشاط الاقتصادي:
أولا: الصـهيونـي:

ارتبطــت التطبيقــات المؤسسـية الصــهيونية، بالحركــة الصــهيونية، وأيـديولوجيتها، وأهـدافها، الراميـة إلـى اسـتيطان فلسـطين، والعمـل علـى تهويدها، من خلال عملية استغلال الأرض، واستثمارها، واستصلاحها، وتشـجيع الهجـرة " اليهوديــة - الصــهيونية " المتواصــلة إليهــا، وانقسـم الإطار المؤسسي التمويلي، الذي عمل من خلاله الاقتصاد الصهيوني في

(1) سعد، **مصدر سبق ذكره**، ص 153.
(2) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الأول، بيروت، 1990انظر: فؤاد حمدي بسيسو، المنطلقات السياسية والقانونية والإدارية والمؤسسية للتطور الاقتصادي في فلسطين ص 601.

فلسطين، إلى [1]:

1 - المنظمة الصهيونية: كانت بمثابة الأم لكل المؤسسات الصهيونية، التي تأسست، أو نشطت في فلسطين، خلال سني الانتداب البريطاني.

2 - الوكالة اليهودية: اعتبرت الممثل السياسي والاقتصادي للقطاع اليهودي الصهيوني في فلسطين.

3 - الهستدروت.

4 - الكيرين كايميت.

5 - الكيرين هايسود.

6 - المؤسسات التمويلية الصهيونية الأخرى.

ثانيا:المؤسسة التعاونية:

لعبت مؤسسات الحركة التعاونية، في فلسطين، دورًا بالغ الخطورة، في بناء وتمتين أرضية الانطلاق، لمختلف الأنشطة الاقتصادية، في فلسطين، ولاسيما بالنسبة للمستوطنين اليهود. فقد كان لها تشابكاتها، وارتباطاتها الأساسية، بالوكالة اليهودية، والهستدروت، وكثير من المؤسسات التمويلية، فضلاً عن تمتع تلك الحركة التعاونية الصهيونية، بدعم كبير من سلطات الانتداب [2].

(1) **المصدر نفسه**، ص 621: 624.

(2) **المصدر نفسه**، ص 625.

كمـا ظهـر الفـرق بـين ملامـح الحركـة التعاونيـة وإنجازاتهـا، فـي الوسـطين، اليهـودي والعربـي، ففـي الوسـط اليهـودي، كـان ثمـة هيكـل مؤسسـي مـن عدة نمـاذج، لعبـت دورًا مركزيًـا فـي بنـاء قواعـد (الـوطن القومي اليهودي)، على حساب الوجـود المؤسسـي فـي فلسطين، ويلاحظ أن من أهم أسباب نجاح التنظيم التعاوني، لأنشطة المجتمع اليهودي، فـي فلسطين، إسـهام " المنظمـة الصـهيونية العالميـة " فيـه، والأفـراد اليهـود، إسـهامًا انعكـس فـي تبنـي المنظمـات الصـهيونية، فـي فلسـطين، لسياسـة الاسـتيطان، وتأسـيس المـزارع الجماعيـة، وتـدعيمها. يضـاف إلـى ذلـك جذور المجتمع اليهودي - الصـهيونـي، الوافد إلى فلسطين [1].

ثالثًا: الإطـار المؤسسي العربي:

في الوقت الذي توفَّر فيه للاقتصـاد الصـهيونـي، الكثير من المؤسسات الصـهيونية، ذات الانتشار العالمي، (المرتبطة بشبكة علاقات عضوية مع الصـهيونية العالميـة، وقـوى الاسـتعمار العـالمي، فـي أوروبـا الغربيـة، والولايـات المتحـدة الأمريكيـة)، بالإضـافة إلـى إطـار سياسـي، وقـانونـي موافق لأنشطتها، هيأته لها سلطات الانتداب البريطاني، بجانـب إمكاناتهـا البشـرية، والتنظيميـة، فقـد لـوحظ أن الإطـار المؤسسـي، الـذي تـم تأمينـه للاقتصـاد العربي، اتسم بالمحدوديـة، والضـعف، الشـديدين، سـواء بالنسبة للإمكانات والموارد المالية، أو البشرية، أو الأطر المؤسسية، التنظيميـة، السياسية، والقانونية، التـي تُوفِرهـا، عـادةً، إدارة التنميـة الوطنيـة، فـي أي اقتصـاد وطنـي، مسـتقل، والتـي كانـت غائبـة فـي الاقتصـاد الفلسـطيني،

(1) **المصدر نفسه**، ص 626.

بالإضافة إلى ملاحظة عدم توفُّر دعم عربي، بشكل ملحوظ، للمؤسسات العربية الفلسطينية.

وانقسم الإطار المؤسسي العربي إلى[1]:

1- الحركة التعاونية العربية.

2- البنك العربي: وهو أقدم مؤسسة مصرفية عربية في فلسطين.

3- بيت المال العربي.

4- البنك الزراعي العربي.

5- البنك الصناعي العربي.

6- مؤسسات عربية أخرى.

7- صندوق الأمة.

8- غرفة التجارة العربية.

9- شركة التأمين العربية المحدودة.

كما رأينا، فقد حالت بريطانيا دون تقدم العرب، اقتصاديًا، وأبقتهم فقراء يعتمدون على الزراعة. وبما أن رقعة فلسطين ضيِّقة، ومواردها محدودة، لذلك طغى عليها الاقتصاد الصهيوني الصناعي، رغم تأليف لجان للاقتصاد الوطني، لتشجيع المصنوعات الوطنية [2].

---

(1) **المصدر نفسه**، ص 626، 632.

(2) محمد فائز القصري، **حرب فلسطين 48**، الجزء الأول، الصراع السياسي بين الصهيونية والعرب، دار المعرفة، القاهرة، 1961، ص 142.

موارد فلسطين والطاقة الاستيعابية:

مـن المفـاهيم التـي أسـهمت فـي زيـادة امتصـاص مـوارد فلسـطين، وطاقتهـا المتاحـة واسـتغلالها لصـالح الاقتصـاد اليهـودي، مفهـوم الطاقـة الاستيعابية*، فقد عمل اليهود على تكييف معنى الطاقة الاستيعابية، بشكل مضلل، تناقض مع المفـاهيم الاقتصـادية المنطقيـة، المتعـارف عليهـا لهـذه الفكـرة، والـدفاع عنـه، بحيـث تـتمكن مـن تبريـر اسـتيعاب أكبـر عـدد مـن المهاجرين في فلسطين، رغم محدودية الأرض ومواردها [1].

إن تطبيـق هـذا المفهـوم، كـان يعكـس إحـلال الوجـود اليهـودي - الصـهيوني تدريجيًا، محل أهالي البلد الأصليين من العرب، ونـزع ملكيـة الأرض الزراعية، ومنافسة المنتج العربي الزراعي، والصـناعي، منافسة قاتلة. كما ارتكز هذا المفهوم على الجانب الديناميكي، الـذي تَّتسـع دائرتـه بشـــكل غيـــر محـــدود، كلمـــا زادت إمكانـــات التمويـــل، والتثميـــر، والتكنولوجيا[2].

سياسات الهجرة [3]:

1 - سياسـات حكومـة الانتـداب، التـي سـاعدت علـى تسـهيل الهجـرة اليهوديـة العلنيـة، والسـرية، وإحـلال الوجـود الصـهيوني، محـل الوجـود العربي، في فلسطين.

(*) قدرة الموارد الطبيعية المتاحة، على تأمين ظروف معيشية مناسبة، للمجتمعات المقيمة في فلسطين، وتحسين مستويات دخلها.

(1) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 637.

(2) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

(3) **المصدر نفسه**، ص 644 - 646، 650.

2 - السياسة الصهيونية تجاه الهجرة.

3 - الصراع على موارد فلسطين، ومفهوم طاقة الاقتصاد الفلسطيني الاستيعابية، وتأثيره على التطورات الاقتصادية لفلسطين، فيما يتعلق بتلبية احتياجات الوجود اليهودي - الصهيوني الاستيطاني المكثّف، أدى كل هذا إلى خلق صراع مصالح، بين المجتمعين العربي واليهودي - الصهيوني، نظرًا لتنازعهما على الموارد، نفسها.

محددات التطور الاقتصادي:

لا يرجع تضاؤل المساهمة العربية، في هذا القطاع، لقصور في إمكانات العرب، ولكنه يرجع، بشكل جوهري، إلى سياسات السلطات البريطانية، والتي انحصرت أهدافها، منذ بداية احتلالها لفلسطين، في تأطير وضع البلاد داخل ظروف اقتصادية، وسياسية، تمكّن تلك السلطات من إنشاء وطن لليهود، طبقًا لالتزاماتها وفق " وعد بلفور "، و " صك الانتداب "، والذي كال بكيل معاول الهدم، التي تبنّته، طوال الثلاثين عامًا، التي سيطرت خلالها سلطات الاحتلال البريطانية على البلاد[1].

ثمة محددات رئيسية قادت التطور الاقتصادي، وأسهمت في صياغة ملامحه الهيكلية[2]:

أ- أُديرت دفة الاقتصاد الوطني الفلسطيني، وفق مجموعة من الأطر

---

(1) د.هند أمين البد يري، **أرض فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ**، ط1، القاهرة، مطابع جامعة الدول العربية، أكتوبر تشرين الأول 1998، ص 360.
(2) الموسوعة، **مصدر سبق ذكره**، 699 - 706.

السياسـية، والقانونيـة، والمؤسسـية، التـي ارتبطـت بـإحلال الوجـود الديمغرافي الصهيوني، محل نظيره العربي.

ب- تم توجيه التطور الاقتصادي لفلسطين، وفق متطلبات إقامة مختلف القواعد الإنتاجية، والمؤسسية، الصهيونية، وقد تـمَّثل ذلك كله، في مختلف السياسات، لا سيما ما تعلَّق منها بسياسة الهجرة الصهيونية، وسياسات استغلال موارد فلسطين الطبيعية، واستثمارها، وبشكل خاص، ما اتصل منها بتشجيع الاستيلاء على الأرض الفلسطينية، واستيطانها من قِبَلْ اليهود - الصهاينة.

ج- أسـهمت سياسـات الانتـداب التمييزيـة، لصـالح المسـتوطنين الصهاينة، والمجتمع الصهيوني، في إسقاط المحاولات العربية، لتطوير القدرات الذاتية، والتطوير المالي، والزراعي، والصناعي.

د - أسهم الالتزام البريطاني، من خلال الإدارة العسكرية، في البداية، ومن ثم الإدارة المدنية، في تردي الأوضاع الاقتصادية العربية.

هـ - سجَّل التاريخ الاقتصادي لفلسطين، ظاهرة الثنائية في الاقتصاد.

و - سقط الاقتصاد العربي - الفلسطيني، ضحية ضعف العرب، الذين كان منوطًا بهم إنقاذ ذلك الاقتصاد، وإغاثته، وذلك في إطار هيمنة القوى الاستعمارية الانجليزية، المتحالفة مع مجموعة دول الحلفاء.

ز - ترتَّـب جـزء مـن المسـئولية، فـي تمكـين التفـوق الاقتصـادي الصهيوني، من النفاذ إلى فلسطين، على بعض قيادات شعبنا، التي مزقتها الخلافات السياسية.

ح - لعبت الخبرة المتراكمة لدى الفئات اليهودية - الصهيونية المهاجرة إلى فلسطين، بالإضافة إلى شبكة العلاقات المالية، والمصرفية العضوية، بكثير من المؤسسات في الدول الغربية، دورًا رئيسيًا، في إنجاح مسعى تمتين قاعدة الوجود المؤسسي الصهيوني، في فلسطين، وقد تكاتفت السياسات المالية، والنقدية، والجمركية، والتجارية لحكومة الانتداب، مع الإمكانات التمويلية الوفيرة لقوى الحركة الصهيونية، ومؤسساتها، في دعم القطاع الإنتاجي اليهودي.

العلاقات الاقتصادية

محددات التطور الزراعي [1]:

1- الأراضي الزراعية: تميَّز الاقتصاد، بأنه اقتصاد زراعي، بالدرجة الأولى، لأن ثلث السكان اعتمدوا في معيشتهم، بشكل مباشر، على الزراعة، رغم أن البلاد لم تكن قد حقَّقت الاكتفاء الذاتي، في الإنتاج، والاستهلاك الغذائي، بصورة عامة، والحبوب بصورة خاصة.

2- مصادر المياه: تم استغلالها خلال فترة حكم الانتداب.

هيكل الإنتاج الزراعي، وتطوراته:

انقسم هيكل الإنتاج الزراعي، إلى الزراعة الوطنية، وزراعة الحمضيات، والزراعة الكثيفة، والمختلفة، حيث تضاعف إنتاج المحاصيل الزراعية، من عام 1922 - 1944، ثلاث مرات، باستثناء الحمضيات والدخان، كما ارتفع دخل المحاصيل الزراعية، بسبب ارتفاع الأسعار في العالم كله، خلال فترة الحرب العالمية الثانية، وحدث تحول

---

(1) **المصدر نفسه**، ص 655.

فـي نوعيـة الإنتـاج الزراعـي، فانتقـل مـن الاسـتهلاك الـذاتي إلـى الإنتـاج التسـويقي، وغـدا التحـوُّل فـي إنتـاج المنتجـات التـي تُـدِرّ دخـلاً أكبـر[1]، وترتب على ذلك أن[2]:

1- حقق القطـاع الزراعي الفلسطيني، نموًا اتسم بعدم الانتظـام، بفعل المحددات السياسية، والقانونيـة، والمؤسسية، الناجمـة عن تـأثير التحـالف بـين قـوى الحركـة الصـهيونية والانتـداب، والـذي أدى إلـى خلـق ظـاهرة الثنائية في الاقتصاد الزراعي الفلسطيني، فأصبح لكل من الاقتصـادين، العربي، والصهيونـي، هيكل إنتاجي، وتمويلي، وتسويقي مختلـف، واتسم الاقتصاد العربي بالتراجع المستمر، نتيجة غياب إدارة التنمية الوطنية.

2- تأثَّر النشاط الزراعي في فلسطين، بالعلاقات الاقتصادية الدوليـة، تأثرًا كبيرًا.

3- تمثَّلـت أهـم مشـاكل الزراعـة فـي فلسـطين، أثنـاء الانتـداب، فـي اعتمـاد الزراعـة علـى محصـول واحـد، هـو الحمضـيات، أمـام الضـغط السكاني المستمر على موارد فلسطين الطبيعية، ولا سيما غزو الهجرة اليهوديـة المتدفقـة علـى فلسـطين، الأمـر الـذي حـرم الـبلاد، مـن فرصـه اسـتغلال مواردهـا الطبيعيـة والمائيـة، بشـكل يسـاعد علـى تنميـة مسـتوى

(1) **المصدر نفسه**، ص 658 - 660.

(2) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:

- **المصدر نفسه**، ص 664 - 666.
- جدع جلادي، **إسرائيل نحو الانفجار الداخلي، التخاطب بين المستوطنين الحوربين وأبناء دار الإسلام**، ط1، دار البيان للنشر والتوزيع القاهرة، 1988، ص 51.
- ياسين، **مصدر سبق ذكره**، ص 200 - 201.

معيشة أهلها.

4- ظهر تفوق المُزارع الصهيوني على العربي، في مجال الإنتاج، في عدد من الزراعات، لِما توفَّر للزراعة الصهيونية من تقنية مميكنة متفوقة، ورأسمال وافر، وقوة تسويقية عالية، بفعل مجموعة القوى والسياسات التمييزية، رغم أن ذلك التمييز كان حكرًا على اليهودي - الصهيوني الغربي، وفشل 99% من محاولات اليهود الفلسطينيين وغيرهم من العرب، بصورة عامة، في إقامة قرى زراعية، إلى عام 1947*، لأن معظم الأموال الصهيونية، قد تم صرفها على مستوطنات صهيونية أشكنازية، بسبب أهميتها القومية، والاقتصادية، والأمنية للمشروع الصهيوني. هكذا احتكر المستوطنون الأشكناز تأسيس الكيبوتسات، والتعاونيات الزراعية، وكان الدور الذي خصص لليهود العرب، هو العمل كأُجراء رُخصاء.

5- اتخذ التطور الإنتاجي الزراعي، اتجاهًا غير متوازن، بالنسبة إلى فروع الإنتاج.

6- ارتفعت أسعار إنتاج المزارع العربية، أثناء الحرب العالمية الثانية، وارتفع الدخل الزراعي، وإن لم يحدث تراكم رأسمالي في الريف، بسبب الضرائب الفادحة على الفلاح العربي.

محددات التطور الصناعي:

(*) بلغت نسبة الأراضي الزراعية التي امتلكها الصهاينة، حتى العام 1944، أقل من 10%، من مجمل الأراضي الزراعية، و 90% للعرب.

أ- فى القطاع العربي[1]:

1- واجهـت الصـناعة العربيـة الحرمـان مـن فـرص النمـو، التـي توفرها، في العادة، إدارة التنمية الوطنية، إلا أن الزيادة السكانية العربية، شكلت مصدرًا أساسيًا لسوق الإنتـاج الصـناعي العربـي، إلـى جانـب ذلـك ساعدت ظروف الحـرب العالميـة الثانيـة الصـناعية العربيـة، وذلـك نتيجـة انخفاض الاستيراد، الذي أدى، بدوره، إلـى نمـو كثيـر مـن فروعهـا (مثـل صناعة التبغ العربي).

2- عانت الصناعة العربية، من مشكلة الانشداد إلـى أسـاليب الإنتـاج التقليـدي، واليـدوي الأسـري، فقـد عجـزت هـذه الصـناعات عـن مواجهـة المنافسة الخارجية.

3- أثَّـرت الأعمـال الثوريـة، والانتفاضـات الوطنيـة، التـي شـهدتها فلسطين، سلبًا، في فرص نمو الصناعة العربية.

4- اندلعت الحرب العالمية الثانية، فحدث التطور السريع لكثير من الصناعات، إلى جانب نجاح الجهد الصناعي العربـي الفلسطيني المثـابر، في تطوير نواة قاعدة صناعية عربية، قابلة للانطلاق.

ب - في القطاع اليهودي [2]:

1- لعـب الإطـار السياسـي المؤسسـي لحكومـة الانتـداب، والحركـة الصـهيونية، دورًا مركزيًـا، كمحـدد رئيسـي، مـن محـددات النمـو الصناعي في القطاع اليهودي، في فلسطين.

(1) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 677 - 681.
(2) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

2- استفادت الصناعة اليهودية من معاملة سلطات الانتداب التفضيلية لها.

3- أدى تشجيع حكومة الانتداب، للهجرة اليهودية إلى فلسطين، وخاصة العمال الصناعيين، والمهنيين، والحرفيين المهرة، إلى قيام قاعدة صناعية يهودية - صهيونية قوية.

4- أسهمت " الوكالة اليهودية " في 40% من التمويل اليهودي الصناعي، 50% الأنكلو - فلسطيني، 10% البنك الصناعي، 10% بنك العمال.

ج - صندوق القروض متوسطة الأجل:

قام بتقديم القروض للمشاريع المتوسطة والصغيرة، لمدة لا تزيد عن ثلاث سنوات[1].

هيكل الإنتاج الصناعي عام 1939 وتطوراته:

في بداية حكم الانتداب، كان الوضع الصناعي في فلسطين متقدمًا نسبيًا (عنه في العهد العثماني)، لكن الصناعات النسيجية كانت متدهورة، مع التوقُّف، تمامًا، عن زراعة القطن، بعد تدفُّق المنتجات القطنية الأوروبية الرخيصة، واختفاء مصانع النسيج في بعض المدن، أما الصناعات التمويلية، فقد أسهمت في ضعفها الصناعات المستوردة[2].

بعد ذلك برز في مجال الإنتاج الصناعي، وبشكل أوضح من الإنتاج

(1) **المصدر نفسه**، ص 681.
(2) سميح شبيب، **الأصول الاقتصادية، والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين 1920 / 1948**، رام الله، وزارة الثقافة الفلسطينية 1999، ص 26، 27.

الزراعي، التغيرات الحاصلة، في ميزان الإنتاج لصالح الصناعة، في القطاع اليهودي، وشركات الامتياز الاحتكارية، فقد اتسعت باطراد وتيرة نمو الإنتاج الصناعي اليهودي، وحجمه، بنسبة أكبر من الإنتاج الصناعي العربي[1]

فقد استغل الاستيطان اليهودي الرأسمال الأجنبي، وعلاقات الاستيطان بالسوق العالمية الرأسمالية، وبالاحتكارات الأجنبية، وتشجيع حكومة الانتداب لتطوير الطاقة الإنتاجية اليهودية، وذلك عن طريق استيراد الآلات الحديثة للصناعة، واستغلال الخبرة التِقنية للمهاجرين اليهود[2].

في عام 1939، ومن خلال الإحصاء السنوي لحكومة الانتداب في فلسطين، ظهرت نتائج التطور، واستثمارات رأس المال في قطاع الإنتاج الصناعي في فلسطين، وكانت كالتالي: [3]

أ - انعكس ضعف المكانة، التي وصل إليها أصحاب الصناعة العرب، في مجال التوظيف في الصناعة، ولم تتعد حصتهم 6.5 %، من مجمل الاستثمارات، أما اليهود فبلغت حصتهم 40.3%، وشركات الامتياز 53.2 %، من الصناعة الفلسطينية العامة. وتدل بيانات الإحصاء على أن السبب، لم يكن فحسب، نتيجة لضعف الرأسمال

(1) سعد، **مصدر سبق ذكره**، ص 143.
(2) **المصدر نفسه**، ص 148 - 149.
(3) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى: -
- الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 674.
- سعد، **مصدر سبق ذكره**، ص 140 - 141 - 148.

العربي، المُعد للاستثمارات في الصناعة، وإنما، أيضًا، نتيجة لخطة التحالف الإمبريالي - الصهيوني المبرمجة، والمنسقَّة، التي تجسَّدت في تسريع وتيرة النمو الرأسمالي، وتوسيع السوق من قِبَلْ القطاع اليهودي (احتلال السوق)، أيضًا، الشركات الاحتكارية المختلطة الأجنبية - الصهيونية (برأسمال مساهم ومشترك)، فضلاً عن تدفُّق رأس المال، إبان الهجرة الكبيرة (1933 - 1937)، ولهذا، كانت النتيجة أن أغلبية رأس المال الموظَّف، في العام 1939، احتوته شركات الامتياز الاحتكارية والمختلطة، برأسمال صهيوني وأجنبي.

ب - بلغت نسبه الصناعات العربية حوالي 28%، واليهودية - الصهيونية حوالي 72%، من الصناعات الكلية في فلسطين.

ج - وصلت نسبة اليد العاملة الصناعية العربية 20%، واليهودية - الصهيونية 76.9 %، ومن حيث متوسط عدد العاملين في المجال الصناعي اليهودي الواحد، فقد زاد 3.3 مرة، عن عدد العمال العرب في الصناعة الفلسطينية.

د - كانت الطاقة الإنتاجية للصناعة اليهودية أفضل منها في الصناعة العربية.

هـ - بلغت نسبة الإنتاج الصناعي العربي 17.5%، واليهودي 68.4% (أي زاد القطاع اليهودي عن نظيره العربي، حوالي 4 أضعاف).

و - تفوَّق القطاع اليهودي - الصهيوني، في مجال تنوُّع إنتاج

الصناعة الواحدة.

ز - كمـا تفـوق القطـاع اليهـودي - الصـهيوني فـي مجـال الكفـاءة الإنتاجية (الناتج الصافي إلى الناتج الإجمالي).

ح - فاق عدد المحلات، والمؤسسات الصناعية في القطاع اليهودي الصهيوني، عنه في القطاع العربي، عدا فرع النسيج.

تطور الصناعة:

عكست معطيات الإحصاء الصناعي، للعام 1939 الاتساع الشاسع في الهوة بين تطوُّر الصناعة العربية، وتطوُّر الصناعة اليهودية - الصهيونية، إذ استطاعت الأخيرة الهيمنة على جميع أوجه الإنتاج الصناعي، بالنسبة للصناعة الفلسطينية، لقد كان العاملون العرب يتمركزون، في الأساس، في ثلاثة فروع أساسية، هي الأغذية، والنسيج، والتبغ، وبلغت نسبه العاملين في هذه الفروع الثلاثة (5.55%)، من مجمل عدد العاملين العرب، في الصناعة، ما يدل على أن الصناعة العربية، كانت تعاني من مشكلة التطور الآلي في الصناعة[1].

استمرار الطابع الحرفي للصناعة، وتمثيله نسبه 18.34% من مجمل العالمين، أما في الصناعة اليهودية - الصهيونية، فقد كان عدد المستقلين اليهود من أصحاب الورش الصغيرة، والمهن، هي ضعف المستقلين العرب، تقريبًا، إلا أن وزنهم، ضمن مجمل الإنتاج الصناعي اليهودي - الصهيوني 9.7%، أي لا يوازن النسبة التي يشغلها الإنتاج

(1) **المصدر نفسه**، ص 143 - 145.

الحرفي العربي، في مجمل الإنتاج الصناعي العربي 3.18% [1].

تأثير الحرب في الصناعة:

اتسعت فجوة النمو بين الصناعتين، العربية، واليهودية الصهيونية، رغم استفادة كل منهما من ظروف الحرب، ففي الصناعة اليهودية - الصهيونية، ارتفع الإنتاج الصناعي بنسبه 100%، كما تم تطوير وسائل الإنتاج، وأساليبه - الأمر الذي برز في صناعة الماس - وتطوَّرت تطورًا سريعًا، كما ارتفع إسهام الصناعة اليهودية - الصهيونية في مجموع الإنتاج الصناعي الفلسطيني من 80%، عام 1939، إلى 85% خلال الحرب العالمية الثانية، إلى ذلك، تفاقَمَ حجم الوحدات الإنتاجية اليهودية - الصهيونية، فيما يتعلق بعدد العاملين فيها، بالمقارنة مع الوحدات الإنتاجية العربية، كما زاد حجم رأس المال، وعدد الأحصنة في الآلات المستخدمة، وارتفعت نسبة الأجور، وكم الإنتاج الصافي في القطاع اليهودي - الصهيوني، عنه في القطاع العربي[2].

ورغم هذا، استطاع القطاع العربي أن يتفوق على القطاع اليهودي - الصهيوني، في بعض الصناعات، كالتبغ، والزيوت النباتية، والأخشاب، والورق، والجلود، والنسيج، حتى عام 1942[3].

كما لوحظ التفوق في كلٍ من الناتج الصافي، والأرباح الصافية، للصناعة العربية، بالمقارنة باليهودية - الصهيونية، حيث أن الناتج

(1) **المصدر نفسه**، ص 145 - 146.

(2) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 675 - 677.

(3) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

الصافي في الفترة (1939 - 1942)، ازدادت نسبته إلى 550.7% في القطـاع العربـي، و 467.8 % فـي القطـاع اليهـودي - الصـهيوني، أمـا بالنسـبة للأربـاح الصـافية، فجـاءت 663.7 % للقطـاع اليهـودي - الصهيوني، و404.1 % للقطاع العربي [1].

محددات التطور التجاري:

بعد تقدُّم التجارة، في العهد العثماني، وتدفُّق المنتجات القطنية الأوربية الرخيصة، عبر المرافق، وطرق التجارة، وزيادة الصناعات المستوردة [2]، أسهمت في تكييف تجارة فلسطين الخارجية، وتشكيل هيكلها، واتجاهاتها، خلال عهد الانتداب، مجموعة من العوامل الرئيسية، علي رأسها طبيعة الموارد الطبيعية والبشرية، ثم طبيعة الموقع الجغرافي لفلسطين، وسط الخارطة العالمية، فالتنمية التي جرت في فلسطين، بما في ذلك محتوي الإنتاج، ووسيلة المواصلات التي تم إقامتها، فضلاً عن السياسة التجارية، والجمركية، التي انتهجتها سلطات الانتداب البريطاني والسياسة التمييزية، ضد المصالح العربية الفلسطينية، المساندة للمصالح الصهيونية [3]. فنجد التطورات الاقتصادية والثقافية، زمن الانتداب البريطاني، إلي ذلك احتلال اليهود في حكومة الانتداب للوظائف، في جميع الدوائر الحكومية، ولاسيما في القطاعات المالية، وشكلوا أغلبية في مصلحة السكك الحديد، وفي الوقت الذي ظهرت فيه طبقة جديدة من المسلمين والمثقفين، أخذ تناقص اليهود في جميع المجالات، ولاسيما، منذ

---

(1) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

(2) شبيب، **مصدر سبق ذكره**، ص 26 - 27.

(3) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 682.

الثلاثينيات، علي أن ظهور هذا التنافس لا يعني تقليص حجم التجارة اليهودية، إذ أن حجم التجارة، خلال الثلاثينات والأربعينات، قد ارتفع [1]. وبفضل هذه الحماية، تشجَّع أغنياء اليهود في العالم، فنقلوا قسمًا من رؤوس أموالهم إلي فلسطين، وأنشئوا عدة صناعات، واستغلوا فرصة قيام الحرب العالمية الثانية، فحملوا حكومة الانتداب البريطاني علي الاعتماد عليهم، دافعين بها إلي وضع أنظمة، حصرت بموجبها الاستيراد من الخارج للمستوطنين اليهود، ومؤسساتهم التجارية، فأتاح ذلك لها، أن تزداد وتتوسع، لهذا أصبحت فلسطين، وبعض بلاد الشرق الأوسط، سوقًا تجارية، تُروَّج فيها المنتجات اليهودية [2].

أولا: هيكل الموارد الطبيعية والبشرية وانعكاساتها:

هيَّأت فرص، ساعدت علي تطوُّر الإنتاج الزراعي والصناعي، وتشكيل حدود التجارة الخارجية، استيرادًا وتصديرًا، علي الرغم من سيادة الطابع الاستهلاكي، في الصناعة الفلسطينية [3].

1 - موقع فلسطين الجغرافي:

انعكس موقع فلسطين المتميِّز، كواسطة امتداد الوطن العربي، وبين القارات الثلاث (آسيا، وأفريقيا، وأوروبا)، علي قيام تجارة نشيطة، نسبيًا، بالإضافة إلي قيام فلسطين بدور المركز، لإعادة تصدير المنتجات المستوردة، من جنوبي شرق آسيا، إلي أوروبا[4].

(1) جلادي، **مصدر سبق ذكره**، ص 38 - 38.
(2) القصربي، **مصدر سبق ذكره**، ص 144.
(3) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 682.
(4) ياسين، **مصدر سبق ذكره**، ص 683.

كانت مواني فلسطين الرئيسية علي البحر المتوسط، خلال الانتداب، تضم كلا من حيفا، يافا، تل أبيب، عكا، وغزة. وحتى قيام دولة إسرائيل (1948) كانت فلسطين تلعب دورًا مهمًا، كمركز لعبور التجارة العربية إلي أوربا، وزادت أهميتها، بعد حفر قناة السويس [1].

2 - الموارد الطبيعية وتشكيل تركيبة التجارة الخارجية:

كان لمحدودية موارد فلسطين الطبيعية، أثر كبير، في تشكيل المجال الإنتاجي، وبالتالي التصديري الفلسطيني، فتركَّزت تلك الموارد، بالدرجة الأولي، علي الإنتاج الزراعي، ومستخرجات البحر الميت الكيماوية، إلي جعل هيكل الصادرات الفلسطينية يعتمد علي المنتوج الزراعي، وليس الصناعي، مثل باقي البلدان المستعمَرة، ولاسيما سلعة واحدة، هي الحمضيات، بالإضافة الى تصدير متواضع، لمنتجات البحر الميت الكيماوية، وبعض المواد الخام، كالجلود، والصوف الخام، وأمعاء الماشية، وقد انعكس ذلك علي إقامة حركة متصاعدة للمستوردات، من أجل تغطية حاجات فلسطين الرئيسية، من المنتجات الزراعية والصناعية. ولمحدودية الموارد الطبيعية، وطبيعة المرحلة الإنمائية المتواضعة، التي كانت عليها فلسطين تحت الانتداب، ومع تزايد عدد السكان، وحدوث بعض التحسُّن في مستويات المعيشة، فقد سجَّل الميزان التجاري عجزًا كبيرًا، ومتصاعدًا، قيمته 9.2 مليون جنيه فلسطيني [2]، وارتفعت قيمة تلك العجز المتواصل، أثناء الحرب العالمية الثانية،

(1) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 683.

(2) ياسين، **مصدر سبق ذكره**، أوردته الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 683.

خاصـةً، مـا بـين سنتي 1922 - 1946، حتـى وصـل إلـي 20.6 مليـون جنيه، في عام 1944، و19.5 مليون جنيه، في عام 1945، 42.8 مليون جنيـه فـي عـام 1946، فسجَّل اتجـاه عـام تصـاعدي، فـي فتـرات السـلم الداخلي والخارجي، أثناء الفترة نفسها، وانخفاضًـا، فـي فتـرات الحركـات الثوريـة (عـام 1937، مـثلاً)، وفـي فتـرات الاضـطرابات الدوليـة (عـام 1943، مثلاً) [1]، حيث كان الهبوط في نشاط فلسطين التجاري. وتتضِّح هذه الصورة أكثر، في العلاقة بين فـائض الاستيراد، ومصـادر الاقتصـاد الفلسطيني، إلي السوق الإمبرايالية [2].

وقد لعبت العوامل المتعلقة بغيـاب إدارة تنميـة وطنيـة، وإحـلال إدارة استعمارية محلها، وما نجم عن " صـك الانتـداب " من نصـوص تمييزيـة ضد مصلحة فلسطين، دورًا في تحقيق هذا العجز. كما تم تمويل العجز فـي الميـزان التجـاري، الـذي انعكـس علـى ميـزان المـدفوعات، بفعـل الصادرات غير المنظورة، وتحـرُّك رأس المـال الوافد إلـي فلسطين، مـع المهاجرين الصـهاينة [3].

ثانيا: تركيبة التجارة الخارجية والتخلف الاقتصادي:

عكسـت مكونـات نظـام التجـارة الخـارجيـة السـلعية، طبيعـة الاقتصـاد الفلسـطيني، الـذي اتسَّـم بـالتخلف وتوزَّعـت صـادرات فلسـطين، خـلال الانتـداب، علـي الأقسـام الرئيسـية التاليـة: المنتجـات الزراعيـة، والمـواد الغذائية، والمواد الأولية، والبضـائع غير المصنَّعة، والمصنَّعة.

(1) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 683 - 6840.

(2) سعد، **مصدر سبق ذكره**، ص 151.

(3) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 684.

سيطرت المجموعة الأولي علي مكونات تجارة فلسطين التصديرية، وكانت الحمضيات الأولي في قائمة الصادرات، فارتفعت نسبتها إلى 95% من مجموع الصادرات الزراعية، أما سلع الجزء الثاني، فشملت الجلود الخام المجفَّفة، والصوف الخام، والكبريت [1].

إلا أنها، مع بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين سُدِدَّت ضربات متلاحقة للتجارة الفلسطينية، بدأتها الإدارة العسكرية، التي رفعت أجور الشحن، وحظَرت تجارة الزيت، وبعض أنواع الفاكهة.

كما اتُّخِذت إجراءات متعددة لحظر الإتجار بالمواد الغذائية، عام 1920. ما لبث أن أُلحِقت بضربات أخرى، أكثر ضراوة، حين أُغرِقت الأسواق بالمنتجات الزراعية، المماثلة للمنتجات الفلسطينية [2].

خلال أربعينات القرن العشرين، ظهرت منتجات فلسطينية جديدة، علي قائمة الصادرات: بنزين، مازوت، وماس مصقول، ما عوَّض انتكاسة صادرات الحمضيات الفلسطينية، خلال الحرب العالمية الثانية، مما أدي إلي تضاعف حجم الصادرات خمس مرات، من عام 1939 إلي 1946.

نتيجة لتخلف فلسطين الاقتصادي، وانفتاحها على التجارة الحرة مع الدول الأجنبية، بدون قيود أو سياسات تجارية وطنية، بقيت صادرات القسم الثالث تُمثل نسبة ضئيلة (الصابون، منتجات شركة البوتاس

(1) **المصدر نفسه**، ص 683 - 684.
(2) البديرى، **مصدر سبق ذكره**، ص 367.

الفلسطينية، والأملاح المعدنية) [1].

ثالثًا: السياسة الاقتصادية البريطانية التمييزية وانعكاساتها التجارية:

عمل الانتداب على توجيه تجارة فلسطين الخارجية، لمصلحته، بالإضافة لدعم الاقتصاد الصهيوني، وأدى ذلك لزيادة مطردة في فائض استيراد المنتجات في فلسطين (1939)، بسبب زيادة الهجرة الصهيونية، ودعم فرص توطين اليهود في فلسطين، وما رافقها من استيراد البضائع، لخدمة احتياجاتها، الاستهلاكية والإنتاجية، وإضعاف فرص نمو الاقتصاد العربي [2].

فتحت حكومة الانتداب، فرص التصدير والاستيراد للمتهادنين العرب، واتسعت الأعمال التجارية، والمالية، والزراعية، والاقتصادية، وتدفقت الأموال من الخارج، ولم تهتم بالصناعة المحلية، لكنها استنزفت موارد فلسطين الطبيعية، وتركَّز نشاطها في البناء، والزراعة، اللذان كانا يخدمان الأغراض الصهيونية، والبريطانية، فالبناء كان يخدم حركة الاستيطان الصهيونية، بالدرجة الأولى، والزراعة (الموالح) كانت تُدِر أرباحًا طائلة جرَّاء بيعها في الأسواق الخارجية، وبهذا، فقد استفاد اليهود - الصهاينة، أكثر من العرب، في تلك المجالات[3].

كما قامت سلطات الانتداب بالعديد من الإجراءات، لحماية الإنتاج اليهودي - الصهيوني، وتحقيق الدخل التعويضي لخزينة الانتداب العامة،

---

(1) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 684.

(2) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

(3) سعد، **مصدر سبق ذكره**، ص 150.

لذا شهرت البرجوازية الفلسطينية العربية المقاطعة، والمناداة بالتجارة الحرة، لمواجهة اتساع الهوة، بين الرأسمالية العربية، ونظيرتها اليهودية - الصهيونية عام 1945[1].

انعكس كل هذا على اتجاهات التجارة الخارجية في جانبيها، التصديري والاستيرادي، وفيما يتعلق بأهمية بريطانيا، وممتلكاتها النسبية في تجارة فلسطين الخارجية، فقد ارتفع نصيبها من الواردات الفلسطينية في الفترة من سنة 1933 إلى سنة 1940، من 21.5% إلي 33.7%، كما احتلت بريطانيا المركز الأول في تجارة فلسطين الخارجية، طوال فترة الانتداب، تلتها ألمانيا، بعد عام 1936، نتيجة نشاط الهجرة اليهودية، التي صاحبها تصدير الآلات، والمعدات الصناعية، بسبب منع اليهود من حمل أموالهم معهم من ألمانيا إلي فلسطين، وفقًا لبنود اتفاقية الهعفراه، الموقَّعة بين الحركة الصهيونية (شتيرن)، والحكومة الألمانية زمن النازي. كما استوردت فلسطين، من بريطانيا، معظم احتياجات الحكومة (المدنية، والعسكرية) البحرية، والجيش، والقوى الجوية، وكذلك جميع احتياجات مشاريع الامتياز، التي أُقيمت برؤوس أموال بريطانية - صهيونية مشتركة، أيضًا، المنسوجات القطنية، والصوف، والأدوات الكهربائية، والأسمدة، والشاي، والسكر، والملح، والسمك المجفف والمحفوظ، والدواجن [2].

(1) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى: -
ياسين، **مصدر سبق ذكره**، ص 191 - 195.
الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 684 - 685.
(2) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 684 - 685.

بالنسبة للصادرات الفلسطينية إلى بريطانيا، تمثلت في سلع زراعية، أو مواد خام لازمة للصناعة، فاستوعبت بريطانيا، قبل الحرب العالمية الثانية، 51.5% من قيمة الصادرات الفلسطينية، وبسبب الحرب، وتحوُّل التجارة إلى منطقة الشرق الأوسط، تراجعت المستوردات البريطانية، وفي أعقاب الحرب مباشرة، عادت الصادرات الفلسطينية صوب أسواقها التقليدية، فارتفعت نسبة الاستيعاب البريطاني للصادرات الفلسطينية، صوب أسواقها التقليدية من 14.5% عام 1943، إلي 28% عام 1946. كما تقدَّم موقع الولايات المتحدة، خلال مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، كسوق لصادرات فلسطين [1].

وقد اقترح مشروع التقسيم لعام 1947، تكوين مجلس اقتصادي عربي يهودي مشترك، ليوفر لفلسطين منفذًا عادلاً، متساويًا للطرفين في أسواق التصدير، علي أن تدفع جميع المشاريع المدارة من قِبَلْ ذلك المجلس أجورًا عادلة للطرفين، على أساس واحد [2].

رابعا: تأثُّر التجارة بالحرب العالمية الثانية:

تنامت تجارة فلسطين الخارجية، تناميًا ملحوظًا، خلال سني الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945)، وسجَّل ميزان المدفوعات عجزًا متواصلاً، جرى تمويله من خلال المشتريات العسكرية البريطانية، وأسهمت تحويلات الأموال اليهودية، في تغطية العجز التجاري، كما أدت ظروف الحرب إلي إحداث تغيير في تركيبة الصادرات الفلسطينية،

(1) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 685.
(2) البد يري، **مصدر سبق ذكره**، ص 367.

واتجاهاتها، فاتجهت معظمها إلي أسواق الشرق الأوسط، علي عكس ما بين الحربين، وبسبب صادرات الأسواق الأوربية، إلي جانب الحماية علي الواردات المصرية، وأصبحت بذلك أسواق الشرق الأوسط المصدر الأساسي للتصدير، فارتفعت الصادرات إلي 75%، والواردات إلي 18%، ولوحظ بشكل خاص استفادة الصادارت الصناعية من فرص تنافس الصادرات الفلسطينية، أثناء الحرب العالمية الثانية، ففي بداية الحرب، بلغت قيمتها 750 ألف جنيه، وفي نهايتها 7.000.000 جنيه [1]

د - محددات النظام المصرفي والمالي:

المؤسسات المالية في فلسطين [2]:

1- لم يكن للجانب العربي مؤسسات مالية كثيرة، فقد اعتُبِرَ البنك العربي أحد أهم هذه المؤسسات، وكان قد أُنشئ عام 1931، وقدَّم خدمات جليلة للاقتصاد العربي الفلسطيني، أيضًا، كان هناك البنك الزراعي العربي، الذي أُنشئ عام 1933. وعن المشاريع التي قُدِّمت من قِبَلْ البعض، لإنشاء مصارف عربية زراعية، تُقدِم قروضًا طويلة الأجل بفوائد، فلم تُلاق نجاحًا، كما لم يُقام مشروعًا آخر، قُدِّمَ إلى الجامعة العربية، لإنشاء مؤسسة مالية تابعة لها، لتأمين تسليف زراعي عقاري.

2- أما عن الجانب البريطاني، فكان صورة من صور الاحتكارات الإمبريالية العالمية، فعملت على مصادرة أراضي عرب فلسطين.

3- وعن الجانب الصهيوني، فقد عمل على دعم الاستيطان

(1) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 686.

(2) البد يرى، **مصدر سبق ذكره**، ص 367 - 369.

الزراعي، عن طريق مؤسساته المالية (الكيرن هايسود، الهستدروت، الصندوق القومي اليهودي، والكثير من البنوك والمؤسسات المالية).

قبل عام 1918، لم يكن في فلسطين نظام مصرفي، وفق التحديد العلمي المتعارف عليه، وبقي الوضع هكذا، حتى مطلع الانتداب البريطاني. وقد لعبت الهجرة اليهودية، لا سيما من ألمانيا، دورًا رئيسيًا في تشكيل الجهاز المصرفي، وتنشيطه، إذ سعت لبناء القاعدة المصرفية اللازمة لممارسة النشاط الاقتصادي والاستيطاني الصهيوني في فلسطين، وقد كان إنشاء المؤسسات المصرفية عائدًا، بالدرجة الأولى، إلى الجهد اليهودي - الصهيوني، وليس إلى الإدارة الانتدابية [1].

تطور الجهاز المصرفي في عهد الانتداب البريطاني:

في عام 1922، صدر القانون المصرفي الأول، ولم يضع قيودًا عملية على فتح البنوك الجديدة، ووضع رقابة غير جديدة، انحصرت على العمليات المصرفية، وحتى على جمعيات التسليف التعاونية، أدت هذه السياسة المصرفية لهجرة اليهود، وتدفق رأس المال على نطاق واسع، وبالتالي، إلى نمو سريع في عدد البنوك، والجمعيات التعاونية للتسليف، لاسيما خلال المدة ما بين سنتي 1920 - 1934 [2].

بدأ عهد جديد للمجتمع اليهودي - الصهيوني في فلسطين، في فترة من 1932 - 1945، وشهدت هذه الفترة الممارسات النازية، أثناء

---

(1) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 687.

(2) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

الحرب العالمية الثانيـة، الأمـر الـذي أدى إلـى تـدفُّق المهـاجرين الصـهاينة لفلسـطين بأعـداد مضــاعفة، ورافقـت هـذه الهجـرة، عمليـة تـدفُّق منـتظم لرؤوس الأموال، وازدهرت البنـوك، شـأن سـائر فـروع الاقتصـاد، وكـان لهجـرة اليهـود الألمـان دور رئيسـي فـي ذلـك [1]، بعـد زيـادة البنـوك إبـان الحرب الأثيوبيـة - الإيطاليـة، وتأثيرهـا علـى البنـوك الصـغيرة، فتحركـت سلطات الانتداب لوقف الحرية، شبه الكاملة، على النشاط المصرفي، وتم إصدار تشريع مصـرفي، لتـدعيم الوضـع المـالي للبنـوك المحليـة، وتقويـة رأسـمالها، والحـد مـن عـدد البنـوك والمؤسسـات الماليـة الصـغيرة، عـام 1937، رغـم الانخفـاض فـي عـدد البنـوك، عـام 1936. وعنـد إنـدلاع الحـرب العالميـة الثانيـة، والـذي لـم يكـن بسـبب التعليمـات الجديـدة، بـل لانحـدار الهجـرة، وبالتـالي قلـة تـدفُّق الأمـوال، والركـود الاقتصـادي، منـذ عـام 1936 والكسـاد، أيضًـا، كسـبب محلـي للثـورة الفلسـطينية العربيـة 1936 - 1939، تبلوَرَت هيكلية النظام المصرفي على النحو التالي [2]:

أ - البنوك الأجنبية. ب - البنوك المحلية.

ج - جمعيات التسليف التعاونية.

بعد انخفاض الائتمـان الممنـوح لمجمـوع الودائـع، لأكثـر مـن 70%، فـي نهايـة عـام 1945(1938 - 1945)، فـي البنـوك، ومـن 109% إلـى 32%، في جمعيـات التسـليف، ارتفعـت بنسـبة 46% فـي البنـوك، 58%

(1) **المصدر نفسه**، ص 687 - 688.
(2) **المصدر نفسه**، ص 688 - 689.

في جمعيات التسليف، نهاية عام 1947 [1].

الجهاز المصرفي: بين القطاعين العربي واليهودي - الصهيوني، جرى تكييف السياسة الجمركية البريطانية، بحيث تخدم متطلبات دعم الصناعة اليهودية وحمايتها، وإضعاف الصناعة العربية، ففي عام 1924، صدر قانون الرسوم الجمركية، بديلاً عن قانون النظام الجمركي (في العهد العثماني) (11% على البضائع المستوردة، 1% على الصادرات)، وشمل [2]:

أ - زيادة الرسوم الجمركية على بعض المواد، بهدف زيادة دخل الحكومة.

ب - خفض رسوم الاستيراد على بعض مواد البناء، كالحديد، والخشب، من 11% إلى 3%، وذلك لدعم أنشطة الإسكان اليهودية في فلسطين.

ج - إعفاء المقتنيات الشخصية، والآلات الزراعية، والبذور، التي كان المهاجرين اليهود، يأتون بها إلي فلسطين، من الرسوم الجمركية.

د - إلغاء المعاملة الخاصة التي كانت تتمتع بها البضائع التركية، والمصرية، والسورية، لفلسطين، وقد أُدخِلَت من وقت إلى آخر، تغييرات في معدلات الرسوم الجمركية، لدعم الصناعة اليهودية، وضرب الصناعة العربية، أيضًا، تحقَّقت الحماية للصناعة اليهودية، برفع وخفض وإلغاء الرسوم. وقد كان لهذه الإجراءات، أثر سلبي بالغ في الإنتاج

(1) **المصدر نفسه**، ص 689.
(2) **المصدر نفسه**، ص 685 - 686.

العربـي، بسـبب الرسـوم الجمركيـة العاليـة، إلـى ذلـك رفضـت سـلطات الانتداب، الاستجابة لمتطلبات دعم بعض الصـناعات العربيـة، مـن خـلال حمايتها من المستوردات، تمثَّل كل ذلك في هيمنـة القطـاع اليهودي علـى قطـاع التجـارة الخارجيـة لفلسـطين، تصـديرًا واسـتيرادًا، ويشـهد سـجل النضـال الـوطني والاقتصـادي العربـي - الفلسـطيني، علـى رفـض هـذه السياسات البريطانية التمييزية، والمطالبة بتصحيحها.

نخلُص من هذا كلـه، أن فلسطين عاشت إبان الانتداب البريطـاني، تحت بنيتين اقتصـاديتين، ولـيس بنيـة واحـدة، أولاهمـا عربيـة، والأخـرى يهودية - صـهيونية، استقرت بالرساميل الكبيرة، والتقنية العالية، ومحابـاة الانتــداب البريطــاني، علــى حســاب العــرب الفلســطينيين، وبنيــتهم الاقتصادية، الأمر الذي كان لـه تأثير حاسم على حرب 1948.

* * *

الفصل الثاني:
المقاتلون الفلسطينيون في الحرب

أسماء الغرباوي

دأبت معظم المراجع العربية عن الحرب العربية الإسرائيلية الأولى (1947 - 1948) على تجاهل الدور البطولي للمناضلين الفلسطينيين، في بداية الحرب العربية الصهيونية، التي اندلعت عقب التصويت على قرار التقسيم مباشرةً، وحتى دخول الجيوش العربية إلى فلسطين (1948/5/15). حتى " الموسوعة الفلسطينية " أغفلت ذلك الدور[1]. وكان من سوء حظ الشعب الفلسطيني أن معظم الأقلام الحرة ضلت سبيلها، أو أخطأت غايتها، بسذاجة، وحسن نية، فكانت الخطة التي اتبعتها، هذه الأقلام، هي توهين عزائم الأمة العربية، وتهوين النكبة عليها، عن طريق " فلسفة " النكبة، بشكل يوهم القارئ العربي، أن ما حدث، كان لابد من حدوثه، لأنه طبيعي، أو لأنه لا قبل للعرب برده أو تقويضه[2].

نتحدث الآن عن دور المناضلين الفلسطينيين، خلال تلك الحقبة الخطيرة من تاريخ فلسطين (1947 - 1948)، " فنسجل بكل زهو

(1) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، بيروت، 1990(انظر: د. هيثم كيلاني، حروب فلسطين العربية - الإسرائيلية، ص 478 - 510).

(2) نقولا الدّر، **هكذا ضاعت.. وهكذا تعود - دور النفط والمدفع في تحرير فلسطين**، بيروت، مطابع دار الحوداث، 1964، ص 67.

وفخر، أن الشعب الفلسطيني كمجموع، وخاصة طبقة الفلاحين والعمال، وعلى الرغم من ضعفه وقلة عدده، ثبت في وجه الاستعمار، ثباتًا عجيبًا، فما ذل ولا لان، وما هان ولا استكان " [1]. وقد ذكر حاييم وايزمان في مذكراته: " إن مقاومة الفلسطينيين العنيفة، ومواقف السيد أمين الحسيني، هي التي أخرت تنفيذ البرنامج اليهودي في فلسطين إلى عام 1948، بينما كان مقررًا له أن يتحقق في عام 1934، على الأكثر " [2].

ما أن صدر قرار التقسيم، في 47/11/29، حتى اندلع القتال بين العصابات الصهيونية الثلاثة (الهاغانا، الأرغون، شتيرن)، وبين المناضلين الفلسطينيين، بعد أن كانت الفكرة السائدة بين الحكومات العربية أن القتال في فلسطين لا يحتاج إلى قواتٍ نظامية، أو بالأحرى كان قادة الجيوش العربية يقولون إن جيوشهم غير مستعدة لدخول حرب نظامية، وكانت الجامعة العربية ترى أن الرجال المتطوعين يستطيعون أن يقضوا على اليهود، أو يمنعوهم من إقامة دولتهم، وأن الجيوش العربية يجب أن تستخدم للتهديد فحسب! غير أن هذه الدول التزمت بقرارها عدم الدخول، حتى يجلو عن فلسطين آخر جندي بريطاني، الأمر الذي لم يتم، إلا في 14 أيار/ مايو 1948[3]. ونظرًا لأن فلسطين وديعة مقدسة في عنق الدول العربية، فإن الاعتماد الكلي على الدول العربية لم

(1) إميل الغوري، **المؤامرة الكبرى - إغتيال فلسطين ومحق العرب**، القاهرة، دار النيل للطباعة، ط1، 1955، ص198.

(2) **المصدر نفسه**، ص 199.

(3) محمد فائز القصري، **حرب فلسطين عام 1948 - الصراع السياسي بين الصهيونية والعرب**، الجزء الأول، دمشق، دار المعرفة، ط1، يوليو/ تموز 1961، ص 124.

يحقق النتائج التي كان عرب فلسطين يأملون فيها، وربما كان له تأثير سلبي من الناحية العسكرية، إذ بالرغم من أن المشاركة العربية في حرب 1948 كانت رمزية، لم تصل إلى المستوى المناسب للمواجهة، من حيث التدريب، والتسليح، والتنسيق. فقد استغل الصهيونيون هذا التدخل لكي يصوروا للعالم وكأن نصف مليون يهودي كان عليهم أن يواجهوا جهدًا عربيًا موحدًا لسبع دول، ذات جيوش نظامية[1].

بعد أن اشتركت الجيوش العربية في معارك معدودة، وجدت نفسها عاجزة عن الاستمرار في القتال، ولم تنجح هذه القوات، حيث افتقرت إلى الخبرة، والإمكانات العسكرية، في ضوء ذلك، توجب على الفلسطينيين أن يواجهوا، وحدهم، القوات الصهيونية بأشكالها المتعددة، النظامية وغير النظامية، وأن يأخذوا بالحسبان، أيضًا، وجود القوات البريطانية الحامية للوجود الصهيوني في البلاد، وذلك طيلة الفترة الممتدة بين كانون الأول/ ديسمبر 1947، وآيار/ مايو 1948، معتمدةً على الإمكانات المحدودة لديهم. مما يجعلنا نتساءل: كيف استطاع المناضلون الفلسطينيون الصمود في وجه العدو، خمسة أشهر متصلة، قبل دخول الجيوش العربية؟ وكيف حافظ المناضلون الفلسطينيون على 80% إلى 82% من مجموع الأراضي الفلسطينية في أيدي العرب الفلسطينيين؟!، وهكذا تسلمتها، الجيوش العربية، لكن هذه الجيوش قلبت الآية، وكفت عن القتال، لكن بعد ما تركت للكيان الصهيوني 78% من مجموع الأراضي الفلسطينية.

---

(1) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 105.

كيف تبلور المناضلون الفلسطينيون؟

كانت حركة الكشافة من أهم حركات الشبيبة، التي قامت بأدوار معينة، في مدن البلد الكبرى، وخصوصاً يافا، وبرز أعضاؤها، بصفتهم منظمين وأدوات ارتباط في أيام التحركات الثورية. وفي سنة 1945، انسحبت أفواج من الكشافة العرب من المنظمة الرسمية للكشافة، التي كانت قائمة في إطار جهاز التعليم الحكومي، وأنشأت اتحاداً قطرياً للأفواج العربية القومية، بقيادة فوزي النشاشيبي. وفي سنة 1946، برزت، أيضاً، منظمات شبه عسكرية للراشدين. كانت أولاها (النجَّادة)، التي أسسها المحامي محمد نمر الهواري، في كانون الأول/ ديسمبر 1945. وهي غير حزبية، واتخذت من يافا مركزًا لها، ووصل عدد أفرادها، في صيف سنة 1946، إلى 2000 رجل، وقد ذكر في المنشور الأول إلى الشعب العربي في فلسطين أن هدف (النجَّادة) هو " توحيد الشباب، وايقاظ مشاعره القومية، وتنشئته على الانضمام، والنظام، والتضحية، وربط فلسطين بالدول المجاورة " [1].

وفي حملة آل " الحسيني "، من أجل السيطرة على الجمهور العربي في فلسطين، لم ينسوا " النجادة ". فلدى عودة رئيس " الحزب العربي "، جمال الحسيني عينه الهواري نائبًا للقائد الأعلى للمنظمة (القائد الأعلى: المفتي). لكن هذا التعيين كان رمزيًا. وعندما تأكد آل الحسيني من أن الهواري يرفض قبول سلطتهم الكاملة، أحيوا، في أيلول/ سبتمبر 1946،

(1) **حرب فلسطين 1947 - 1948 (الرواية الاسرائيلية الرسمية)**، ترجمة أحمد خليفة، بيروت، مؤسسة الدرسات الفلسطينية، تموز/ يوليو 1984، ص 12.

منظمتهم التي سبق أن تأسست في سنوات الأحداث، وتفتتت في أثناء الحرب، تحت اسم (الفتوة)، وأُنشئت فروعٌ لها في القدس والقرى المجاورة، وترأس المنظمة كامل عريقات، وهو ضابط سابق في الشرطة السرية في القدس. وكان رمز المنظمة الجديدة فارسًا يحمل بيده رايةً، واشتمل قسمها على: عهد بالمحافظة على عروبة فلسطين، ومقاومة الوطن القومي اليهودي، والإخلاص للوطن، والموت في سبيله[1].

كانت العلاقات بين المنظمتين متوترة، ولم تنجح المحاولات المتواصلة لتوحيدهما. وازداد ضغط آل الحسيني لتصفية " النجَّادة "، التي اعتبروها نقطة تجمع لمعارضيهم. وفي آيار/ مايو 1947، عين المفتي ضابطًا مصريًا متقاعدًا، هو محمود لبيب، قائدًا أعلى " لمنظمة الشبيبة العربية ". وحضر لبيب إلى البلد، ومورس ضغطٌ شديد على " النجَّادة "، للإنضمام إلى المنظمة الجديدة. وفي 1947/6/14، أعلن الهواري دمج منظمة الشبيبة، التي عين كامل عريقات رئيسًا لها. وبعد فترة قصيرة، اضطر محمود لبيب إلى مغادرة البلد، بعد أن رفضت السلطات البريطانية تمديد إذن اقامته[2]. لكن سيطرة آل الحسيني على منظمات الشبيبة العربية باتت كاملة.

الهيئة العربية العليا

معروفٌ أنه غدا في فلسطين، في عام 1944، ستة أحزاب عربية

---

(1) **المصدر نفسه**، ص 12 - 13.

(2) **المصدر نفسه**، ص 13 - 15.

فلسطينية، هي: [1]

1- الحزب العربي الفلسطيني (المعروف بحزب المفتي) ترأسه جمال الحسيني.

2- حـزب الـدفاع الـوطني (المعـروف بحـزب المعارضـين) ترأسـه راغب النشاشيبي.

3- حزب الإصلاح (ترأسه الدكتور حسين الخالدي).

4- حزب الكتلة الوطنية (ترأسه عبد اللطيف صلاح).

5- حزب مؤتمر الشباب (ترأسه الحاج محمد يعقوب الغصين).

6- حزب الاستقلال (ترأسه عوني عبد الهادي).

عندما أُعِلنَ الإضـراب العـام، فـي الـبلاد فـي 4/20/ 1936، إتحـدت تلـك الأحـزاب، فألفـت هيئـة إئتلافيـة سـميت (اللجنـة العربيـة العليـا)، مـن رؤسـاء الأحـزاب السـابق ذكـرهم، مضـافًا إلـيهم المفتـي الحـاج أمـين الحسيني، وكـان يشـغل منصـب رئـيس المجلـس الإسـلامي الأعلـى، وقـد انتخب رئيسًا للجنة، وأحمد حلمي باشا نائبًا للرئيس، وأمينًا للمال. وتولت هذه اللجنـة قيادة الحركـة الوطنيـة فـي فلسطين، إلـى أن أصـدر المنـدوب السـامي البريطـاني أمـرًا بحلهـا، ونفـي أعضـائها. وتمكـن الحـاج أمـين الحسيني من مغادرة البلاد إلى لبنان، سرًا. ونفي عدد من أعضـاء اللجنـة العليا إلى جزيرة سيشل، وظل الحسيني يوجه الحركة الوطنية من خـارج

(1) الغوري، **مصدر سبق ذكره**، ص 129.

البلاد [1]، حتى أطلق صراحهم وسمح لهم بالعودة إلى وطنهم (1939)، فعادوا، ولكنهم راحوا يعملون متفرقين، إذ أعاد " الحزب العربي " تأليف " اللجنة العربية العليا " (1945)، وتألفت من الأحزاب الأخرى هيئة ثانية، سموها (الجبهة العربية العليا). ولما عقد مجلس الجامعة جلسته المشهورة، في بلودان (1946)، رأى المجلس أن يعمل على توحيد الأحزاب الفلسطينية، واقترح مقرر اللجنة، إلغاء كل من (اللجنة العربية العليا)، و(الجبهة العربية العليا)، وتأليف (الهيئة العربية العليا)، على أن يحتفظ بالرئاسة إلى الحاج أمين الحسيني (رئيسًا)، وجمال الحسيني (نائبًا للرئيس)، والدكتور حسين الخالدي (سكرتيرًا) [2].

شكلت " الهيئة العربية العليا " في كل مدينة وقرية فلسطينية، لجنة محلية للمقاومة. وانبثق عن هذه اللجان لجنة مركزية، أُطلقَ عليها اسم " اللجنة القومية العامة ". وتشعبت من هذه اللجنة لجان فرعية لجمع المال والسلاح، ولجان دعاية لصالح قوات المجاهدين، كما تمت إعادة تشكيل " قوات الجهاد المقدس ".

رغم الصعوبات في العثور على السلاح، وإيصاله إلى فلسطين، وارتفاع أثمانه فقد تمكنت " الهيئة العربية العليا " من شراء 5396 بندقية، و309 مسدسات، و808 رشاشات مختلفة الأحجام، و213 مدفعًا من أنواع الهاون، والمورتر، ومضاد للدبابات، و6 ملايين طلقة للبنادق،

(1) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 17.

(2) عارف العارف، **النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947 - 1952**، الجزء الأول، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ت.، ص44.

ونحو مليون طلقة للرشاشات، ونحو 150 ألف قنبلة يدوية [1]. وأسست الهيئة، في الوقت نفسه، ورشة فنية في مرسى مطروح، بصحراء مصر الغربية، وثلاث ورش لصيانة السلاح في القاهرة، وفي داخل فلسطين، ومعملاً لتعبئة الذخيرة في دمشق، وعنابر ومخازن للسلاح والذخيرة في دمشق، وبيروت، وصيدا، والسلوم، ومرسى مطروح، والقاهرة، والعريش، وعدة أماكن في فلسطين. و بلغ مجموع ماأنفقته " الهيئة " ثمنًا لهذه الأسلحة، وصيانتها، ونقلها، 330.800 جنيه فلسطيني*، ولولا ذلك لما تمكن الفلسطينيون من الصمود في وجه العدو، ما يربو على خمسة أشهر من قرار التقسيم، وحتى دخول الجيوش العربية " [2].

الجهاد المقدس:

في مستهل إعادة تكوين " الجهاد المقدس "، عام 1947، اختيرت القدس مقرًا لرئاسة الجهاد المقدس، التي تشكلت من: [3] عبد القادر الحسيني رئيسًا، وكامل عريقات نائبًا للرئيس، وقاسم الريماوي أمينًا للسر، ومالك الحسيني مسئولاً ماليًا، و عاصم الجندي مسؤولاً للتموين، وموسى شيبان (سوري) مسؤولاً للنجدات السريعة، ومنير أبو فاضل (لبناني) مفتشًا عسكريًا، وداوود الحسيني مفتشًا للشؤون الإدارية. كما تم تعيين عدد من قادة القطاعات، تحت إمرة القيادة المذكورة، من بينهم ضباط من سوريا، والعراق، ولبنان.

---

(1) الغوري، **مصدر سبق ذكره**، ص 204.

(*) كان الجنيه الفلسطيني، آنذاك، مساويًا للجنيه الاسترليني.

(2) انتصار خليل الشنطي، **دور المجاهدين الفلسطينيين، صامد الاقتصادي** (عمان)، العدد 113، تموز/ يوليو، آب/ أغسطس، أيلول/ سبتمبر 1998، العدد 113، ص 37.

(3) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ص 73.

التنظيم الداخلي للجهاد

صنّف العاملون في الجهاد المقدس إلى الفئات التالية: [1]

المجندون المقاتلون: وهم من الفلسطينيين، والمتطوعين العرب. ومهمتهم نشر الثورة، وقطع طرق المواصلات البريطانية والصهيونية، ومواجهة أعمال الإرهاب الصهيوني. وكانت " الهيئة العربية العليا " تؤمّن لهم السلاح، والعتاد، وتدفع لهم رواتب شهرية رمزية، وتألف الفصيل من 8 - 10 مقاتلين.

المجندون المرابطون: من المواطنين المقيمين في القرى، الذين تولوا الدفاع عن قراهم، والمناطق المجاورة لها. وقدر عددهم بأكثر من 18 ألف مجاهد، متوسطي التسليح، والتدريب. وكانت " الهيئة " تؤمّن لهم بعض السلاح، والعتاد، والمال.

فصيل التدمير: تألف من المجندين المختصين بعمليات النسف والتدمير، وقد شهدت هذه الفئة تقدمًا ملموسًا، وبفضل انضمام عناصر مدربة على يد خبراء ألمان، وضباط عرب، وبخاصة من سوريا والعراق.

فصيل الاغتيال: انتخب من العناصر الفلسطينية المتحمسة، وكانت مهمتة اغتيال الخونة، والسماسرة وباعة الأرض لليهود، والقضاء على العناصر البريطانية المعادية لعروبة فلسطين. وقد أحدث هذا الفصيل ارتباكًا في البلاد، بعد أن قامت عناصر مضادة للجهاد باغتيال أناس

---

(1) د. محمد خالد الأزعر، **جيش الجهاد المقدس في فلسطين 1931 - 1949**، ط1، غزة، المركز القومي للدراسات والتوثيق، 2000، ص 28 - 29.

أبرياء، ونسبت ذلك لقوات الجهاد.

ميـدانيًا: توزعـت قـوات " الجهـاد المقـدس "، بعـد اشـتداد حـدة الاشـتباكات بـين الجـانبين العربـي الفلسـطيني والصـهيوني، غـداة قـرار التقسيم، على سبعة مناطق قتالية، هي: القدس، بيت لحم، رام الله، المنطقة الغربية الوسطى، المنطقة الجنوبية، المنطقـة الغربيـة، المنطقـة الشمالية. وهو توزيع كان كفيلاً بتغطيـة معظم أنحـاء فلسطين، بمـا يدعو للتسـاؤل حـول القـدرة الحقيقيـة علـى أداء المهمـات الدفاعيـة، والهجوميـة لقـوات " الجهـاد "، فـي مواجهـة التنظيمـات الصـهيونية التـي بلـغ قوامهـا - علـى أسوأ التقديرات - فـي ذلـك الحـين، زهـاء 60 ألـف مقاتـل، ممـن أحسـنوا، نسبيًا، التدريب، والتسليح، والتنظيم. ولم يكن عدد قـوات " الجهـاد " ثابتًـا فـي المنـاطق المـذكورة، ففـي القـدس كـان العـدد يصـعد، أحيانًـا، إلـى ألـف مقاتـل، أو يهـبط إلـى خمسـمائة، بحسـب الظـروف، ولـم يكونـوا جميعهم مسـلحين دائمًـا. هنـا يتضـح لنـا الفـرق الكبيـر فـي التـدريب، والتسـليح، والتنظيم بين الطرفين، العربي - الفلسطيني، والصـهيونـي.

معارك الجهاد:

على الرغم من افتقار التسليح والتمويل، فإن قـوات " الجهـاد المقـدس " خاضـت معـارك مشـرّفة كثيـرة، قبـل 1948\5\15 - تـاريخ دخـول الجيـوش العربيـة - حيـث أوقعـت هـذه المعـارك خسائرملموسـة بـأفراد العصابات الصـهيونية المسلحة.

من هذه المعارك، معركتي بربرة، الأولى والثانية، في آذار/ مارس، ونيسان/ إبريل 1948، ومعركـة جولس (1948/4/12). ومعركـة جبل

سكوبس في القدس، التي انتقمت فيها قوات الجهاد لاستشهاد زعيمها عبد القادر الحسيني. وذلك بهجومٍ قوي، قاده الشهيد حسن سلامة، ضد قافلة يهودية متجهة إلى جبل سكوبس، في 1948/4/13، أسفرت عن مصرع نحو 40 شخصية يهودية بارزة في القافلة، التي كانت تنقل مؤنًا، وذخيرة، من الأحياء اليهودية بالقدس، إلى مستشفى هداسا، والجامعة العبرية. ومعارك دير أبي طور، في 1948/7/27، والنبي داوود، في 1948/8/11[1].

في قطاع الجليل بالشمال، خاضت قوات " الجهاد المقدس " معارك موفقة، مقارنة بالقوة اليهودية المضادة، أشهرها معركة أبو شريتح (غرب ترشيحا)، ومعارك مجد الكروم، والكابري، والبروة، وأبلت " الجهاد " جميعًا بلاءً حسنًا. كذلك أظهرت هذه القوات قدرات طيبة في معارك قطاع القدس عمومًا، والتصدي للقوافل اليهودية على الطرق وخطوط المواصلات، والرد على حملات التدمير الصهيونية ضد المراكز العربية.

كما امتلك رجال فصيل التدمير في " الجهاد المقدس " باعًا طويلة في العمل العسكري.

فقد ردوا على المتفجرات اليهودية في بابي العامود، والخليل، بالقدس بأعمال أكثر جرأة وفاعلية. حين زودوا سيارة نقل بريطانية عسكرية بمتفجرات تزن طنًا ونصف من مادة (ت. ن. ت)، وفجّروها في شارع

(1) **المصدر نفسه**، ص46.

هاسوليل، داخل الأحياء اليهودية في القدس الجديدة، فدمروا ثمانية بنايات للقيـادة الصـهيونية، منهـا جريـدة " بالسـتين بوسـت "، وجريـدتي " علهمشـمار " و " هاشكيفها ". ومـن هـذا القبيـل، أيضًـا، تفجيـر شـارع يهودا، أكبر الشـوارع اليهوديـة بالقدس. وكذلك مجموعـة مـن التفجيرات في كلٍ من تل أبيب، وحيفا، ويافا[1].

ثمة اتفاق نسبي بين المصـادر العربيـة والصـهيونية علـى أن الأشـهر الأولـى، عقب قرار التقسيم، شهدت أرجحية للجانب الفلسطيني، وبدا من بعض طوائف اليهود وأوساطهم جنوح إلـى التسليم، وقبول التعـاون مـع العـرب، واعتقـادًا بـأن مسـتقبلهم، ومسـتقبل فلسـطين، مـرتبط بـذلك، بـل وسرى التشاؤم إلى زعمائهم، حيث صاروا يقولون إن معركتهم خاسرة، إذا لم يتيسر لهم فرقتان كاملتان في معداتهم، تنـزلان إلـى الميدان، خـلال ثلاثـة أشـهر[2]، حتـى أن المنـدوب الأمريكـي فـي مجلس الأمـن، واريـن أوستن، اقترح على مجلس الأمن الدولـي، في 1948/3/19، إصدار قرار يلغـي قـرار التقسيم، وذلـك حتـى تحمـي الإمبرياليـة الأمريكيـة المشـروع الصـهيوني من الانـهيار، فكـان فـي ذلـك بـوادر نصـر فلسطيني عظيم، لم تلبث أن ضعفت، فما كان من القيـادة الصـهيونية، إلا أن تفتـق ذهنهـا عـن حل فريد، فنظمت تلك القيادة، مذبحة دير ياسين، فـي 1948/4/9، ومـن هنا بدأ ميزان القوى يميل لصـالح الصـهاينة، بعد أن بدأت الذخائر تنفد من المناضلين الفلسطينيين، ومع شحة الأسلحة، وامتنـاع الحكام العـرب عـن

(1) **المصدر نفسه**، ص 47.

(2) محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة، تاريخ ومذكرات وتعليقات**، الجزء الرابع والجزء الخامس، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، 1951، ص 127.

مد أولئك المناضلين بالسلاح والعتاد، ناهيك عن أن أجهزة الاعلام الرسمية والعربية أساءت توظيف مذبحة دير ياسين، مما أوقع الرعب في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني، على أعراضهم قبل أرواحهم، مما خدم الجانب الصهيوني، فيما لم يؤثر على الرأي العالمي، أي تأثير يذكر.

فرقة التدمير العربية:

أراد عبد القادر الحسيني، قائد الجهاد المقدس، تكريم ستة من الفدائيين العرب، من أهالي بيت المقدس، بعد محاولتهم نسف الفندق اليهودي (عدن)، القائم في أقصى حي بن يهودا من الغرب، لكنهم فشلوا بعد أن تصدى لهم، يومئذ، رجال الجيش البريطاني، فأحبطوا مساعيهم قبل ساعة التنفيذ ببضع ثوان. فألف الحسيني فرقة أسماها (فرقة التدمير العربية)، التي اتسع نطاقها مع الأيام، وازداد عدد رجالها، فأصبحوا خمسة وعشرين مناضلاً، هم فوزي القطب، عبد القادر فرحات المعروف بأبي محمد السدمير، ومحمد علي الكرد، وعادل شرف، ويعقوب أبو حليمة، وياسر شرف، وخليل دكيرك، وزيد غنيم، وجواد الجاعوني، ومحمد الشرفا، ويوسف الحايك (هؤلاء من القدس)، ومحمود دعيبس، ونادي دعيبس، وعبود غيث، و محمود الهنيني (هؤلاء من الخليل)، وحلمي البرق (من نابلس)، ومحمود العكاوي (من عكا)، وعطا عثمان، وناجي مصطفى وأخوه (من عمواس)، وكاظم صالح المغربي (من المغرب)، وداوود البيتوني (من بيتونيا)، وعبد الرحمن السيلاوي (من سيلة الظهر)، وعبد القادر التونسي (من المغرب)، وعبد الله كمردوس[1].

(1) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ص134 - 135.

نجح هؤلاء بقيادة فوزي القطب، في أعمالهم، وعاد إليهم الفضل في نسف معظم منازل الصهاينة، وسقوط الحي اليهودي بالبلدة القديمة.

اللجنة العسكرية:

انبثقت عن الاجتماع الذي عقده مجلس الجامعة العربية، في عالية بلبنان، في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 1947، لجنة، أسموها (اللجنة العسكرية)، قوامها: [1]

أمير اللواء الركن إسماعيل صفوة باشا (عن العراق)، المقدم محمود الهندي (عن سوريا)، فؤاد عمون، وقد استبدل به، بعد قليل، المقدم الركن شوكت شقير (عن لبنان)، عزة دروزة (عن فلسطين). وانضم إلى اللجنة، بعد قليل، طه باشا الهاشمي، كمفتش عام للمتطوعين.

اتخذت اللجنة العسكرية من دمشق مقرًا لأعمالها. وتمنى الكثيرون، وفي مقدمتهم أبناء فلسطين، لو اتخذت تلك اللجنة من القدس مقرًا لها، لتكون قريبة من ميدان القتال.

عقدت اللجنة عدة اجتماعات، فجاء اجتماعها الثاني، في 10/8، حيث بحثت مسألة القتال في فلسطين، وفي اليوم الثالث (10/9) رفعت إلى مجلس الجامعة تقريرًا سريًا، موضحة ومحذِّرةً من مخاطر الوضع بعد انسحاب بريطانيا من فلسطين، ولهذا أوصت بما يلي: [2]

- المبادرة، حالاً، بتجنيد المتطوعين، وتسليحهم.

---

(1) **المصدر نفسه**، ص 16.

(2) **المصدر نفسه**، ص 19.

- حشد الدول العربية لجيوشها النظامية على مقربة من الحدود الفلسطينية.

- تأليف قيادة عربية عامة، وتعيين المرجع الأعلى لهذه القيادة من جميع الدول العربية.

- البدء بمد عرب فلسطين بما لا يقل عن عشرة آلاف بندقية، وبمقادير كافية من الرشاشات والقنابل اليدوية، والمتفجرات، وما إلى ذلك من الأسلحة.

- وضع ما لا يقل عن مليون دينار أردني، تحت تصرف اللجنة العسكرية، لتموين القوات الفلسطينية.

- مبادرة الدول العربية لشراء أكبر كمية ممكنة من الأسلحة، والأعتدة، وأن تدخرها لتموين المجاهدين.

- حشد أقصى ما يمكن من الطائرات المقاتلة والقاصفة في المطارات القريبة من الساحل الشرقي للبحر المتوسط، لمراقبة المواصلات البحرية، والحيلولة دون وصول النجدات إلى اليهود من وراء البحار.

لكن الجامعة لم تبد أي اهتمام لتنفيذ المقترحات المتقدم ذكرها، باستثناء تخصيص مليون دينار، والوعد بإرسال كميات من السلاح. تَرى هل كان تغيرمن الوضع شيئًا لو نفذت تلك الإقتراحات؟ موقف الجامعة حدا باللجنة العسكرية إلى حصر جهودها في [1] :

(1) **المصدر نفسه**، ص 19 - 20.

تزويـد المنـاطق الفلسـطينية المعرضـة للخطـر اليهـودي أكثـر مـن غيرها، بما لديها من سلاح وعتاد، حتـى تتمكن تلك المنـاطق من الدفاع عن نفسها.

جمع أكبر عدد ممكن من المتطوعين، من فلسطين، ومن سائر البلاد العربية، وتدريبهم، وتسليحهم، وتشكيل وحدات مقاتلة منهم.

اللجنة القومية:

أدرك المقدسـيون مـدى الحاجـة إلـى تنظـيم صـفوفهم، فقـاموا، فـي 26 كانون الثاني/ يناير، بتكوين لجنةٍ قوميةٍ، قوامها: [1]

الدكتور فوتي فريج، الشيخ أسعد الإمام، حنا عطا الله، توفيق وفا الدجاني، الحاج طاهر بركات، المحامي تحسين كمال، شريف صبوح، المحامي أنور نسيبة، صالح عبده، الحاج فوزي الخياط، الحاج عيد عابدين، جميل وهبه، يوسف عبده، المحامي وديع صلاح.

تولت هذه اللجنـة الإشراف علـى شؤون المدينـة، وراحـت تعمـل فـي عمارة لدير الروم، بين حارة النصارى وباب الخليل. وأرادت أن تشترك في شؤون الدفاع، فأشير عليها بأن تحصر أعمالها في الشؤون الإداريـة، على أن تنحصر شؤون الدفاع في اللجنة العسكرية.

أما القوات الصهيونية في فلسطين، فحين صدر قرار التقسيم، كانـت مؤلفة من: [2]

(1) **المصدر نفسه**، ص 94 - 95.
(2) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص 44 - 45.

الهاغاناه:

هي القوة الرئيسية، والفعالة، في ساحة القتال، ويكفي القول بأنها نظمت على أساس أن تكون جاهزة لأن تصبح جيش دولة إسرائيل، يوم إعلان قيامها. وقد استطاعت الصهيونية أن تستفيد، إلى أقصى حد، من تدريب الشبيبة الصهيونية، تدريبًا عسكريًا متقدمًا، حين دفعت عناصرها إلى الانخراط في صفوف الجيش البريطاني، والجيوش الحليفة، في الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945)، ثم استطاعت، في العام 1944، أن تقنع الحكومة البريطانية بتشكيل فرقة (مجموعة ألوية) صهيونية مقابلة، قوامها 26 ألف جندي، تدربت، وعملت في ساحة العمليات في إيطاليا، كما أنها فتحت مدرسة لهذه الغاية في مستعمرة مشمار هايمك، شرق حيفا، وحينما انتهت الحرب العالمية الثانية، انشغلت الهاغاناه في تهريب الصهاينة إلى فلسطين، وانضم إليها " الفيلق الصهيوني " في إيطاليا، ليصبحوا النواة المقاتلة في الهاغاناه. وبلغ عدد أفرادها ما يقرب من 20 ألف مسلح، و 30 ألف احتياطي. انقسمت الهاغاناه إلى أربعة عناصر:

1- البالماخ: وهي القوات الضاربة، أو الكوماندوز، وبلغ تعدادها ثلاثة آلاف مقاتل، توافرت لهم جميع صنوف الأسلحة المساعدة، ووسائط النقل الآلي، والخدمات الميدانية اللازمة.

2- الجيش المحارب: أو قوة الميدان (حيل هسديه)، وهي القوة الأكبر حجمًا، وضمت الشباب المدرب عسكريًا، الذي بلغ تعداده ثلاثين ألف مقاتل، متخصصين في العمليات الهجومية، والدفاعية، معًا.

3 – الحرس الوطني: أو قوة الحراسة (حيل همشمار)، مهمتها حراسة المستعمرات، والمراكز العسكرية، والدفاع عنها، وضم جميع المستوطنين اليهود، بمن فيهم غير المسلحين.

4 – كتائب الشبيبة: ضمت الشباب المتطوعين، دون سن 17 سنة، وتحولت، تدريجيًا، إلى كتائب محاربة، وقوات احتياطية.

كما كانت هناك قوات إرهابية صهيونية أخرى، من أبرزها:

الأرغون وشتيرن: وقد عملتا على تصفية الوجود العربي في فلسطين، ونشر الرعب، لترحيل الفلسطينيين، من خلال عملياتهما الإرهابية على المدن والقرى العربية، من أجل إبادة أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين.
المناضلون الفلسطينيون، والقوات الصهيونية في الميزان:
كان ميزان القوى البشرية المقاتلة، الفلسطينية والصهيونية، في حرب 1948، في الأشهر الستة التي سبقت دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، على النحو التالي: 12000 مناضل فلسطيني وعربي، مقابل 67.000 مقاتل صهيوني.

أي أن عدد الصهاينة خمس أضعاف عدد المقاتلين الفلسطينيين. ومع علم الحكومات العربية وجامعة الدول العربية بذلك، إلا أنها ظنت أن بإمكان القوات الفلسطينية القضاء على الصهاينة، في مدة أسبوع أو أسبوعين، وحدها، دون تدخل الجيوش العربية!

تدل تلك الأرقام على أن قوة اليهود كانت، قبل بدء القتال 1948، عبارة عن: [1]

العدد

20.000 جندي دربوا، تدريبًا كاملاً، وكانوا مزوّدين بالسلاح الكامل.
10.000 جندي دربوا، تدريبًا كاملاً، وكانوا مزودين بالسلاح الكامل.
30.000 جندي دربوا، تدريبًا جزئيًا، ولم يزوّدوا بالسلاح.

60.000 هؤلاء ينتمون إلى عصابة الهاغانا.
6.000 مسلحون ينتمون إلى عصابة الأرغون، وكانوا مسلحين.
1.000 مسلح ينتمون إلى عصابة شتيرن، وقد عهد إليهم بأعمال التخريب.

67.000

أما ما يخص التسليح:

فكانت كميات السلاح التي بقيت في حيازة " الهاغاناه "، يوم إعلان التقسيم، بحسب تقرير قسم التسليح، على النحو التالي [2] :

	مدافع هاون 3بوصة	مدافع هاون 2 بوصة	بنادق مضادة للدروع	رشاشات متوسطة	رشاشات	بنادق	مسدسات	رشاشات	قنابل يدوية

(1) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ص 332.
(2) حرب فلسطين...، **مصدر سبق ذكره**، ص 77.

مستعمرات	8	229	2	32	440	8899	3296	1579	6037
قوة الميدان المعبأة	20	102	0	30	96	517	134	594	5228
البالماخ	12	47	2	11	74	651	100	358	3386
قواعد مركزية	44	222	12	84	165	595	300	1131	39.100
المجموع	84	670	16	157	775	10.662	3830	3662	53.751

عدد أسلحة القوات الفلسطينية، مابين شهر كانون الثاني

يناير، و15 آيار/مايو 1947 [1]

في الأرياف	البنادق
غربي الجليل	140
جنوب شرقي الجليل	210
إقليم حيفا	25
منطقة طولكرم	130
منطقة يافا	150
منطقة القدس	250
منطقة غزة	151
المجموع	1056
في المدن	**البنادق**
القدس	381
يافا	264
حيفا	370
غزة	150
بيسان	200
عكا	30
طبرية	97
صفد	72
المجموع	1564

هنا يتضح الاختلال الكبير في التسليح، لصالح الصهاينة

(1) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص 73.

فقد كانت سلطات الانتداب البريطاني قد حرمت الفلسطينيين من مجرد حمل السلاح واستعماله، وبالطبع من اقتناء أي منه. في المقابل حرصت تلك السلطات على تسليح الصهاينة، بذريعة الدفاع عن أنفسهم على اعتبار أنهم الأقلية! لهذا راح المجاهدون من أبناء فلسطين يبحثون عن السلاح في كل مكان. فريق منهم ذهب إلى السلوم، والعلمين، وسائر أنحاء القطر المصري، وليبيا، وبر الشام. واشتروا ما وجدوه هنا وهناك، والبعض لجأ إلى اللجنة العسكرية بدمشق، يرجوها أن تمده بما لديها من سلاح، ولكن كيف لها أن تلبي رغبة هذا البعض، وهي نفسها لا تملك منه شيئًا؟!

أما الأسلحة التي وصلت أبناء فلسطين من الدول العربية، فكانت شحيحة، حيث كانت تلك الدول ترسل القليل منها، كما انتصبت صعوبات، أيضًا، في وصولها، بالإضافة لأن معظمها كان غير صالح للاستخدام.

في المقابل، بدأت الأسلحة تتدفق على إسرائيل، ومعها تدفقت الأموال والتبرعات من المنظمات الصهيونية في العالم الغربي، وبخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية، إلى الوكالة اليهودية. وكان مبعوثو " الوكالة اليهودية " يجوبون مختلف أنحاء اوروبا، لشراء الأسلحة، والذخائر من مخلفات الحرب العالمية الثانية. كما عملت " الوكالة اليهودية " على تسليح قواتها بمختلف أنواع الأسلحة، فأقامت المصانع لإنتاج الأسلحة الخفيفة، ومختلف أنواع الذخائر.

عدد الشهداء من أبناء فلسطين [1] :

العدد

1953 شهداء تمكن من إحصائهم ومن معرفة أسمائهم، وتاريخ، ومواضع استشهادهم.

4004 شهداء لم يتمكن من معرفة أسمائهم، وتمكن من تحديد عددهم، وتاريخ، ومواضع استشهادهم.

7043 شهداء لم يتمكن من معرفة أسمائهم وتاريخ استشهادهم، ولكن تمكن معرفة مواضع استشهادهم.

بالرغم من هذا التفاوت الضخم بين الجانبين، ومن اختلال ميزان القوى، فقد استبسل الفلسطينيون في الدفاع عن مدنهم وقراهم، ضاربين أروع الأمثلة في النضال، بتلك الأسلحة البالية، بل الغريب أن الأشهر القليلة التالية لصدور قرار التقسيم، شهدت أرجحية للجانب الفلسطيني، كما سبق وذكرنا.

المعـــــارك:

ثمة معارك عديدة اندلعت بين الفلسطينيين والصهاينة، كما وقعت صدامات كثيرة، في أنحاء مختلفة من فلسطين، حيث النفوس المشحونة، والقلوب المشتعلة، إثر قرار التقسيم، كان أهمها ما وقع في القدس، إذ نسف المناضلون الفلسطينيون شارع هاسوليل، وحي بن يهودا، ودار

---

(1) عارف العارف، **سجل الخلود: أسماء الشهداء الذين استشهدوا في معارك فلسطين 1947 - 1952**، الجزء السادس، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ت.، ص 7.

الوكالة اليهودية، فيما نسف رجال " الأرغون " فندق سميراميس، ونادي الضباط البريطانيين. وفجّرت ألغامهم عند باب العمود، وباب الخليل، ويوم سقوط القسطل، ومذبحة دير ياسين، والتي كانت، بحق، نقطة تحول في ميزان القوى، وما وقع في مدينة يافا، وحيفا، وصفد، وطبريا، وبيسان. ورغم التفاوت في عناصر القوى بين الطرفين، فإن الاشتباكات بين الطرفين لم تتوقف، ومعها النضال المستميت من قبل الفلسطينيين، دفاعًا عن أرضهم ضد العدو، حتى دخول الجيوش العربية، في 1948/5/15إلى فلسطين. وعلى سبيل المثال لا الحصر.

بيت صفافا*:

في 25 كانون الأول/ يناير 1947، هاجم الصهاينة بيت صفافا، قاصدين قتل روح المقاومة العربية في عاصمة البلاد، القدس، " فأتوها من ناحيتين: رامات راحيل في الشرق، وتولى هؤلاء مهمة الهجوم.

ومن ميكور حاييم في الشمال، وكانت مهمتهم الإشغال، وكانوا حوالي مئة وخمسين مقاتلاً.

لكن سرعان ما تصدى لهم حماة القرية، وردوهم على أعقابهم، وقاتلوهم بشدة، إلى أن جاء البريطانيون، في 6 شباط/ فبراير 1948، وعسكروا في القرية، للحيلولة دون اشتباك الفريقين، وظن العرب أن الصهاينة لن يجرؤا على دخول القرية، ما دام الانجليز مرابطين فيها،

(*) قرية عربية واقعة جنوب القدس، وتكاد تعد حيًا من أحيائها، فيها ألف وخمسمائة نسمة من الأهالي، وهي قائمة على تل مطل على خط السكة الحديدية، التي تربط القدس بيافا، وتل أبيب، وعلى الطريق التي تربط القدس ببيت لحم والخليل، ولهذا وضعها الصهاينة نصب نيرانهم.

ولا سيما عندما أكد قائد السرية البريطانية أنه لن يسمح للصهاينة بتسلم الموقع، ولكنه أخلف وعده، فتسلم الصهاينة الموقع، وراحوا يسلطون مدافعهم المورتر على بيوت القرية وأهلها، فألقوا ما يقرب من السبعين قنبلة، ومع ذلك صمد المناضلون، وظلوا مرابطين في القرية[1]، وأما باقي الأهالي، من نساء، وشيوخ، وأطفال، فقد رحلوا عن القرية.

يعد هذا الحادث من أهم الحوادث التي وقعت في القطاع الجنوبي، إذ راح الصهاينة، من بعده، يسيطرون على ذلك القطاع، وسدوا الطرق التي تمر من هناك، وتصل بين القدس والمدن الواقعة في جنوبها. ذلك بفضل تآمر وخيانة الانجليز.

لفتـــــــــــا **:

كان اليوم السابع والعشرون من شهر كانون الأول/ ديسمبر 1947 من أيام القدس العصيبة، حيث امتد القتال في المدينة القديمة، وضواحيها، في لفتا، وروميما، وفي حي القطمون، وباب الخليل، وعند طلعة القسطل، وباب الواد. وكانت أخطر هذه الحوادث ما جرى لقافلة صهيونية في المكان المعروف بطلعة القسطل، على طريق القدس - يافا، فقد هاجمها العرب، وقتلوا أربعة من أفرادها، وجرحوا خمسة، منهم جولدا مايرسون، رئيسة الشعبة السياسية في " الوكالة اليهودية "، حينذاك، فانتقم أفراد العصابات الصهيونية، بأن هاجموا قرية لفتا، مسلحين بالمدافع الرشاشة، من نوع ستن وتومي. ولقد أحدث هذا الحادث

(1) العارف، النكبة...، **مصدر سبق ذكره**، ص 75.

(**) قرية عربية، واقعة غربي مدينة القدس، وتكاد تعتبر حيًا من أحيائها.

ذعـرًا فـي لفتـا، ورحـل عنهـا معظـم أهاليهـا، ولا سـيما عنـدما تقـوى الصـهاينة، بالعدد والعدة، ونسفوا معظم المنـازل العربيـة، ولـم يكـن بيد اللفتاويين، يومئذ، أكثر من خمسين بندقيـة، ومـا كانـت هذه بكافيـة، لـدرء الشـر عـنهم، عندئذ خلـت القريـة مـن الأهـالي، وسـدت فـي وجـه العـرب طريق القدس - يافا من هذه الناحية[1].

وكـان هذا وحـادث بيت صـفافا أول الحـوداث التـي أدت إلـى رحيل الأهالي عن منازلهم من قطاع القدس.

حصار الحي اليهودي في البلدة القديمة:

في 2 كانون الثاني/ يناير 1948 اشتبك العرب واليهود في قتال بـين الشيخ جرّاح ومياشورم، إثر محـاولة قام بها اليهود لنسف عمـارة الوقـف، القريبـة من بوابـة مندلبلوم، وقـد دمـروا جانبًـا منهـا. ودام الاشـتباك طيلـة الليل والنهار، واشـترك فيـه مـا يربـو علـى المـائتين مـن رجـال الهاغانـاه، ومثل هذا العدد من العرب[2].

واضـطر هـؤلاء لإطـلاق النـار علـى الصـهاينة مـن مـدفع رشـاش، نصـبوه علـى مئذنـة المسـجد. وضـيّق العـرب الخنـاق علـى الصـهاينة فـي البلدة القديمة. فحاصروهم في حيهم، حصارًا تامًا.

وكان بإمكانهم أن يستولوا على الحي المذكور كله لولا البريطانيون. فلم يجد العرب بدًا من تجويع الصهاينة.

---

(1) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص 48.
(2) العارف، النكبة...، **مصدر سبق ذكره**، ص78.

ورفض هؤلاء الإنذار الذي وجه إليهم بالتسليم.

معارك الصبيح:

في ساعة مبكرة من صباح يوم 1948/2/3، اصطدم ثمانية من أبناء عشيرة الصبيح بفئة من المستوطنين الصهاينة، قوامها عشرون مسلحًا في الأراضي الواقعة بين مضارب العشيرة ومستعمرة كيشت.

ورجع الصهاينة إلى مستعمراتهم، تاركين وراءهم سبعة قتلى، وفكروا بالانتقام، ولهذا طلبوا النجدة من قيادة الهاغاناه، فأنجدتهم بعدد كبير من مستوطني المستعمرات المجاورة. لكن الفلسطينيين كانوا أسرع منهم، إذ تنادوا للقتال، وأتتهم النجدة، التي بلغ عددها تسعين مناضلاً، يقودهم المجاهد عبد القادر الفاهوم. وقد تخندقوا حول المستعمرة، على شكل هلال، وكان البرد شديدًا، والأمطار تنهمر بغزارة، عندما بدأ القتال، وراح الصهاينة يقصفون المواقع، التي تخندق فيها المناضلون بقنابل مدافعهم القوية (المورتر)، وقد استعملوا الرشاشات، أيضًا، ولكن ما كانت هذه ولا تلك لتؤثر على المناضلين[1].

ودام القصف ساعتين، ولما رأى الصهاينة بأن القصف لم يجد نفعًا، خرجوا من المستعمرة.

(1) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص 49.

التــزم المناضــلون الصــمت، فلــم يطلقــوا النــار علــى الصــهاينة، تــاركينهم يتقـدمون، عندئـذ شـرع المناضـلون فـي إطـلاق النـار، الأمـر الــذي أحــدث بلبلــة فــي صــفوف الصــهاينة، فتراجعــوا، فلاحقهــم المناضــلون، حتــى الســهل، فيمــا لــم يكــن لــدى المجاهــدين أســلحة الثقيلـة، أو عتـاد يكفـي للبنـادق الاعتياديـة، التـي كانـت بايـديهم، ولقـد أكـد عبـد اللطيـف الفـاهوم، الـذي قـاد المناضـلين فـي هـذه المعركـة، أنهـم أحصـوا مـا تبقـى لـديهم مـن عتـاد، فلـم يكـن بيـد الواحـد مـنهم ســوى عشــر طلقــات، وفشــل الهجــوم، لعــدم الاســتعداد الكــافي للمعركة.

معركة سنهدريا *:

في اليوم العاشـر مـن كـانون الثـاني/ ينـاير 1948، هـاجم فريـق مـن " الجهاد المقدس "، يقدر عدده بمئـة مقاتـل، الحـي المعـروف بسـنهدريا. ولكن اليهود المرابطين في ذلك الحي تمكنوا من صدهم.

وما كان هذا الهجوم ليفشل لو حدث تغير فـي الخطـة الموضـوعة، إذ بدأ المشاة الزاحفون في إطلاق النار، قبل وصول حاملي الألغام.

فانتبه اليهود، وفتحوا على المناضلين نارًا حامية.

وكادوا يحصدونهم، لولا أن أحدهم (عوض الترمسعاوي) سلّط نيران رشاشـه علـى الكشـاف الكهربـائي، الـذي اسـتعمله الصـهاينة فـي كشـف مواقعهم، فأعطبه.

(*) من الأحيـاء اليهوديـة القائمـة شـمال المدينـة، بـين حـي مياشـورم اليهـودي وحـي الشـيخ جرّاح العربي.

وبذلك نجا المجاهدون، وقد أصيب أحدهم بجراح [1].

اشترك في هذا الهجوم جماعة من سكان قرى رام الله، كستجل، وترمسعيا، وبيتونيا، والمزرعة الشرقية. وكان على رأسهم عبد القادر الحسيني، يساعده كل من كامل عريقات (أبو ديس 9)، والشيخ عبد الفتاح المزرعاوي (المزرعة الشرقية)، وابراهيم أبو دية (صوريف).

معركة كفار عصيون الأولى وظهر الحجة:

في 14 كانون الثاني/ يناير 1948، فشل العرب في الهجوم الذي شنوه على كفار عصيون، الذي كانوا يهدفون من ورائه الانتقام من مستوطني تلك المستعمرة، وهم الذين كانوا أطلقوا النار، في اليوم السابق، على سيارة القنصل العراقي، وهو في طريقه إلى الخليل. وقد اشترك في ذلك الهجوم عدد كبير، قيل أنه جاوز الألفين من أهالي مدينة الخليل وقراها، والقدس، وقراها، ومن بدو بئر السبع. إلا أنهم صدوا عن المستعمرة، وما كان في أيديهم أكثر من بضع بنادق اعتيادية، أضف إلى ذلك أنهم جاءوا في صفوف غير منتظمة، لا يقودهم قائد، وليس لهم هدف معين. وعبثًا حاول الرجال الذين كانوا يتقدمون الصفوف تنظيم صفوفهم. فاستشهد منهم أربعة عشر، وجرح أربعة وعشرون آخرون[2].

لكن العرب سرعان ما انتقموا لأنفسهم من الصهاينة.

بعد يومين من تاريخ المعركة، عندما قدم فريق من الصهاينة من ناحية (عرطوف)، لنجدة إخوانهم في (كفار عصيون).

(1) العارف، النكبة...، **مصدر سبق ذكره**، ص83.
(2) **المصدر نفسه**، ص 83 - 85.

وما أن اقترب الصهاينة المسلحون من قرية صوريف، وأحس بهم أهالي تلك القرية، حتى تصدوا لهم، وراحوا يطاردونهم، إلى أن أرغموهم على الاعتصام بجبل (ظهر الحجة)، الواقع شمال القرية، وعلى بعد أربعة كيلومترات منها. ورغم أن هذه النجدة الصهيونية كانت مدججة بالأسلحة الأتوماتيكية، وبجهاز لاسلكي، وكانت كبيرة العدد، فإن المناضلين العرب تمكنوا من التغلب عليها، فأبادوها عن بكرة أبيها. واستشهد أربعة من المناضلين، مقابل 40 صهيونيًا، معظمهم من الشباب، وطلاب الجامعة العبرية.

معركة بيت سوريك:

في 25 /1 / 1948، علم المناضلون بأن قافلة صهيونية ستمر من باب الواد، والقسطل، في طريقها إلى القدس، وأن الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان فيها، فوقفوا لها بالمرصاد، وزرعوا الألغام في الطريق قرب القسطل، وترأس عبد القادر الحسيني ستين مجاهدًا في انتظارها، فيما كان فوزي القطب، وكامل عريقات، مع مفرزة تدمير، جاهزين لنسف الآليات على الطريق، ودامت المعركة يومين.

ولكي يخفف الصهاينة الضغط عليهم، أرسلوا قوة من البالماخ إلى قرية بيت سوريك، القريبة من الطريق وحاصروها.

وذاع الخبر بأن عبد القادر وصحبه في خطر، فتوالت النجدات الفلسطينية من القرى المجاورة، وحضر إلى الميدان أكثر من ألف مجاهد مسلح، عندئذٍ، تدخل الجيش البريطاني، كعادته في الوقت الحرج بالنسبة للصهاينة، ليخرج القافلة ويعيدها، وارتد الصهاينة إلى الوراء، تاركين

وراءهم أربعة وثلاثين قتيلاً، وسبعة وعشرين جريحًا[1].

ميكور حاييـــم:

فـــي 13 آذار/ مـــارس 1948، هـــاجم المناضـــلون الفلســـطينيون مستعمرات ميكور حاييم، للمرة الثانيـة، كمـا هـاجموا مستعمرات رامـات راحيل، وتـل بيوت، الواقعـة جنـوب القـدس. وتمكنـوا مـن احـتلال جانـب كبير من ميكور حاييم.

لكـن الانجليـز، المـرابطين علـى مقربـة مـن تلـك المسـتعمرة، أنـذروا المناضلين بالانسحاب، فانسحبوا، حيث لم يكن فـي مقدورهم أن يقـاتلوا جيشين، في آنٍ، ورغم هذا لـم ينقطـع تبـادل النيـران، ولـم ينتـه القتـال، إلا عندما تدخل الإنجليز، فقذفوا العرب بعدد من قنـابلهم مـن مـدافع الهـاون، وصدوهم إلى الوراء[2].

معركة القسطـــل*:

فـي 3 نيسـان/ إبريـل 1948، احتـل رجـال البالمـاخ قريـة القسـطل، بهدف السيطرة على طريق تل أبيب - القدس، ليتمكنوا من تموين القدس، التـي كانـت مطوقـة بـالعرب مـن كـل جانـب، وكـان مئـة ألـف مـن سـكانها اليهـود، علـى وشـك المـوت جوعًـا، حتـى أنهـم حـاولوا، عبثًـا، أن يقنعـوا العـرب بوساطة المندوب السامي البريطـاني في القـدس، كـي يسـمحوا لهـم بمـرور سـبع سـيارات، محمّلـة قوتًـا لإطعـام سـكان القـدس. ولـم يكـن فـي

---

(1) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص 49.

(2) **المصدر نفسه**، ص 50.

(*) قرية عربية صغيرة، واقعة على بعد خمسة أميال إلى الغرب من القدس.

القرية، عندما جاءها اليهود، سوى عدد ضئيل من المناضلين، لا يزيد عن الخمسين من أبنائها، وما كان باستطاعة هؤلاء أن يصدوا اليهود، الذين جاؤوا القرية العربية بقوات كبيرة، ولم تكن القرية محصّنة، تحصينًا كافيًا، ومع ذلك فقد دافعوا عن قريتهم، دفاع الأبطال، ولم ينسحبوا منها، إلا بعد أن نفذت ذخيرتهم، وسقطت القسطل بأيدي الصهاينة.

على أن المناضلين العرب سرعان ما استعادوها، وقاد الهجوم كامل عريقات، الذي تمكن من الصمود فيها، حتى 3 نيسان/ إبريل، قبل أن تنفذ ذخيرته، إلا أنه أصيب بجراح، ونقل إلى القدس، برغم معارضته، ولم يحظ عبد القادر الحسيني - وكان قد غادر قبل ايام إلى دمشق في محاولة للحصول على أسلحة من اللجنة العسكرية - بأكثر من 50 بندقية، و3 مدافع رشاشة[1]، وحينما رجع إلى القدس، وعرف بوقوع رجاله، الذين استبد بهم التعب، في حالة حصار في القسطل، أرسل بطلب المزيد من المقاتلين، فأمده " أبو دية " ** بثلاثمائة من ميليشيا القطمون، وانطلقا على رأس هذه القوة، لمهاجمة القسطل، بهدف كسر الحصار.

ولم يكن الشك يخامر الحسيني حول الكيفية التي ستنتهي بها المعركة.

(1) **المصدر نفسه**، ص52 - 53.

(**) ابراهيم أبو دية، أحد قادة المجاهديين الفلسطينيين، إبان ثورة 1936 - 1939.

واختار المناضلون طريق الاستشهاد، ووزع الحسيني المهمات على الشكل التالي، لاسترجاع القسطل: [1]

- سرية القطمون في الوسط، على الطريق العام، من الغرب إلى الشرق.

- قوة الجهاد المقدس على يمينها، باتجاه جنوب القسطل.

- جماعة البدو (هارون بن جازي) إلى اليسار.

وأرسل عبد القادر إلى قالونيا عناصر احتياطية، لمنع نجدات الصهاينة من القدس، والمستعمرات المجاورة. بدأ الهجوم بعد الظهر، فتمكن الجناح الأيسر من أن يلتف حول القرية، ولم يستطع القلب والجناح الأيمن أن يصلا إليها، ولما شاهد الحسيني المناضلين يتراجعون، تقدم لوحده، وهو في حالة يأس وانفعال، ودخل القرية، وغاب فيها.

وبدأت إشاعة استشهاده تدور على الألسن، إلا أن ألفي فلسطيني، تشجعهم هتافات نسائهم، والزغاريد، برغم الحزن المسيطر على المدينة، قاموا بمصادرة كل ما يتحرك على عجلتين في المدينة، واتجهوا، مجردين من السلاح، جميعًا تقريبًا لمهاجمة القسطل.

وفي صباح 4/8 جاءت مجموعة من " جيش الانقاذ "، واقتحمت القرية من الشمال ودخلتها، وأسرت الصهاينة، الذين انحصروا فيها، ووجدت جثمان الشهيد عبد القادر الحسيني في مدخل القرية، مصابا بشظايا قنبلة. لقد كان لاستشهاد الحسيني أثر سيىء في النفوس، أحبط

(1) **المصدر نفسه**، ص 54.

همم المناضلين، وأفقد المعركة قيمتها التعبوية، وخسر نتيجتها المرجوة، وهي المحافظة على الموقع الحصين، وقطع طريق القدس.

ولما كان جميع الرجال، تقريبًا، قد أصروا على أن يمشوا في جنازة الحسيني، فإنه لم يبق في القسطل أكثر من أربعين مقاتلاً، وفي الليلة نفسها، قامت فرقتان من البالماخ بتجديد القتال، فسقطت القسطل في أيدي الصهاينة [1].

معركة الماصيون:

رابطت جماعة من المسلحين الصهاينة في الطريق لاعتراض السيارات العربية، وفي إحدى محاولاتهم اعترضهم العرب، حينما كانوا يصعدون تل الماصيون بمنطقة رام الله، ودارت المعركة، وانتصر المناضلون الفلسطينيون، وقتل أحد عشر من الصهاينة، ورفع ستة أيديهم، رامين سلاحهم، معلنين استسلامهم، وحينما تقدم المناضلون لتسلمهم رماهم أحد الصهاينة بقنبلة يدوية، فسلط المناضلون رصاصهم عليهم، وأبادوهم[2].

معارك يافـــا:

كان وضع يافا دقيقًا، لتجاورها مستعمرات كبيرة، هي تل أبيب، وملبس، ومكفا إسرائيل، وبيت فجان، وهايكفاه، وحولون، بينما كانت أحياء يافا المتطرفة تتصل بثكنتي درويش باشا، وتل الريش، التي يعسكر فيها الجيش البريطاني.

(1) **المصدر نفسه**، ص 57.

(2) صالح مسعود أبو يصير، **جهاد شعب فلسطين - خلال نصف قرن**، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر، 1968، ص327.

لذلك ألّف أهل يافا لجنة قومية، أشرفت على الدفاع، بقيادة حسن سلامة، وجندت 540 مناضلاً، استلموا 284 بندقية من " الهيئة العربية العليا "، وأرسلت لهم اللجنة العسكرية، في 13/ 1947/11، مئة بندقية فرنسية، ووزعت " اللجنة القومية " للمدينة وحدات المناضلين إلى عناصر ثابتة للدفاع، تكونت من 350 مناضلاً، إضافة إلى قوة متحركة، أثناء الهجوم، تألفت من 190 مناضلاً، اهتم المناضلون الفلسطينيون بتوزيع قواهم على الأحياء المجاورة للصهاينة، وقد جاء في أحد كشوف يافا، في 1948/3/2، ما يلي: (1)

الجبالية: 87 رجلاً معهم 59 بندقية، أبو كبير: 130 رجلاً معهم 50 بندقية، و4 رشاشات خفيفة، كرم التوت: 32 رجلاً، معهم 12 بندقية، المسلخ: 35 رجلاً، معهم 16 بندقية، ورشاش خفيف، أبو الديوك: 52 رجلاً معهم 21 بندقية، طاسو:32 رجلاً معهم 21 بندقية، تل الريش: الجهة الجنوبية الغربية، 129 رجلاً معهم 60 بندقية ورشاش.

الأمر الذي يعكس مدى قلة الذخيرة، وتدني مستواها، بما لا يتناسب مع هدف الدفاع عن مدينة كبيرة.

في 3/5 أمدت قيادة " جيش الإنقاذ " يافا بسرية، فارتفع عدد المدافعين إلى 1500 مقاتل، استطاعوا أن يشددوا الضغوط على الصهاينة.

---

(1) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص 58، لمزيد من التفاصيل انظر (أبو يصير، **مصدر سبق ذكره**، ص 358 - 372).

في 4/28 شن الصهاينة هجومين كاسحين على يافا، أحدهما على تل الريش، والآخر على المنشية الفوقا، في وقتٍ واحد، مزودين بعدد كبير من المدرعات، واندلعت بينهم وبين المناضلين الفلسطينيين معارك طاحنة، وقيل أن الصهاينة خسروا في تل الريش مائة قتيل، وغنم العرب ست مدرعات، وإن نجح الصهاينة في دخول أطراف حي المنشية[1].

بعد ذلك سادت الفوضى في يافا، وساء الحال فيها، بعد الأخبار عن سقوط القرى المجاورة لها، مثل، الخيرية، وساقية، وكفر عانة، وتطويق قرية سلمة الباسلة. وانسحب قائد جيش الانقاذ، بعد فشله في أن يسيطر على الفوضى، التي سادت المدينة، مستعينًا برجال الجيش البريطاني.

في 1948/5/14، اقتحم الصهاينة يافا، ورفعوا الأعلام الإسرائيلية على مبانيها، وعملوا فيها نهبًا وسلبًا. ولم يبق من أهالي يافا العرب سوى 4 آلاف نسمة. وبسقوط يافا انفتح طريق اللد والرملة أمام الصهاينة.

معارك حيفـــا:

لم يكن في حيفا أسلحة كافية، وكان إمدادها صعبًا جدًا، نظرًا لكثرة المستعمرات حولها، ومع ذلك شكل الفلسطينيون لجنة دفاع لكل حي عربي. وأرسلت اللجنة العسكرية بدمشق إمدادات عسكرية إلى أهالي حيفا، ولكن الوضع في المدينة كان سيئًا للغاية، فبعض البنادق المرسلة إلى حيفا عاطلة، وغير صالحة، ورفض رئيس اللجنة القومية استلام البنادق المرسلة إليه، ولم يستلم منها سوى 89 بندقية.

(1) العارف، النكبة...، **مصدر سبق ذكره**، ص226.

عندئذٍ قررت اللجنة العسكرية بدمشق ارسال 300 بندقية وألف قنبلة يدوية.

بالرغم من قلة السلاح والعتاد، واختلاف القادة، بذل المجاهدون من أبناء حيفا والقرى المجاورة ما في وسعهم للتغلب على الصهاينة، واشتبكوا في قتالٍ مرير معهم، غير مرة.

وفي 1948/3/17، مرت بعكا، باتجاه حيفا، قافلة سياراتٍ عربية فيها تموين وأسلحة، وذخيرة ومتفجرات، ومعها قائد حامية حيفا، الملازم الأول محمد الحنيطي، ولما وصلت القافلة إلى مقربة من مستعمرة موتسكين، يمين عكا وحيفا - وكان الصهاينة قد ترصدوا لهذه القافلة على الطريق - اشتبكوا مع العرب واستشهد في المعركة 14 عربيًا، بينهم محمد الحنيطي[1]، وعلى أثر ذلك ساء الوضع في حيفا. وفي 1948/4/21، سَلَّمَ البريطانيون مواقعهم المتاخمة لحيفا إلى القوات الصهيونية، رغم وعود البريطانيين السابقة للعرب، وبذلك سقطت حيفا.

نقاط التفوق والإخفاق في أداء المناضلين الفلسطينيين [2]:

- أظهروا براعة ومهارة واضحيين في أعمال حرب العصابات.

- تفوقوا في المقاومة القائمة على الفداء والاستبسال.

- تمكن المناضلون من إرهاق المستعمرات الإسرائيلية، رغم الإرهاب الذي تعرض له الفلسطينيون من قبل السلطات البريطانية.

---

(1) **المصدر نفسه**، ص 216.

(2) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص 36 - 61.

- كانـت القـرى الفلسـطينية تقـف مجاهـدة، تصـد العـدوان، بوسـائلها الدفاعية الضعيفة.

- لجأت عناصر " الجهاد المقدس " إلى الدفاع عن الأحياء والقرى، بدلا من أن تلجـأ المقاومـة التطوعيـة من رجـال " الجهـاد المقدس "، فـي مواجهة المنظمات العسكرية الصـهيونية المدرّبـة، إلـى حـرب عصـابات، لإنـهاك العدو، واستنزافه.

بـالرغم ممـا اتصـف بـه قتـال المناضـلين مـن استبسـال وشـجاعة وصـمود، فـإن النتـائج التـي آل إليهـا الوضـع، تجعلنـا نـدرك الأخطـاء السياسية والعسكرية، التي وقعت فيها القيادة العسكرية الفلسطينية، آنذاك، والتي تمثلت في:

1 - عدم تقدير حقيقة العدو، وجهل التفاصيل عن شؤونه العسكرية، والاستهانة بقوته.

2 - عدم قيام القيادة السياسية بتعبئـة كاملـة لجميع القـوى العسكرية، والاقتصادية، والسياسية.

3 - افتقاد القيادة العسكرية الموحدة.

4 - الافتقار إلى الاستراتيجية الواضحة.

فـي ضـوء مـا تقـدم، يمكننـا رؤيـة مـدى نضـال، وجسـارة الشـعب الفلسطيني، رغم الفارق الضخم فـي الإمكانـات، والتسليح، بـين الجـانبين، الفلسطيني والصـهيوني، ومع ذلك لم يرضخ الشعب الفلسطيني، أبدًا، ولـم يستسلم، وكانت المقاومة هي أهم ثوابت الشعب الفلسطيني، التي قد تخفت

حينًا، تحت مطارق الأزمات، وتوالي العواصف، لكنها لا تتلاشى، أو تتوقف، ولا يتخلى عنها الشعب الفلسطيني، كخيار استراتيجي.

* * *

الفصل الثالث:
المتطوعون العرب في الحرب

ياسمين مجدي

" اكتشفنا أن كل إمرأة لا تجمع إلا من زيتونها بالذات، دون أن تمد يدها إلى زيتون الغير، رغم أن الأرض وما عليها قد تم الإستيلاء عليها "[1]. حكى ذلك عن فلسطين (1948) التي اختلفت كثيرًا عن العراق، في حربه الأخيرة، حيث البيوت نهبت، والمتاحف دمرت. فهل كانت البداية في حرب 1948، حين أرسلت الدول العربية متطوعين وجيوش افتقدوا المهارة اللازمة، فكُللوا بالفشل، ثم ما لبثت أن نفضت الدول العربية نفسها يدها من الحرب، فصار الزيتون مستباحًا.

بدأت الحكاية، منذ وصول لجنة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق إلى فلسطين. وجاء تقريرها مؤكدًا على ضرورة إنهاء الإنتداب وتقسيم فلسطين[2]. فقررت جامعة الدول العربية بدء المقاومة العسكرية، وطالبت الأقطار العربية بدعم، يشمل المال، والجيوش، والعتاد. وأنشئت لجنة، عرفت فيما بعد، باللجنة العسكرية[3].

---

(1) رسمي أبو علي، **رواية الطريق إلي بيت لحم**، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، 1991، ص87. دارت الرواية حول أحداث 1948.

(2) د. عواطف عبد الرحمن، **مصر وفلسطين**، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 1989، ص250.

(3) David Tal, **War in Palestine, 1948: Strategy and Diplomacy**, USA, Routledge, 2004, P9.

لكن الخريطة، آنذاك، لم تبشر بخير، فالأقطار العربية منشغلة بما تعانيه من احتلال، بالإضافة لعدد من المشكلات الداخلية، التي عانت منها، مثل مصر، التي أربكتها حكومات الأقليات، فشغلت الشعب بقضية الدستور، عن الكفاح ضد الإحتلال البريطاني، الإحتلال نفسه، الذي وقف وراء عصابة الهاغاناة الصهيونية على أرض فلسطين.

حيال ذلك الموقف، كان الحل هو المتطوعين، الذين دعتهم اللجنة العسكرية بدمشق إلى الانخراط في جيش التحرير، الذي أسمته " جيش الإنقاذ " [1]. إلا أن هذا القرار النظري لم يطبَق، عمليًا، بالسرعة المطلوبة، ولم يُعين قائدًا لهذا الجيش، إلا في 1947/12/7، أي بعد مرور شهرين، شهد كل يوم فيهما تقدمًا لصالح العدو[2]. وكانت تلك بداية عجز مخطط الجامعة العربية، تلك الجامعة التي قامت في بدايتها، أصلاً، على خلافات.

اختلفت البداية في الحرب الأمريكية على العراق مارس - آذار 2003، فالمتطوعون لم تتبناهم الجامعة العربية، ولا الدول العربية، رغم ذلك تتشابه الحربان في مساوئ الزج بمدنيين إلى القتال، دون سابق معرفة، حيث بدا " أصحاب إقتراح الجامعة العربية لإرسال متطوعين إلى فلسطين، أشخاص يجهلون مبادئ الحشد، وقيمة العمليات الحربية،

(1) عارف العارف، **النكبة؛ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947 - 1952**، ج1، بيروت، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1956، ص39.

(2) مروة جبر، **جامعة الدول العربية وقضية فلسطين (1945 - 1965)**، بيروت، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، 1989، ص55 - 56.

وسياسيون، لا يقصدون سوى الدعاية " [1]. وتكررت المأساه في الحرب العراقيـة، حيـث استشـهد عـدد كبيـر مـن المتطـوعين العـرب، فـي الأيـام الأولى للقصف، وهم يتدربون في معسكرات مكشوفة، أو وهم في خنادق ومعسكرات متقدمة[2].

كان الإقبال كبيرًا على التطوع لصالح فلسطين.

ويُـذكر أن عـدد المتطـوعين الـذين تـم تـدريبهم فـي معسـكر الجـيش السـوري، فـي 1948/2/8، بلـغ 4976، كـان منـهم 2987 سـوريًا، وفقًـا لتقرير اللجنة العسكرية الموجه إلى جامعة الدول العربية[3].

وكانـت تعليمـات قيـادة الإنقـاذ تقضـي بقبـول انضـمام المتطـوعين إلـى قوات الإنقاذ، بصـرف النظـر عـن جنسيتهم أو بلادهـم، عنـدما تتـوفر فـي المتطوع حسن النية والإخلاص[4].

فكانوا خليطًـا مـن السـوريين، مـن دمشـق، وحمـص، وحمـاه، وحلـب، ومن العراقيين، والفلسطينيين، وقليل منهم دروز، وأكـراد، وشراكسـة[5]. وخـدم معهـم عـدد مـن العسـكريين الألمـان، الـذين فـروا مـن معسـكرات الاعتقال البريطـانية.

وكان هناك عدد أكبر من اليوغسلافيين.

---

(1) هاني الهندي، **جيش الإنقاذ**، بيروت، دار القدس، 1974، ص57.
(2) http://www.alwihdah.com/view.php?cat=1&id=463,26/2/2008.
(3) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص50.
(4) **المصدر نفسه**، ص59.
(5) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج1، ص39.

ونشط، أيضًا، البريطانيون الفارون من الخدمة، كخبراء لقيادات الكتائب[1].

اتفقت اللجنة مع وزارة الدفاع السورية على فتح أبواب معسكرات قطنا، لاستقبال المتطوعين[2]. ولم يكن صدفة وجود معسكر المتطوعين الرئيسي في سوريا، حيث اقتضت الضرورة العسكرية هذا القرار، ليتعادل دور سوريا مع دور ملك الأردن، عبد الله بن الحسين، بالإضافة لخروج الرأي العام السوري، مطالبًا بإتخاذ موقف[3].

وتبع معسكر قطنا لقيادة اللواء إسماعيل صفوت باشا، قائد القوات العربية[4].

ما كان جيش الإنقاذ ليؤلف من خليط من الناس، لولا أن إنجلترا وقفت تعارض تأليف جيش عربي من أبناء فلسطين، عندما أرادت الجامعة العربية، عند بدء القتال، تأليف مثل هذا الجيش[5].

كانت فلسطين الإختبار الجوهري الأول لجامعة الدول العربية، الذي فشلت في إجتيازه، وتمادى فشلها في عدم تمكين الفلسطينيين من امتلاك

(1) **حرب فلسطين 1947 - 1948: الرواية الإسرائيلية الرسمية**، ط1، ترجمة أحمد خليفة، نيقوسيا، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984، ص221.
(2) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص29.
(3) Tal, op. cit., p11.
(4) محمد حسين عريبي، **صراع الفدائيين؛ الفدائيون الليبيون في حرب فلسطين 1948**، طرابلس، الفرجاني، 1968، ص87.
(5) عارف العارف، **النكبة؛ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947 - 1952**، ج2، بيروت، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1956، ص463.

مقاليد أمورهم، والتحكم في مصائر أنفسهم، فيما بعد[1].

وعلى الرغم من مشاعر العرب تجاه فلسطين فإنهم كانوا ممزقين وضعفاء، بدرجة لا تستطيع التصدي لحركة الصهيونية الديناميكة[2]، فلم يسع العرب لتنسيق جهودهم الدبلوماسية والحربية[3].

ليعتبر الصهاينة تلك الخلافات في صالحهم، كما زعم بروفيسير إيلان بابيه، المؤرخ الإسرائيلي بجامعة حيفا، " سيد الموقف كان الأنانية لدى كل دولة عربية بحثت عما تريده، فتحولت المعركة المقدسة ضد الصهاينة إلى إغتصاب كبير للأرض... فدخلت بعض الدول العربية المعركة ليس بغرض منع قيام دولة إسرائيل، إنما تقويض قيام دولة فلسطينية، ليتمكنوا من السيطرة على الجزء العربي فيها، عندما يعجز الفلسطينيين عن الحصول على دولة مستقلة " [4] ليدفع المتطوعون العرب ثمن سير " كل دولة وراء أطماعها على رغم من محاربتهم نفس العدو " [5].

تم تقسيم " جيش الإنقاذ " إلى كتائب، توالى دخلوها إلى فلسطين، من أول يناير/ كانون الثاني 1948 حتى آخر فبراير/ شباط، كالتالى (فوج

---

(1) Eugene L. Rogan, The War for Palestine: Rewriting the History of 1948, Cambridge, Cambridge university Press, 2007, p82.

(2) Issa Khalaf, Politics in Palestine:Arab Factionalism and Social Disintegration, 1939 - 1948, newyork, SUNY Press, 1991, p161.

(3) Ilan Pappé& others, The Israel/Palestine Question, USA, Routledge, 1999, P163.

(4) Ibd., P167.

(5) Rogan, op. cit., p82.

اليرموك الثاني، فوج اليرموك الأول، فوج اليرموك الثالث، فوج القادسية، فوج حطين، فوج أجنادين، فوج العراق، فوج الدروز)، ما كان ليزيد الفوج على السبعمئة فرد.

وكثيرًا ما كان يهبط إلى خمسمائة[1]. والتحقت بهذه الأفواج بطارية ونصف من المدفعية. وكان تعداد بطارية المدفعية بين 120 - 81 جنديًا، ومعهم أربعة مدافع[2].

رافق الجيش وحدات صغيرة، لم تصل إلى مستوى الكتيبة، مثل " سرية الخماسين "، المشكَّلة من متطوعين، من مدينة الحمة السورية[3]. فبلغ عدد الرجال الذين هبطوا فلسطين، في أواخر يناير/ كانون الثاني 1948، ألفين، وتضاعف هذا العدد، فأصبح أربعة آلاف، عندما انتهى الانتداب[4]. بينما كانت قوات الدفاع الإسرائيلي تزيد عن 35.000 فرد، ومع منتصف يوليو/ تموز بلغوا 65.000 فردًا، وفي ديسمبر/ كانون الأول وصلوا إلى 96.441[5].

كثيرًا ما كان يلتحق بأفواج " جيش الإنقاذ " سرايا، كسرية " منكو "، للمتطوعين الأردنيين، وسرية حلب، التي حملت اسم " أسود الشهباء "، والتحقت هاتان السريتان بفوج اليرموك الثالث.

(1) Yoav Gelber, Palestine 1948: War, Escape And The Emergence Of The Palestinian Refugee Problem, 2NDEDETION, UK, Sussex Academic Press, 2006, P50.

(2) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص54.

(3) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص221.

(4) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج1، ص99.

(5) Rogan, op. cit., p81.

وهنـاك، أيضًـا، السـريتان اللبنانيـة والأردنيـة. كمـا جـاءت كتيبتـا " الحسين " و " القادسية ".

وكانتـا مكونتـان مـن متطـوعي العـراق، ولحقـت بهمـا كتيبـة لبنانيـة ورابعة درزية، حملت اسم " جبل العرب " [1].

أما على صعيد الحرب العراقية الأخيرة، فمتطوعوها كانوا حوالى 8 آلاف، إذ لا توجـد أرقـام دقيقـة حـولهم - أغلـبهم مـن الأردن، وسـوريا، والخلـيج، ومصـر، والجزائـر، وتـونس، ولبنـان، والـيمن، بالإضـافة إلـى مجموعات من " القاعدة "، كونت خلايا[2]، وهؤلاء تشابهوا، من ناحية غرضهم الديني من الجهاد مع نضال الإخوان المسلمين فـي فلسطين 48 مع الفارق.

ولم يتأثر المتطوعون بخلافـات الـدول العربيـة، نظـرًا لأنهم لـم يـأتوا بناء على رغبـة عربيـة، لكنـهم تـأثروا بـالأجواء العراقيـة نفسـها، الحاويـة على خلافات طائفية، وكان ذلك أسوأ، لأنه يحدث علـى أرض المعركـة. وإن كـان مجـرد وجـودهم المبعثـر أكبـر دليـل علـى امتـداد فشـل الـدول العربيـة، التـي عجـزت عـن حمايـة فلسـطين، فطـوت يـديها عـن العـراق، تاركة زمرة متطوعين لا يضمهم جيش واحد، يحاولون حماية العراق.

(1) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص221.

(2) http://www. alwihdah. com/view. php?cat=1&id=463, 26/2/2008

كتائب أخرى

لأجل فلسطين خرج، بخلاف " جيش الإنقاذ "، متطوعون من مصر. وكان المحرك الأساسي لخروجهم، إضراب يوم 17 سبتمبر/ أيلول 1947، الذي دعت إليه أحزاب " مصر الفتاة " و " الإخوان المسلمين " و " الحزب الوطني " [1].

وأبرق المرشد العام للإخوان، الشيخ حسن البنا، إلى مجلس الجامعة العربية، في 9 أكتوبر/تشرين الأول 1947، يقول إنه على استعداد لأن يبعث، كدفعة أولى، بعشرة آلاف مجاهد من الإخوان.

وطلب إلى حكومة النقراشي السماح لفوج من هؤلاء المجاهدين باجتياز الحدود، ولكن حكومة النقراشي رفضت الطلب.

ولما طلبوا إليها أن تسمح لهم بالقيام برحلة علمية في سيناء، وألحوا في طلبهم، اضطرت إلى الموافقة، فراحوا يتسللون إلى ربوع فلسطين، في نوفمبر/تشرين الثاني 1948[2].

ولحقت بهم دفعات أخرى، تسللت بطرق مختلفة.

مر شهران، بدأت فيهما حرب عصابات منظمة، بشرت بنجاح رائع، فعلمت الحكومة المصرية، وطلبت إلى المركز العام سحب قواته من النقب، ورفض الإخوان، فلم تجد الحكومة بدًا من قطع الإمدادات، والتموين، ومراقبة الحدود بشدة، لتضمن عدم وصول شيء منها

(1) عبد الرحمن، **مصدر سبق ذكره**، ص255.
(2) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج2، ص398.

للمجاهدين، حتى تضطرهم للعودة إلى مصر، ورأى المجاهدون أنفسهم يعيشون أيامًا طوالاً على التمر والماء، وعلى الخبز اليسير الذي يشترونه من نقود قليلة، يرسلها أهلوهم، بين حين وآخر[1].

هنا بدا الضغط البريطاني، الذي قيد الدول العربية، فعجزت عن دعم متطوعيها.

لما رأت الحكومة المصرية أن لا مناص من دخول الحرب، فسمحت لهم بالتدرب على القتال في معسكر " الهاكستب " بمصر، وزودتهم بالأسلحة، وبمئة من جنود المدفعية، وعدد من الضباط[2].

واضطر الإخوان إلى قبول ذلك، والعمل تحت قيادة الجامعة العربية، على أثر قيود الحكومة المصرية[3].

ورفضها السماح لهم بالتدرب في معسكر قطنا السوري، وإصرارها على تدريبهم في مصر[4].

تألفت قوات الإخوان من ثلاث كتائب؛ قاد إحداها البكباشي (المقدم) أحمد عبد العزيز، الذي استشهد في المعركة[5].

---

(1) كامل إسماعيل الشريف، **الإخوان المسلمون في حرب فلسطين**، القاهرة، مكتبة وهبة. ص57.

(2) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج2، ص399.

(3) الشريف، **مصدر سبق ذكره**، ص62.

(4) Gelber, op. cit., p57.

(5) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج2، ص399.

من مصر، أيضًا، أعلن حزب " مصر الفتاة " عن تأليف عدة أنواع للقتال من الوحدات، ضد الصهيونية في فلسطين[1]. فانشأت كتيبة " القمصان الخضر "، وحدات متطوعين خاصة بها. وبحلول إبريل/ نيسان 1947، دخل منطقتي غزة، والنقب، الآلاف من المتطوعين المصريين[2]. كان هناك متطوعون آخرون، مثل الإخوان المسلمين السوريين، الذين كونوا سرية، قوامها خمسة وثمانون مقاتلاً.وهناك أيضًا سرية " منكو " للمتطوعين الأردنيين وقوامها مئة وخمسون مناضلاً، حطوا على جبل الزيتون، وسموا أنفسهم نسبة إلى التاجر إبراهيم منكو، الذي تولى الإنفاق عليها من ماله الخاص[3].

لعبت جمعية " إنقاذ فلسطين " دورًا هامًا. وهي الجمعية العراقية التي كان أول أعمالها، في ديسمبر/ كانون الأول 1947، دعوة الشعب العراقي إلى التطوع، فلبى دعوتها زهاء 15 ألف شخص. وما أن أرسلت ثلاثة أفواج منهم، حتى طلبت اللجنة العسكرية منها الكف عن إرسال عدد آخر. وتم إلغاء تلك الجمعية، التي ذكر رئيسها " أن الحكومة ألفت هيئة جديدة، بدلاً منها، اسمتها (الجبهة المتحدة لإنقاذ فلسطين)، وتلك الجبهة لم تفعل شيئًا، سوى أن الأموال التي جُمعت لإنقاذ فلسطين، تم تجميدها على يدها! " [4].

(1) عبد الرحمن، **مصدر سبق ذكره**، ص255.
(2) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص224.
(3) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج1، ص326 - 327.
(4) **المصدر نفسه**، ص49 - 51.

عن قيادة جيش الإنقاذ

بداية من اجتماعات الجامعة العربيـة، رفـض مفتـي فلسطين السـابق، المفتي الحاج أمين الحسيني، دخول قوات عربية لفلسطين، لكن تم تجاهل رأيه. وكل ما طالب به من دعم مـادي وعسكري[1]، وهو الخطـأ الأكبـر للجامعـة، التـي كـان عليهـا دعـم القـوات المحليـة، بـدلاً مـن جلـب قـوات خارجية، تزيد من إرباك الموقف.

وفي محاولة أخرى، خاضـها المفتـي، لوضـع " جيش الإنقـاذ " تحت قيـادة فلسـطينية، يمثلهـا المقـاوم الفلسـطيني عبـد القـادر الحسـيني، لكـن السـوريين اقترحـوا فـوزي الـدين القـاوقجي، بـدعم مـن العـراقيين، والأردنيـين، فقُبـل الإقتـراح السـوري[2]. بينمـا عـارض المفتـي قيـادة القاوقجي للميدان، قائلاً: " إنه لا يصلح لقيادة الميدان " [3]. وأصر المفتي على تكوين قوى محلية فلسطينية، ينضم إليها متطوعون من بـاقي الـدول العربيـة، يتـولى المفتـي قيادتهـا[4]. فهـل كـان المفتـي علـى صـواب حيـال القاوقجي، الذي أعلن: " في أول نيسـان/ إبريل 1948 أخذ الجو يصـحو قليلاً، فقررت أن أخوض معركة قوية في أحد المستعمرات اليهوديـة فـي مــرج بــن عــامر؛ واختــرت مــن بــين هــذه المســتعمرات، أقواهــا (مشمارهاعميك)[5]. فكانت من أفدح الهزائم التي مُني بها " جيش الإنقـاذ

---

(1) Rogan, op. cit., P82.

(2) Tal, op. cit., p18.

(3) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج1، ص41.

(4) Gelber, op. cit., p47.

(5) د. خيريــة قاســمية، **مــذكرات فــوزي القــاوقجي1890 - 1977**، ط2، دمشــق، دار التحرير، 1995، ص362.

"، بناء على هذا القرار المتسرع!. فكان القاوقجي حلقة ضعيفة في القوات العربية، لأنه رأى: أن المعركة مع الصهاينة لن تكون قصيرة، أو سهلة، فعمل على تأجيلها[1].

في الواقع، مثّل اختيار القاوقجي صورة أخرى للخلاف العربي - العربي، حيث أراد الرئيس السوري، شكري القوتلي، من اختياره للقاوقجي، " أن يوازن ما بين سلطة المفتي، والملك عبد الله في فلسطين "[2]. وأختار القاوقجي مقر قيادته على سفح جبل حوريش، بين نابلس وجنين، حيث أقام محطة إذاعة، بثت برامج دعاية، حفلت بالمبالغات[3].

عندما لم يتوصل المفتي و " جيش الإنقاذ " إلى اتفاق، لجأ إلى حل وسط، وهو اقتصار أعمال " جيش الإنقاذ " على المناطق الشمالية (الجليل والسامر). وأما المنطقة الوسطى، فعُهد بالدفاع عنها إلى فرق " الجهاد المقدس "، التي تدين بالولاء للمفتي.

كثيرًا، أيضًا، ما كان ينتقل المتطوعون من " جيش الإنقاذ " إلى فرق " الجهاد المقدس "، لأنهم كانوا ينظرون إلى الجيش الأول كدخلاء، ومرتزقة، ورؤساء غير صالحين. وكان " جيش الإنقاذ " بدوره، يراهم جبناء، لا يصلحون للقتال[4]. فاتسمت علاقة " جيش الإنقاذ " والمقاتلين المحليين بغياب التعاون الجدي[5].

---

(1) Rogan, op. cit., p85.
(2) Gelber, op. cit., p46.

(3) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص 222.
(4) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج1، ص41.
(5) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص85.

بدا أسوأ مثال، ذلك الخلاف الذي حدث في معركة " القسطل "، حين اتصل المناضل الفلسطيني عبد القادر الحسيني، بالقاوقجي، طالبًا إمدادات من الأسلحة، ليتصدى بها للصهاينة. وعلى الرغم من توفير الجامعة العربية الأسلحة للقاوقجي، فإنه نفى للحسيني، وجود أسلحة كافية لديه. واستشهد المناضل الفلسطيني، في تلك المعركة، في إبريل/ نيسان 1948، وكان من أهم رجال المفتي فاضطربت قواته، بعد الإستشهاد[1].

ما حدث مرآه لخلافات الدول العربية، التي أرادت حسم المعركة لصالحها، فاختارت قيادة غير ملائمة، لم تنتبه لما تفقد من أرواح، ولا حتى لمعنويات المقاتلين، التي أثر عليها الإنسحاب من أرض المعركة، وترك الجرحى والشهداء، الأمر الذي قال عنه الزعيم اليوغوسلافي، تيتو: " في المعارك كنت آمر الرجال بحمل الجرحى، وعدم الإنسحاب دونهم، رغم عددهم الكبير، خصوصًا المصابين منهم بالتيفوس. كان هذا عبئًا جسيمًا، ولكنه دينًا لابد من الوفاء به نحو هؤلاء الرفاق، ليتأكد الجرحى أنهم لن يُتركوا وحدهم " [2]. وما كان أقرب تلك المعركة - التي عملت على تحرير يوغوسلافيا - الدائرة في مطلع الأربعينيات، لتتعلم منها القوات العربية، آنذاك.

ظروف مختلفة واجهها متطوعو العراق، مارس - إبريل 2003. فقد طفت الخلافات المحلية - بين الفرقاء السنة والشيعة والأكراد - على الساحة. ولم يعان المتطوعون من سوء القيادة، لأنهم لم ينتظموا في

(1) Rogan, op. cit., p86.

(2) السيد فرج، **تيتو في الميدان**، القاهرة، دار المعارف، 1968، ص300 - 301.

كتائب، أو جيش واحد، إنما وقعوا في أزمة عدم التنظيم مع الجيش العراقي، مثل ما ذكره العميد المهندس الركن سبأ عبد الله باهبري، في كتابه " حرب العراق: الحقائق والأوهام " عن حالات استبسالية قام بها بعض العراقيون المتطوعين، خاصة وهم يواجهون الموقف، وحدهم، بعد فرار القوات العراقية[1]. كما ذكر أحد المتطوعين " أن الجيش العراقي أخلى مواقعه، دون إخطار المتطوعين " [2].

فقد الكثير من المتطوعين أرواحهم، ليس بسبب إرتباك القتال، فحسب، بل بسبب الخيانة، أيضًا. وعن ذلك قال الكاتب اللبناني هشام عليوان، في كتابه " نهاية اللعبة " : " تم تجميع المتطوعين داخل ملعب الشعب، وأثناء التجميع رُصد المكان عن طريق العملاء. وقُصف الملعب بأكثر من 25 صاروخًا، عشرات المتطوعين استشهدوا، في هذه الليلة... قرر بعض المتطوعين تنظيم أنفسهم بأنفسهم، فاتجهوا إلى منطقة نفق الشرطة، وتحصنوا هناك، حتى دهمت قوات الاحتلال المنطقة، ورفض المتطوعون العرب إخلاء النفق، واستشهدوا جميعًا، بعد معركة كانت من أشرس وأشرف معارك المقاومة العربية، خلال الحرب. حدث ذلك برغم ورود معلومات مؤكدة للمتطوعين بسقوط بغداد[3].

---

(1) http://www. kkmaq. gov. sa/Detail. asp?InNewsItemID=142409, 25/2/2008.

(2) http://www. aljazeera. net/NR/exeres/18673EC8 - 1EB6 - 4844 - BFAF - 7331D5A6CD34. htm, 25/2/2008.

(3) http://www.sidonianews. net/news/Books/Hisham%20Elewan2004. htm, 25/2/2008.

إمكانات المتطوعين

لم يكن ثمة نقص في المتطوعين لأجل فلسطين، وإن لُمس النقص في الضباط والرقباء، حيث ذكر تقرير عن قيادة " جيش الإنقاذ "، يقول: " إن مستوى التدريب أدنى من المتوسط، وقدرتهم القتالية منخفضة، ويرجع هذا الأمر إلى قلة عدد الضباط، وتسليم القيادة إلى ضباط متقاعدين، أو ضباط صغار، وحتى رقباء. والنظام العسكري مهلهل "[(1)]؛ إذ لم يتجاوز عدد ضباط الإنقاذ المائة.

أما المتطوعون فكان بعضهم ذا خبرة سابقة في القتال، مثل المتطوعين الليبيين، حيث اشترك أكثرهم في الحرب العالمية الثانية مع الطليان، ثم انقلبوا عليهم، قبل أن يلتحقوا بالإنجليز[(2)]. وكان الجندي منهم يتقاضى راتبًا شهريًا، قدره أربعة جنيهات ونصف فلسطيني. هذا عدا الطعام، والكساء، والسلاح. وتولت الجامعة العربية الإنفاق عليهم[(3)].

لم يكن لدى رجال الإنقاذ خرائط، أو كشوف، أو إحصاءات، كما لم تكن لديهم وسائل قوية للاستخبارات. وما كانوا يعلمون عدد اليهود، ومستعمراتهم، وقت الهجوم، والدفاع لديهم، إلا النزر اليسير. وبدا جهل القيادة الفاضح في أساليب القتال الحديثة، وسوء الإدارة[(4)].

---

(1) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص220.
(2) عريبي، **مصدر سبق ذكره**، ص 51.
(3) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج1، ص39.
(4) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج2، ص460.

أما عن السلاح فقد عانى العرب، في فترة حرب 1948، من مشكلة النقص الخطير في السلاح. وكان المفروض أن تقدم الحكومات العربية عشرة آلاف بندقية لفلسطين، حسب قرار جامعة الدول العربية بالقاهرة، في 17ديسمبر/كانون الأول 1947[1].

كان سلاح " جيش الإنقاذ " من نوعية رديئة، مصدرها بقايا مستودعات الحرب العالمية الثانية[2]، كما كان خليطًا من أنواع مختلفة من البنادق، الإنجليزية، والفرنسية، والبلجيكية، ونسبة قليلة من مدافع الهاون المختلفة الأنواع، والعيارات، وقليل من الرشاشات المختلفة بأنواعها، مع بعض المصفحات، التي كان أغلبها من المغانم اليهودية. وكانت الأسلحة، على قلتها، غير منسقة في أنواعها، ولم تكن مصنَّفة، بحيث يُسلَّح كل فوج بأكمله بنوع واحد من السلاح[3]. فصنع ذلك مخزونًا مختلفًا وشاذًا، جعل صيانتها أمرًا مستحيلاً، غير أن الأسلحة كانت قليلة الكفاءة، بخلاف إنه كان هناك صعوبة في نقل الأسلحة للمقاتلين.

لم يكن هناك نظام لتزويد جنود الخطوط الأمامية بالذخيرة، الطعام، الماء، أو المساعدات الطبية، وتحت وطأة هذه الظروف لم يستطيعوا استكمال المعارك لأكثر من ساعات. ويذكر أحد المحاربين أنه في إحدى المعارك وصل تاكسي لرام الله، وركابه، يشترون الرصاص من على

(1) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص70.
(2) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص220.
(3) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص71.

الرصيف، ليزودوا بها المقاتلين، الذين نفذت ذخيرتهم[1].

رغم كل تلك المشكلات، كانت لدى أفراد " جيش الإنقاذ "، الشجاعة، والترابط، التي جعلت الضباط البريطانيين يعتبرونه " درجة مذهلة من الإنضباط "، ويعتبرون نظامه " أعلى شيء للآن، شوهد لدى العرب " [2]. وأكد القاوقجي ذلك، قائلاً: " كان الجيش لا يملك من القوى المادية بالنسبة لما يملكه اليهود، جزءًا مما ينبغي لجيش أن يملكه، لكنه كان يتمتع بحماسة واندفاع شديدين في القتال. وكان يقاتل، ليلاً ونهارًا. حتى أصيب كثير من الجنود بالديزنطاريا، والأمراض الصدرية " [3].

كما حاولوا ضبط مجريات الأمور فأنشأوا محكمة عسكرية خاصة ترأسها، في معظم الوقت، ضابط حقوقي متطوع. وكانت إحدى أهم القضايا التي عالجتها قضية ضابطين - عراقي وفلسطيني - أحيلا إليها بتهمة إرتكاب تجاوزات وجرائم ضد مواطنين فلسطينيين في الجليل. وأصدرت حكمًا بإعدامهما رميًا بالرصاص[4].

(1) Gelber, op. cit., p88.
(2) Ibd., P52.

(3) جبر، **مصدر سبق ذكره**، ص57.
(4) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص77 - 78.

أهم المعارك

من جديد، تدخلت بريطانيا حين واجهت القوات العربية في فلسطين، في البداية، بإعلان أنهم لن يسمحوا بأي إجراءات عسكرية، قبل انتهاء مدة انتدابهم، في يوم 1948/5/15. وأقرنوا القول بالفعل، عندما هاجمت الطائرات المصرية مطارًا يهوديًا، بالقرب من حيفا، إذ تصدت لها الطائرات الإنجليزية، وغيرها من الحوادث التي تدخلت القوات الإنجليزية فيها لصالح اليهود[1]. فكان يُستخدم المتطوعون في التوغل في المناطق العربية، ليجسوا بهم النبض: نبض الإدارة البريطانية. وكانت تأتيهم الأومر بألا يخوضوا معركة، إلا للدفاع عن النفس، ومثال على ذلك ما قامت به مجموعة متطوعين ليبيين، من حراسة مبنى حكومي (مبنى البوليس)، ولا شيء، غير هذا، خشية أن يخرج الإنجليز منه، ويسلموه للصهاينة[2]. وإن واجهوا، لأجل القيام بالدفاع، افتقار القوات للإسلحة الدفاعية، كالمدافع الخاصة، والأسلحة المضادة، والدروع، وغير ذلك مما يتطلبه أمر الدفاع[3].

لعل أهم المعارك التي خاضها " جيش الإنقاذ " كانت، على التوالي، معركة الزراعة، جنوبي بيسان، معركة النبي صموئيل، شمالي القدس، معركة مشمار هاعميك، في مرج برعام، معركة يازور، عند مدخل يافا، معركة يافا، معركة صفد، معركة يالو، عند باب الواد، معركة عكا،

(1) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص34.
(2) عريبي، **مصدر سبق ذكره**، ص99.
(3) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص35.

ومعركة الشجرة[1]. كما كانت هناك معركتا المالكية، الأولى والثانية، ونيفي يعقوب، وفيهما تمكن الجيش من تحقيق مهمته[2].

وقعت معركة الزراعة، في فبراير/ شباط 1948، بين الصهاينة وفوج اليرموك، وهو أول أعمال الفوج، حين هاجم مستعمرة الزراعة الكبيرة، التي أحاطها الصهاينة بخنادق، وسلطوا عليها الماء، حتى أصبحت مستنقعًا، يكاد يكون من المستحيل اجتيازه، إلا بالدبابات. وكان الجنود العرب يجهلون طبيعة الأرض، وقدره الأهالي على القتال، كما أنهم سيقوا إلى الميدان، قبل أن يتموا تدريبهم، وكان عتادهم قليلاً. ومع هذا، فقد صدرت الأوامر بالزحف، وما أن اقتربوا، حتى هاجمهم الصهاينة وغاصوا في الطين، ساعتها صدرت لهم الأوامر بالإنسحاب[3]. وفي معركة الجليل، أيضًا، كانت قوات " جيش الإنقاذ " تعاني من ضعف بسبب إنتشارها على جبهات واسعة، بالإضافة إلى عدم وجود احتياط عام. وكان موقف العتاد محزنًا جدًا، فلم يكن يكفي لمعركة يوم واحد، حتى ولا لبضع ساعات. وبعد قتال دام 12 ساعة، صدرت أوامر الإنسحاب[4].

لم تكن معركة الزراعة، وحدها المحققة لخسائر فادحة، بل ثمة

(1) عارف العارف، **النكبة؛ سجل الخلود؛ اسماء الشهداء الذين استشهدوا في معارك فلسطين 1947 - 1952**، ج6، بيروت، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1956، ص276.

(2) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص89.

(3) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج1، ص105 - 106.

(4) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص107 - 109.

معركة " مشمار هاعميك "، حيث كلف القاوقجي " جيش الإنقاذ " بإلقاء 450 قذيفة، في خمسة أيام على تلك المستعمرة لكنه لم ينل منها شيئًا، ففضحت المعركة " جيش الإنقاذ " [1]. ولم تستطع أن تغطي عليها برامج المبالغة والدعاية، التي كانت تبثها محطة إذاعة جيش الإنقاذ[2]. ومن أهم أسباب الهزيمة نجاح الإنجليز في إقناع القاوقجي بأن يمنح الصهاينة هدنة 24 ساعة، ثم مُدت يومًا آخر. كانت النجدات تتدفق على المستعمرة، والمناطق المحيطة، بقصد تطويق قوات الإنقاذ، وإبادتها[3].

أما الإخوان فكانوا، في الفترة الأولى من الحرب، يجهلون المستعمرات اليهودية، وطرق تحصينها، كما كانوا يعانون من نقص في الأسلحة والمعدات[4]. فكانت هزيمة معركة " كفار داروم "، التي لم يبدأ فيها الإخوان المسلمون الهجوم والقصف في الموعد المقرر، حتى وضح النهار، وأصبح في مقدور العدو أن يرى القوات، فحصدوهم بالبنادق والرشاشات[5]. وأدرك الإخوان أن أفضل السبل هي عدم المهاجمة إنما إرغام الصهاينة على الدخول في معركة خارج مستعمراتهم، في ساحة مكشوفة.

وفعلاً انقسمت الوحدات، مباشرة، بعد هذا الفشل إلى عصابات

(1) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج2، ص460.
(2) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص223.
(3) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص96.
(4) الشريف، **مصدر سبق ذكره**، ص80.
(5) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج2، ص400.

صغيرة[1].

مثلت معركة " بـاب الـواد " معركـة أخـرى هامـة، عجـز المناضـلون المحليون، وحدهم، عن استكمالها، فدعمتهم فصائل من " جيش الإنقـاذ "، في مايو/ آيار 1948. وكان من المفترض أن يبقى " جيش الإنقاذ "، إلى حين وصول الجيش العربي، لكنه انسحب قبل وصوله.

وإن تمكن الجيش العربي، بعدها، من تدارك الموقف وإلحاق خسـائر باليهود[2]. معركة المالكيـة، أيضًـا، لـم يسـتثمرها " جيش الإنقـاذ " جيدًا، فبعد قتال دام خمس ساعات انسحب الصـهاينة، ودخل جيش الإنقاذ. ولكنه توغل فـي الجليـل، وتـرك مجموعـة المسـتعمرات إلـى يسـار قواتـه. فيمـا كانت القوات السورية تقاتل، يومها، على مقربة منه. ولو تقدم الإنقاذ نحو الشرق، بدلاً من التوجـه نحـو الجنـوب لاسـتطاع تـأمين الاتصـال بـالجيش السوري[3].

أما معركة الشجرة، فكانت أدق المعارك، تنظيمًـا، وأكثرهـا تضـحية، إذ كانت خسائر جيش الإنقاذ، حين انسحب، ألفًا، بين قتيل وجريح[4]. وقد استمرت الهجمات، إلى أن سرت الهدنة الأولى[5].

---

(1) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص224.
(2) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج2، ص499 - 500.
(3) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص104 - 106.
(4) عارف العارف، **النكبة؛ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947 - 1952**، ج3، بيروت، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1956، ص637.
(5) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص524.

إن فشل المتطوعين في فلسطين لم يعن قصورًا في إمكاناتهم، بقدر ما عنى تكاتف مجتمع دولي مع العصابات الصهيونية، مثل أمريكا، التي اعترفت بقيام الدولة الإسرائيلية بعد دقيقة من إعلانها، كما وقفت بريطانيا إلى جوار الجانب الصهيوني، ليصبح الفشل بذلك نصيب العرب، الذين عجزوا عن كسب المجتمع الدولي، الذي حتى حينما تدخل بتصدير بعض الأسلحة إلى العرب، كان يُكتَشف بأنها فاسدة، مثلما " ثبت لدى فحص بعض البنادق السعودية والمصرية أن عددًا منها لا يصلح للإستعمال " [(1)]. مع الوضع في الإعتبار أن بريطانيا كانت المستعمر الأساسي لتلك البلدان، وبالتالي هي التي تضخ لهم المنتجات والأسلحة! بالإضافة لذلك، كانت المعركة الفلسطينية ساحة أخرى للخلافات العربية.

تطورت الخلافات العربية، مع الوقت، لتصل إلى صمت عربي، أسهم هذه المرة في الهزيمة العراقية، مارس - إبريل 2003، رغم أداء المتطوعين العرب المشرِّف في العراق - الذي ذكر الكاتب هشام عليوان في كتابه " نهاية اللعبة " - أمثلة عليه " في مواقع مشهودة في البصرة، والخصيب، والنجف، وكربلاء، والكوت، وفي الطريق إلى بغداد، وفي المطار، بالمعركة الأولى والثانية، ثم في نفق الشرطة ومعركة الأعظمية بعد سقوط العاصمة " [(2)]. لكن للأسف ذلك لم يمنع سقوط العاصمة العراقية تمامًا مثل فلسطين.

---

(1) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج1، ص59.

(2) http://www. sidonianews.net/news/Books/Hisham%20Elewan2004. htm, 25/2/2008.

بداية النهاية

أثناء الهدنة الأولى، تم إعفاء القاوقجي، وكلف العقيد أنور بنود - من الجيش السوري - بقيادة وحدات جيش الإنقاذ بفلسطين[1]. وأعيد تشكيل جيش الإنقاذ، أثناء الهدنة، ليصبح مكونًا من " لواء اليرموك الأول، لواء اليرموك الثاني، لواء اليرموك الثالث " [2].

في الوقت نفسه كان أحمد عبد العزيز - الذي استشهد فيما بعد - يجمع قواته المبعثرة من الإخوان المسلمين، ويحشدها في بيت لحم[3]. وبينما كان الإخوان يعملون في تموين معركة " الفالوجا "، ويدافعون عن مناطق " بيت لحم "، و " الخليل "، إذ اتخذ النقراشي قراره بحل جماعة " الإخوان " [4]، لإعتقاد الملك فاروق بأن مقاتلي الإخوان إن عادوا إلى مصر منتصرين، فسوف يعملون على قلب نظام الحكم، واستبدال الجمهورية بالملكية[5].

عندما اجتازت الجيوش العربية حدود فلسطين، في 15 مايو/ أيار1948، تقرر سحب " جيش الإنقاذ " منها، على أن يعاد تنظيمه في سوريه، ولكن بعد أن أصابه فشل في المعارك التي خاضها[6]. وفي مايو/ أيار 1948 تولى الملك عبد الله القيادة العليا للجيوش العربية،

(1) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص111.
(2) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج3، ص637.
(3) الشريف، **مصدر سبق ذكره**، ص130.
(4) **المصدر نفسه**، ص146.
(5) عارف العارف، **النكبة؛ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947 - 1952**، ج4، بيروت، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1956، ص844.
(6) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج2، ص459.

وأعلن حل " جيش اللإنقاذ "، وأحل القوات العربية النظامية محله[1].

التحقت البقية الباقية من جيش الإنقاذ بالجيش السوري، تحت اسم " لواء اليرموك "، إلى أن حُل، وانتهى بذلك " جيش الإنقاذ " [2]. الذي لم يتجاوز عدده، يومًا، ثلاثة آلاف مقاتل، ومعداته لم تتجاوز عشرة بالمائة، كما ينبغي لجيش يشغل جبهة واسعة، كجبهتة بالنسبة لعدده[3]. أما عن الإخوان فانضم بقيتهم إلى الجيش المصري، في 15 مايو/ آيار 1948[4].

بهذا كان مجيء الجيش العربي محاولة لإصلاح الموقف، بعد سحب كتائب المتطوعين، لكنه عجز عن إنجاح مهمته، بينما في كفة الحرب العراقية الأخيرة اختفى الجيش العراقي الموجود، وبقي المتطوعون، وحدهم، ففشل صمودهم، أيضًا. هكذا فالمعركتان تتماسان في فكرة وجود متطوعين على أرض معركة، اكتنفتها خلافات كثيرة، وعدم تنسيق، وعدم إستعداد كاف، كأننا لا نستفيد من تجارب التاريخ.

(1) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص227.
(2) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج3، ص638.
(3) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص382.
(4) Haim Levenberg, Military Preparations of the Arab Community in Palestine, 1945 - 1948, USA, Routledge, 1993, P178

دروس التجربة

لعل من الإيجابيات القليلة في حرب 1948، ما قـام بـه قـادة الإخـوان المسلمين، عنـد استشـهاد أحمـد عبـد العزيـز بتـاريخ 1948/8/22 قـرب عـراق المنشـية، فانتـدبوا غيـره، ثـم عـادوا فسـحبوه، لعـدم انسـجامه مـع الضباط الآخرين، وأرسلت البكباشي (المقدم) عبد الجواد طبالة[1]. وأمـام هذه المحاولـة لحسن اختيار القيادة، نجد تجربة القاوقجي، الذي كـان يـرى الكثيـر مـن هـزائم جـيش الإنقـاذ نصـرًا مبـررًا، " إنـه نجـح فـي قطـع المواصلات بين المستعمرات اليهودية في المنطقة " [2].

لعل أهم الأشياء التـي افتقدتها التنسيق علـى كافـة مستوياته، لتفـادي الخلافـات، كالتنسـيق بـين جـيش الإنقـاذ والقيـادات فـي الخـارج. فـروى القاوقجي: " في وسط القتال، كنت أطلب عتادًا، ومع ذلك لم ترسل القيادة العامـة عتـادًا، ولا أخبـارًا عـن العتـاد. فأخـذنا، كالعـادة، نعـد مـا يلـزم مـن ترتيبات، ونجمع ما يمكن جمعه بالتقتير من جبهات مختلفة " [3].

كمـــا كانـــت هنـــاك أولويـــة للتنســـيق الـــداخلي بـــين المتطـــوعين، والمقـاومين المحليـين. فـإن جـيش الإنقـاذ كـان يتعامـل مـع المحليـين بريبـــة، ويغلقـــون الطرقـــات أمـــامهم، وهـــم عائـــدون لمنـــازلهم، أو يتصدون للباعة، وقاموا بعمل حظر تجول[4].

(1) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج2، ص413.

(2) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص96.

(3) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص376.

(4) Gelber, op. cit., p53.

كان من الطبيعي أن تحدث خلافات، في ظل الوقت المشحون بالمعارك، لكن ليس بصورة كبيرة، لأنه لا يُعتقد أن رغبة تحرير فلسطين - التي جمعت المتطوعين العرب، رغم انفراط حكوماتهم - ستسول لهم ارتكاب حماقات. كما أنه لابد أن الفلسطينيين كانوا يرحبون بقدومهم، رغبة في التخلص من العدوان الصهيوني. وأبرز الأمثلة على ذلك، ما كان يحدث في الحرب العالمية، حين اعتقدت بعض الشعوب العربية، أن انتصار ألمانيا سيخلصها من الإستعمار البريطاني، فرفع البعض شعار: " إلى الأمام يا رومل ". مرحبين بقواته لعلها تساعدهم.

عانت المعركة، أيضًا، من سوء تقدير الموقف الصهيوني، ومثال على ذلك، ما ذكره أحد المسؤولين العسكريين، في جيش عربي كبير: " إننا ذاهبون في نزهة عسكرية إلى تل أبيب، لا أكثر.. فالناس في قريتي، حين يقيمون الأفراح والليالي الملاح، يطلقون الرصاص في الهواء، دليلاً على فرحهم، وعلامة على ابتهاجهم، وإن الأسلحة التي معكم تكفي جدًا لهذه المهمة الهينة اللينة " [1].

هذه المهمة الهينة في فلسطين، هي التي أدت لهزيمة " كفار داروم "، التي لم يكن الإخوان المسلمين متأكدين، خلالها، من دخول المشاة إلى المستعمرة، ولهذا لم يطلبوا من رجال المدفعية التوقف عن القصف، مما أدى إلى استشهاد أربعين مجاهدًا من الإخوان. واضطر هؤلاء إلى الإنسحاب، وفي أثناء إنسحابهم، راح الصهاينة يضربونهم من الخلف، فبلغ عدد الشهداء أربعة وسبعين، والجرحى خمسين. فأدرك أحمد عبد

(1) الشريف، **مصدر سبق ذكره**، ص79.

العزيز، بعدها، أن مهاجمة المستعمرات من غير دبابات، ضرب من الانتحار، ذلك لأن المستعمرات محصنة، تحصينًا تامًا، فاستخدام تكتيك حرب العصابات![1].

يبقى سؤال: هل كان الإعداد الجيد لمثل تلك المعارك، وحسن دراسة وتقييم الموقف، سينقذ كثيرين ممن استشهدوا؟ الواقع أن هؤلاء المتطوعين العرب أسلموا أرواحهم لأجل فلسطين، أو العراق، منذ البداية، وانتصروا لأنفسهم، في النهاية، حتى لو كان ذلك في معارك، ردد التاريخ أن العرب مُنوا فيها بالهزيمة. لتتحد معركة فلسطين بالعراق، تحت اسم " طاهر حسين عثمان "، الشاب الفلسطيني الذي ولد في أحد مخيمات لبنان، بعدما فقد وطنه في حرب 48، فعاش في الدنمارك، وقُتل وهو في طريقه للتطوع في الحرب العراقية الأخيرة.

* * *

(1) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج2، ص401 - 402.

الفصل الرابع:
حرب 1948 على الجبهة المصرية

لواء أ.ح. متقاعد/ حمدي شعرواي

خـاض الجيش المصـري الحـرب العربيـة - الإسرائيلية الأولـى، وقد تحققـت مفاجأتـه بموعـد الحـرب، فـي يـوم 1948/5/12، ليحـارب يـوم 5/15، فقـد كانـت حكومـة محمـود فهمـى النقراشـي تـرى عـدم دخـول الحرب، إنما معاونة الفلسطينيين بالسلاح، والمتطوعين. وكـان النقراشـي يـرى ألا يُدخِل الجيش فـي اختبـار لمطالبـة بـالجلاء عـن مصـر، لقـدرة الجـيش المصـري علـى الـدفاع عـن قنـاة السـويس، ودخـول حـرب ضـد الصـهاينة، قـد يكشـف عكـس ذلـك، لكـن النقراشـي أذعـن لرغبـة الملـك فاروق. وكلف الجيش دخـول الحـرب، فـدخلها علـى محـورين، السـاحلي، والداخلي (الشرقي). وكان ما كان.

منـذ ثـورة عرابـي جُنـب العسـكريون المصـريون السياسـة والأمـن القـومي، خوفًـا مـن الثـورات واحتمـاءً بالاسـتعمار، ورأى السياسـيون أن الحـرب أكبـر مـن أن تتـرك للعسـكريين، فاتخـذوا قراراتهـا، والسياسـة لا تـنجح إلا بـإرادة وطنيـة تتبناهـا، وبقـوة عسـكرية تحميهـا، وبإمكانـاتٍ اقتصادية تمولها.

- فـي مؤتمـر " بلـودان " للجامعـة العربيـة (46/6)، قـال مكـرم عبيـد باشــا " إذا قلنــا للفلسـطينيين حــاربوا بمــا معكـم نكـون مسـئولين عـن خسـائرهم، ورفـض النقراشـي باشـا فـي مـؤتمر الجامعـة بعاليـة 47/10،

دخول الجيش المصري الحرب [1]وقال بالمعاونة المادية وبالمتطوعين، ولم يتم تنفيذ شيء.

- إن أي مفكر استراتيجي أو عسكري، كان لابد سيدفع بالمتطوعين وبعناصر عسكرية، للتعرف على ما يدور في فلسطين، وطبيعة القتال، ومسرح العمليات المجاور. ولابد كان سيرفع الاستعداد، فالمثل يقول " إذا اشتعلت النار في شقة جارك، سارع وشارك في إطفائها، وجهز أدوات الإطفاء في شقتك "، وفلسطين أمن وطني لمصر، فحدودها تمنع الأطماع الصهيونية، وكان من الخطأ بقاء مصر، حتى 1948/5/13، بدون قرار.

- إذا أضفنا الخلافات في التوجهات العربية، للموقف المصري، نعجب كيف تدخل مصر الحرب (48/5/15)، مع أن الاحتمال الأكبر كان الفشل. فنابليون يقول: " أفضل أن أحارب جماعة، على أن أحارب في جماعة ". فكيف سنحارب، ونتعاون مع دول متنافرة الأهداف، متعارضة ومتنافسة المصالح - فلا شفافية، ولا يعرف أحد عن قوة الآخر شيئًا.

حجم القوات [2]: حشدت مصر 5000 مقاتل (مجموعة لواء مشاة) [3]، ومعها عناصر سودانية، و3سرايا سعودية.

- وصل تدريب القوات إلى مستوى الفصيلة، عدا كتيبة، وصل

محمد فيصل عبد المنعم، **أسرار حرب 1948**، القاهرة، دار الهنا، 1968، ص235.

(2) القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية، **العمليات الحربية بفلسطين 1948**، القاهرة، القوات المسلحة، 1963، ص 179.

(3) كمال الدين حسين، **مذكرات أسد الثورة، نصف الدنيا**، القاهرة، 2003، ص10.

تدريبها[1] لمستوى السرية " للانشغال بالأمن الداخلي ".

الاسـتكمال الإدارى والفنـى: العجــز بالوحــدات العاملـــة (60%)، والاحتياطيــة (90%)، وحملــة العربـات صــالحة للسـير علــى الطـرق فحسـب. ولعجـز المركبـات، تـم تـأجير 30 لـوري، لنقـل القـوات مـن رفح إلى غزة [2].

كانت القوات الجوية: 6 طـائرات مقاتلـة - 1 طـائرة اسـتطلاع - 5 طائرات نقل، جهزت كقاذفات.

القوات البحرية: 2 كاسحة ألغام، إحداهما في بور سعيد، والأخرى فـي العـريش، تعمـلان بالتبـادل، وقطعـة نقـل بحـري، دون تسـليح (تنقـل حمولة 250طن، أو 2 سرية مشاة)

المعلومات والاستطلاع: لا معلومـات عن العدو، أو قوتـه، تسليحه، أسلوب قتاله، ومسرح عملياته، وتحصيناته، وقدرة صمودها للقصف.

التخطيط للحرب ومهام العمليات: عبـارة عن توجيهـات عامـة، فـلا تحديد للتوقيتات، وللمهام، ولا تنسيق، وتبادل تعاون بين القوات للمناورة، والحشد، تأمين وحماية الأجناب، ولا وضوح لكيفية العمل، للوصول إلـى الهدف النهائي، فالمهة تحددت في:

" الجيش المصري " يحتشد في العريش - هدفه غزة - تقوم القـوات البحريـة بحراسـة السـواحل الفلسـطينية، بالاشـتراك مـع القـوات الجويـة،

(1) حسين، **مرجع سبق ذكره**، ص133.
(2) **المرجع نفسه**، ص3.

وتقديم المعاونة لهما [1].

بدء العمليات وتطورها (6 - 48/5/19)

في السادسة مساء 48/5/6، عبرت القوات الخفيفة الحدود إلى خان يونس، وغزة، لجمع المعلومات، لصالح الجيش المصري، وفي

5/1/11، أطلقت مدفعيتها على مستعمرة كفار دروم، المتحكمة في طريق خان يونس - غزة، وتمركزت على تبة على المنطار، شرقي غزة، لتؤمن دخول القوات المصرية الرئيسية إلى غزة [2].

- فجر 48/5/15 تقدمت القوة الرئيسية إلى غزة، حتى لا يحتلها الصهاينة، " دافعة مقدمة "، واشتبكت مع مستعمرة الدنجور، ولم تستطع اقتحامها، لشدة نيرانها غير المتوقعة، ولإرهاق القوات، فتركت سريتين لحصارها، وتقدمت باقي المقدمة، ودخلت غزة، في السابعة من صباح يوم 5/15.

- دخلت القوة الرئيسية صباح 5/16، غزة، واستلمت تبة علي المنطار من القوة الخفيفة، واشتبكت مع مستعمرات (كفار دروم - بيرى - بيرون اسحق - اللاسلكي).

- واتضح غياب المعلومات عن العدو. فراجت الشائعات عن قوته وحصونه، لنجاحه في التمسك بالمستعمرات، رغم القصف

---

(1) القوات المسلحة المصرية، **مرجع سبق ذكره**، ص139.

(2) **المرجع نفسه**، ص149.

فلـم يسـبق دراسـة تـأثير القصـف علـى التحصـينات وخصصـت قـوات للحصار.

العمليات على المحور الأيمن [1]:

تقدمت القوة الخفيفـة للإستيلاء علـى بئـر السبع، عبـر طريـق غزة إليها، للسرعة والمفاجأة تغلبت على المقاومة، في بركة العمارة، والمواقع حول بئر السبع، ودخلتها 48/5/19، وضرب طيراننا مستعمرة الدنجور، ومطـار بتاح تكفا، ومحطة كهرباء ميناء تل أبيب.

- يـوم 5/17: تقدمت القـوات مـن رفـح، وسيطرت علـى العوجـة - العسلوج، وبدلت القوات الخفيفـة فـي بئـر السبع بقوات صـغيرة لتجعلهـا تتقدم إلـى الخليل.

(1) **المرجع نفسه**، ص143.

عمليات 19 - 48/5/24 [1]

لتحقيق السرعة، تقدمت القوات المصرية تاركة عناصر صغيرة لحصار مستعمرات " الدنجور، كفار دروم "، فنشطت المستعمرات، وخصصت قوات إضافية، لإحكام حصارها، ولتأمين المواصلات. وطولبت رئاسة الجيش بقوات لهذه المهمة، لعدم انتقاص القوات المقاتلة، تحسبًا للعمليات المقبلة، وتقدمت القوات، شرقًا وشمالاً، قبل دعمها.

- هدفت القيادة السياسية الوصول إلى تل أبيب، لتحقيق نصر سياسي سريع ونهو الحرب، ولم يتصوروها حربًا ضد عدو متفوق في التدريب، بمسرح عملياته وقوته. لدرجة إرسال إشارة مفتوحة " نريد المجدل اليوم "، دون معرفة بموقف وحالة القوات، وإرهاقها، وضرب معنوياتها، والوعي بأمنها وسلامتها [2].

- تقدمت القوات فوصلت [بيت حانون - بيت لاهيا]، قبل الظهر، وفتحت عليها النيران من مستعمرة دير سنيد، فأُمرت باقتحامها: وهي مستعمرة شديدة التحصين، تسيطر على طريق غزه - تل أبيب، وهي مركز الإمداد لمستعمرات الجنوب بالرجال، والسلاح. واحتل الهجوم الأول دشمة واحدة، وفشلت المحاولات الثانية، والثالثة، لفشل فتح ثغرة في حقل الألغام، وأصر قائد القوات المصرية، على الهجوم، للمرة الرابعة، بنفس السرية، فجر 1948/5/24. وبعد تحضير جيد، ودعم

(1) **المرجع نفسه**، ص147.
(2) عبد المنعم، **مرجع سبق ذكره**، ص350.

تدريب على المهمة، سقطت المستعمرة، وتقدمت كتيبة للمجدل، فدخلتها دون قتال. ونشير هنا لخطر الاستهانة بالعدو، وعدم التحضير الجيد للمعركة، اكتفاءً بالجرأة والشجاعة.

التقدم شمالاً وشرقًا (5/24 - 1948/6/11)

1 - بوصول متطوعين ليبيين ومصريين للقوات الخفيفة، دخلت الخليل، ووصلت طلائعها بيت لحم، واتصلت بالقوات الأردنية، يوم 48/5/24، وإن بقيت خارج أسوار القدس. ولحجمها الصغير، غطته بالخداع، وظلت في حاجة للتعاون مع الجيش الأردني لعمليتها [1].

2 - بلغ حجم قواتنا، مجموعة لواء. واستمرت السيطرة الجوية، بضرب المستعمرات، وميناء تل أبيب، وجهزت طائرات كوماندوز كقاذفات (دون تسليح).

3 - وصلت قواتنا عراق سويدان، يوم 48/5/24، للسيطرة على الطريق إلى مستعمرات النقب[2]. وبقفزات صغيرة، وبالتواجد في بئر السبع، أصبح الوصول لمستعمرات النقب، عبر طرق جانبية، وعملت قواتنا على طريق العوجة - بئر السبع، غزة - عراق سويدان، وكان معرضًا لنشاط المستعمرات، رغم تحذيرات رئاسة الجيش، إنما تلبية للمطالب السياسية.

4 - لطلب الجيش الأردني تخفيف الضغط عنه، في باب الواد - النطرون، تقدمت قواتنا، على خط أسدود - كستانيا، فتعرضت لنيران من

(1) القوات المسلحة المصرية، **مرجع سبق ذكره**، ص171.
(2) **المرجع نفسه، الصفحة نفسها**.

معسكر بريطاني، وهي متقدمة، فاستعانت بقوات مدرعة، وتخطت شمال أسدود " بأربعة كيلو "، وقصفت نجبا، وبذلك طالت خطوط المواصلات، وهاجم العدو أسدود، مرتين 5/30 - 6/1، فارتد بخسائر كبيرة [1].

الموقف حتى 1948/6/1:

احتلت القوات المجدل وأسدود، ودير سنيد، وغزة، ووصلت القوات الخفيفة إلى بيت لحم، صار المحور الرئيسي (رفح - المجدل) طريق، سكة حديد، وخط تليفون، مهدد بمستعمرات " الدنجور "، أمام رفح، " كفار دروم "، أمام دير البلح، " بيرون اسحق ونير حاييم، وكفار عام "، أمام غزة، " ونيتسانيم " بين أسدود والمجدل، فطلبت قيادة القوات استكمال مرتبات الحرب للقوات[2]، دعم القوات الجوية للمساعدة والحماية، إنشاء رياسة مستقلة، لتأمين خطوط المواصلات، تعزيز وزيادة القوات المدرعة، والمدفعيات، والإشارة، كما يلي: -

1 - رفع القوة الحالية إلى فرقة مشاة كاملة، ومجموعة لواء مستقل.

2 - زيادة القوات المدرعة إلى مجموعة.

3 - تعزيز الموقف الإداري بجميع عناصره، لضمان إعاشة القوات.

4 - عدم طلب أى تقدم آخر للقوات قبل تطهير المناطق المكتبة وتعزيز أمنها.

- ولتأمين الخط المجدل - أسدود، والمجدل - بيت جبرين القدس

---

(1) **المرجع نفسه**، ص160.

(2) عبد المنعم، **مرجع سبق ذكره**، ص394.

وللاستصال بقوات الأردن تمت العمليات الآتية:

- 6/1: قصفنا نجبا، وهوجمت، صباح 6/2، ودمرت بعض الدشم، وتوقف الهجوم لاقتراب نجدة قوية للعدو أثرت نيرانها على قواتنا فانسحبت إلى المجدل. لذا يتحتم تجهيز احتياطى قوات ونيران للتعامل ضد دعم العدو

تغير اتجاه العمليات للتمسك بخط المجدل - الفالوجا - بيت جبرين - الخليل 2 - 6/3

تقدمت القوات (6/2) شرقًا (40كيلو)، للوصول إلى خط المجدل - الفالوجا، يوم 6/3، لعزل مستعمرات النقب، حتى تستسلم. وطردت العدو من دير نحاس، وترقوبية، واتصلت بالخليل [1].

وقد ظهر عجز القوات العربية عن التعاون، والتقدم إلى تل أبيب[2]، رغم تخطي الجيش المصري نيتسانيم، (11كم من تل أبيب) ووصول القوات الأردنية للد والرملة، والجيش العراقي لنفس المسافة من تل أبيب. وقد تخلف المراجع في المسافات، ولكنها تشير للقرب الشديد من تل أبيب[3]. إذًا لماذا التوقف عن استكمال مهمة الحرب؟! وإذا كان التزامًا بقرار التقسيم، فلماذا كانت الحرب، أصلاً، بدلاً من دعم الفلسطينيين ليحافظوا على أرضهم، 82% من أرض فلسطين، قبل الحرب؟!

تعارض السياسات [4]:

(1) القوات المسلحة المصرية، **مرجع سبق ذكره**، ص193.
(2) محمد حسنين هيكل، **العروش والجيوش**، القاهرة، دار الشروق، 1998، 161.
(3) القوات المسلحة المصرية، **مرجع سبق ذكره**، ص170.
(4) هيكل، **مرجع سبق ذكره**، ص220.

طلب حاكم لواء الخليل الأردني، إخلاء القوات المصرية لبيت جبرين (6/3)، والتي كانت تهدد الخليل والفالوجا. كما أصدر الجنرال " جون باجوت غلوب " قرارات لم ترضَ الجانب المصري والأهالي في القدس، واللد، أو الرملة، وغيرها[1]، وأن دخول القوات للحرب، يعطى قياداتها الحرية لتحقيق مهمة الحرب (تدمير قوة العدو العسكرية)، وأن تتحكم فيها مصالحنا فحسب وليس توجهات دول أخرى، وإلا فستضيع الأرواح هباءً.

احتلال نيتساريم[2]:

لحماية أسدود والمجدل: نجحت قواتنا، وأنزلت بالعدو خسائر (300قتيل و10 أسرى)، وفشل في استردادها في ليلة 1948/6، وأحتلت أرض الفناطيس، فاستردتها قواتنا، وفشل العدو أيضًا، في استردادها.

عمليات 48/6/11 [3]:

بسبب تفوق العدو، استرد العسلوج، لقلة قواتها، واحتل الحسير فور الهدنة، وحشد قوته جنوب كوكبا وعراق سويدان، حتى 6/14، وهاجم في اتجاهاتٍ متعددة، بينما، لنقص قواتنا، اعتمدنا على الشجاعة والنخوة، وهذا غير كافٍ في الحروب.

الهدنة الأولى (6/11 - 48/7/7):

فزع الصهاينة لأوضاع القوات ولاقتراب الجيش اللبناني من عكا،

---

(1) **المرجع نفسه**، ص347.

(2) القوات المسلحة المصرية، **مرجع سبق ذكره**، ص166.

(3) **المرجع نفسه**، ص168.

واستيلاء الجيش السوري على شرق طبريا، ومحاولته تطويقها غربًا [1].

موقف القوات المصرية:

طالت الخطوط الدفاعية والمواصلات، فصارت رقيقة، سهلة القطع، لصغر حجم القوات بالمواقع، ولم تتأثر استعادة العسلوج لإعلان الهدنة[2].

تيسر للقوات المصرية كتيبة واحدة، كاحتياطي[3]، واستنفدت خطوط المواصلات قوات كبيرة، للحراسة، وصار الإمداد البحري مهدد لعدم تجهيز الشاطئ، والإبرار الجوي، متعذر، لنقص معدات الإسقاط، وأصبحت القوات في أمس الحاجة لتطهير المستعمرات، والمواقع المكتسبة، قبل أي تقدم. وقد استغل العدو الهدنة، في تحسين أوضاعه، في مواجهة قواتنا.

(1) **المرجع نفسه**، ص170.
(2) **المرجع نفسه**، ص171.
(3) **المرجع نفسه**، ص172.

استئناف العمليات الحربية

لكثرة الخروقات الصهيونية للهدنة واحتلالها مواقع مؤثرة على قواتنا قامت قواتنا بالآتي:

1 – محاولة احتلال بيت دراس7/7 [1]، وفشلت القوة التي احتلتها، لطلبها النجدة خطأ، بدلاً من إعلان نجاحها، فقصفتها مدفعيتنا، فأرتدت ووقعت في يد العدو.

2 – استرداد كوكبا ثم الحليقات يومي (8، 48/7/9):

3 – استرداد تبة الخيش (7/9) [2] واستغلت القوات المصرية النجاح، بالاستيلاء على مستعمرة كفار دروم، المحاصرة، منذ بدء العمليات في ليلة 9 - 1948/7/10، وطهرتها، وعثر على وصف لحالة المحاصرين السيئة تدل على نجاح الحصار[3]

4 – عملية بيت عفه وعبدس ونجبا 10، 11 /7: استردت القوات المصرية بيت عفة، واستغلت النجاح، لاحتلال عبدس. ولكونها واقعة تحت النيران، عادت قواتنا إلى بيت عفة، فأمرت القيادة باحتلالها، ثانيةً، بالخطة والقوة نفسها، فلم تنجح القوة، لتحصين الموقع طبيعيًا.

5 – معركة نجبا: (المؤثرة على طريق المجدل - عراق سويدان). اقتحمتها القوات، حتى حقول الألغام، فتعرضت المشاة للنيران، وأمر بسحبها.

---

(1) **المرجع نفسه**، ص203.

(2) **المرجع نفسه**، ص 208.

(3) **المرجع نفسه**، ص239.

6 – صــد الهجــوم علــى بيــت عفــه (7/15/14)، حــاول العــدو استردادها، مستخدمًا قاذفات اللهب، لأول مرة، ونجح فـي إحداث ثغرة، أمام لهب، فسدتها قواتنا، استردادًا على التشبث بباقي الموقع.

7 – حصــار الـدنجور (7/13)، قصــفت المســتعمرة، حتــى 7/17، وسحبت قوة الهجوم استخدامها، لاستعادة العسلوج.

8 – عملية بيروت اسحق (7/15)، نجح احتلال نصـف المستعمرة لجزء مـن القـوة، وأبلـغ بتقدم عشـرين مصـفحة، ولـم يصـل دعـم لقواتنـا المنهكـة، فصــدر أمــر الانسـحاب، وهنــا بــرزت أهميــة وجــود احتيــاطي جاهز، بالقوة، والنيران، والطيران، يدفع أثناء القتـال، والتشبث بـالأرض المكتسبة.

9 – معركـة العسـلوج (7/17)، فــي اقتــراب صــامت ليلــي نــاجح، وبحماية جوية، وصلت القوة إلـى موانـع الألغـام، وتوقفت، لعدم وصـول جماعة فتحها، بينما قامت القوات الخفيفـة باقتحـام المدينـة، وثبتـت العـدو، بموقعهـا لحمايـة طريـق العوجـة - بئـر السـبع، والسـيطرة علـى الطريـق لمستعمرة رفافيم، القريبة من العسلوج، وبذلك تم تأمين طريق العوجـه - العسلوج - ببئر السبع، يوم 7/21.

10– العمليات في منطقة كراتيا– الفالوجا– حتا (من 17–7/18)، أحجـم المناضـلون عـن المشـاركة فـي اقتحـام مسـتعمرة جـالون (7/14)، فأبيدت المسـتعمرة بالمدفعيـة، ودعـم المناضـلون قريـة أبـو جـابر (مركـز عشـيرة الشـيخ أبـو جــابر)، وتسـلل العـدو، لـيلاً، ودمـر بعـض منشـآتها،

وانسحب، وانضم مائة مناضل لقوات الفالوجا، لسد الثغرات بين المواقع.

11 – الهجوم المعادي على كراتيا، كان يحميها 82 مناضل، منهم 30 مصري، وقد هاجم العدو حتا، مساءً، متجهًا إلى كراتيا، فانسحب متطوعو كراتيا، التي سقطت " بعض مقاتليها ترك موقعه لمحاصرة مدرعة معادية، والآخرون أوقفوا النيران، حتى لا يصيبوا المنسحبين من حتا "، وتحصن بكراتيا مائة صهيوني، فتم الهجوم على كراتيا، وأوقفت الألغام تقدم الدبابات والمدرعات، فتعرضت المشاة، وانسحبت، فاحتلت الدبابات التبات المشرفة على المدق الموصل للفالوجا، والموازي للطريق الذي يسيطر عليه العدو. وأوقفت النيران الساعة 1700، يوم 7/18.

مبادرة قائد: أمر القائد المحلي باحتلال التباب المسيطرة على كراتيا، حتى جنوب عراق سويدان، وغرب الفالوجا، فأمن المدق الموصل للمجدل والفالوجا، واحتله بسريتين ليلة 18 ويوم 7/19، وبذلك فتح الطريق لقواتنا، وقفل الطريق لمستعمرة العدو بالنقب، وهنا نلحظ التخطيط المسبق للعدو، لتحقيق مكسب، قبل أو فور إيقاف النيران، ليفرضه. وقد حرمت مبادرة القائد العدو من مخططه.

الهدنة الثانية (7/19 - 48/11/5):

كعادة العدو، هاجم القرى، وطرد الفلسطينيين بكثافة، فتضخمت مشكلة اللاجئين، ولم يعالج العرب ضعف قواتهم، بتسليح الفلسطينيين - فاكتسب العدو الأرض، وغيَّر الديموغرافيا، مستغلاً تفوقه، ولو جزئيًا[1] - وكعادته، طلب إيقاف القتال، عند شعوره باحتمال إرهاق قواته، أو

(1) **المرجع نفسه**، ص270.

فقدانها للتفوق، أو احتمال الخسائر، فقراره، وتصرفه مبكر.

يوم 48/7/19 - لغَّم العدو سكة حديد رفح، وفجَّر قطارًا، وفي 7/22 احتل العسلوج، وفي 7/23 حاول فتح الطريق إلى مستعمرات الجنوب بالقوة، ففشل، وقصف مواقعنا بالمدفعية والهاونات.

صدرت الأوامر للقوات الخفيفة بفتح طريق شرق العسلوج، لربط رفح بالعريش، وبئر السبع، في 7/25، ومن 7/27 حتى 48/7/30، استمرت مهاجمة العدو لبيت عفه - الفالوجا - عراق المنشية - كراتيا، واستولى على المحجر، شمال أسدود، ورفض إخلائه من منطلق تفوقه. وقد سُمِحَ بتموين مستعمراته الجنوبية.

ويوم 48/9/20 أُعلنت حكومة عموم فلسطين (في غزة) فزادت الخلافات مع الأردن والعراق (8/13) [1].

العمليات (6 – 10/15) تحت التفوق المعادي والتحصين لمواقعه، قرب خطوطنا - واستمرار قصفه لعراق المنشية، والفالوجا، وطلعاته للاستطلاع الجوي - بدأنا تنظيم دفاعاتنا، وتحصينها، بانضمام كتائب احتياطي، جيش مرابط، عناصر سعودية، وسودانية، وبعض المتطوعين، والمجاهدين. " إن ضم وحدات من الجيش الاحتياطي والمرابط، أو القوات السودانية، أو السعودية، أو المتطوعين " لابد أن يسبقه، تدريب وتلقين، بطبيعة القتال بالجبهة وبالعدو، وبالمهارات الميدانية اللازمة، وبالتدريب

(1) عبد المنعم، **مرجع سبق ذكره**، ص534.

الليلي، وبالإخفاء، والتمويه، وبالخداع، وبالتجهيز الهندسي.

العمليـات (**15 – 10/22**) إحساسًـا بـالتفوق، واسـتيعابًا لأسـلوبنا القتالي، وخصائص تسليحنا، وفهم تخطيطنا، مارس العدو خرق الهدنـة، وفتح الثغرات، في خطنـا العـازل لمستعمراته الجنوبيـة، وقطـع خطـوط مواصلاتنا، وعزل قواتنـا عن بعضـها البعض، وتثبيتها بضـرب عـراق المنشية، والفالوجا، واحتلال الحليقات (10/20)، وقطـع طريق رفـح - غزة، رفح - العوجة، والاستيلاء على بئر السبع (10/19) حتى صـدر أمر إيقاف النار (10/22).

القوات المصرية تدفع الثمن وحدها

1 - لدخولها حرب، وهي غير جاهزة

2 - دخولها ضمن مجموعة جيوش غير متعاونة (لأسبابها الخاصة)

3 - الدخول في حرب قيادة سياسية، وهدف سياسي، وليس عسكري (تدمير قوة العدو العسكرية)

ولم تنتهز الحكومة المصرية الهدنـة، باستكمال نـواقص، واحتياجات الحرب، ولم تشكل قوات احتياطية، خفيفة الحركة، قوية النيران، مُدَرَّبَـةً، لحسم مواقف القتال، فحوصـرت الفالوجـا، لانسحاب قـوات بيـت جبـرين، صغيرة الحجم، التي لم يعاونها أحد.

القوات المصرية تتحمل الهجوم الصهيوني وحدها:

لانسحاب القوات العربية إلى حدودها، أو توقفهـا عن القتـال، ولعدم دعم الدولة المصرية قوات الجبهة المتسعة، طويلة خطوط المواصلات،

بقوات تؤمِّنها بحصار المستعمرات، ولعدم استخدام الطاقة الفلسطينية المجروحة المعطَّلة، بالتواصل مع قيادتها المحلية بأجهزة الأمن، للسيطرة، والتوجيه، وفرز الأنسب لذلك.

1 - قررت القوات المصرية تقصير خطوط المواصلات، والدفاع عن خط غزة - بئر السبع. وبسقوط بئر السبع، عدلته ليكون غزة - العوجة، فأخلت (27، 10/28) نيتسانيم، وأسدود، وفي (3، 11/4) أخلت المجدل، لتعزيز غزة، فأحتلها العدو.

2 - للتردد في سحب قوات الفالوجا، تمسكت تلك القوات بمواقعها، حتى لا يحدث انهيار، وقبلت القتال في حصار، متعرضة للقصف الجوي، والحرب البرية والنفسية، ونقص المؤن، والذخائر، والعتاد، في مواجهة عدو متفوق، له حرية الحركة، وتفوق النيران. فأنشأت قوات الفالوجا جهازًا لمقاومة الدعاية، والحرب النفسية، والصمود المعنوي [1].

3 - أعيد تنظيم قوات غزة - رفح - العوجة، وتشكيل احتياطي لكلٍ منها.

- طلبت مصر من الأردن والعراق وسوريا المعاونة في فك حصار الفالوجا، وأبدى الأردن الاستعداد، وكانت الخطة " دمشق " بدفع فوجين من سوريا، وفوجين آخرين من العراق، وفوجٌ من الأردن، لفتح الطريق إلى الفالوجا، إلا أن جلوب باشا القائد البريطاني[2]، رفض الخطة، تخوفًا

(1) **المرجع نفسه**، ص541.
(2) **المرجع نفسه، الصفحة نفسها**.

من ضرب الطيران الصهيوني لعمان، واقترح بدلها، دخول قوة، ومعها 300 رطل مفرقعات، تدمر أسلحة الفالوجا، ثم تنسحب قوات الفالوجا، ليلاً، عبر مدق مهجور، يعلمه هو والرائد (كوكت) الإنجليزي في الجيش الأردني. وتم دفع الرائد ورقيب أول إنجليزي عبر المدق إلى الفالوجا لمقابلة العميد (سيد طه)، قائد الفالوجا، الذي اشتم رائحة التوريط، للغدر في هذه الخطة، وأيده قائد القوات، فطرد الرائد الإنجليزي[1]، وقد صدق حدسه، إذ تم أسر ضابط مصري، دخل من هذا المدق، وأبلغ بعد ذلك بأن ضباط المعتقل الإسرائيلي كانوا يتكلمون أمامه عن هذه الخطة، وفي لجنة الهدنة في " رودس "، سأل الجانب الإسرائيلي المصريين، لماذا لم ينفذوا الخطة. واتضح أن الجنرال " جلوب " باشا سلَّم الخطة للصهاينة والمصـــــــــــــــــريي. وفـــــــــــــــي 48/11/19، دفع المفرقعات وبتحليل خطة غلوب اتضح أنها ستؤدي إلى كشف نية الانسحاب، بتدمير وتفجير الأسلحة والذخائر، كما سيؤثر انسحاب القوات بدون أسلحتها الثقيلة عليها، معنويًا، بدون أسلحتها الثقيلة، وأن انسحاب 4000 جندي، بعد كشف نية انسحابهم، خطر يعرضهم للأسر، والإبادة، والحل الأمثل هو تنفيذ الخطة " دمشق "، باقتحام الفالوجا، وفك الحصار، حتى تنسحب القوة بسلاحها، في حماية القوات الجوية، مع هجمات تثبيتية على العدو. وفي النهاية بقيت مشكلة الفالوجا، دون حل، وصمد الرجال، 125يومًا، استردوا خلالها عراق المنشية من العدو، بهجمة مضادة كلفته 500 قتيل صهيوني، فلم يكرروا

(1) القوات المسلحة المصرية، **مرجع سبق ذكره**، ص335.

هجومًـا أرضـيًا، بعدها، علـى الفالوجـا، أبـدًا (ويـذكر أن قائـد قـوة الهجـوم المضـاد كان " البكباشي جمال عبد الناصـر " زعيم مصـر الراحـل) [1] - والذي لم يأخذ حقه من التكريم لبطولاته هو والرجال المحاصرين، الـذين رغـم ضـغط الحصـار والجـوع، لـم يعتـد أحـدهم علـى مـدني، أو مخـزن طعام، بل ظهرت فيهم روح الإيثار، بالتنازل عن الطعام خفية للمرضـى، وأن يتـرك المصـاب المستشفى، ليحـل مكـان الأكثـر إصـابة، والكـل كـان يعـاني ربـع مرتـب الطعـام، وقسوة البـرد، وأمـراض سـوء التغذيـة، وقلـة النوم، ونـدرة وسـائل النظافة الشخصية. وهنا يذكر همـة وبطولـة المـدنيين الفلسطينيين، وشجاعتهم في الدفاع عن الثغرات بـين المواقـع، وأخيـرًا لا ينسـى بطولـة رقيـب، ظـل يطلـق النـار، لصـد الهجـوم، حتـى الصـباح، ليكتشف أنه قد فقد الإبصار[2].

لقد غُيبت بطولات كثيرة من الإجرام أن تهمل: وتعرضـت الفالوجـا، ومطـار العريش، ومخيمات اللاجئين في كل أرجاء قطـاع غزه للقصـف، وقصـفت الفالوجـا (11/17)، و 19 غـارة، و300 قنبلـة حارقـة، و180 قنبلـة. وليلـة 11/9 قصـفها الطيـران بــ (1000) قنبلـة[3] ودافـع جنـود مصريون وشرطة فلسطينيون عن بئر السبع، ببسالة، متحصـنين بمركـز الشرطة، حتى دُمر عليهم، ونسف خزان المياه فوقهم [4].

القوات المسلحة تحـافظ علـى كرامتهـا فـي أسوأ الظـروف: إذا كانـت

(1) **المرجع نفسه**، ص301.
(2) عبد المنعم، **مرجع سبق ذكره**، ص539.
(3) **المرجع نفسه**، ص553.
(4) القوات المسلحة المصرية، **مرجع سبق ذكره**، ص288.

الدولة لم تلبِ احتياجات القوات، ولم تعلن التعبئة، قبلها أو بعدها، في (مَعَلَمه أو جَهْل - أو استعلاء، أو فهلوة، أو بقصد) فقد عاندت القوات، وأصرت على الصمود في الفالوجا، وباقي المواقع، وبفدائية من القوات الجوية، التي دمرت القوات الصهيونية، عند اختراقها الحدود المصرية، نهاية الحرب، وبالقوات البحرية الضعيفة، التي ضربت ميناء تل أبيب، وقيصرية، وخاضت المعارك أمام المجدل وغزة، وأذاقت العدو الفزع والخسائر، كما أذاقه طيراننا في تل أبيب، ومستعمراته، وجميع مطاراته.

بلغ السيل الزبي: واجتمع رؤساء أركان الجيوش في القاهرة (48/11/10) وقالوا كلمتهم للسياسيين:

1 - تدارك ما تحتاجه الجيوش (أسلحة - ذخائر - طائرات - دبابات - قطع بحرية)، وخلافه، حتى لو أعلنا التعبئة العامة، لتلبية الاحتياجات.

2 - ترك حرية العمل العسكري للعسكريين، وجعل العمل العسكري فوق كل اعتبار.

3 - على السياسيين عدم اتخاذ قرار يستدعي استخدام القوات المسلحة، قبل وضعهم في الصورة، بحالة القوات، كما نتقد رؤساء الأركان كل الحكومات العربية، لعدم استغلالها الهدنة، لتلبية احتياجات الجيوش[1].

وقد تم تعيين اللواء أ. ح أحمد فؤاد صادق، قائدًا عامًا للقوات

(1) عبد المنعم، **مرجع سبق ذكره**، ص573 - 575.

المصرية، وتغيرت بعض القيادات وضباط الأركان.

- نظرة العسكريين للسياسيين:

يجلسون في العاصمة، يحتسون الشاي، ويقَيِّمون خطط قادة، عملوا بأعصابهم، وجنود وضباط قاتلوا بأجسادهم، ولم يفهموا القضية، وخطر الصهيونية، أو المشاكل السياسية، والعسكرية، والتاريخية، فقد دخلت كل دولة الحرب، لأسباب داخلية، وخارجية، وبضغط حماسيٍ من الشعب[1]. وهو نفس ما قاله مفتي فلسطين.

- كانت القيادة العليا غير مؤهلة، عسكريًا. فوزير الحربية المصري (الفريق محمد حسين باشا) أدى معظم خدمته في مصلحة السجون، وكانت معظم القيادات الكبرى أمنية، لا تمتلك سوى القليل من العلوم العسكرية، والخبرة القتالية، في حين كانت القيادات الميدانية مؤهلة، واكتسبت بسرعة الخبرة، لولا التدخل السياسي، وعجز الإمكانات.

كان اللواء المواوي يدير العمليات، بعلم وحرص المدرس بكلية أركان الحرب، وتولى اللواء فؤاد صادق، في ظروف صعبة، فأدار العمليات بإثارة الحماس، والنخوة، أكثر من دقة التخطيط والتنفيذ، فقد تلاحقت عليه الأحداث، [2]وقد نجحت " النخوة " في طرد إختراق العدو للحدود المصرية.

الموقف (11/10 - 48/12/5:

حمايةً للقوات، والمعدات، وبإصرارٍ، أخلت القوات المصرية

(1) هيكل، **مرجع سبق ذكره**، ص441.

(2) هيكل، **المرجع نفسه**، ص104.

الخط الأمامي، عبر المدقات المكتشفة بالساحل، مستخدمةً ألواح الصاج، والسلك الشبكي. وتمركزت في غزة - رفح (37كم)، وفي الحدود من رفح إلى العوجة (65كم)، والعوجة - العسلوج (40كم)، ومنطقة الخليل - بيت لحم (50كم)، علاوةً على بيت جبرين - عراق المنشية، واعتبرت الخليل - بيت لحم قاعدةً لإمداد الفالوجا، أو لانسحاب قوات الفالوجا عبرها [1].

تعقد الموقف:

1- التصرف بأوامر سياسية من القاهرة، وليس طبقًا للموقف الميداني.

2- عدم توفر المعلومات عن العدو.

3- طول خط المواصلات، وعجز الحملة.

4- خطورة إشاعات الانسحاب، لأثرها المعنوي السلبي، على الأداء وكفاءته.

5- عمل العدو من خطوط مواصلات قصيرة مستندًا على مستعمرات قوية.

تطور العمليات 5 - 48/12/10:

معركة الشيخ نوران " المسيطرة على خطوط مواصلات مستعمرات " [الرابية - الدنجور - المشنة] وطريق غزة - رفح (أمام خان يونس) - استُخدمت القوات العائدة من العسلوج، الخامسة والنصف مساء يوم

(1) القوات المسلحة المصرية، **مرجع سبق ذكره**، ص348.

10/6، لتهاجم المستعمرة، بعد ساعة واحدة، وتظل تقاتل حتى الرابعة مساء 12/7، وقد أدار العدو نيرانه، بدقة، من طائرة ملاحظة، بينما فقدنا السيطرة على طرفي الهجوم، لعدم ربط اللاسلكي، لم تحقق الدبابات، اللوكست المفاجأة، رغم استخدامها، لأول مرة، لأنها شاركت بعرض عسكري في القاهرة، وأتت محَّملةً بالقطار، فرصدها العدو.

الموقف من 11 - 48/12/22:

استمر العدو في قصف قواتنا، واحتلال مواقع مراقبة أمام رفح - دير البلح - العوجة، والمواقع المتروكة في الشيخ نوران - تل الحمة، وتل الفارغة - خربة أبو ستة، كما نشط في الفالوجا، والخليل، وهاجم خان يونس، وتعثر وارتد. وقد أبلغت سوريا بمعلومات عن حشود في [جولس بيت جبرين - الودايمة - بئر السبع]، وينتظر مهاجمتها قطاع غزة، لقطعة من 22 - 12/25 وكانت أول معلومات متبادلة بين القوات العربية، وكانت صحيحة. وقد تم الهجوم، في التوقيت المنتظر، بالتسلل إلى التبة 86، (بخط دفاعات دير البلح)، البعيدة عن طريق رفح (2كم)، وقصفت معسكرات اللاجئين في البريج، ودير البلح بالبحرية، لبَث الذعر، و إحداث إرباك - وكانت القوة كبيرة (ثلاث كتائب)، كما وضح مما وقع جثة قتيل، حوصرت الثغرة، وبدأ الهجوم المضاد، فورًا، السادسة صباحًا، وحاصرته الدبابات، وتم اقتحام العدو بالدبابات، وقاذفات اللهب، رغم المطر، وخسر 500 قتيل، وسميت المعركة " مجزرة اليهود "، ولم يفلح تدخله على اللاسلكي، بإشارة للانسحاب، حيث اكتشفتها القوات " بالتحقيق "، خلال المعركة، فورًا.

1 - وضح التعاون الوثيق، والتدريب العالي للعدو، بين قواته البرية، والبحرية، والجوية، رغم فشله، وفداحة خسائره. وأثرت الأحوال الجوية على حجم طيرانه المهاجم.

2 - برزت قيمة التدريب الليلي، وسرعة الهجوم المضاد باحتياطي جاهز، حتى لا يُعطي للعدو فرصة التمسك بالأرض.

3 - برزت قيمة الحصول على المعلومات، عن العدو والأرض، لتجنب الأرض غير الصالحة وللاستعداد.

4 - وضحت أهمية المهارة في استخدام أمن اللاسلكي، واتخاذ بدائل له، لخطورة تعرض حامليه.

5 - الحاجة لدفع عربات إسعاف مدرعة، ونصف جنزير، لإخلاء الجرحى.

6 - التجهيز الهندسي هام، واستخدام الأرض حيوي، لتأمين الفرد، والمعدَّة، والسلاح، خاصة عند القصف النيراني، بالمدفعية والطيران، وفي حالة غياب طيراننا.

7 - وضحت المرونة، والاختراق الأمني، في وجود خرائط عن الجبهة الشمالية، والوسطى، في جيوب الأسرى والقتلى، وأن وجودهم في الجبهة الجنوبية، تعني مرونة وسرعة المناورة بالقوات لدى العدو، من اتجاه إلى اتجاهٍ آخر.

كلمة حق:

أبلغ رئيس أركان حرب الجيش العراقي قادة الجيوش العربية، بأن العدو أخذ حريته في العمل أمام الجبهة المصرية، لرفض مصر إيقاف النيران (48/11/16)، ولم يتحرك أحد للتخفيف عنا، وكانت هناك الفرصة سانحة، بعد الخسارة الفادحة للصهاينة، في التبة 86، وتورطهم بالكامل في الجبهة المصرية، وسوء معنوياتهم، وضعف قواتهم في الجبهات الأخرى، للهجوم المفاجئ على العدو، وإرباكه، وانتزاع المبادأة منه، وإلحاق الهزيمة به، لو خلصت النوايا، وتوحد الهدف[1].

عمليات العسلوج (25 - 12/26):

قامت قواتنا الجوية بضرب قواعد العدو، في العمق، بكثافة، لتعطيل استخدامه قواته الجوية ضدنا، وفرضنا السيطرة التكتيكية عليه، وضربت كل مطاراته، تقريبًا، ولكن ظهر قصورنا في المقاتلات الليلية، ووسائل الإنذار الجوي، ونظام حماية المطارات، والاعتماد على مطار العريش الوحيد في سيناء.

قَصفَنا العدو جوًا، وهاجم العسلوج وفصل العوجة/ بني غازي، بني غازي/ العسلوج، وتباب الشريف، وطريق رفح - العوجة (3كم)، غربًا، وبعد ثبات قواتنا في رفح وغزة، وعدم الاستعانة بهما في معركة التبة 86. أخبرت القوات الجوية بحشود في مستعمرة رفافيم، فأمرت القيادة، القوات بالالتزام بالهدنة، في سذاجةٍ ملحوظةٍ، فقد خرق العدو الهدنة، مساء

(1) **المرجع نفسه**، ص376.

12/25، واحتل موقعين على محور العوجة - العسلوج فتم طرده، فعاود هجومه، صباح 12/26، واستولى على الموقع، بعد استشهاد قائده و 16من جنوده، فأمرت القوة بالانسحاب على محورين، سيرًا على الأقدام، مع تجنب الصدام بالعدو، كما أمرت قوة بني غازي، بالانسحاب، ولم يتخذ أي إجراء لدعم العوجة، بعد موقف العسلوج. فتم قصفها جوًا، وسقطت (12/27) وطارد العدو القوة حتى الحسنة، وأسر بعضها، أما المحور الجنوبي للإنسحاب من العسلوج، فوصل القسيمة 12/28، مستخدمًا جمالاً مؤجرة من العربان، وقد لوحظ القلق وعدم الثبات لشيوع فكرة الانسحاب.

العمليات ضد العريش (27 - 12/31)

قطع العدو طريق رفح - العريش، عند بلدة بئر العبد، (في 48موقع) بمتسللين من البحر، وحاول قطع طريق رفح - غزة، مع إستمرار مهاجمة قوات الفالوجا، لتثبيتها، فطلبت المعاونة الجوية، فالجرحى عددهم 200فرد.

عمليات 12/28:

هاجم طيراننا العدو بالعوجة، والعسلوج، والفالوجا، وأبلغ بحشود كبيرة حول العسلوج - ودارت معارك جوية، وظن العدو أن الانسحاب أدى إلى الانهيار، فقسم جهوده لأكثر من اتجاه، وكلفت قوات بيت لحم، بإدخال ذخيرة للفالوجا، ولو بتضحيات.

عمليات 1948/12/29:

قصف العدو الفالوجا، انتقامًا لخسائرة الليلة السابقة، في استرداد بيت جبرين، بينما تقدم من العوجـة، واقتـرب إلـى 10كم مـن مطـار العريش، الذي أخلته القوات الجوية، وهدد العدو مطـار الحمـة، واكتشـف الطيـران أن قوتـه (حـوالي 60 مصـفحة، 20دبابـة) تقتـرب مـن بئـر لحفـن، فكثـف الطيـران ضـربه، فانتشـر العـدو فـي الصـحراء، لتغـرز عرباتـه، وقامـت الطلعات الجوية من القاهرة والقنـاة بجهد خـارق، وسيطرت علـى أرض العمليات، في لحفن، وخطوط المواصلات لغزة، وكثَّفت القوات فـي بئـر لحفـن، دون سـحب أى قـوات مـن غـزة وردت دفاعـات مطـار الحمـة دوريات العدو.

عمليات 49/12/30:

ركـز طيراننـا علـى القـوات المقتربـة مـن بئـر الحفـن (100مصـفحة ودبابة)، حتي أبو عجيلة، وأسقط للعدو طائرة، وأصاب أخـرى، وهبطـت لنا طائرتان اضطراريًا، ولعنف ضـربات طيراننـا، بـدأ العدو الانسـحاب، دون أن تطارده قواتنا، لعدم تيسر قوات للمطاردة.

عمليات 48/12/31:

اقتربت قواتنا 8 كم من أبو عجيلة، بعد تطهير الطريق، مع استمرار العدو بضرب الفالوجا.

عمليات 1 - 1949/1/11:

انسـحب العـدو مـن العوجـة، لفشـل هجومـه فـي تطويقنـا، وأسـقطنا لـه 3 طـائرات، وهـاجم طيراننـا مطـارات العـدو فـي العمـق، والعـدو علـى طريـق رفـح - العوجـة، وهاجمـت بحريتنـا تـل أبيـب الميـنـاء،

وأصابت سفينتين.

عمليات 1949/1/2:

ضرب العدو مخيمات اللاجئين بغزة ورفض طلب الأردن (سرية للتأمين من رأس النقب).

عمليات 3 - 1949/1/5:

ركز العدو قصفه على الفالوجا، وقصف بحرًا وجوًا مخيمات اللاجئين في غزة، لإشاعة الذعر والإرباك، وهاجم مساء يوم 1949/1/3 طريق العوجة - رفح، واحتل تبَّة الأسرى برفح، مستندًا على مستعمرة الدنجور، فاحتلت قواتنا مواقع أمامها، وأوقفته، وثبّتت هجومه.

ليلة 1949/1/4:

لفشل العدو في تبَّة الأسرى، اتجه إلى تبَّه لطفي، واقترب من أطرافها، ودارت معركة عنيفة، فحدثت به خسائر، اضطرته للانسحاب، ليقظة وكفاءة المدفعية.

ليلة 49/1/4:

احتل العدو موقع عوجه (5)، ليسيطر على طريق العريش - غزة، العوجة - رفح، فتم هجوم مضاد عليه، وانسحب، وعاود هجومه، ففشل، وعاد مرة تالية، لينسحب بعد خسائر كبيرة.

عمليات 49/1/5:

احتلت قوة للعدو موقع قرب التل، 7 صباحًا، ليسيطر على طريق العريش - رفح، واستولت على عربتي ذخيرة، فتم هجوم مضاد عليها، وطردت، واستعيد اللوريين في الرابعة عصرًا، وقام طيراننا بضرب

العدو حول رفح، وتقاطعاتها، وعلى مطارات العمق، وأبلغ بخلو الحسنة، مع إتلاف الطريق.

فشل تطويق رفح (6 - 1949/1/7):

حاول العدو تطويق رفح، فتم سد الثغرات، حول دفاعاتها، وصده وإحداث خسائر جسيمة به.

مساء 1/7:

تسلل العدو واحتل سلسلة التبات جنوب رفح بـ2كم وقصف بالمدفعية تمهيدًا للهجوم تم طلب ايقاف النيران الثانية ظهرًا، لكنه خرق الهدنة بعد ساعة واحدة. واحتل مواقع حاكمة على طريق العريش - رفح، داخل حدود مصر. وضرب دير البلح، ومخيمات اللاجئين، ولغَّم طريق رفح، ومحطة السكة الحديد، وقطار، واعتدى على بلدة جبر عمير، طريق رفح - العريش، وأسقط طائرةً بريطانية كانت تقوم بالاستطلاع.

الموقف 49/1/8:

أنذر قائد القوات المصرية كبير مراقبي الهدنة، لسحب العدو المتسلل، وإلا سيطردهم بالقوة، وطلب الرد، قبل يوم 1/9، وأعاد مخاطبة نائب الوسيط الدولي، يوم 1/10، الذي أبلغه بأن اليهود وعدوا بالانسحاب، فطلب منه إمداد قوات الفالوجا.

الموقف في 49/1/11:

أبلغ قائد القوات المصرية بانسحاب المتسللين. وكان هذا آخر هجوم للعدو، وبدأ إعادة تنظيم قواته. لقد كان لإفشال هجمات العدو المتتالية تأثير معنوي جيد على قواتنا، إذ أثبتت جدارتها بالنجاح، والقتال المرهق،

المتلاحق، لقلة قواتنا، فحين توفر لها العمل من خطوط قصيرة، وهجمات سريعة، وبتحضير جيد للمعركة وللعزيمة القتالية العالية للقوات، كان النجاح.

- ظهرت خطورة تواجد اللاجئين المقهورين المحتاجين، خلف وبين القوات، لسهولة حدوث الذعر بينهم، لأنهم غير مجهزين هندسيًا، غير معبئين معنويًا، وغير مسلحين، بل متفرجين كأكياس تدريب الملاكم، يشعرون بالغصَّة، لعدم إشراكهم في الدفاع عن بلدهم، وهم الذين حموا بلادهم ثلاثين سنة ضد الإنجليز واليهود. لقد كان عدم التواصل معهم، والاهتمام بهم، وباحتياجاتهم، فيما توعيتهم وتكليفهم بالدفاع عن أرضهم - كما حدث في الفالوجا - بمعاملتهم، وإشعارهم بدورهم ككتلة وطنية، فاعلة، ومؤثرة، وليست ضائعة، تنتظر وكالة غوث اللاجئين. فمثلهم يرضى بالقليل ويسهل استثارة حميته، للغصَّة في حلقه، والطعنة النازفة في جنبه، من الصديق، والعدو، سواءً بسواء.

الهدنة الأخيرة

في رودس عقدت الاجتماعات المتوالية بين دول الطوق وإسرائيل من 49/1/13، ووقعت الهدنة مع مصر في 49/2/24، واخترقت في 49/3/9، وفك حصار الفالوجا، يوم 1949/2/26.

أسباب النكبة

- لم تدخل الجيوش العربية الحرب بهدف واحد.

- ركبت الزعامات العربية عنتريه جاهلة[1]ولم تتفهم الدول العربية الخطر الصهيوني على كلٍ منها، واعتبرت تدخلها بدافع لأخوَّة والشهامة وليسبدوافع تتعلق بالأمن الوطني، أو القومي[2].

- لم تكن الجيوش مستعدة للحرب. فالجيش المصري لم يجرِ مناورةً واحدةً منذ سنة 1931، وانحصر عمله في حراسة المحمل، واحتفالات المولد النبوي، وفض المظاهرات، ومكافحة الفيضان، والكوليرا والملاريا، والجراد[3].

- " قاد الأعمى البصير " فقادت العواصم الميدان، ووجه من لا يعلم الخبراء.

- جنبنا الفلسطينيين الذين صمدوا وحافظوا على (80 - 82%) من

(1) هيكل، **مرجع سبق ذكره**، ص441.
(2) **المرجع نفسه**، ص244.
(3) عبد المنعم، **مرجع سبق ذكره**، ص688.

أرضهم، حتى أعلن مندوب أمريكا في الأمم المتحدة عن التراجع عن قرار التقسيم، لقد حرمناهم من المعونة بالسلاح، بل جردناهم من تسليحهم البسيط، وتركناهم عزل تحت رحمة الصهاينة، وعدنا إلى بلادنا بعد النكبة.

- لم نُدر الصراع كما يجب، فقبلنا الهدنة والصهاينة على وشك الانهيار، دون أي مكسب لنا.

- لم نهدد العدو، بإنذاره ليلتزم. فخرق الهدنة، بخرقٍ للهدنة، والاعتداء على اللاجئين بالاعتداء على المدنيين، وضرورة توثيق [1] جرائم تسميم الآبار - وتجويع وقتل الأسرى، وحرقهم[2].

الخاتمة:

للنصر في الحرب يجب ألا نبدأ الحرب إلا بتوفير متطلباتها، ولا نديرها إلا بالالتزام بقواعدها. ولا ننهي الحرب إلا ونحن قادرين على الاستمرار فيها، فنرهب عدونا حتى يخشى معاودة قتالنا.

تخويف العدو الذي لم يحدث فتم الإستيلاء على أم الرشراش[3] المصرية، لانتهاء الحرب، دون أن تخشى إسرائيل بأسنا، وقعت إتفاقية الهدنة، يوم 1949/2/24، وخرقتها 1949/3/9 (بعد 15يومًا) فقال موسى ديان " إنها أهم الخروقات المدروسة، لوقف إطلاق النار " ! فقد استولت إسرائيل على أم الرشراش المصرية، وأقامت ميناء إيلات، لتفتح

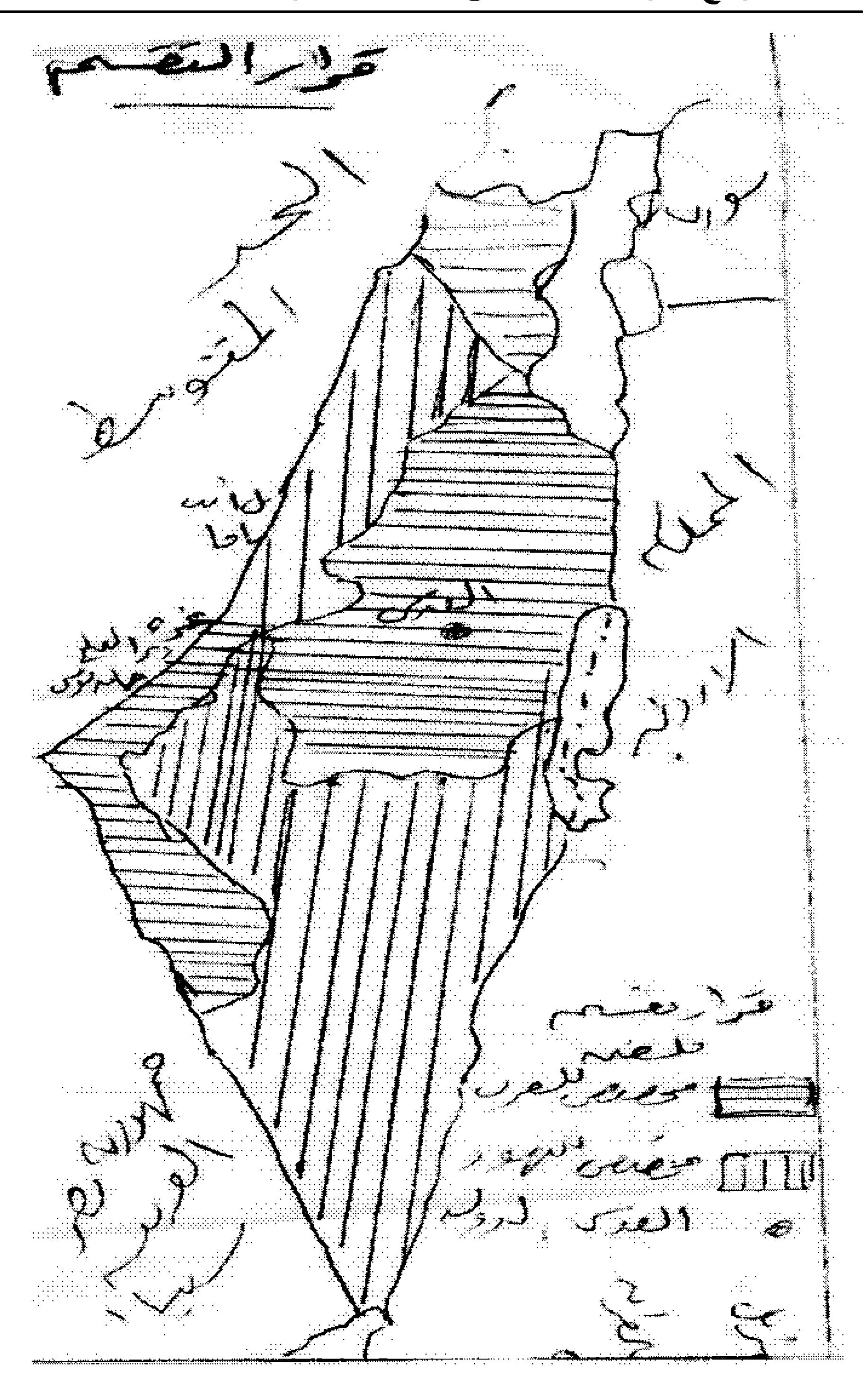
(1) هيكل، **مرجع سبق ذكره**، ص207.

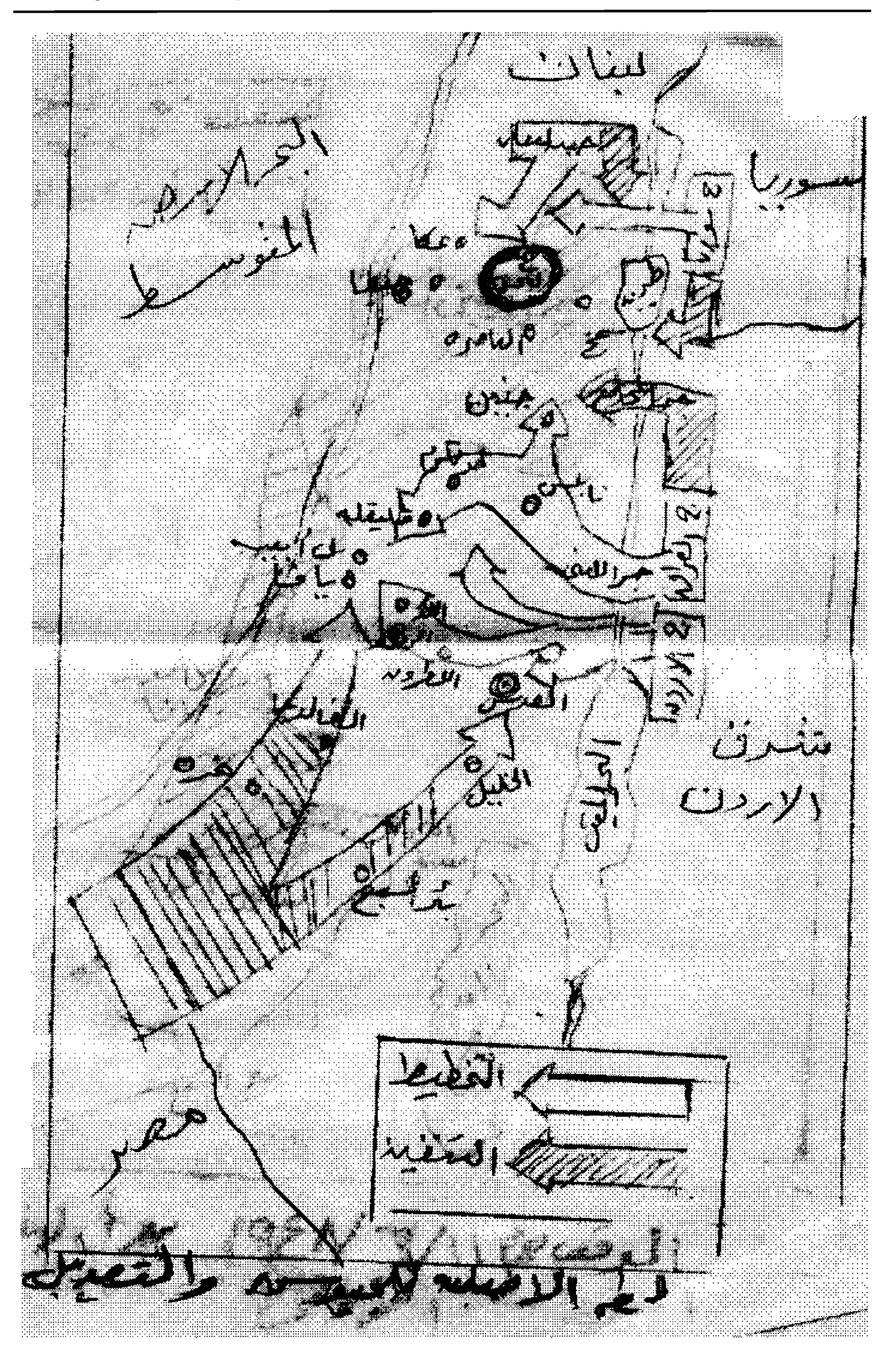
(2) **المرجع نفسه**، ص282.

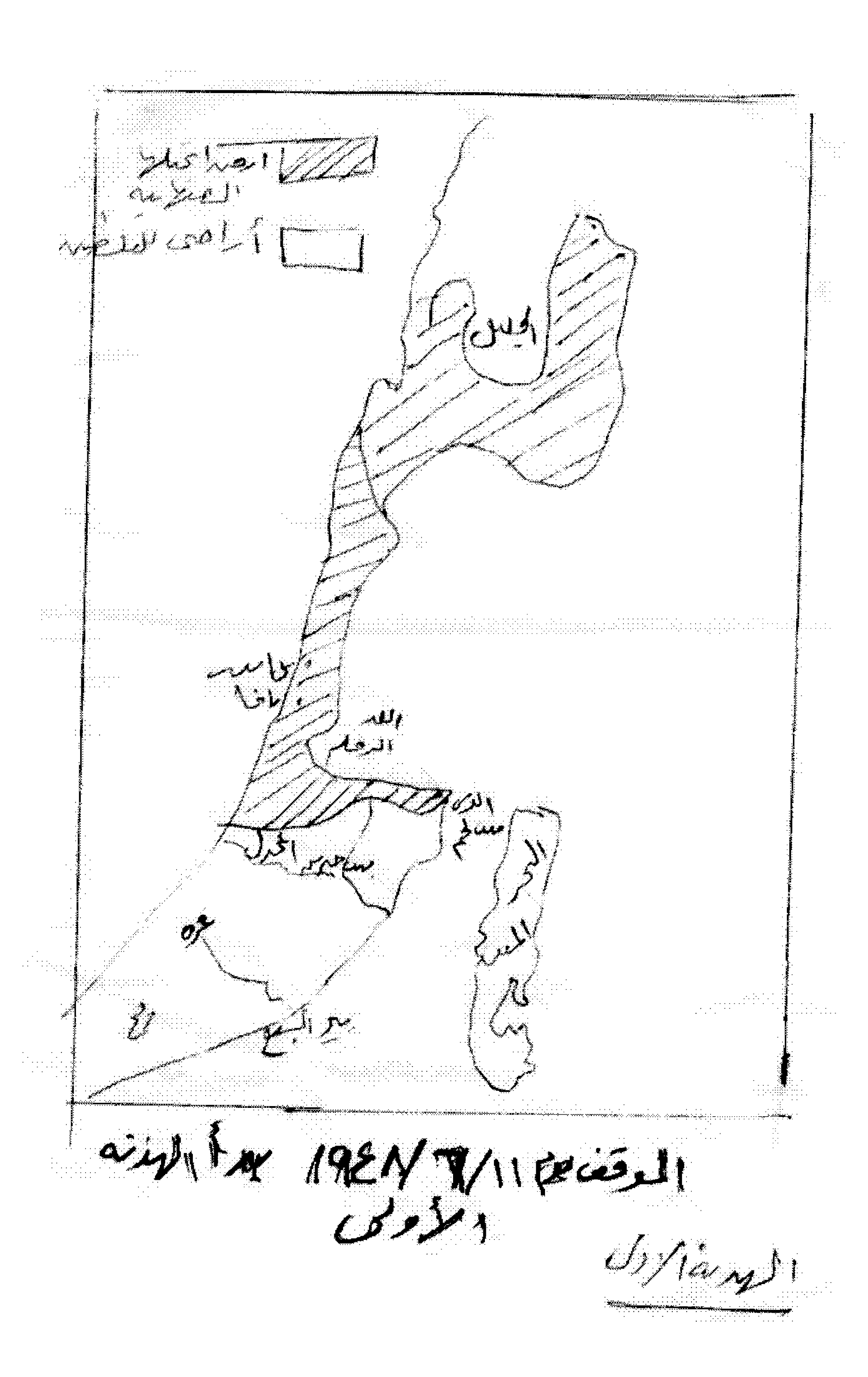
(3) عبد المنعم، **مرجع سبق ذكره**، ص656.

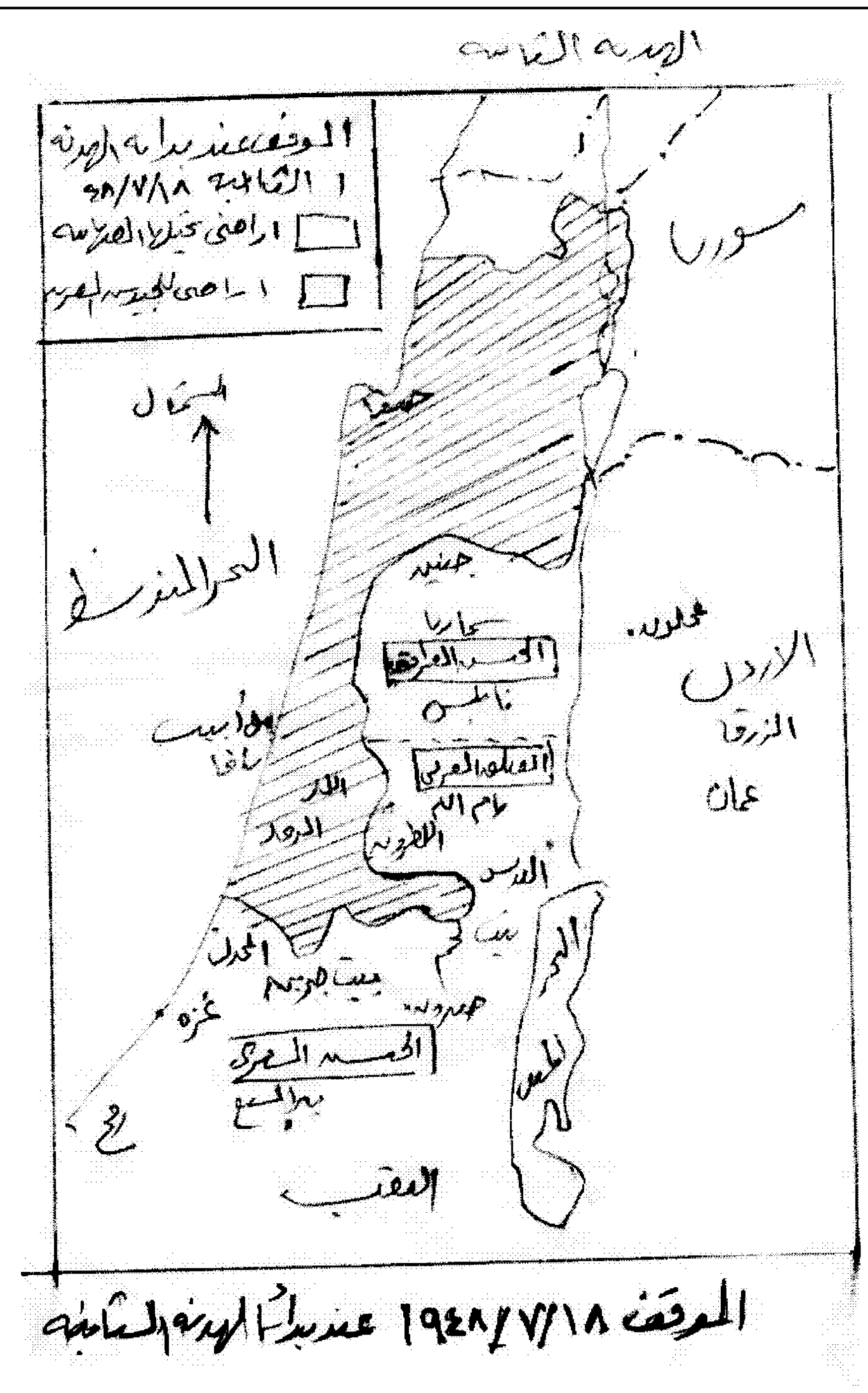
الطريق والمجال للتجارة مع دول آسيا، وللتواجد في قلب أفريقيا، لتحـوط مصر فـي منطقـة منـابع النيـل، ولتقيم علاقاتهـا، المتنـافسـة مـع مصـر فـي البحر الأحمر، بعلاقاتها مع دُوَلِه، للسيطرة علـى جزره، تهديدًا لمصـر، والدول العربية المطلة علـى البحـر الأحمـر، ورغـم صـدور قـرار مجلس الأمن " 89 لسنة 50 " [1] الذي أقرت فيه إسرائيل، لرئيس لجنة الـهدنـة، بمخالفاتها للهدنة، ووعدت بالانسحاب من منطقة (بئـر قطـار)، المتضـمن لأم الرشراش المصرية، فإنها لم تنسحب منهـا، حتـى الآن، ولـن تنسـحب إلا بضغط القوة والمقاومة، كمـا انسحبت بعد عشرين سنة لتنفيذ القرار 425 بالانسحاب من جنوب لبنان، تحت ضغط المقاومـة اللبنانيـة المقاتلـة أساسًا.

(1) الإنترنت، قرارات الأمم المتحدة، القرار 89 لسنة 1950.

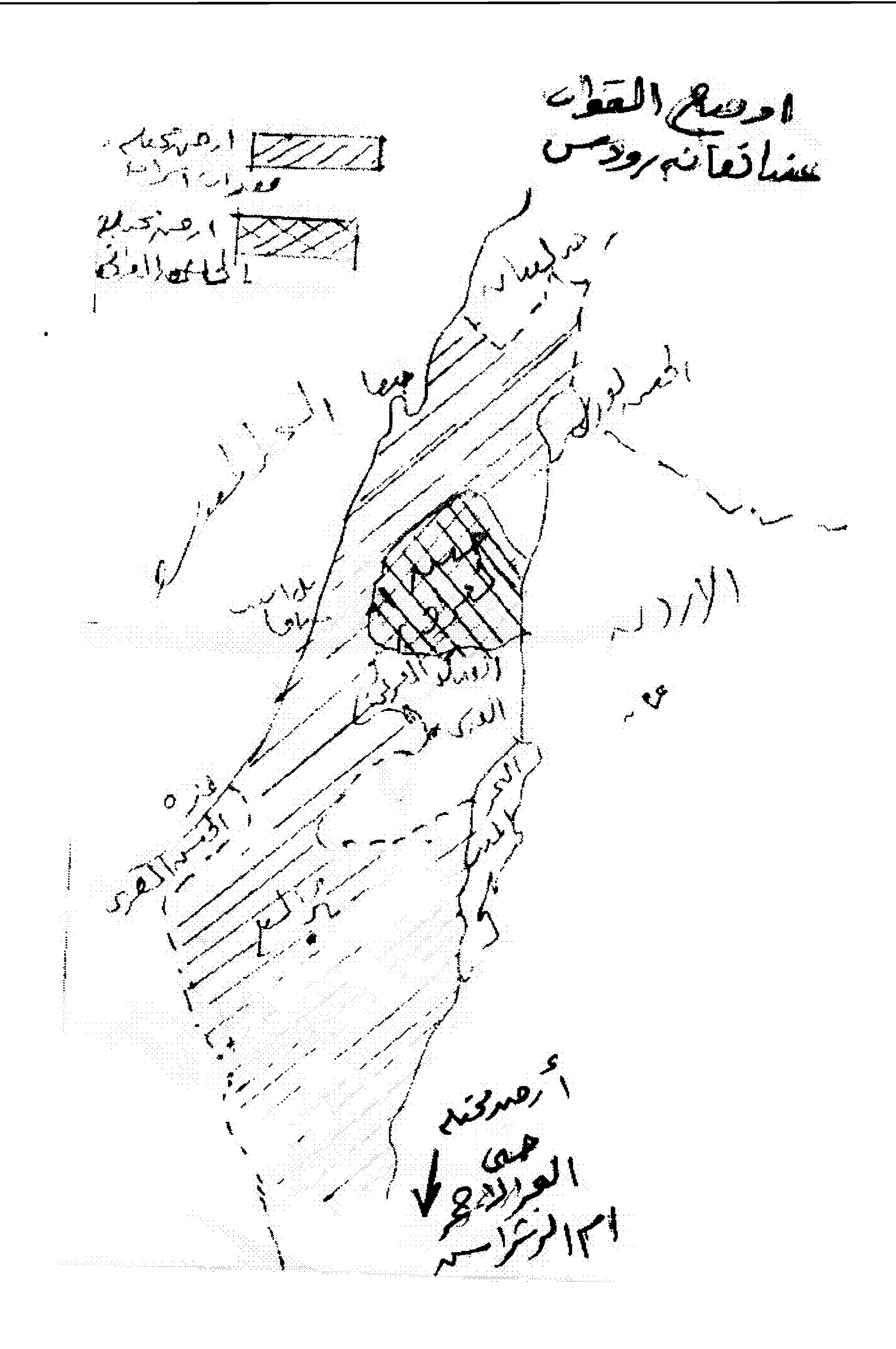

قرار التقسيم
البحر المتوسط
سوريا
الأردن
قرار تقسيم فلسطين
مخصص للعرب
مخصص لليهود
القدس دولية

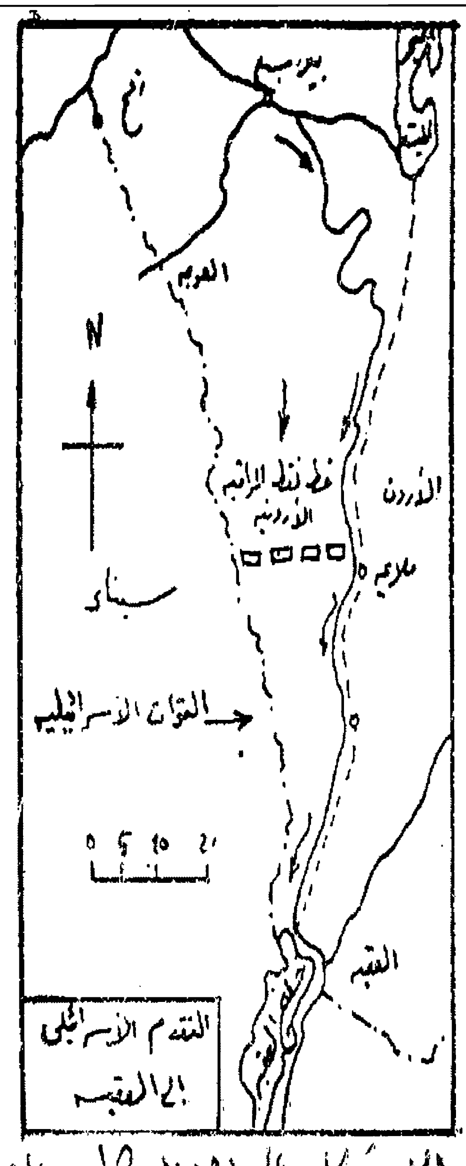

لبنان
سوريا
البحر الأبيض المتوسط
عكا
حيفا
الناصرة
جنين
نابلس
قلقيلية
تل أبيب
يافا
اللطرون
القدس
الخليل
غزة
بئر السبع
شرق الأردن
مصر
التخطيط
التنفيذ


الجليل
يافا
اللد
الرملة
المجدل
غزة
بير السبع
الموقف يوم ١١/٦/١٩٤٨ بعد الهدنة
الأولى

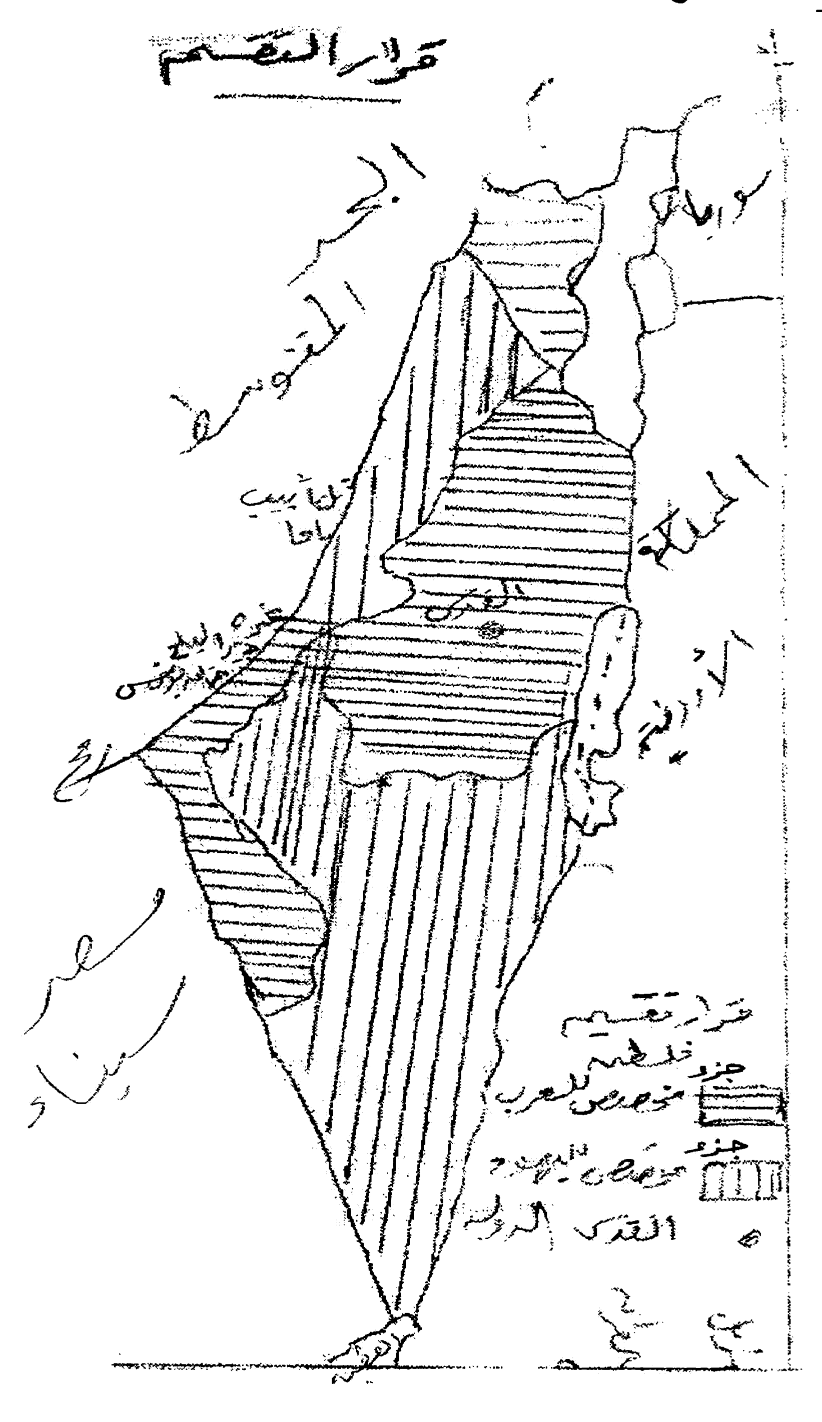


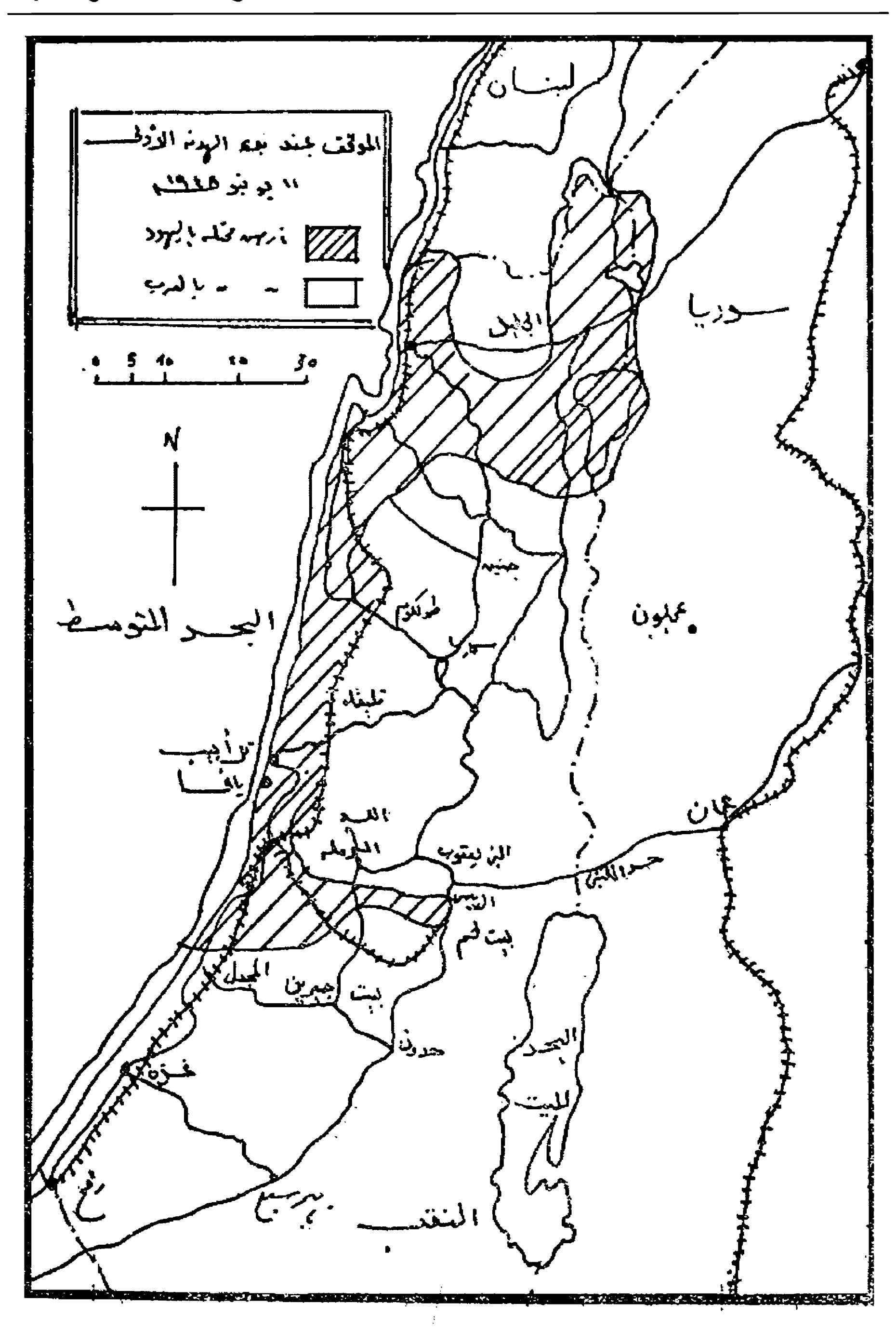
الهدنة الثانية
الموقف عند بداية الهدنة
الثانية ٤٨/٧/١٨
أراضي تحتلها الصهاينة
أراضي للجيوش العربية
سوريا
حيفا
الشمال
البحر المتوسط
جنين
الجيش العراقي
نابلس
يافا
المثلث العربي
اللد
الرملة
القدس
الأردن
الزرقا
عمان
البحر الميت
المجدل
بيت جبرين
غزة
الجيش المصري
بئر السبع
رفح
النقب
الموقف ١٩٤٨/٧/١٨ عند بداية الهدنة الثانية


اوضاع القوات
الاردن

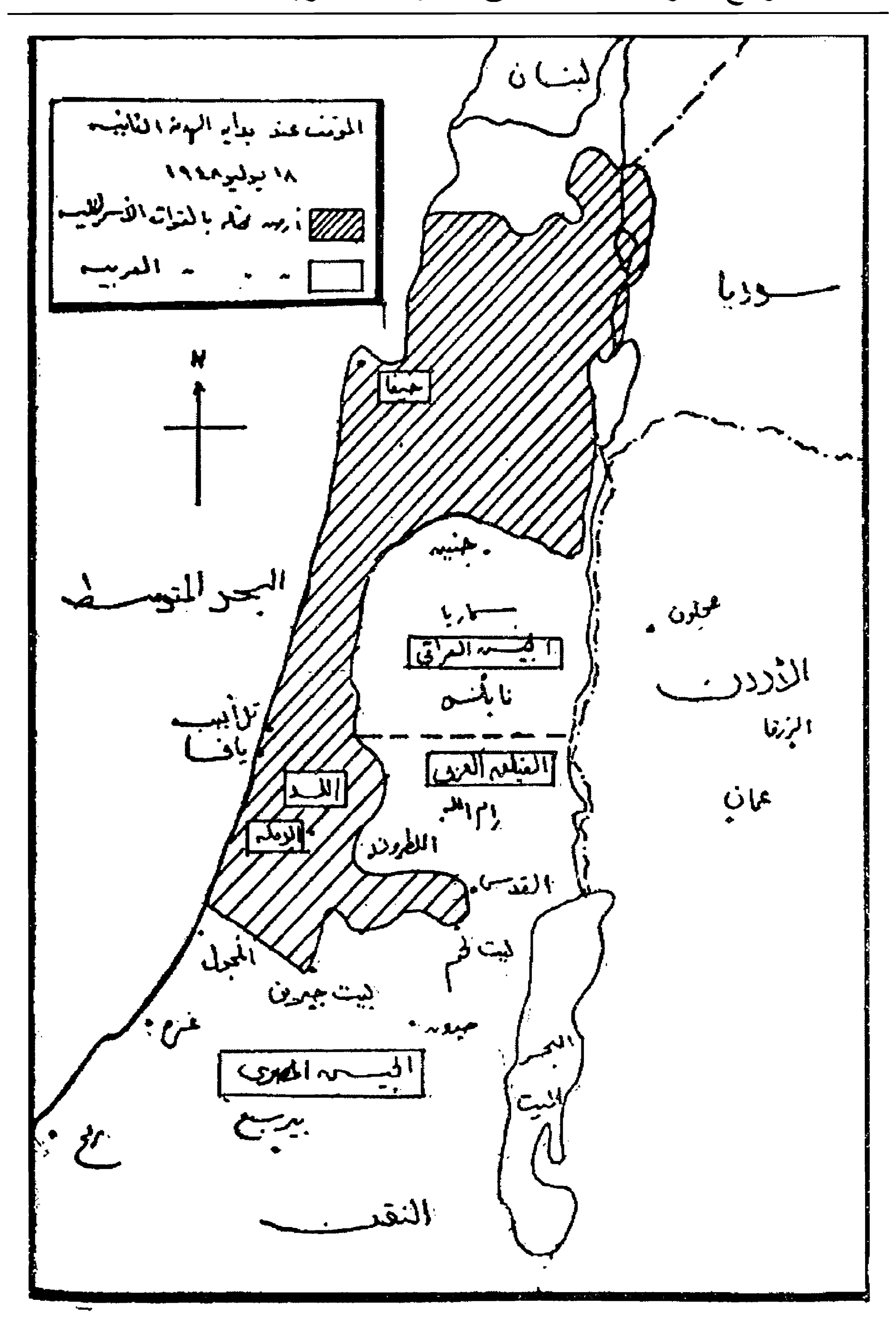


في ١٠/٣/٥٠ (الاستيلاء على أم الرشراش المصرية) دون قتال

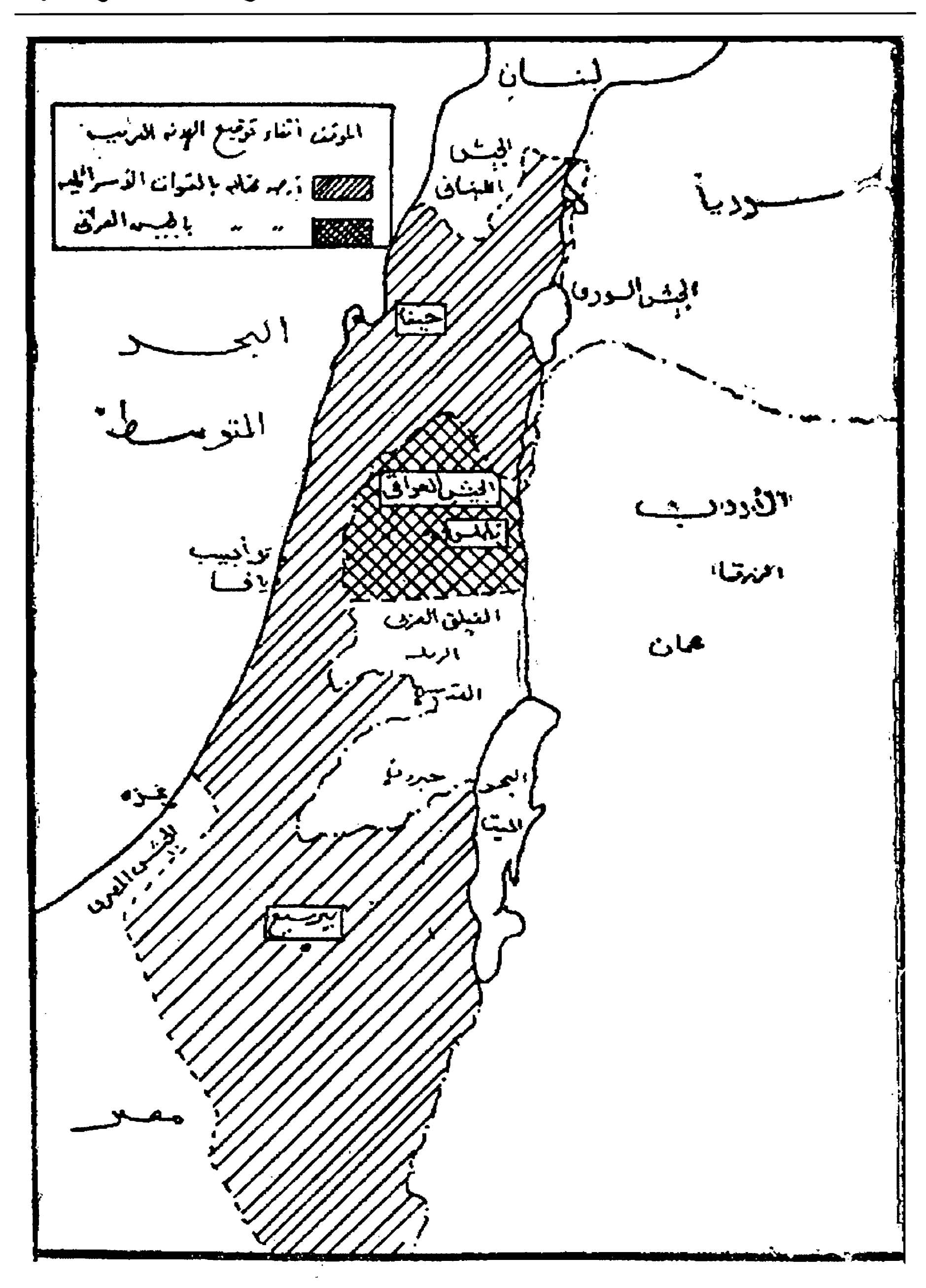

قرار التقسيم
البحر المتوسط
سوريا
المملكة الأردنية
سيناء
قرار تقسيم فلسطين
جزء مخصص للعرب
جزء مخصص لليهود
القدس الدولية



الموقف في فلسطين عند بدء الهدنة الاولى – ١١ يونيو ١٩٤٨



الموقف فى فلسطين عند بدء الهدنة الثانية ١٨ يولية ١٩٤٨



الموقف فى فلسطين أثناء توقيع الهدنة العربية الاسرائيلية (رودس ـ ١٩٤٩)

* * *

الفصل الخامس:
الجبهة السورية في الحرب

نظيمة سعد الدين

بـالرغم مـن حداثـة عمـر الجيش السـوري، فإنـه شـارك فـي " جيش الإنقاذ "، رغم ضعف تدريب المقاتلين السـوريين، وبدائيـة تسـليحهم. وقد نفذ الجيش الفتي الأوامر، واقتحم منطقة تغص بالاستحكامات الحصـينة، واحتل سمخ، ومسـتعمرة مسـادة، مـا جعلـه الجيش العربـي الوحيد، الذي عمـل علـى احـتلال أراضـي خـارج نطـاق الأراضـي المخصصـة للدولـة العربية، تبعًا لقرار التقسيم.

خلفية سياسية:

لقـد اعتـرف، رسـميًا باسـتقلال لبنـان وسـورية، عـام 1941، لكـن امتيـازات السـيادة الجوهريـة - وهـى السـلطتان التشـريعية والتنفيذيـة والسيطرة علىالقوات المسلحة - كـان لابد مـن انتزاعهـا - شيئًا فشيئًا مـن الفرنسـيين، خـلال السـنوات الأربـع التاليـة. وعنـدما طلبـت الحكومتـان السورية واللبنانية بصورة خاصة ترحيل القوات الخاصة بالشرق - وهى قوات مؤلفة من بضعة آلاف شكلها الفرنسيون من الأقطـار التابعـة لهـم - حـالاً وسريعًا، وهى الخطـوة الوحيدة التـى تجعل الحكم الـذاتى فعـالاً، إذا سمح بتشكيل جيوش وطنية [1].

---

(1) باتريـك سـيل، **الصـراع علـى سـورية، دراسـة للسياسـة العربيـة (1945 - 1958)**، (ترجمـة سـمير عبـده - محمـود فلاحـه)، دار الكلمـة للنشـر، بيـروت، ط1، 1980، ص44.

أصر الفرنسيون على تعليق ترحيل تلك القوات، بعقد معاهدة تربط سورية بالفرنسيين، وهذا إحتلال حسم بشكل دموى، حين قامت القوات الفرنسية باعتداءاتها العلنية على المدنيين السوريين، الذين دعم موقفهم قوات الضباط والجنود الهاربون من (القوات الخاصة بالشرق)، والدرك [1].

ظلت القوات المسلحة الأجنبية ترابط في أراضي سورية. وبقيت أهم الدوائر الاقتصادية، والسياسية في أيدي السلطات البريطانية والفرنسية. وأجرت بريطانيا وفرنسا مفاوضات ما وراء الكواليس، وعقدتا في 13 كانون الأول/ ديسمبر1945، اتفاقية قضت بمواصلة احتلال سوريا ولبنان، بصورة مشتركة [2].

في مستهل 1946، طلبت حكومتا سوريا ولبنان من مجلس الأمن الدولي اتخاذ قرارً بجلاء القوات المسلحة الأجنبية من أراضيهما على الفور، وقد دعم الوفد السوفييتي مطلب لبنان وسورية، بقوة وحزم. وحاولت فرنسا وبريطانيا، بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، أن تعرقل بشتى الوسائل، حل المسألة حلاً إيجابيًا في مجلس الأمن ومع ذلك اضطرت بريطانيا وفرنسا، في جو نهوض النضال ضد الإمبريالية، وبفضل المساندة الدبلوماسية الدائبة التي قدمها الاتحاد السوفييتي لسورية ولبنان، وبفضل ضغط الرٍأي العام العالمي إلى الموافقة في آذار/ مارس

---

(1) **المصدر نفسه**، ص44، 45.

(2) **تاريخ الأقطار العربية المعاصر (1917 - 1970) الجزء الأول**، أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي، معهد الاستشراق، ترجمة دار التقدم، 1975، ص102.

1946، على إجلاء قواتهما من أراضي هذين البلدين، وكان ذلك انتصارًا كبيرًا للشعبين السوري واللبناني، وفتح صفحة جديدة في تاريخهما في 17 نيسان/ إبريل 1946، غادر آخر جندي أجنبي أراضي سورية [1].

بعد جلاء القوات الاجنبية:

رغم نيل الإستقلاء السياسي، بقيت سورية هدفًا لمطامع الدول الإمبريالية، وتطلعاتها التوسعية. وقد أخذت الاحتكارات الأمريكية تحيك الخطط لبناء خط لأنابيب البترول من العربية السعودية إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، عبر أراضي سورية. وبذلت الاحتكارات الفرنسية جهدها للاحتفاظ بمواقعها في إقتصاد سوريا. وسعيًا لزحزحة فرنسا، حاولت بريطانيا تنفيذ خطة توحيد البلدان العربية، تحت إشرافها، وإنشاء " سوريا الكبرى " و " الهلال الخصيب "[2]

. إن نيل الاستقلال السياسي، وجلاء القوات الأجنبية قد طرحا أمام الحكومة السورية ضرورة حل عدد من المسائل الوطنية العامة، منها القضاء على بقايا الاستعمار، وإزاحة الاحتكارات الأجنبية، وإنشاء الصناعة الوطنية، وإلغاء النظم والرواسب الإقطاعية، وإشاعة الديمقراطية في الحياة الاجتماعية. غير أن البرجوازية الوطنية، التي ترأست، في المرحلة الأولى، حركة التحرر الوطني، كانت تخشى، بحكم إزدواج طبيعتها الطبقية، استمرار اشتداد هذه الحركة [3].

---

(1) **المصدر نفسه**، ص102 - 103.
(2) **المصدر نفسه**، ص103.
(3) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

لقد بدا أن السوريين كانوا يودون دفع الأمور مع الفرنسيين إلى الذروة، بوجود الإنجليز، وكانت تتملكهم ذكرى عام 1919، حيث انسحب الإنجليز تاركين الفرنسيين، ليقضوا عليهم، كما يريدون، ولكن التدخل البريطاني، وكما توقع السوريون، وقد انتهى، على أية حال، إلى تفجرالوضع الثوري، وفي نيسان/ إبريل 1946، تم انسحاب جميع القوى من القطر السوري[1].

قد ظلت " الكتلة الوطنية "، رغم عجزها، المرشح الوحيد لاستلام السلطة، ما بقيت العلاقات بفرنسا تغلب على الدبلوماسية السورية، وما بقي الجنود الفرنسيون يحتلون البلاد، حتى ارتكزت على ادعاءاتها باحتكار الوطنية، فعادت إلى السلطة، إثر انتخابات تموز/ يوليو 1943، وانتخب شكري القواتلي رئيسًا للجمهورية، على حين ألف زميله، سعد الله الجابري، وحكومة تمثل فيها الحرس الوطني القديم، تمثيلاً قويًا [2].

طفقت الأوساط البرجوازية الإقطاعية، التي وصلت إلى الحكم، تقاوم الإجراءات التقدمية، أيًا كانت، لكنه تحت ضغط الحركة الإضرابية المتواصلة، اضطرت الحكومة السورية، في عام 1946 إلي شن أول تشريع للعمل، وهو قانون العمل رقم (279)، ومع أن القانون لم يحقق الكثير من مطالب العمال، إلا أن إقراره من قبل البرلمان كان انتصارًا كبيرًا للطبقة العاملة السورية.

ولكن الميول الرجعية الموالية للإمبريالية أخذت تتبدى بدرجة

(1) سيل، **مصدر سبق ذكره**، ص45.
(2) **المصدر نفسه**، ص45 - 46.

متزايدة في سياسة (الكتلة الوطنية) الحاكمة [1].

وطفقت السلطات السورية تحد من الحريات الديمقراطية. وفي كانون الأول/ ديسمبر 1947، فتم حظر الحزب الشيوعي. ولم تطبق أحكام قانون العمل، ولم يحقق الإصلاح الزراعي الضروري، فائق الضرورة للبلد، ولم تتخذ الحكومة أي إجراءات للتغلب على المصاعب الإقتصادية [2].

القوتلي.. رئيسا لسورية:

بعد إنتخابه رئيسًا للجمهورية، في عام 1943، كان سجله الوطني، وصيته الذائع، ومنصبه الحكومي، واجهة جليلة مجيدة، فكانت عاطفته الوطنية فوق الشبهات ولتسامحه مع زلات زملائه، يمكن أن يعتمد عليه [3].

لقد أبان الفرنسي جاك بيرك، عالم الاجتماع الفرنسي، أن الاندفاعية الوطنية في أي قطر عربي تميل إلى إيجاد تجمع عريض غير متجانس، مثل " الكتلة الوطنية " في سوريا، و " الوفد " في مصر، فقد تآلف رجال بماضي ومشارب متباينة، وراء هدفٍ وحيد، هو الاستقلال، ولكن النجاحات الأولى، سواءً أتت عن طريق التفاوض مع الدولة المحتلة، أو الكفاح المسلح ضدها، كانت تشق هذه التجمعات، لقد كانت الانشقاقات الأيديولوجية والشخصية تثور، وتحل التمايزات الحادة مكان الوطنية

(1) تاريخ الأقطار العربية، **مصدر سبق ذكره**، ص103.
(2) **المصدر نفسه**، ص104.
(3) سيل، **مصدر سبق ذكره**، ص46.

الأصلية الطوعية[1].

لقد انتخب المجلس الجديد فارس الخوري رئيسًا له، في جلسته الأولى، المعقودة يوم 27 أيلول/ سبتمبر 1947، وفي اليوم التالي تقدم جميل مردم باستقالة حكومته، ولكنه كُلف، ثانية، بتشكيل حكومة أُخرى، إن المفردات السياسية الرصينة من أمثال كلمات " نائب "، و " معارضة " و " رئيس المجلس " و " لجنة الشئون الخارجية " لم تفلح في منع الفوضى الفاجعة، التي حكمت البرلمان السوري[2]، وفي " ذكريات نائب " كتب " حبيب كحالة، ما يلي:

" نظرت حولي، وكان ما رأيته فقط.. رجالاً لا يوجد بينهم شيء، ولا يشتركون في أية مبادئ، ولا يربطهم تنظيم حزبي، قد وصلوا إلى البرلمان بأساليب خادعة مقنعة، من انتخابات فوضوية تحت ستار الحرية، فكان بعضهم أميًا، وآخرون أدباء مرموقين، وكانت لغة بعضهم الكردية، أو الأرمنية، ولم يعرف آخرون سوى اللغة التركية فقط، وبعضهم ارتدى الطربوش، وآخرون اعتمروا الكوفية، وكان بينهم رجال البادية، أو المدينة، ولم يزد الأمر عن مسرحية وتمثيل أدوار [3] ".

وسعيًا إلى إيجاد مخرج من الوضع الاقتصادي العصيب، أعدت الحكومة مشروع اتفاقية مع " شركة التابلاين "، " وشركة نفط العراق "، بشأن مد خطين لانابيب البترول عبر أراضي سورية، كما أعدت مشروع

(1) **المصدر نفسه**، ص47.
(2) **المصدر نفسه**، ص52.
(3) **المصدر نفسه**، ص53.

إتفاقية نقدية مع فرنسا. ولكنها، نظرًا للمظاهرات والاضرابات المستمرة في سوريا ضد الإمبريالية، لم تعمد إلى طرح مسألة عقد هذه الاتفاقيات على بساط البحث أمام البرلمان [1].

في الوقت نفسه، كان الإستياء، والتناقضات تتفاقم في قلب البرجوازية الوطنية نفسها.

وفي 1947، حدث انشقاق في " الحزب الوطني " الحاكم. وسحب قسم كبير من الحزب ممثليه من الحكومة، وشكل المعارضة البرلمانية. ونشأ في البلد وضع سياسي قلق للغاية[2].

في الذكرى السنوية الأولى لتصويت الأمم المتحدة، عام 1947، على قرار تقسيم فلسطين، اخرج البعث الطلاب إلي الإضراب، وأغلقت الأسواق، وطالب المتظاهرون الحكومة باستئناف القتال، حالاً، مع الدول الأجنبية، وإلغاء مرسوم، صدر مؤخرًا، بزيادة أسعار الخبز، وكان المجلس نفسه في حالة هيجان، حيث تضارب أحمد الشرباتي، وزير الدفاع السابق، مع أحد النواب الآخرين، بينما سُمع رئيس الوزراء، وهو يصرخ مقدمًا استقالته، وخارج المجلس استعمل رجال الشرطة يعززهم رجال الدرك، قنابل الغاز المسيلة للدموع، لتفريق الجماهير، التي هددت باحتلال المجلس بالقوة[3].

---

(1) تاريخ الأقطار، **مصدر سبق ذكره**، ص105.
(2) **المصدر نفسه**، ص105 - 106.
(3) سيل، **مصدر سبق ذكره**، ص55 - 56.

إن فكرة تشكيل " جيش الإنقاذ " كانت فكرة قد تكون طيبة، في جوهرها، من قبل الجامعة العربية، لأنها كانت محاولة لدفع الدول العربية، أملتها الحكومات العربية، التي لا ترد أن تدخل الحرب، رسميًا، ولا ترغب أن تصرح برأيها أمام أفراد شعبها العربي، أو هي لا تجرؤ على أن تحارب، وتريد أن تحرر فلسطين، وتري فيها انعكاسات لضعف عزيمة السياسيين، وغموض أفكارهم أو من الواجب أن تقول إن حماس الشعوب العربية لقضية فلسطين كان يتعارض مع تراخي الحكومات العربية [1].

أخيرًا، لم يجد بقية العرب حماسة كبيرة، لمساعدة المقاتلين الفلسطينين، في وقت عرف ممثلو مصر، والعراق، ولبنان، والعربية السعودية، وسوريا، وشرقي الأردن، واليمن، والخبراء العسكريون لهذه الاقطار، المجتمعون في عالية (لبنان)، بتقدير لجنة " اليونسكوب "، حتى قرروا بأن مهمات الدفاع تقع على عاتق الفلسطينين، وحدهم، أما دولهم، فتتعهد بتقديم الأسلحة، وبالسماح للمتطوعين المحتملين بالذهاب للقتال في فلسطين [2].

أما رأس الحركة الوطنية الفلسطينية، أنذاك، أمين الحسيني الذي لم يُدع حتي للاجتماع، فدخل مع ذلك عنوة، وطلب من ممثلي الدول العربية دعم مشروع دولة فلسطينية، فقوبل اقتراحه بالرفض الشديد. وفي الختام

(1) محمد فائز القصري، حرب فلسطين عام 1948، الجزء الثاني، مرحلة النضال والجهاد، المطبعة العمومية بدمشق، ط1 نيسان 1962، ص239.
(2) إلياس صنبر، **فلسطين 1948 التغييب**، ترجمة كاظم جهاد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 1987، ص143.

أوصت لجنة عسكرية، ترأسها اللواء العراقي إسماعيل صفوت، بدعوة المتطوعين، وتسليحهم، وبحشد القوات عند الحدود الفلسطينية، وتكوين قوة عربية موحدة، وإرسال 1000 بندقية، ومليون جنيه إسترليني إلي الفلسطينيين، ومراقبة السواحل للتصدي للمساعدات التي تنهمر على الصهاينة، بيد أن هذه التوصيات بقيت حبرًا على ورق [1].

ثم اجتمع رؤساء وزراء الدول العربية، الأعضاء في 29 تشرين الثاني/ نوفمبر، وانتهت مناقشتهم، التى دامت عشرة أيام، بإدانة قرار التقسيم، كما اتخذت قرارات سرية بتأمين 100.000 بندقية، 3000 متطوع للجنة العسكرية، التي اجتمعت في عالية، بما يضمن تشكيل " جيش الإنقاذ ".

وتم التفاوض مع الحكومة التشيكية لتسليحه، إلا أنها أعلنت في 17 كانون الأول/ ديسمبر 1947، عن رفضها تصدير الأسلحة، وكان مجموع الأسلحة التي توافرت للمتطوعين قد بلغ في 23 آذار/ مارس 1948، 9000 بندقية. هذا هو كل ما استطاعت الدولة العربية، مجتمعة، تأمينه. قدم العراق 3860 بندقية، وشرقي الأردن 1000، ومصر 800، والسعودية 790 وسوريا 2000، ولبنان 550، وإلى تباين هذه الأسلحة تضاف حقيقة أنها جميعًا كانت قديمة أو تالفة [2].

لقد كانت فكرة " جيش الإنقاذ "، لتتخلص الجامعة العربية من هذا الوضع الشاذ، فقد أوجدت فكرة " جيش الإنقاذ " لتحرر به فلسطين، أو

(1) **المصدر نفسه**، ص143 - 144.
(2) **المصدر نفسه**، ص144.

لتدخل الجيوش العربية الحرب، بصورة غير نظامية، إرضاء لصداقة بريطانيا، صاحبة " وعد بلفور "، أو دافعًا لكافة الجيوش العربية، لتشترك في الحرب، وتستمد العون من نفوذ بريطانيا، صاحبة الوعد المشئوم (ولكن دون جدوى)، لأن الدول العربية قيدت نفسها، دون إعلان، بقرار هيئة الأمم المتحدة، القاضي بتقسيم فلسطين، رغم تصويتها ضده في العلن [1].

القوات السورية التي اشتركت في الحرب:

1- جيش الانقاذ:

إنشئ في كانون الأول/ ديسمبر 1947، من متطوعين سوريين، ولبنانيين، وعراقيين، وأردنيين، وسعوديين، ويمنيين، ويوغسلاف، وألمان، وإنجليز. وقد تمركز هذا الجيش في المنطقة الوسطى والشمالية من فلسطين، حتى أوائل حزيران/ يونيه 1948، عندما عاد وتجمع في الشمال. وتولى قيادته فوزي الدين القاوقجي [2].

وقد بلغ حجم هذا الجيش نحو 4 آلاف مقاتل، نصفهم من المتطوعين السوريين، و800 فلسطينيين، ومثلهم عراقيين، بالإضافة إلي جماعات قليلة من جنسيات أخرى. ومن الواضح أنه نظرًا لاختلاف الجنسيات في هذا الجيش، فإن تنظيمه، وتركيبه، كان غير متجانس، من حيث الأفراد، والتسليح والتدريب، وأسلوب العمل [3].

---

(1) القصري، **مصدر سبق ذكره**، ص240.

(2) **نظرات على انتصارات العسكرية الوطنية المصرية**، الهيئة العامة للاستعلامات، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 1984، ص270.

(3) **المصدر نفسه**، ص270 - 271.

2- القوت السورية النظامية:

أرسلت سورية إلى الميدان قوى وحدات جيشها الناشئ: اللواء الأول (1876 من الضباط والجنود)، المعزز بـ 6 دبابات (تعطلت منها اثنتين وهي في الطريق إلى الجبهة)، و32 مدرعة، و12 مدفع (75 مم). وتشكلت القوة الجوية السورية من 4 طائرات تدريب (هار فارد)، وقيل 10 طائرات [1].

يشكو الزعيم عبد الله عطفة، رئيس الأركان السوري السابق، في مذكرة قدمها إلى رئيس الحكومة، جميل مردم بك، بتاريخ 18 تموز/ يوليو 1948، من الترتيبات الإدارية التي فرضها وزير الدفاع المستقيل، أحمد الشرباتي، على وزارة الدفاع، بموجب مرسوم اشتراكي صدر في السادس من تشرين الأول/ أكتوبر 1946، تأسست بموجبة 13 مديرية في الوزارة[2].

يضيف عطفه: " وكل هذه المديريات مستقلة بسلطة موحدة، من قبل الوزير، لتنسيق أعمالها، وارتباطها مع بعضها، ولم يكتف المرسوم بفصل المصالح عن الأركان، وجعل رئاسة الاركان كإحدى، هذه المديريات الثلاث عشرة، بل مُنح وزير الدفاع جميع الصلاحيات التي تعود إلي قيادة الجيش، وبذلك سلب رئاسة الاركان كل سلطة ونفوذ [3].

قرار الحرب النظامية (عربيًا):

(1) وليد الخالدي، **خمسون عامًا على حرب 1984، أول الحروب العربية الصهيونية**، دار النهار، بيروت، ط1، تشرين الأول/ أكتوبر 1998، ص42.
(2) **المصدر نفسه**، ص42 - 43.
(3) **المصدر نفسه**، ص43.

حينما أعلن ملك شرقي الأردن، عبد الله بن الحسين، أنه سيدخل فلسطين مقاتلاً، تنفست الدول العربية الصعداء [1].

في الأسبوع الأول من آيار/ مايو، وبعد إلحاح من اللجنة السياسية للجامعة العربية (التي اتخذت قرارا بغزو فلسطين فور انتهاء الانتداب في 15 مايو)، اجتمع رؤساء أركان الجيوش العربية، في دمشق وأقروا خطة الغزو، وكان الملك عبد الله قائدًا للجيوش العربية، لكنه كان منصبًا صوريًا [2].

ففي الواقع، عزم كل جيش على أن يعمل وفق مصالحة الوطنية، وأن يتلقى الأوامر من قيادته العامة. والحقيقة أن الخطة لم تتجاوز تنسيق الهجوم، وتقسيم فلسطين إلى أقسام تحتلها الجيوش العربية، كل ما فيها يخصه. فكان على اللبنانيين أن ينطلقوا بطول الساحل الشمالي نحو نهاريا، وعلى السوريين أن يعبروا إلى شمال بحر الجليل وجنوبه، والتقدم نحو سمخ بهدف إحتلال الجليل، وكان على العراقيين أن يعبروا نهر الاردن، وجنوبي بحر الجليل، والتحرك خلال المثلث العربي، والتقدم نحو نتانيا، على ساحل البحر المتوسط، لشق الدولة اليهودية إلى قسمين[3].

(1) خيرية قاسمية، **مذكرات فوزي القاوقجي «1890 - 1977»**، ط2، 1995، ص332.

(2) حاييم هرزوج، **الحروب العربية - الإسرائيلية 1984 - 1982**، ترجمة بدر الرفاعي، ط1، 1993، سينا للنشر، القاهرة، ص52 - 53.

(3) **المصدر نفسه**، ص52 - 53.

إرهاصات دخول الحرب:

وجه " شكري القواتلي "، رئيس الجمهوريـة السوريـة، الأنظـار، فـي اجتماع دعا إليه، يوم 13 آيار/ مايو 1948، إلى ضرورة الالتزام بخطـة دخول الجيش السوري إلى فلسطين، من اتجاه بنت جبيل، نحـو الناصـرة، ثـم العفولــة، حيـث يلتقــي بــالجيش العراقــي فــي جنــين، لعـزل كافــة المستعمرات الإسرائيلية الواقعة في الغور[1].

لكن الملك عبد الله أصر على أن يدخل الجيش السوري إلـى فلسطين من منطقة سمخ، وطبرية، رغم وقوع الكثير من الاستحكامات المعاديـة، المرتكزة على تحصينات خط إيدن المنيع، على هذا الاتجـاه، ومـا يترتـب على ذلك من صعوبة التوغل داخل الجليل الشمالي[2].

إضطر السوريون للرضوخ، فأقتحم العقيد عبد الوهاب الحكيم منطقة مليئة بالتحصينات، ليهاجم سمخ، طبقًا للخطة الجديدة[3].

الاستعداد على الجبهة الإسرائيلية:

ناقشت القيادة الإسرائيلية، مسألة وجوب إعلان الاستقلال، فـي 14 آيـار/مـايو، موعـد الانسـحاب البريطـاني، وموروسـت ضـغوط شـديدة علـى ممثلي اليهود في واشنطن، وفي كل مكان آخر، لتأجيل ما يمكن أن يكون عمـلاً متهورًا، وتحاشـي دفـع الجيوش العربيـة لخـوض حـرب، لكـن بـن

(1) لـواء حسـن البـدري، **الحـرب فـي أرض السـلام، «الجولـة العربيـة الإسـرائيلية الأولـى 1947 - 1949»**، دار الوطن العربـي «القاهرة - بيروت، المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشر القاهرة - بيروت»، 1976، ص277.

(2) **المصدر نفسه**، ص277.

(3) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

غوريون الذي كان يرأس، في ذلك الوقت، ما يعرف، بمجلس الشعب، (الذي أصبح، فيما بعد، حكومة إسرائيل المؤقتة)، قرر أنه ينبغي استغلال الفرصة التاريخية التي أتيحت. انتصرت وجهة نظره على معارضيه، في المجلس، وفي يوم الجمعة، 14 أيار/ مايو، جمع بن غوريون المجلس المؤقت (الذي سيصبح الكنيست، أو البرلمان، فيما بعد) بالمتحف البلدي لتل أبيب، بشارع روتشيلد (وكانت القدس، بالطبع، محاصرة، ومعزولة تمامًا) [1].

أعلن بن غوريون قيام الدولة اليهودية، في فلسطين، وأسماها " دولة إسرائيل ". وفي الصباح الباكر من اليوم التالي، أذاع على الولايات المتحدة، أثناء حديث له صوت طائرة مصرية، وهي تقصف تل أبيب، حيث كان الصوت واضحًا للغاية[2].

بعد رفض العرب لفكرة إقامة دولة عربية على جزء من فلسطين تكتلوا من أجل " تدمير " دولة إسرائيلً [3].

بدء المعركة السورية:

بدأ السوريون هجماتهم، في 14آيار/ مايو، بقصفٍ شديدٍ بالمدفعية على المستوطنات الواقعة جنوب الجليل، وعلى مستوطنة عين جيف، وكانت الوحدة الوحيدة باستثناء " الفلاحين* "، المتاحة للدفاع عن المنطقة، هي الكتيبة الثانية من لواء " جولاني "، كتيبة واحدة عليها أن

(1) هرزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص51.
(2) **المصدر نفسه**، ص51 - 52.
(3) **المصدر نفسه**، ص52.
(*) المقصود المستوطنين اليهود.

تتولى الدفاع عن وادي الأردن الأعلى، في مواجهة جيشين عربيين**، والأسوأ من ذلك، أن إحدى سرايا الكتيبة مكلفة بمهام أخرى في منطقة (جبل طابور)، على مسافة ما يقرب من 20 ميلاً إلى الغرب[1].

كان الهدف الأول لقوة الهجوم السوري، والمؤلفة بالأساس من لواء مشاة، تدعمه سرية دبابات، وكتيبة عربات مدرعة، وفوج مدفعية، هو قرية سمخ حيث قامت اثنتان من سرايا المشاة باحتلال معسكر مهجور جنوبي القرية، بينما توجهت قوة مختلطة من المدرعات والمشاة نحو مستوطنتي شاعر هجولان ومسادة، وبعد معركة يائسة، توقف الاندفاع السوري الأول، ولكن بعد إبادة جميع أفراد القوة المدافعة، باستثناء فرد واحد●[2].

لجأ المستوطنون إلى الحيلة، لكي يصيبوا السوريين بالحيرة، والارتباك، ويكسبوا الوقت اللازم لاجلاء الاطفال والنساء عن المنطقة. إذ قاموا بحشد جميع لورياتهم وجراراتهم، تصعد الجبل، غربي بحر الجليل ليلاً، وهي مطفأة الانوار، ثم تعود، وهي مضاءة. وتكررت العملية على مدى عدة ليال، لخلق الانطباع لدي السوريين، بتدفق النجدات[3].

(**) اصطلح الصهاينة كلمة جيش، على القوات العربية الرمزية المشاركة في الحرب، لحشد رأى عام متعاطف معهم.

(1) **المصدر نفسه**، ص56.

(●) لم يذكر الكاتب عدد القوة المدافعة، أغلب الظن لتهويل الخسائر على الجانب الصهيوني.

(2) **المصدر نفسه**، ص56 - 57.

(3) **المصدر نفسه**، ص57.

يؤكد الزعيم عبد الله عطفه، رئيس الأركان السوري، آنذاك، أنه نصح حكومته، ألا تورط جيشها في حرب، لقلة السلاح والرجال، مما لا يصح معه خوض حرب، فيما يؤكد العقيد عبد الوهاب الحكيم، قائد اللواء السوري في فلسطين، أن قواته لم تكن مستعدة للحرب، وكان ينقصها الرجال والعتاد والتدريب[1].

في 18آيار/ مايو، قام اللواء السوري الأول، بقيادة الزعيم (العميد) حسني الزعيم، الذي قدر له بعد ذلك بعام، أن يقود عددًا من الانقلابات العسكرية بسوريا، بهجومٍ (حاسمٍ) على سمخ، وحاول المدافعون المسلحون برشاشين 20 مم (م / د) أن يتصدوا لهجوم بحوالي 30 سيارة مصفحة، 4 دبابات (رينو) تولت قصف مواقع الهاغاناه، وأصابتها، إصابات مباشرة، وفي الوقت نفسه قامت قوة مشتركة من المشاة والمدرعات الإسرائيلية بتطويق سمخ[2].

عندما تعطل أحد المدفعين المضادين للدبابات، بفعل القصف السوري، ترك جزء من القوة موقعة، وانسحب من سمخ، مخلفين ورائهم عددًا من القتلى، حيث أُبيدت معظم القوة المدافعة، في آخر الأمر. وبذلك نجحت القوة السورية في فتح الطريق إلى وادي الأردن، وبدا الموقف بالنسبة للمستوطنين الإسرائيليين، والقوات المدافعة عن المنطقة ميئوسًا منه. وأصبحت قريتا دجانيا (أ)، ودجانيا (ب)، هي الخط الدفاعي[3].

(1) الخالدي، **مصدر سبق ذكره**، ص120.
(2) هرزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص56 - 57.
(3) **المصدر نفسه**، ص57.

بدأ الهجوم العربي منصبًا على دجانيا (أ)، التي بلغ إجمالي المدافعين عنها 70 رجلاً، واستخدم في الهجوم سرية مشاة، يتقدمها خمس دبابات، ووحدة عربات مدرعة. وفتحت العربات المدرعة النار، بهدف إبادة المدافعين، وتوفير غطاء من النيران للمشاة. بينما أطلقت الدبابات نيران مباشرة على معاقل المدافعين، ومواقعهم، لإجبارهم على الخروج منها، ومن خنادق المواصلات.

وأصيبت إحدى العربات المدرعة السورية، كما أصيبت دبابة رينو، وأنسحبت القوات السورية، لكن الهجوم استمر، وأصيبت دبابة القيادة، لكن مدفعها ظل يطلق نيرانه، حتى دمرته عبوة مولوتوف أخرى[1].

عند منتصف النهار، انسحب السوريون من دجانيا(أ)، بعد أن خسروا سيارتين مدرعتين أخرتين، وانتقلوا بالهجوم على، دجانيا (ب) [2].

جاء الهجوم على دجانيا(ب) بـ 8 عربات مصفحة، و3 دبابات، وتقدمتها هذه المرة سريتان من المشاة. ونجح الإسرائيليون في وقف تقدم المشاة، ومرةً أُخرى تقدمت قوة مدرعة سورية كبيرة، يساندها المشاة، لكنها ردت على أعقابها[3].

في 21 آيار/ مايو شن اللواء الإسرائيلي/ جولاني هجومًا مضادًا، لاستعادة سمخ، وبعد قتالٍ بالغ العنف، أجبر السوريون على إخلائها، ثم احتل لواء جولاني كلاً من مسادة، وشعار هجولان. وإزاء هذا الفشل،

(1) **المصدر نفسه**، ص58.
(2) **المصدر نفسه**، ص58 - 59.
(3) **المصدر نفسه**، ص59 - 60.

قامت القيادة السورية بتغيير قائد القوات في فلسطين، وعينت مكانه الزعيم (العميد) حسني الزعيم، الذي قام بإعادة تقدير الموقف، وتوزيع قواته التي وحدها، يوم 11 حزيران/ يونيه، لتتمركز في منطقة الغور، وجناحها الجنوبي مكشوف تمامًا، ومعرض للهجمات، الإسرائيلية بعد إنتقال الجيش العراقي من منطقة العفولة الإسرائيلية، إلى منطقة نابلس[1].

كان ذلك مع ظهور أول مدفعية إسرائيلية، وقد كان تأثير قذائفها الأولي على السوريين (الذين كانوا حتى تلك اللحظة، يحتكرون استخدام المدفعية في ميدان المعركة) فوريًا، إذ انسحب السوريون، تاركين سمخ وشعار هجولان ومسادة التي أعادت القوات الإسرائيلية، احتلالها على الفور[2].

حسم الإسرائيليون معركة وادي الأردن، في 23 آيار/ مايو، ولم يحاول السوريون، على الإطلاق، دخول فلسطين، مرةً أخرى، من جهة الجليل الأردني، وبدلاً من ذلك وجهوا مجهودهم الرئيسي نحو الشمال، عند منطقة مشمارهايردين، وذلك بهدف قطع الإمدادات[3].

في يوم 10 حزيران/ يونية، قامت كتيبة سورية، مدعمة بالمدفعية، بمهاجمة عين جيف، المعزولة، على الشواطئ الشرقية لبحر الجليل*، والتي كانت قوة الدفاع عنها مؤلفة من مائة من المقاتلين والمقاتلات

---

(1) تاريخ الأقطار، **مصدر سبق ذكره**، ص278.

(2) هرزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص60.

(3) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

المسحلين. كان الهجوم على ثلاثة محاور. لكن المدافعين أمكنهم صد الهجوم، وقد أسفر الهجوم عن خسائر في الأرواح على الجانب الإسرائيلي[1].

بعد نجاح القوات السورية في إكمال هذا الهجوم، عمدوا إلي السيطرة على شمالي بحيرة طبرية، قبالة مستعمرة، مشمارهايردين، التي اقتحمتها، قبل الهدنة بيوم واحد، واقامت رأس جسر غربي النهر، واحتفظت بها الي نهاية الحرب، على الرغم من محاولات إسرائيل المتكررة لاسترداد هذه المستعمرة[2].

لعل ذلك ما جعل الأُمم المتحدة تتبني خيار الهدنة، لكبح هجوم سوري متوقع، ولإعطاء إسرائيل مزيدًا من الوقت، لترتيب أوراقها، لتتمكن من صد أي هجوم مضاد متوقع من قبل الجيوش العربية، و " جيش الإنقاذ ".

بحيرة طبرية... الجبهة الشمالية:

يعتبر الهجوم الذي شنه السوريون على منطقة الأردن - بيسان العليا، أكبر هجوم عربي على منطقة تجمع استيطاني يهودي كثيف. وهناك ثلاث مزايا تكتيكية وراء اختيار السوريين لمفتتحٍ كهذا: الأول، وجود المرتفع المتحكم في ميدان المعركة، المخطط لها داخل حدودهم، والثاني أن عددًا من المستوطنات الزراعية اليهودية يقع شرقي نهر الاردن، الأمر الذي لا يستدعي عملية خاصة لعبور النهر، يبقي الأمر الثالث،

---

(1) **المصدر نفسه**، ص62 - 63.

(2) الخالدي، **مصدر سبق ذكره**، ص62 - 74.

مؤداه أن اختراقًا في تلك المنطقة يمكن القوات السورية من الاتصال بالأهالي العرب في الجليل، حول مدينة الناصرة العربية[1].

كما أن هذا يمكن من إقامة قاعدة صلبة، ونقطة انطلاق نحو حيفا، وهو ميناء رئيسي، وأحد نهايات خط أنابيب البترول القادم من العراق إلي البحر المتوسط[2].

لخص بن غوريون، في ختام اجتماعه مع القادة العسكريين، في 18 حزيران/ يونية، خطة الهجوم العام، ومركز ثقله، بقوله: " يجب تثبيت الجبهتين في الشمال والجنوب، بقدر الإمكان وإعداد خطة لتحطيم (الفيلق) (أي الجيش) الأردني. واحتلال نابلس إلا أن بن غوريون عاد، كما يذكر في " يوميات الحرب "، بتاريخ 4 تموز/ يوليو، فأدخل بعض التعديل في هذه الخطة، بحيث أصبح احتلال مدينتي اللد والرملة، المرحلة الأولي وبعدها نتفرغ، كما يقول بن غوريون، للطرون، تمهيدًا لاحتلال رام الله، وبعدها نابلس، على أن يتزامن مع هذا هجومان في الجبهة الشمالية: أولهما باسم عملية بروش، لتصفية رأس الجسر السوري، عند مشمارهايردين، والهجوم الثاني باسم عملية ديكن، لتصفية جيش الإنقاذ، بقيادة فوزي القاوقجي، في الجليل الأوسط، الذي كانت قاعدته مدينة الناصرة[3].

(1) هرزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص54.
(2) **المصدر نفسه**، ص55.
(3) الخالدي، **مصدر سبق ذكره**، ص90 - 91.

تضمنت عملية بروش معاودة إقامة جسر علـى نـهر الأردن، وعبـور النهـر بـالقوارب والأطـواف، وصـعود الجـولان، لقطـع الطريـق إلـى القنيطرة، على القوات السورية، غرب النهر. واستمرت معركـة عنيفـة ضـارية، خـلال أربعـة أيـام مـن (10: 13 تمـوز/ يوليـو)، فشـلت جميـع محـاولات الجـيش الإسـرائيلي لاسـترداد مشـمارهايردين، أو صـعود الجولان، على الرغم من إرساله لقلاع طائرة، كما يذكر التاريخ الرسمي الخاص به، لقصف رأس الجسر السوري[1].

بعد فشل القوات الاسرئيلية فـي الاستيلاء علـى بيت الجمرك، قبل طلوع الشمس، صدرت الأوامر بالانسحاب إلـى الضـفة الغربيـة، وألغيـت خطة تطويق المواقع السورية[2].

في الفجر، شنت القوات السورية هجومًا مضادًا سانده الطيران بقـوة. في الوقت نفسه، قام اللـواء السـوري المتمركـز فـوق المرتفعـات الواقعـة، شرق النهر، بمهاجمة القوات الإسرائيلية، التي كانت لا تزال على الضفة الشرقية. وليومين متتـاليين، ظلـت تلـك القـوات تقـاوم الـهجمـات السـورية، قبل أن تجري عملية الانسحاب إلي الضفة الغربية[3].

دار قتال عنيـف، حـول عـدد مـن المواقـع بالمنطقـة، ووقعـت إصـابات كثيرة، عندما تقدم السوريون لتهديد مناحيميـا، وروش بينـا. وعلـى مـدي يومين، دارت الحرب سجالاً بين الطرفين، وهناك بعض المواقع تبادلتهـا

(1) **المصدر نفسه**، ص92 - 94.
(2) سيل، **مصدر سبق ذكره**، ص90.
(3) **المصدر نفسه**، ص90 - 91.

الأيـدي لأربـع مـرات، وفـي 14 تمـوز/ يوليـو، قامـت قـوات مـاكليف الإسرائيلية بمحاولـة أُخري ضـد رأس الجسر، علـى السوريين من جهـة الجنوب هذه المرة، لكن هذه المحاولة فشلت هي الأخرى[1].

عندما بـدأت الهدنـة الثانيـة، بعد تسـعة أيام مـن القتـال، كـان الجيشـان المنهكان، في موقف بالغ الحرج، يواجه أحدهما الآخر، من نفس المواقع التي انطلقت منها الهجمات المتتالية قبل عشرة أيام من هذا التاريخ[2].

عنـدما تحركـت جيـوش العـرب النظاميـة، لإنقـاذ فلسـطين مـن بـراثن الصهاينة، بدأت المرحلة الثالثة للحرب، التـي تمتـع فيـه العـرب بالمبـادأة، لمدة 27 يومًا، تمكنوا خلالها من شن 19 معركة، ما بين هجوم أو إحباط ضـربة مضـادة، وإن تمـت جميعًـا بـلا تنسيق، أو تعـاون إسـتراتيجي بـين جبهاتهم المختلفة، أو حتـي تعبويًـا فـي الجبهـة الواحـدة. ثـم أصـدر مجلس الأمن قراره، بفرض الهدنة الأولى على المتحاربين فتحولت المبادأة عن العرب، وظلت مع إسرائيل حتى نهاية الجولة[3].

فيما يتعلق بحجم الإنجاز، نجد أن العرب قد حرروا ألفـي كيلو متـر مربع من أرض فلسطين فقط، خـلال المرحلـة الثالثـة، فـي حـين اغتصـب الإسرائيليون 10 آلاف كيلومترًا مربعًا، فـي المرحلـة الرابعـة فكـان حجم إنجازها يزيد عن العرب، خمس مرات[4].

---

(1) **المصدر نفسه**، ص91.
(2) **المصدر نفسه**، ص92.
(3) القصري، **مصدر سبق ذكره**، ص79 - 80.
(4) **المصدر نفسه**، ص80.

نجح الإسرائيليون في حشد نحو 200 مثل ما حشده العرب للقتال، في بداية الجولة الأولي، أما في مراحلها المتقدمة، والختامية، فكانت النسبة أسوأ من ذلك بكثير[1].

بين القوات العربية والاسرائيلية [2]:

السمة الواضحة كانت امتلاك إسرائيل لنظرية قتال وأسلوب عمل مستمد من خبرة طويلة لأغلب جنودها، سبقت في مسارح الحرب العالمية الثانية، ومعرفة بفوائد المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة، وذلك بفضل اشتراك الفيلق اليهودي، مع الجيش الثامن البريطاني، في مسرح بريطانيا، وتجنيد الكثير من اليهود، في مختلف جيوش الشرق والغرب، وخاصة في مسرح روسيا، فما أن وضعت هذه الحرب أوزارها، حتي سارعت إسرائيل إلي تطوير ما اكتسبه جنودها من خبرات، لتناسب ظروف القتال في مسرح فلسطين، وبالإضافة إلي ذلك، فقد كانت إسرائيل تمتلك، أيضًا خطة عمل، تم رسمها مبكرًا، وحددت فيها الأهداف المنشودة، بدقة، ووضوح. أما العرب، فلم تكن لديهم نظرية قتال متفق عليها، ولا أسلوب عمل موحد بينهم، يلائم خصائص القتال في أرض المعركة أو الأحوال السائدة فيه، كما لم يكن لهم هدف واضح.

عادت الهزيمة العربية في حرب 1948إلي جملة من الأسباب، في مقدمتها:

الفقر في القيادات المشرفة على الحرب، وصعوبة المواصلات،

---

(1) **المصدر نفسه**، ص83.

(2) لمزيد من المعلومات يرجي الرجوع لكل من: سيل والقصري، **مصدران سبق ذكرهما**.

والنقص في السلاح، والذخيرة، والخدمات الطبية، فضلا عن افتقار الجيوش العربية إلي قيادة مركزية موحدة، فعالة، بل أن التنسيق بين هذه الجيوش كان غائبًا في الأغلب الأعم. أما القوات الإسرائيلية فتمتعت بالعمل على خطوطها الداخلية، ما مكنها من التنسيق بين الوحدات المقاتلة، مع تطور القتال، بحيث أمكنها تحريك الاحتياطي من منطقة لأخرى.

أما السياسيون العرب، فقد ألقوا خطبًا عصماء وعنترية، ضللوا بها الشعب العربي، ووعدوه بنصر قريب، إلا أن الحرب كشفت عن افتقارهم إلي الاستعداد، السياسي، والعسكري، في آنٍ، ناهيك عن اتسام العلاقات العربية - العربية، بالتعارض والتردي.

* * *

الفصل السادس:
الجيش العراقي في الحرب

د. عبد الكريم العلوجي

كانت نتائج الحرب في فلسطين قد قوبلت برد فعل شعبي ساخط في العالم العربي، أما في العراق. فقد ألقت الأحزاب السياسية باللائمة علي بريطانيا، ونادت الأحزاب بقطع العلاقات مع السلطات، وإنهاء معاهدة التحالف معها (1930). وشددت الصحافة العراقية علي أن السبب الرئيسي لهزيمة العرب في فلسطين ينحصر في الرفض البريطاني تزويد العرب بالسلاح والعتاد، وباتت المصالح البريطانية في العراق أكثر عرضةً للمخاطر. وبدأ الموظفون البريطانيون في العراق يظهرون علامات الخوف، من أن تسفر الأحداث في فلسطين عن تحرك شعبي عراقي يصحبه تحرك الجيش العراقي ضد الحكومة العراقية. كما أن هزيمة البلاط، ومن ورائه النخبة الحاكمة في يناير/ كانون الثاني 1948، أو ما أطلق عليها (بالوثبة) دفعتهما للعمل معًا، من أجل تشكيل جناح معارض من الأحزاب السياسية، والقوي المعارضة للنظام الحاكم، التي أصبحت أكثر عداوةً من ذي قبل، خاصة أن العداء لبريطانيا تصدر نشاط هذه الأحزاب، وانتقل إلى صفوف الجيش الذي أظهر تذمره من بريطانيا، علانيةً، محملاً إياها نتائج الحرب، وأظهر الجيش تصميمًا جادًا علي التخلص من الوجود البريطاني، والنظام الحاكم في بغداد، على حدٍ سواء. وكانت بعض الوحدات العسكرية في العاصمة، وفي المعسكرات المحيطة بها، تشعر بالظلم والألم مما جري في فلسطين، وربما تمكنوا من تمهيد

السبل للوصـول إلـى مبتغـاهم بقيـام انتفاضـة شـعبية، تظهـر العـداء الشـديد للحكومة، والغرب، عمومًا.

وإزاء التذمر الشعبي العراقي، وخاصـةً مـن شـباب الجيش العراقـي، الـذين اعتبـروا هـذه الهزيمـة مسـؤولية الحكومـة العراقيـة، وبريطانيـا، والجنـرال جلـوب، قائـد القـوات العربيـة! وقائـد الجـيش الأردنـي! الـذين أسهموا في هزيمة الجيش العراقي، ما مثَّلَ إهانةً قاسةً للعسكرية العراقية.

فكان لابد من العمل لإسقاط النظـام، وطـرد الاحـتلال البريطـاني مـن العـراق، وإعـادة الكرامـة للجيش العراقـي، الـذي قـدم الكثيـر أثنـاء حـرب فلسطين عام 1948، ولكـن خيانـة قادتـه المـرتبطين بـالمخطط الصـهيوني الدولي، حالت دون انتصاره، وكـي لا تذهب دمـاء شـبابه وشـهدائه هـدرًا، كان لابد من عملٍ ينتقم لكرامة الجيش العراقي.

وحان العمل في ثورة 14 يوليو/ تموز 1958، وأُسقط النظام العميل، وأُعلنـت الجمهوريـة العراقيـة، وعـاد للجـيش العراقـي دوره فـي السـاحة العربية، جيشًا مقاتلاً قويًا ذا توجهاتٍ وملامح عربيةً وطنيةً.

حقيقة مقولة " ماكو أوامر " :

خرج العراق من حرب فلسطين مثقلاً بالجروح، التي لم يشف منهـا، وبما لصق به من جملة " ماكو أوامر "، هذه المقولـة التـي ارتبطـت بـه، منذ انتهاء الحرب العربية الإسرائيلية الأولي، وقد روج لها الأعداء، من أجـل إضـاعة الانتصـار، والمعـارك التـي خاضـها ضـد العصـابات الصـهيونية، وإهدار جهود الجيش وتضـحيات شـهدائه فـي فلسـطين، وممـا

يؤسف له أن الكثير في العراق من العرب أخذوا بتلك المقولة، وأصبحت إهانةً للعسكرية العراقية، فترددت تندرًا وسخريةً.

وللأسف لم يتحدث الجيش العراقي، وينفي هذه المقولة عنه برغم مرور العقود الستة الماضية، منذ انتهاء الحرب العربية ضد المشروع الصهيوني.

ولقد حاولت من خلال هذا البحث أن أصل لحقيقة هذه المقولة، ولم نجد أي وثيقة أو كلمة، تؤكد أو تنفي ذلك إلا من خلال بعض العسكريين العراقيين، الذين اشترك قسم منهم في الحرب، وهم ضباط صغار، أو الذين عايشوا هذه الفترة، أو الذين درسوا في كلية الأركان للجيش العراقي، والجميع قال: لم نقرأ أو نطلع علي مثل هذه التعليمات، وخلال يوميات الحرب العراقية الصهيونية، لم تذكر هذه الكلمة.

بل وجدنا بسالة الجيش العراقي، الذي قاتل قتالاً شرسًا في العديد من المعارك المسجلة، وكل المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الحرب لم يذكروا هذه الكلمة، ومن خلال متابعتنا للأوامر الصادرة للقوات العراقية، التي كانت برئاسة الجنرال جلوب، قائد الجيوش العربية، لاحظنا أنه طلب من الجيش العراقي الانسحاب من بعض المواقع العسكرية، فكان الرد " ماكو أوامر " من قيادة الجيش العراقي، وتكرر الطلب عدة مرات، فكان الجواب " ماكو أوامر لدى القوة العراقية من قيادتها بالانسحاب ".

هذه هي حقيقة المقولة التي ارتبطت بالجيش العراقي دون توخي الدقة، بل العكس هو الصحيح، حيث كان الجيش العراقي يتجاوز تعليمات

رئاسة الأركان العربية، مما سبب الإزعاج للجنرال جلوب، الأمر الذي تأكد في الوثائق، ومن يوميات الحرب.

مواقف الحكومة العراقية تجاه القضية الفلسطينية:

لقد تأثرت مواقف العراق حيال القضية الفلسطينية، خلال تلك المرحلة، بعاملين أساسيين،

الأول: مواقف الحكومة البريطانية والتي كانت تربطها بعرش العراق وحكومته روابط قوية مؤثرة.

الثاني: مواقف الشعب العراقي، المؤيد لنضال الشعب الفلسطيني ضد المشروع الصهيوني وسلطات الانتداب البريطاني، المتواطئة مع الحركة الصهيونية. ويمكن رؤية تأثير هذين العاملين في مواقف الحكومة العراقية المتعاقبة.

العراق يعارض التقرير:

إثر ظهور تقرير اللجنة الملكية البريطانية (1937/7/7)، والقاضي بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية، وأخري عربية بها. أعلن العراق موقف المعارض من التقرير. وقد استنكر حكمت سليمان، رئيس وزراء العراق، حينذاك، موقف المعارض من التقرير، وأرسل برقية إلى اللجنة العربية العليا عارض فيها مشروع التقسيم، كما أعلن استعداد العراق لمناصرة قضية فلسطين، حتى النهاية، وأعلن سليمان أنه قدم إلى الحكومة البريطانية احتجاج حكومته علي التقرير وتم الإعلان عنه.

تغير موقف الحكومة العراقية من أمين الحسيني:

كانت مواقف العراق وحكومته قد بدأت تتغير في سنوات الثلاثينات،

فمع مواقف العراق الملكي وحكومته من جهة، ومواقف الزعامة الفلسطينية التي كان يمثلها الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا، والذي أيد ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد السلطة الملكية الهاشمية من جهة أخري، حدثت تغييرات في مواقف العراق نحو القضية الفلسطينية في اتجاهين.

الأول: دعم القيادات المعارضة للزعامة الفلسطينية.

الثاني: إقامة تقارب سياسي بين النظام الملكي في العراق وبين الأردن بصدد الموقف من القضية الفلسطينية.

العراق يطلب حشودًا عسكرية علي الحدود الفلسطينية:

اتخذت الجامعة العربية قرارا كان العراق اقترحه، كان أساسه موقفه المتشدد تجاه القضية الفلسطينية. وقد أضاف صالح جبر، رئيس الوزراء العراقي آنذاك جوانب أخري لموقف حكومته، عندما عقدت اجتماعًا جانبيًا مع بعض ممثلي فلسطين للبحث في الوسائل والتدابير لتموين (الكتائب العراقية) معها.

العراق يرفض مشروع التقسيم ويطالب بقطع النفط:

عُرض مشروع التقسيم علي الأمم المتحدة في أواخر عام 1947. وخلال مشاركة اجتماعات مجلس الجامعة العربية في القاهرة في كانون الأول/ ديسمبر 1947، عاد رئيس وزراء العراق، لإثارة موضوع استخدام النفط من أجل القضية الفلسطينية.

كيف شارك العراق بحرب فلسطين؟:

ظهرت مشاركة العراق في حرب فلسطين عام 1948 من خلال نشاطات المتطوعين العراقيين اللذين انخرطوا إلى جانب غيرهم من المتطوعين العرب، في جيش الإنقاذ، فضلاً عن القوات العراقية النظامية.

العراق يقبل الهدنة الأولي:

أعلن العراق قبوله الهدنة الأولي في حزيران/ يونيو1948، وذلك في إطار قبول الدول العربية الأخري، والتي لها جيوشها في فلسطين.

وأكد بيان عراقي صدر عقب الهدنة، تصميم العراق علي حل القضية الفلسطينية، حلاً عادلاً، يحفظ حق العرب كاملاً.

انسحاب الجيش العراقي من المواقع المرابط فيها:

عندما استؤنف القتال في فلسطين، في شهر تموز/ يوليو1948، وفي ظل غياب أي تنسيق بين الجيوش العربية، انسحب الجيش العراقي من المحاور التي كان يرابط فيها، بحجة انسحاب القوات الأردنية من المواقع القريبة من اللد - والرملة، وقدم طه الهاشمي، أحد رجال العراق السياسيين والعسكريين، ما قامت به الجيوش العربية في فلسطين بقوله:

" إن القوات العربية لم تحارب، بالمعني الصحيح، حتى يقال إنها خسرت المعركة... وإذا كانت النتيجة بعد القتال الذي جري بين العرب واليهود، أن هؤلاء نجحوا في تأسيس دولتهم، فإن مرد ذلك، في نظري، إلى أسبابٍ سياسية، ولأسبابٍ عسكرية. وعلى الرغم من أن الجيوش العربية لم تشترك في قتال في فلسطين بقواتٍ كافيةٍ، فإنها لو استخدمت

في الأغراض العسكرية البحتة، من دون أن تصبح الأغراض السياسية هي المسيطرة، لكانت تلك القوات، على قلتها، حالت دون تأسيس تلك الدولة.

العراق يوقف ضخ النفط إلى ميناء حيفا:

أصر العراق علي إيقاف النفط إلى ميناء حيفا الفلسطيني الذي وقع تحت السيطرة الصهيونية،

أما الحكومة البريطانية فقد طلبت من الحكومة العراقية تنفيذ بعض النقاط، وهي:

1- عدم إرسال قطعات عسكرية عراقية إلى فلسطين، أو تشجيع الحكومات العربية على أن تفعل الشيء نفسه.

2- عدم التشجيع علي تشكيل حكومة فلسطينية، تحت قيادة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني، أو أي شخص آخر.

3- عدم تشجيع المتطوعين العرب للوصول إلى فلسطين، قبل 15 مايو/ آيار 1948.

4- عدم إيقاف ضخ النفط العراقي إلى مصفاة حيفا.

5- مواصلة الجهود الدبلوماسية لإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية.

غير أن الحكومة العراقية التزمت بهذه الإرشادات خلال شهري نوفمبر/ تشرين الثاني، وديسمبر/ كانون الأول 1947، ويناير/ كانون الثاني من عام 1948.

القوات الصهيونية تهاجم وتحتل المدن الفلسطينية:

إن الأحداث المتسارعة في فلسطين وقيام الهاغاناه وبقية القوات الصهيونية بالهجوم علي المدن الفلسطينية، في نيسان/ أبريل 1948. واحتلالها لأغلب المدن العربية ومنها طبريه، وحيفا، وصفد، ويافا، وبيسان، وإبعاد العرب منها، بطريقة وحشية، كمذبحة دير ياسين استفزت المشاعر العربية بشكل كبير، وولدت سخطًا كبيرًا ضد الصهاينة، مما أجبر القادة العرب علي إرسال جيوشهم إلى فلسطين، بهدف امتصاص النقمة الشعبية الغاضبة.

تغيير القائد العام للجيوش العربية:

لم يمتثل اللواء إسماعيل صفوت لأوامر الملك عبد الله. خلال الأسبوع الأول من مايو/ آيار، ولم يظهر اللواء إسماعيل أي تعاون مع الأمير عبد الإله الوصي علي عرش العراق والملك عبد الله، لذلك لم يعين بصفة رئيس أركان القوات العربية. وصدر قرارٌ بتعيين ضابط عراقي آخر، هو اللواء نور الدين محمود، وأيدت اللجنة السياسية في الجامعة العربية تعيينه، وجاء القرار مشفوعًا بموافقة الوصي والملك عبد الله. وبذلك ضربا عصفورين بحجرٍ واحدٍ، إذ حال ذلك دون تدخل اللواء صفوت أو الفريق صالح الجبوري رئيس الأركان العراقي في شؤونهما. وقد وصف الآخر في كثير من التقارير البريطانية: بأنه " واحدٌ من أعداء بريطانيا في العراق ".

الملك عبد الله لا يرغب في ذهاب القطعات العراقية:

أضيف التغيير في خطة الهجوم الأصلية، التي كان يعتقد بأنها ستحرز النصر، وفق تعليمات الملك عبد الله، الذي لم يكن يرغب بذهاب

القطعات العراقية، إلى ما وراء المناطق التي عينتها الأمم المتحدة للعرب، وفق قرار التقسيم.. وقال الفريق الجبوري إن المعارك كانت تسير وفق خطط الملك عبد الله، التي لا تطابق الخطة الأصلية.

القوات العراقية تغادر فلسطين:

في 16 أبريل/ نيسان1949 غادرت القوات العراقية فلسطين، وكان تعدادها ثمانية عشر ألف مقاتل بعد أن قررت الحكومة العراقية سحب هذه القوات بسرعة. وكان الضباط العراقيون الشباب متأكدين من تصرف بعض ملوك المنطقة بسوء نية في فلسطين، وأن العرب قادرون علي كسب الحرب، وأن غدر السياسيين العرب كان السبب الرئيسي في خسارة فلسطين، فقد لوحظ أن الجيوش العربية علي رغم قلتها وقلة استعدادها وتسليحها، نجحت خلال الأيام الأولي للحرب في السيطرة على أقسام كبيرة من الأراضي الفلسطينية.

الخبراء العسكريون يعارضون استخدام القوة:

أما عن الإجراءات العسكرية التمهيدية التي بادرت بها الحكومة العراقية، فقد بدأت بإرسال وفد عسكري في كانون الثاني/ يناير 1948، برئاسة اللواء الركن نور الدين محمود، إلى شرقي الأردن، للتباحث في أمور عسكرية تخص البلدين، وحين عاد الوفد قدم تقريرًا، أوضح فيه بأن الأمر سيكون في غاية العسر والشدة، وأن الوفد يعارض استخدام القوة.

إصدار الأوامر لتحرك القوة العراقية:

رغم ذلك، وحسب تطور الموقف، فقد صدرت الأوامر إلى " القوة الآلية " وغادرت بغداد، في 28 نيسان/ أبريل 1948، للتجمع في شرقي

الأردن (المفرق).

وفـي 1948/5/6، صـدرت الأوامـر، بتشـكيل جحفـل اللـواء الأول. الـذي وصـل إلـى المفـرق ظهـر يـوم 1948/5/14. فعسكر فـي العـراق، شمال الطريق العام، متخذًا تدابيرَ الحماية الأرضية والجوية، كما هبطت يوم 12 من آيار/ مايو، طائرات القوة الجوية العراقية في مطار " المفرق ".

أرض المعركة:

تمر الحدود الأردنية - الفلسطينية بين بحيرة طبريـة والبحـر الميت، بصـفة عامـة، فـي وسـط نـهـر الأردن، حـين تقتـرب مـن بحيـرة طبريـة، وعندئذٍ تسير شرقًا إلى العدسية، ثم إلى نـهر اليرموك.

يحـيط بنهـر الأردن وادٍ عميـق ينخفض مئـات الأمتـار، تحـت سـطح البحـر. وتقـع علـي جانبيـه سلسـلة مـن الجبـال العاليـة المنحـدرة بشـدة، وخاصة جهة فلسطين نحـو الـوادي. أمـا السـفح الغربـي للسلسـلة، فينحـدر ببطءٍ، ويصلح لسير العربات، وفيه شبكةٌ جيدةٌ من الطرق. أما في شـرق الأردن، فتمـر طريـق واحـدة مـن الشـرق إلـى الغـرب، وعنـدما تقتـرب الطريـق مـن وادي الأردن، وتسـير إلـى منطقـة المضـيق شـرقي النهـر، تسيطر عليها الجبال الواقعة غربي الأردن.

أمـا ميـاه النهـر فـي ذلـك الموسـم، فكـان ارتفاعهـا، يقـارب القـدمين ونصـفًا، ويجتـاز الطريـق العـام النهـر علـي جسـر حديـدي، هـو " جسـر المجامع ".

مشروع الكهرباء " مشروع روتنبرغ " :

في هذه المنطقة يقع مشروع الكهرباء (مشروع روتنبرغ) لإمداد المستعمرات بالكهرباء والمياه، وهو مبني في أراضٍ أردنيةٍ، تقع عند ملتقى نهر الأردن باليرموك، وفيه ثلاثة أبواب:

الباب الأول: (ريجانبا - A)، قبل سمنح، عند مخرج نهر الأردن من بحيرة طبرية، وعليه مغالق حديد فولاذية، وآلات رافعة لرفع السد وإغلاقه، عند اللزوم.

الباب الثاني: على الطريق الغربي غربي " أجدوت " ويوجد مغلاق فولاذي، أصغر من الأول لقياس المياه.

الباب الثالث: عند مدخل الشريعة، على سد اليرموك، وعليه جسر حديدي، وجسر الطريق الرئيسي، ويفتح عند اللزوم فحسب، لاستكمال مياه الخزان.

يقع الخزان في الناحية الشمالية وجدرانه من الأسمنت المسلح، ويوجد على مخرج الخزان جسر " نهرايم " الواقع على الطريق الرئيسي (بيسان - سمنح)، ويمر بجانبه خط السكة الحديد، وتمر القناة من تحته بانحدار تدريجي، فتصل إلى المنحدر الرئيسي لمحطة التوليد - تلك المحطة التي تديرها محركات كبيرة - ويوجد إلى جوار المشروع مطار فرعي، محاط بأسلاك شائكة.

وفي غربي نهر الأردن توجد نقطة دفاعية أنشأها الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية، عرفت باسم خط إيدن، حيث اعتبر نهر الأردن

مانعًـا فـي وجـه الـدبابات، وكـان المقصـد مـن إنشـاء الخـط تجهيز مواقـع دفاعية لإيقاف الزحـف النـازي، الـذي كـان منتظـرًا فيمـا بـين عـام 1941 و1943.

منطقة (غيشر) الدفاعية:

تألفت منطقة " غيشر " الدفاعية من حصـن كبير مربـع تقريبـا طـول ضلعه نحو 200 متر، وقد بنيَ بالأسمنت المسلح، ولا يقل سمك الجـدار عـن المتـرين، لتخـزين السـلاح والـذخيرة، والاحتمـاء فيـه مـن القصـف الجوي، وأحاطـت بالحصـن ثلاثـة خطـوط مـن الأسـلاك الشـائكة، وقـدمت رجال الهاغاناه فيما بينهما عددًا من الألغام المضادة للأفراد وللدبابات.

أما أبواب الحصن فهي من صفائح فولاذية، سمكها نحـو 3 - 4 سم. وعلـى الـتلال، خـارج الحصـن، مسـافة مـن 1 - 8 كـم ثمـة دشـم مبنيـة بالاسمنت المسلح، بارتفاعٍ قليلٍ عن الأرض، بها رشاشات وهاونات، وقد أخفيت بزرع الحشائش، فوقها وحولها، وأشرفت تلك الدشم علـى ميـادين واسعة، لضرب النار، وتحكمت تمامًا بالأرض والمحيطـة بهـا، وتعاونـت فيما بينها بخنادق عميقة تصل بين بعضـها البعض.

وكانت تشوينات العدو من الطعام، والأسلحة، والذخائر، فـي الحصـن تيكفي للقتال لمدة شهر ونصف.

مجمل الخطة العراقية:

قـررت القيـادة العامـة، بعـد الاسـتطلاع، أن تقـوم القـوات العراقيـة، بعبور نـهر الأردن من منطقـة المجـامع (فـي مواجهـة بيسـان)، فـي عمليـة متنقلة، وأن يتقدم رتلٌ أردنيٌ من جسر الشيخ نحو (بيارة)، لمساندة القوة

العراقية، في تقدمها من جسر الجامع.

وكان هدف الخطة:

- احتلال منطقة مشروع روتنبرغ (لتوليد الكهرباء والمياه).
- عبور نهر الأردن وإنشاء رأس جسر.
- تطويق قرية (غيشر)، واحتلال المواقع على التلال، لإخضاع القوات الصهيونية المقاتلة في القرية.
- تطويق حصن غيشر، والانقضاض عليه.

الأردن أنذر العمال اليهود بمغادرة " مشروع روتنبرغ " خلال 4 ساعات:

في الساعة الثانية بعد الظهر يوم 11 آيار/ مايو 1948، تقدم متصرف إربد الأردني بهجت باشا طبارة، وقائد المنطقة نديم السمان، فأنذرا اليهود العاملين في محطة توليد كهرباء (مشروع روتنبرغ) بمغادرة المكان، باعتباره يقع في أراض أردنية خلال 4 ساعات، وسمحا لهم بإبقاء الموظفين والعمال اللازمين لإدارة المشروع فحسب، على أن يكونوا غير مسلحين، وهدداهم بالاحتلال العسكري للمشروع، وإيقافه عن العمل، في حالة عدم الموافقة. وبعد مداولات استمرت نحو ساعتين رضي اليهود بالشروط المفروضة، وغادر المسلحون من " الهاغاناه " مشروع روتنبرغ، ورحلوا مع أسلحتهم إلى مستعمرة " غيشر " غرب نهر الأردن، بينما بقي أربعون صهيونيًا غير مسلحين في المشروع لإدارته.

القوات العراقية تعتقل أفراد المشروع:

تحركت القوة الآلية العراقية من " المفرق " في الساعة الواحدة بعد ظهر يوم 5/14، على طريق " إربد - وادي عربه "، وعندما وصلت مقدمتها إلى مخفر شرطة الجامع، دخلت سرية مشاة آلية منطقة مشروع روتنبرغ، واعتقلت الصهاينة الأربعين.

آمر القوات العراقية وجه إنذارا إلى الصهاينة بحصن " غيشر " :

وقد قام آمر القوة الآلية العراقية بتوجيه إنذارًا إلى القوة الصهيونية، في حصن " غيشر " طالبًا فيه باستسلام المسلحين المتحصنين في الحصن، مع أسلحتهم، وأعتدتهم، وأنذر بدك الحصن بالقنابل إذا لم يجاب إلى طلبه.

القوات الصهيونية بالحصن تستعد لصد الهجوم العراقي وتنسف الجسور:

- وفي اليوم نفسه توافدت نجدات " الهاغاناه " إلى منطقة " غيشر "، وتسلح صهاينة المنطقة والمناطق المجاورة، واتخذوا الاستعدادات لمواجهة الهجوم العراقي المتوقع. ولكن يوم 14 آيار/ مايو انقضى دون اشتباك بين العراقيين والصهاينة، وبعد حلول الظلام نسفت فرق صهيونية الجسر التركي القديم بين " نهرايم "، ثم نسفت جسر روتنبرغ على نهر الأردن.

- وبعد منتصف الليل نسف الإسرائيليون جسر السكة الحديد على الأردن، وانقطعت جميع المواصلات التليفونية بين " غيشر " وباقي مستعمرات وادي الأردن.

الانقضاض على حصن " غيشر " :

1- اقتضت العوامل السياسية عدم القيام بأي عمل حتى الواحدة من صباح 15 آيار/ مايو 1948.

2- لما كان الإسرائيليون يتوقعون تقدم القوات العراقية، كان من الطبيعي أن يقوموا بنسف الجسور، قبل وصولهم إليها. وهكذا فقد كان واضحًا أن فرصة عبور نهر الأردن ودخول فلسطين بسهولة من هذا الاتجاه (إربد - الجامع - غيشر) أمر غير ممكن.

3- كان واضحًا أيضًا، للأسباب المتقدمة، أن العدو لابد أن يفتح أبواب خزانات المياه في مشروع روتنبرغ أو ينسفها، ليرفع مستوى مياه النهر، فيمنع المجال لعبور القوات العراقية خوضًا.

4- لذا كان من الضروري إحضار مواد إقامة الكباري والجسور، حتى يمكن إقامة كوبري عسكري بسرعة، ولكن ذلك كان يتعارض مع مبدأ المفاجأة، لأن جلب هذه المواد مبكرًا يفضح نية القيادة في التقدم من هذا المحور، بينما كانت القيادة العراقية تريد كتمان جهة التقدم.

لهذا السبب نفسه " كتمان جهة التقدم " ظلت القوات العراقية معسكرة في المفرق حتى صباح 5/14، إذ أن المفرق بمثابة عقدة مواصلات تلتقي فيها عدة طرق، وبإمكان القوات المحتشدة فيها أن تتقدم باتجاه الشمال، فتسلك الطريق التي تخترق القطر السوري، أو أن تتجه على طريق " إربد - جسر الجامع "، أو أن تتقدم على محور " عمان - جسر اللنبي " أو جسر دامية، فتدخل فلسطين.

اجتياز نهر الأردن:

انتخبـت المخاضـة القريبـة مـن شـركة الـنفط، جنـوب جسـر غيشـر بحوالي 4 كم، للعبور وفـي السـاعة الخامسـة صـباح 5/15، بـدأت سـرية مشاه من الفوج الآلي وسرية مدرعات من كتيبة خالد، بعبور النهـر الـذي كان منسوب المياه فيه يرتفع تدريجيًا، نتيجة قيام العدو بنسف السدود.

طريق عبور المدرعات:

كانت المدرعات تعبر النهر بأن تُربَط بحبلٍ أو سلكٍ طويل ويسحبها أحد الجرارات التابعة لشركة النفط من الجانـب الآخر، بينمـا كـان المشـاة يعبرون خوضًا.

إنشاء رأس الجسر:

في خلال ساعتين أقامت سرية المشاة رأس جسر علـى التل الأحمر، جنوب غيشر غربي النهر، ونظـرًا لوجـود عدة طـرق تتجـه نحـو الشـمال إلى مستعمرة " غيشر " ونحو الغرب باتجاه بيسـان، وإلـى الجنـوب نحـو بيـت يوسـف، فلـم يـتمكن العـدو مـن معرفـة وجهـة زحـف وتقـدم القـوات العراقية.

بدء الاشتباك:

لـم يتلـق آمـر القـوة الآليـة جوابًـا مـن حسـن غيشـر علـى إنـذاره حتـى صـباح 5/15، وفي الخامسة والنصف بدأت القوة الآلية تفتح النار بأسلحة وهاونـات الفـوج الآلـي، ورشاشـات المـدرعات، وقصـف حصـن غيشـر بمواقع كتيبـة الصـحراء الثالثـة (25 رطـلاً)، كمـا اشـتركت القـوة الجويـة العراقية في القصف. بينما قام سربٌ آخر من الطائرات باستطلاع منطقة جسر الجامع، والطرق المؤدية إلى غيشر.

خسائر العدو:

دمر قصف المدفعية والهاونات بعض مزاغل (المزغل ثغرة صغيرة في الحصن، يطلق فيها النيران من رشاشات أو بنادق تكون داخل الحصن) وجناحًا صغيرًا، إدعى الصهاينة في بلاغهم بأنه الجناح المعد للعمليات الجراحية والإسعاف.

العدو يروج:

قام العدو بفتح نيرانه على القوات العراقية، ومدرعاتها، الموجودة في مشروع روتنبرغ وتلك التي كانت تعمل بجوار مخفر شرطة الجامع.

تطور القتال يوم 16 مايو:

1- شنت القوات العراقية صباح 16 آيار/ مايو هجماتها على حصن " غيشر " من اتجاهين [1].

الاتجاه الأول: من غربي الأردن جنوب المستعمرة، حيث عبرت يوم 5/15 سرية مشاة من الفوج الآلي وتمركزت في التل الأحمر. وكذلك عبرت معها سرية مدرعات، ثم عبر الفوج الثاني من اللواء الأول ليلة 1948/5/16.

الاتجاه الثاني: جهة مخفر شرطة " الجمرك - المنشية " يمين ويسار طريق إربد - غيشر العام، حيث كانت باقي وحدات القوة الآلية.

2- في الرابعة فجر يوم 16 آيار/ مايو تقدم الفوج الثاني من اللواء الأول منتشرًا في منطقة عبوره مع سرية مدرعات، تقدم نحو الشمال

---

(1) محمد فيصل عبد المنعم، أسرار 1948، دار الهنا للطباعة، القاهرة، 1968، ص 117.

باتجاه قلعة غيشر من غربي الأردن، واستطاع الاقتراب منها إلى 800 متر تقريبًا، حيث توقفت السريتان الأماميتان من نيران الرشاشات والهاونات المعادية، وانفجار بعض الألغام، ورغم استخدام نيران المدفعية (25 رطلاً) من ضفة الأردن والشرقية، فإن السرايا لم تستطع التقدم إلا لمسافة ضئيلة، حيث لم تؤثر نيران المدفعية على استحكامات ومواقع العدو والحصن.

احتلال محطة غيشر والهضاب الغربية:

1- استخدم آمر الفوج الثاني السرية الاحتياط باتجاه محطة قطار غيشر، لتي كانت السرية اليمنى قد تمكنت من احتلال التلال المشرفة عليها، وعلى قرية الجامع المجاورة للمحطة.

2- بعد قتالٍ دامَ ثلاثَ ساعاتٍ، استبسل فيه آمر السرية الثانية نهاد شاكر، ووكيل آمر الفصيلة الرابعة، العريف سلمان عبود، الذي جرح مع عدد من جنوده في هذا القتال، استطاعت السرية احتلال محطة قطار غيشر في الثانية بعد ظهر 5/16.

3- أما السرية الثالثة من الفوج الثاني، فقد كانت تتقدم من اليسار، واستطاعت باستخدام نيرانها والأسلحة المساعدة من الفوج والمدرعات، أن تحتل التلال (تل باب المنظار) شمال غرب الحصن بمسافة 600 متر.

وقد قوبلت هذه السرية، بنيرانٍ كثيفةٍ جدًا، من العدو مما تعذر معه، تمامًا، على المجاهدين اختراق هذا السد الناري الكثيف. وقد تكبدت السرية خسائر فادحة مما اضطرها إلى التوقف، والاحتفاظ بالتلال.

محاصرة قرية وحصن غيشر:

حتى عصر 5/16 لم يستسلم حصن غيشر، وكان المعتقد أن حامية الحصن قد تكبدت خسائر فادحة، فأصدرت القيادة العراقية أمرا في الرابعة والنصف، بمحاصرة قرية غيشر " من جميع جهاتها، لمنع العدو من الهرب أو وصول نجدات إليه.

مهاجمة تلال وحصن غيشر:

1- عقد وكيل قائد القوات العراقية، الزعيم طاهر الزبيري، مؤتمرًا ليليًا في قصر القيادة، في وادي عربة ليلة 16 - 17 آيار/ مايو، حضره العقيد الركن نجيب الربيعي، آمر الجحفل الأول، وبعض القادة الآخرين، للبحث في القتال الذي جري يوم 16 آيار/ مايو، وتبادل الرأي بخصوص يوم 17 آيار/ مايو، وانتهى المؤتمر منتصف الليل، بقرار استئناف الهجوم صباح اليوم التالي، على قرية غيشر بجحفل اللواء الأول، وتحت قيادته سرية ومدرعات، مع طلب قصف مستعمرات: كوك - بيسان - بيت يوسف، بالطيران بقنابل خفيفة ومتوسطة.

في السادسة من صباح يوم 5/17 بدأ الفوج الأول من اللواء 15 بالتقدم إلى المخاضة، ثم بدأ بالعبور من المنشية. وفي العاشرة بدأ التقدم منتشرًا نحو الشمال، كما بدأ العدو في قصف الفوج بقنابل الهاون وبالطيران، وقد جرح آمر الفوج الثاني، المقدم رفيق أحمد، وضابط الإسناد الملازم كاظم عبد الكريم، كما أصيب آمر سرية الإسناد الرئيس أول نافع سيد احمد.

في هذا الوقت كان ملك الأردن عبد الله، والوصي على العرش العراقي الأمير عبد الإله، قد حضرا مع عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية، وبعض ضباط القيادة العامة إلى شرق نهر الأردن للاطلاع على القتال الدائر.

يقول اللواء الركن خليل سعيد - وكان من حضور هذه المعركة - بالحرف الواحد " ويظهر أنه قد راق لهم (يقصد الملك عبد الله والأمير

عبد الله ومرافقيهم) تسلق الضباط والجنود للتلال في غربي الأردن، واحتلالهم لبعض السفوح والقمم الواقعة غرب الطريق، واعتقدوا أن الفرصة سانحة لاحتلال قرية كوكب الهوي الموجودة أعلا المنطقة ".

وعلى ذلك فقد صدرت الأوامر بجهاز لاسلكي القيادة العراقية (من الضفة الغربية)، إلى آمر الفوج الأول من اللواء 15، المقدم الركن عادل أحمد راغب، بأن القائد الأعلى للجيش يطلب توجيه سرية من اللواء نحو قرية كوكب الهوى واحتلالها.

اعترض آمر الفوج مبينًا الصعوبة في تنفيذ هذا الأمر، إلا أن تأكيد القيادة عليه أدى إلى أن يصدر أمره لواحدة من سرياته بالتوجه إلى القرية المذكورة لتحتل البساتين والقرية نفسها، بينما استمر الفوج (عدا السرية التي أرسلت) في التقدم نحو الشمال حسب الخطة الأصلية.

تعزيز الهجوم على كوكب الهوى:

ما أن حانت الساعة الثانية بعد الظهر، حتى كانت السرية المذكورة قد اضطرت إلى التوقف، نتيجة وعورة المنطقة وشدة نيران العدو. فعززها الفوج بسريةٍ أخرى بقيادة الرئيس الأول طالب جاسم العزاوي، التي تسلقت المرتفعات، بكل حماس حتى وصلت إلى حافة البساتين، وأطلقت في عصر اليوم نفسه، إشارة احتلال الهدف وطلبت إرسال المياه والتعيينات، في حين تبين فيما بعد أنها لم تكن قد أتمت احتلال الهدف.

هجوم المدرعات على حصن غيشر:

في حوالى الخامسة عصر يوم 17 آيار/ مايو كان ضباط المدرعات على أجهزتهم اللاسلكية يتلقون أمرًا مباشرًا من مقر القيادة، على نفس

الطريقة السابقة في تعديل الخطة، بأن القائد الأعلى للجيش العراقي يطلب القيام بالهجوم على قلعة غيشر واحتلالها، وأن تكون السريتان تحت قيادة أقدم ضابط فيهما.

معركة الليل:

عند حلول الظلام كانت المدرعات تتقدم بحذر، السرية الأولى في اليمين والثانية في اليسار، وتحت قيادة الضابط الأقدم بالسريتين، الرئيس الأول طاهر يحيى.

تقدمت المدرعات في نظام حربي دقيق على الحصن، وكانت في زحفها تشبه نقل الأحجار من رقعة الشطرنج (كما جاء في مذكرات صهيوني أسير في معارك وادي الأردن).

وانصبت على السريتين نيران العدو المتحصن في القلعة، فأجابتها المدرعات بنيران الرشاشات الخفيفة والثقيلة لإسكاتها. واندفعت السريتان بجرأة بالغة نحو القلعة، يتسابق أفرادها لنيل شرف السبق في الجهاد، وعلى مسافة 500 متر من القلعة، بدأت المدرعات تقليل من سرعتها لوعورة الأرض، ثم أخذت المسافة تتناقص تدريجيا حتى بلغت 250 مترًا، وأصيبت أحدى المدرعات بلغم واضطر طاقمها إلى تركها. ورغم شدة النيران كان المدرعات استطاعت الإحاطة بالقلعة من جهتين، حتى أصبحت على مسافة لا تزيد عن 100 متر من إحدى الجهات، بينما تناقصت المسافة إلى حوالى 70 مترًا من الجهة الأخرى.

صب العدو أشد ما أمكنه من النيران على المدرعات. وفي المساء أصيب الرئيس يحيى عكاشة بطلق ناري في رأسه، وبعد نصف ساعة

أصيب الرئيس الأول طاهر يحيى.

بينما قام الرئيس صفاء محمود، أقدم ضابط في السريتين، بإبلاغ القيادة بأنه سيحاول فتح باب القلعة مهما كلفه الأمر.

المدرعات العراقية تتحدى القلعة:

هكذا وقفت المدرعات أمام حصن غيشر متحدية عنيدة، كأنها النمور المتحفزة للانقضاض على فريستها. وكان يسمع من قرع الرصاص على الدروع قرقعة شديدة متواصلة. بينما واصلت المدرعات الرمي برشاشاتها على القلعة.

وبدأ القتال القريب بالقنابل اليدوية:

إستمر التضييق على الحصن باستمرار حول الظلام، واقتربت المشاة والمدرعات أكثر، وبدأ القتال بالقنابل اليدوية، واستطاعت المفارز الأمامية للفوج الثاني من اللواء الأول، الوصول قبل منتصف الليل إلى أبنية مستعمرة غيشر، وتطلب الموقف نسف الأسلاك الشائكة والسياج المحيط بالقلعة، تمهيدًا لنسف الباب.

عمل بطولي:

تبرع لهذا الواجب الخطير نائب العريف محمد عبد الله، وسائق المدرعة، ونائب العريف شهاب أحمد، من مدرعات خالد. وانقضا بمدرعتهما، ورصاص العدو ينهمر عليهما، في الحادية عشر والربع مساءً، وفتحا النار على سياج القلعة والأرض المحيطة بها، لتفجير ما يحتمل وجوده من ألغام، ثم اقتحما بمدرعتهما سياج الأسلاك الشائكة، وانطلقا إلى الأمام نحو باب الساحة الداخلية للقلعة من ناحيتها الجنوبية

والشرقية المواجهة للأردن.

عندما أصبحت المدرعة ملاصقة للباب، لم يعد بإمكان الصهاينة إطلاق النار عليها من نوافذ الحصن، لشدة النيران الساترة من جهة، ولأن الأسلحة المضادة للدبابات لا يمكن استخدامها من زاوية حادة من نوافذ الحصن من جهة أخرى. وإزاء هذا الوضع، فقد استعد اثنان من جنود الحصن يحملان قنابل مولوتوف المحرقة، لاستقبال المدرعة عند اقتحامها الباب الحديدي للحصن.

الدبابات تحاول كسر باب الحصن:

حاولت المدرعة أن تفتح الباب بالنيران فعجزت. وأخيرًا توصلت المدرعة لوسيلة اتسمت بالمجازفة والجرأة والشجاعة، فقد تراجعت قليلاً إلى الوراء، وبسرعة جنونية تقدمت ونطحت الباب الحديد بصدمة عنيفة لكن الباب صمد للصدمة ولم ينكسر. وتعطلت المدرعة نتيجة النيران والأسلاك الشائكة والألغام، وهي تبعد أقل من 30 مترًا من الباب. وكان لابد من سحب المدرعة وإنقاذ طاقمها، فتطوع الجندي أول (قرياقور عبد الله) ونزل من مدرعته، وربط سلك السحب، رغم رهبة الموقف تحت النار، حتى أتم واجبه، وسحب المدرعة العاطلة نحو 40 مترًا، حتى استقرت خلف الأبنية.

المعركة تستمر:

استمرت المعركة الليلية، وكانت نيران الرشاشات، والهاونات، والقنابل اليدوية، تنهمر من الجانبين، حتى انقض في حوالى الثالثة بعد منتصف ليلة 17 - 18 آيار/ مايو نائب العريف عبد الرازق عبد الله،

ونائب العريف عبد الله حسن، على باب الحصن وفي منطقة كانت مضروبة بالنيران الكاسحة، فوضعا البارود تحت الباب الحديد وأشعلا الفتيل ثم عادا، وصعدا إلى المدرعة، التي لم تكد تنسحب قليلاً إلى الخلف حتى انفجر البارود، وتم نسف جزئي لباب القلعة، أسفر عن ثغرة في الباب.

حينئذٍ عاد الصهيونيان حاملين القنابل المولوتوف، وربضا بجوار الثغرة المفتوحة في الباب، واقتربت المدرعة العراقية من الباب ثانيةً، فالقيا عليها قنابل المولوتوف، واندلعت النار في المدرعة. فحملها ذلك على العدول عن اقتحام المدخل، وانسحبت والنار مشتعلة فيها، بينما المدرعات الأخرى تسترها بإطلاق النيران على القلعة.

القائد الصهيوني يتفقد حالة الحصن:

عندما تفقد آمر منطقة غيشر الإسرائيلي حامية الحصن ليلاً، وجد رجالها لا يستطيعون حراكًا من شدة التعب والإعياء، ووجد القلعة قد كثرت فيها الثغرات، وشاهد عند السياج أربع مدرعات تجثم بدون حراك، بينما راحت بعض المدرعات الأخرى تستر على بعد 90 مترًا، محاولةً جر المدرعات المعطلة.

المؤتمر الليلي وخطة الغارة على بيت يوسف:

عقد في مؤتمر القيادة العراقية ليلة 17 - 18 آيار/ مايو، مؤتمرًا عن أعمال وواجبات اليوم التالي، وبالنظر لورود برقية آمر الفوج الأول من اللواء 15 في الثامنة والنصف مساء 5/17، بإخلاء قرية كوكب الهوى، وطلب عدم قصفها بالطائرات، صباح يوم 5/18، فقد جرى الاتفاق في

المؤتمر على الإغارة على مستعمرة بيت يوسف بجحفل فوج من اللواء الأول، مع استمرار محاصرة حصن غيشر بالفوجين (فـ3 ل 1 - ف 1 ل 15) ودخوله عنوة.

ملخص الخطة:

تلخصت الخطة في أن يتقدم الفوج الأول من اللواء الأول بالسيارات، متخذًا تدابير الحماية بمساعدة المدرعات حتى نقطة الترجل (على بعد 1 كم من المستعمرة) حيث يتقدم الفوج مترجلا لحرق المستعمرة وتدميرها والانسحاب.

في السادسة وأربعين دقيقة، قصفت القوات الجوية العراقية مستعمرة بيت يوسف حسب الخطة.

موقف كوكب الهوى:

اعتقدت سريتا الفوج الأول، في اللواء الخامس عشر - كما سبق الإشارة - أنهما احتلتا الهدف. وعندما اكتشفتا أنهما لم تحتلاه بعد، تقدمتا فجر 5/18، عبر البساتين لدخول القرية، فانصبت عليهما نيران كثيفة فجأة، من أبنية القرية. ويبدو أن الصهاينة أحضروا نجدات إلى القرية ليلاً. ونتيجة للنيران الشديدة على السرية، استشهد آمر السرية الرئيس أول طالب جاسم العزاوي وثلاثة وعشرون من الرتب الأخرى، كما جرح أربعون آخرون. وحوالي الساعة السادسة تقهقرت السرية بدون انتظام، عائدةً إلى أماكنها الأصلية.

العدول عن الغارة:

في الصباح الباكر اتضحت جسامة الخسائر التي تكبدتها القوات العراقية التي هاجمت كوكب الهوى، وخطورة موقفها، ما قد أجبر القيادة العراقية على أن تأمر بصرف النظر عن الإغارة على مستعمرة بيت يوسف، وتقرر وضع خطة جديدة لمهاجمة كوكب الهوى بقوة فوج، هجومًا مدبرًا.

تغيير محور الهجوم:

نظرًا لتطور الموقف العام، والمتمثل في رغبة الملك عبد الله في احتلال القدس القديمة بالجيش الأردني، فقد اتجهت النية إلى تكليف الجيش العراقي بالعمل في قطاع لواء السامرة - نابلس، وأقضيتها (جنين وطولكرم)، على أن يظل محتفظًا بمحور " إربد - الجامع "، وبناء عليه، فقد صدرت تعليمات القيادة العراقية العامة، كالآتي:

1- تهيئة جحفل لواء مشاة، ليتحرك من بغداد إلى لواء السامرة الفلسطيني، ليصل بسرعة، قبل فرض الهدنة الدولية المحتملة.

2- تحريك القوة الآلية، مع فوج مشاه إلى لواء السامرة، بسرعة فائقة.

3- إبقاء جحفل اللواء الأول ناقصًا فوجًا في قطاع الجامع.

الملك عبد الله يقول سأحتل القدس غدًا وتل أبيب بعد أسبوع:

اجتمع الملك عبد الله، في 19آيار/ مايو مع رئيس الجمهورية السورية، شكري القوتلي، في درعا على الحدود السورية الأردنية، وحضر الاجتماع كل من رئيس وزراء لبنان، رياض الصلح، ونظيره

السـوري، جميـل مـردم، والأمـين العـام للجامعـة العربيـة، عبـد الـرحمن عزام، والأميرالاي سعد الدين صبور، رئيس هيئة الارتباط المصري في القيـادة العامـة بالزرقـاء، وقـد صـرح الملـك عبـد الله فـي هـذا الاجتمـاع: " سأحتل القدم غدًا وتل أبيب بعد أسبوع ".

معركة جنين:

أخـذ رتـل " أسـد " مسـؤولية مدينـة جنـين، وبـدأ فـي تنظـيم دوريـات اسـتطلاع، للإغـارة علـى خـط زرعـين - اللجـون، فـي 30 آيـار/ مـايو 1948، أما القوات الإسـرائيلية فقد وضـعت الخطـة علـى أسـاس احـتلال جنين، وباشرت التجهيز ليلة 30 - 31 آيار/ مايو لتنفيذ الخطة.

المعركــة:

فـي العاشـرة والنصـف مسـاء الأول مـن حزيـران/ يونيـو، اسـتطاعت القوات الإسرائيلية الالتفاف واحتلال أهدافها قبل فجر 2 حزيران/ يونيو، أما القوة الإسرائيلية المتقدمة على الطريق العام، فقد لاقت مقاومةً عنيفـةً حين صـمدت سرية المشاة الآلية العراقيـة فـي التـل رقـم 152، ودار قتـالٌ عنيف تسبب في تأخير تنفيذ الخطـة الإسرائيلية. ووقعت خسائر كثيرة في قوات العدو ومركباته طيلة يوم 2 حزيران/ يونيو، ولكنه استمر في التقدم فاضطرت سرية المشاة الآلية الثالثة أن تنسحب بعد الظلام من التل رقم 152، في الثامنة من مساء 6/2.

رتل أسد يتحصن في قلعة جنين:

بذلك التجأ رتل " أسد " إلى قلعة جنين، في القسم الغربيـة مـن البلـدة، وأبـرق آمـر الرتـل إلـى القيـادة بأنـه اضـطر إلـى قبـول الحصـار فـي قلعـة

جنين، في مواجهة قوات تفوقه بثلاثة أضعاف، وأن لدية موارد إعاشة تكفيه ثلاثة أيام، وطلب إرسال نجدات وقصف القوات المعادية بالطيران.

تبادل التراشق بالمدفعية:

استطاع العدو دخول بلدة جنين ببعض قواته ليلة 2 - 3 يونيو/ حزيران، وقام بنسف بعض المباني، في حين اضطر الكثير من الأهالي إلى ترك بيوتهم والالتجاء إلى القلعة تحت حماية القوة العراقية.

بينما استمرت هاونات ورشاشات العدو في قصف القلعة فضلاً عن إغارات الطيران ليلة 2 - 3 ويوم 3 حزيران/ يونيو، فتكبد رتل أسد بعض الخسائر، حيث استشهد الملازم أول عبد اللطيف مسيري وبعض الجنود، وتعطلت 3 مدافع (37 بوصة).

القوات العراقية تقرر الهجوم المضاد لاستعادة جنين:

1- قررت القيادة العراقية شن هجوم مضاد لاستعادة جنين، وبناءً عليه أصدرت القيادة تعليماتها إلى بعض القوات للتحرك إلى جنين في سبيل طرد العدو من البلدة، ومن منطقة الفوج الأول المحاصر بالقلعة.

2- وصلت قيادة الجحفل الرابع إلى المنطقة، وكان الفوج الثاني قد تشكل للقتال، واشتبك مع العدو على التلال المشرفة على مدخل المضيق المؤدي إلى جنين، وعند الظهر أرسل الفوج الثاني برقية يقول فيها " نحن على الجبال، نحتاج إلى المدرعات على الطريق لستر الجناح الأيمن ".

آمر القوات المحاصرة بالقلعة يطلب معاونة المدفعية:

في الحادية عشرة والنصف، طلب آمر الفوج الأول بالقلعة معاونة المدفعية، لأن العدو أخذ يقصف مواقعه بالهاونات بشدة. وبعد أن حدد مكان هاونات العدو، قامت بطارية مدفعية (25 رطلا) باقتحامها تماما.

العدو يتكبد خسائر فادحة:

صب الفوج الثاني نيران هاوناته على العدو بشدة، ومن رسائل العدو اللاسلكية، التي تم التنصت عليها، قدرت خسائر العدو حتى الظهر، باثنين وأربعين قتيلاً وثمانيةً وأربعين جريحًا، وقد قدرت قوات العدو في هذه المعركة بنحو أربعة آلاف مقاتل.

واستمر القتال بعد الظهر، بالعنف والشدة نفسها، وقام الفوج الثاني، بعد ظهر اليوم نفسه، بهجوم على العدو، بمعاونة بطارية مدفعية (25 رطلا)، وذلك بقصف العدو على السفوح المحيطة بالبلدة. واستمر الهجوم نحو ساعتين، وتم استخدام نيران جميع مدافع الهاون وبطارية 25 رطلاً على خنادق العدو، فأصيبت مواقعه بإصاباتٍ مباشرة، بعدد هائل من قنابل المدفعية والهاون، واضطرت بعض وحداته للانسحاب، إلا أنه دفع بوحداتٍ جديدة إلى الجبهة.

الموقف بعد ظهر يوم 6/3:

في الساعة الرابعة والربع بعد الظهر، أرسل الجحفل الرابع تقريرًا بالموقف:

1- احتلت وحداتنا الوادي والقمم المسيطرة على جنين، ولم يبق أحد من العدو في تلك التلال.

2- بسبب تعب وحداتنا تقرر أن يعسكر كلٌ في مواقعه التي احتلها.

3- خسائرنا طفيفة، وخسائر العدو تقدر بأكثر من مائة قتيل، وأكثر من سبعين جريحًا.

4- استمر القتال ليلاً حتى الساعة الحادية عشرة بنيران الهاونات والأسلحة الخفيفة، وتقرر قيام الفوج الثاني من اللواء الخامس فجر يوم 6/4 بالإجهاز على آخر مقاومة للعدو في (التل الأجرد).

هجوم الفجر:

1- قام الفوج الثاني، في الثانية والنصف ليلة 6/3 بهجوم على (التل الأجرد)، بمعاونة مدافع الهاون، فتمكن من احتلاله، في الثالثة وبذلك انهارت آخر مقاومة للعدو، وقد اشتركت بطارية المدفعية في تعقب العدو بنيرانها.

2- اشترك الفوج الآلي برشاشاته في الرمي على العدو، فانقلب انسحاب العدو إلى هزيمةٍ ساحقة، تاركًا وراءه أسلحته وقتلاه، وكانت إصابات القنابل على مواضع هاونات العدو ورشاشاته الثقيلة إصابات مباشرة. وتساقط عدد كبير من العدو قتلى في هذا الانسحاب.

3- وهكذا تم في الساعة الثالثة من صباح يوم 6/4 الاستيلاء على التلول، وفك الحصار عن الفوج الآلي في قلعة جنين.

خسائر العدو:

قدرت خسائر العدو بـ 200 قتيل، وعدد كبير من الجرحى، الذين ظل العدو ينقلهم طوال الليل (حوالي 150 جريحًا).

كما استولى الفوج الثاني على 15 بندقية (برتو)، و3 مدافع هاون (3 بوصة)، ومدفع هاون (2 بوصة)، و2 قاذفات (بيات)، و24 قنبلة يدوية، و3 رشاشات خفيفة، ورشاش برن، و 4 أجهزة لاسلكي. علاوة على كمية كبيرة من ذخيرة الهاونات والطلقات وأدوات الحفر.

خسائر الجانب العراقي:

5 شهداء و25 جريحًا من الجحفل الرابع، و13 شهيدًا و22 جريحًا من الفوج الآلي.

صد الهجوم المضاد:

قام العدو، في منتصف ليلة 4 - 5 حزيران/ يونيو بهجومٍ مضاد، مستخدمًا فيه المشاة بأعداد كبيرة، تعاونهم نيران الهاونات والرشاشات في محاولة للوصول خلف أجنحة الوحدات العراقية، من الشرق والغرب. ولكن الجحفل الرابع صب نيرانه وأحبط الهجوم المعادي، كما استخدمت نيران المدفعية للنجدة، مما اضطر العدو إلى الارتداد فجر 5 - 6 حزيران/ يونيو إلى مواضعه في التل رقم 152، وكانت خسائره جسيمة. فقد عثرت المدرعات العراقية، عندما كانت تقوم بدورياتها، في اليوم التالي، على 36 من جثث الأعداء قريبة من الجسر على الطريق العام.

دور القوة الجوية العراقية:

1- قصفت قلعة غيشر يوم 5/24 بالقنابل الثقيلة.

2- قصفت مستعمرة أشدوت يعقوب في 5/24 وأحدثت بها خسائر فادحة.

3- قامت في 27 - 28 آيار/ مايو بقصف مستعمرة بونا، وتجمعات العدو على الطريق العام، الواقع شرقها. كما هاجمت أرتال العدو المتنقلة على طريق حاضرة - بن يهودا، وقصفت مستعمرة أبو شوشة بقنابل ثقيلة أحدثت فيها عدة حرائق وتدميرا شديدا.

4- قصفت في 29 - 30 - 31 آيار/ مايو مستعمرة خلدة وأبو شوشة، واستطلعت منطقة نبهان، فقصفت الخيام والعربات على الطريق المؤدي إليها. وقصفت الاستحكامات والخنادق المحيطة بها. كما قصفت العفولة بقنابل محرقة، وهاجمت أربع عربات على الطريق، جنوبي العفولة، فأصابتها إصاباتٍ مباشرة.

5- اقتصرت في 1948/6/1 على قصف العفولة وهاجمت أرتال العدو والآلية ومدرعاته ودفاعاته الأرضية لمقاومة الطائرات، في منطقة العفولة - طولكرم وأصابتها، ودعمت القوات في منطقة طولكرم.

6- واقتصرت أعمال القوة الجوية على دوريات الاستطلاع، حتى هجوم يوم 10 يونيو/ حزيران في جميع القطاعات.

نتائج الحرب:

كانت نتائج الحرب الفلسطينية العربية عام 1948 هي هزيمة العرب جميعًا، وتشريد الشعب الفلسطيني إلى خارج أرضه، وهي نتيجة يحملها العرب جميعا لأنهم فشلوا في تحقيق النصر علي الصهاينة.

ومن أهم أسباب فشل العرب في هذه الحرب:

1- عدم إشراك السياسيين للقادة العسكريين في أي نقاش حول الحرب، مما جعل هؤلاء الآخرين في وضع غريب، فهم لم يطلعوا علي قرار دخول الحرب، إلا قبيل اندلاعها، ولم يتح لهم الوقت الكافي لاتخاذ الاستعدادات اللازمة لتعبئة القوات.

2- ضحالة المعلومات المتوافرة في أجهزة قيادات الجيوش العربية عن القوات المعادية في الوقت الذي كان فيه الصهاينة يعرفون أمورًا وأشياء كثيرة عن العرب.

3- رجحان ميزان القوي لصالح (إسرائيل) رغم الكثرة السكانية العربية، وذلك بسبب تفهم الصهاينة الأعمق لمعنى الحرب ومتطلباتها. وإشراكهم كل القوى المتوافرة، وإعلانهم التعبئة العامة، في حين اقتصرت الدول العربية علي زج جزء من قواتها ونسبة لا تذكر من سكانها.

4- ضعف القدرة والخبرة العسكرية لدي القوات العربية، فبعضها كان حديث التشكيل، وبعضها كان بقيادة أجنبية، وكلها لم يسبق لها الاشتراك الفعلي في القتال. في حين توافرت للقوات الإسرائيلية خبرات قتالية اكتسبها بعض قوادها وأفرادها من الحرب العالمية الثانية.

5- افتقار العرب إلى قيادة عسكرية موحدة جادة قادرة علي التخطيط والتنسيق بين الجيوش والإشراف علي سير العمليات، مما أدي إلى إصدارها أوامر تفتقر إلى الدقة في تحديد الأهداف والمهام.

بل لقد أدي تعدد القيادات وتضارب المصالح القطرية إلى تبديل القيادة قراراتها فجأة، خالقة فوضي وبلبلة بين القوات. في حين كانت القوات الإسرائيلية كلها، من نظامية وغير نظامية، ذات قيادة واحدة، أحكمت سيطرتها علي العمليات الحربية، ووجهتها وفق الخطة العامة.

6- عجز الدول العربية عن استغلال فترات توقف القتال لتحسين أوضاع قواتها المسلحة، وتأمين السلاح والعتاد اللازمين كما فعلت (إسرائيل).

7- قصور الدول العربية عن فهم استراتيجيات الدول العظمي المتحكمة في السياسة العالمية. واطمئنانها للوعود. وتقبلها المماطلات التي تقدمها. في الوقت الذي كانت فيه الصهيونية العالمية قد حشدت كامل طاقاتها المحلية والدولية، لخدمة أهدافها الإستراتيجية بالتعاون مع الدول العظمي.

أخيرًا لقد توفرت مجموعة من العوامل مساعدة ومؤيدة للصهيونية، في حين لم يتوفر مثل هذه العوامل للدول العربية. بل يمكن القول إن الدول العربية سعت إلى شراء السلاح من بعض الدول فلم يقبل طلبها. في حين استطاعت الصهيونية أن توفر السلاح والمال والرجال بمساعدة من الدول الاستعمارية، التي كانت تحتل الدول العربية.

إن هزيمة العرب في فلسطين أثرت علي الجيوش العربية التي ذهبت للقتال من أجل قضيتنا القومية، ولكن الأنظمة العربية، في ذلك الوقت،

كانـت جـزءًا مـن الاحـتلال الـذي أدار المعركـة لصـالح إسـرائيل وهزيمـة العرب.

لـذلك عنـدما عـادت الجيـوش العربيـة مـن فلسـطين، وهـي مكسـورة ومطعونـة فـي كرامتهـا، فكـر الضـباط فـي القيـام بثـورة للـتخلص مـن هـذه الأنظمـة. فكانـت ثـورة 1952 فـي مصـر، فـي 23 يوليـو/ تمـوز. وتبعتهـا ثورة العراق، في 14 يوليو/ تموز 1958.

في عام 1948 كانت بريطانيا تستعمر كلاً من مصر، والعراق. ولقد ضـرب ضـباط وجنـود البلـدين، رغـم ضـعف العتـاد والأسـلحة ونـدرتها، أروع الأمثلـة لنكـران الـذات والتضـحية بـالروح، ولـئن كـان الجـيش المصري غير معدٍ للقتـال، فـي ذلـك الحـين، فلم يكـن الـذنب ذنـب هـؤلاء الشـباب الأبطـال، الـذين رووا بـدمائهم أرض فلسـطين الطـاهرة، وآمنـوا بالهـدف وبعدالـة القضـية التـي كـانوا يقـاتلون فـي سـبيلها، وسـارعوا إلـى الجهاد، واستهانوا بالموت في سبيل أداء الواجب.

ولـم يكـن الوضـع بالنسبة للجيش العراقـي بأحسـن حـال، مـن شـقيقه الجيش المصري، ورغم ذلـك كـان رجـال الجيش العراقـي البواسـل علـى أحـر مـن الجمـر لـدخول فلسـطين، وتخلـيص أشـقائهم عـرب فلسـطين مـن الإرهـاب الصـهيوني، وإنقـاذهم مـن المصـير التعـس الـذي ينتظـرهم علـي أيدي الصهاينة.

لكن الاستعمار البريطـاني جعل من الجـيش العراقـي جيشـا غيـر مهيـأ للقتـال، ويكفـي أن نعـرف أن الجـيش العراقـي، حتـى عـام 1948 (عـام

دخول الحرب)، كان نصفه يستخدم الدواب والبغال للنقل! وحينما اشتبكت قواته، للمرة الأولى، مع القوات الإسرائيلية، فوجئت القوات العراقية بعدم معرفتها استخدام الأسلحة المضادة للدبابات، مما أدي إلى أن يشترك بعض الضباط العراقيين وصف الضباط مع الجيش الأردني، في تعلم استخدام القاذف الضاد للدبابات.

يقول اللواء الركن خليل سعيد: " لم تكن هناك لائحة حرب، ولا خطة تحرك في دائرة الأركان العراقية تعالج اشتراك الجيش العراقي في القتال في فلسطين ... ولم ترصد في ميزانيات 1947 و 1948 مبالغ غير اعتيادية للجيش، كما لم ترصد، عام 1948، (ميزانية حرب) للنهوض بأعباء نفقات القتال ".

المراجع والمصادر:

الزمان - بغداد 1952/3/15.
محمد مهدي كبه، **مذكراتي في صميم الأحداث 1918 - 1958**، مطابع دار الشؤون الثقافية، 1988، بغداد.
هيثم الكيلاني - الموسوعة الفلسطينية - المجلد الخامس، دراسات فلسطينية، ط1، بيروت، 1990.
محمد حمدي الجيفري، إنقلاب الوصي في العراق، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000.
خلدون ساطع الحصري، مذكرات طه الهاشمى 1942 - 1955 القضية الفلسطينية، بيروت، دار الطليعة، 1978.
صالح صائب الجبوري، محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية، بغداد، دار الكتب، 1970.
محمد فيصل عبد المنعم، أسرار 1948، دار الهنا للطباعة، القاهرة، 1968.
مذكرات يهودي أسير في معارك وادي الأردن، أسرار 1948.

* * *

الفصل السابع:
الجيش الأردني في الحرب

ياسيمن حلمي العايدي

لعل من أهم المعايير العسكرية لدراسة الحروب، هي مضاهاة حجم القوة العسكرية للأطراف المتحاربة، مع الأخذ في الاعتبار تقدير كل طرف من الطرفين حسابات المكسب والخسارة في إدارة العمليات الحربية، قبل البدء في المواجهة العسكرية. فبدخول القوات العربية، ومن بينها الجيش الأردني في حرب 1948، من أجل تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني، والذي أعلن قيام دولته، في 15 مايو/ أيار1948، واجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في دمشق، لتقر إرسال الجيوش العربية، في سبيل إنقاذ الشعب الفلسطيني، وعلى أن الملك عبد الله قائدًا عامًا للقوات العربية.

أولا: تعداد وخطط الجيش الأردني بالمقارنة بالجيش الإسرائيلي

بالرجوع إلى ميزان القوة العسكرية، إبان الحرب، وذلك من خلال قياس حجم القوات الأردنية، ومقارنتها بحجم وقوات المنظمات الصهيونية، وكذلك الخطط العسكرية التي وضعها الطرفان، قبل بدء المعارك، وما تحقق منها. وعن نشأة الجيش الأردني، فترجع إلى عام 1928، بدعم من القوات البريطانية، حيث تلقى الجيش الأردني تدريبات عسكرية، لذلك كان الجيش الأردني عند اندلاع الحرب، يعد من أفضل الجيوش العربية، فأغلبها يفتقر إلى الكفاءة القتالية في الحرب، وقاد

الجيش الأردني الفريق جون باجوت جلوب، الضابط البريطاني.

عن الجيش الإسرائيلي، والذي كان يضم المنظمات الصهيونية (الهاغاناة، الأرغون، شتيرن)، غير وحدات الشرطة اليهودية التي أنشأتها ودعمتها قوات الاحتلال البريطاني، وكان عددها، في عام 1937، حوالي 3800 يهودي، ووصل تعدادهم إبان الحرب إلى ما يقرب من عشرين ألف، مكلفون بأعمال الحراسة على المستعمرات. غير أن نشأة المنظمات العسكرية الصهيونية، على رأسها " الهاغاناة "، التي أنشئت عام 1936، أي الفترة التي شهدت الثورة الفلسطينية، حينئذ، ثم انشقت منها منظمة " الأرغون "، عام 1937، وفي عام 1940 انشقت مجموعة عسكرية عن الأرغون، سميت منظمة " شتيرن "، وكل منظمة منها كانت تمثل تشكيلاً عسكريًا قائمًا بذاته. أما عن العنصر الثاني في الجيش الإسرائيلي، والذي كان يضم " الفيلق اليهودي " في الجيش البريطاني، كذلك العسكريين اليهود، والذين كانوا في أوطانهم الأصلية، مشاركين في الحرب العالمية الثانية، حيث منهم من خدم في الجيش الأمريكي، ومنهم من الجيش السوفييتي والبولندي وغيرها. ويرجع تأسيس " الفيلق اليهودي " في الجيش البريطاني إلى الحرب العالمية الأولى، حيث شارك مع القوات البريطانية في العديد من المعارك، إلى أن أعلن رئيس الوزراء البريطاني، ونستون تشرشل، في 20 سبتمبر/ أيلول 1944، أن " الفيلق اليهودى أصبح تشكيلاً عسكريًا قائمًا بذاته ". وكان لواء مشاة تعداده 5500 مقاتل، ووصل " الفيلق اليهودي " إلى

فلسطين في أواخر 1947، ليحارب مع " الهاغاناة " [1].

حينما اندلعت الحرب، كان الجيش الأردني يضم ثلاثة ألوية، بقيادة جون باجوت جلوب، حيث ضم اللواء الأول، وكتائبه، ما يقرب من 2250 جندي، علاوة على اللواء الثالث، الذى ضم 2300 جندي، وكان اللواء الرابع عدد جنوده 2300، غير أن قيادة الفرقة، بكتائبها المدفعية، حوالي 750 ضابطًا، وقد شارك المناضلون الأردنيون بحوالي 1200 مقاتل[2]. واختلفت الآراء عن الحجم الفعلى للقوات الأردنية، فلم يذكر جلوب في كتابة " جندي مع العرب " سوى تعداد لوائين فقط، والذي قدرهم بقرابة 4550 جندي فقط. فيما تناول عبد الله التل تعداد الجيش والمناضلين الأردنيين بحوالى 9050 جندي ومقاتل، غير أن محللاً عسكريًا إسرائيليًا، أكد على أن الجيش الأردني كان يضم ثلاثة ألوية، فتوافق في ذلك مع مذكرات التل. وبالنسبة للجيش الإسرائيلي، والذي كان معدًا بشكلٍ نظاميٍ، من قبل دخوله الحرب مع العرب، علاوةً على أن حجم قواته كانت، تقريبًا، أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش العربية مجتمعة، فضم من داخل فلسطن (منظمة الهاغاناة، الأرغون، وشتيرن، غير قوات الشرطة اليهودية). وتناول بن غوريون، في مذكراته، تشكيل " الهاغاناة "، في 15 مايو/ أيار 1948، حيث كانت تضم عشر لواءات، فيها ثلاثة للبالماخ، بـ 6000 مقاتل، ولواء كرملي 2238 مقاتل، لواء غولاني 3588 مقاتل، لواء إسكندروني 3588، لواء كرياتي 2504،

(1) محمد حسنين هيكل، **العسكرية الصهيونية**، القاهرة، مؤسسة الأهرام، مركز الدراسات السياسية، 1972، ص 98.

(2) عبد الله التل، **كارثة فلسطين (مذكرات عبد الله التل)**، ط 2، القاهرة، 1999، ص 8.

لواء جعفاتي 3229، لواء شيفع ثمانمائة مقاتل، لواء عتسيونى 3166، وشكل لواء الكوماندوز بعد ذلك، بقيادة موشى ديان، هذا بالإضافة إلى 4161 مقاتلاً من أسلحة الخدمات، ما بين مدفعية وهندسة وطيران(1). في الواقع كانت قوات الهاغاناة الأصلية والاحتياطية (ما بين 40 إلى 50 ألف مقاتل)، على الرغم من أنها كانت عنصرًا واحدًا من ثلاثة عناصر للقوات المسلحة الإسرائيلية. كما أن عدد أفراد الشرطة الصهيونية (حرس المستعمرات) بلغ قرابة إثني عشر ألف مسلح، أما القوات من خارج فلسطين، فكان عدد الفريق اليهودى في الجيش البريطاني قرابة عشرة آلاف جندي، ومن ضمن أهم عناصر القوة في الجيش الإسرائيلي، العسكريين الصهاينة، الذين كانوا يخدمون في القوات المسلحة في أوطانهم الأصلية، وشاركوا في الحرب العالمية الثانية. فمن الجيش الأمريكي حوالي 600 ألف جندي صهيوني، الجيش السوفييتي 500 ألف جندي صهيوني*، الجيش البريطاني سبعين ألف جندي، 15 ألف جندي صهيوني في القوات البولندية، أما عدد الضباط من الخارج فحوالي 529 ضابط، منهم ستين ضابطًا من " الفرقة اليهودية " (2) وامتلك هؤلاء الضباط كفاءة قتالية عالية، خاصة في التخطيط المباشر، والبعيد المدى

---

(1) وليد الخالدي، **خمسون عامًا بعد حرب 1948**، بيروت، دار النهار للنشر، ص 32-33.

(*) ويردف هيكل، ص 82: بأن تلك الأرقام وفقًا للادعاءات الصيونية، وهي مبالغ فيها إلى درجة كبيرة، وأنه تضخيم إعلامي لدور اليهود في الإجهاز على هتلر والقوات النازية، إذ أنه من غير المعقول أن يضع يهود العالم 15% من عددهم تحت السلاح، في حرب عالمية إفنائية ضروس!

(2) محمد حسنين هيكل، **أزمة العروش صدمة الجيوش**، ط 5، القاهرة، دار الشروق، 2007، ص 80، 81، 82.

للعمليات، وفي إدارة الحرب النفسية، والكيماوية، والبيولوجية. هذا على عكس ما كانت عليه الجيوش العربية في الحرب، حيث كانت تفتقر إلى التدريب على العمليات القتالية، واعتبر الجيش الأردني من أفضل القوات العربية، لأنه تلقى تدريبات عسكرية على يد الضباط البريطانيين، ولكنه لم يكن بمثل أداء القوات الإسرائيلية في إدارة العمليات القتالية.

فيما يتعلق بالأسلحة المستخدمة في الحرب، فقد أمدت القوات البريطانية المنظمات الصهيونية بالأسلحة، حينما قررت بريطانيا الجلاء عن فلسطين، وكانت بنادق إنجليزية، ومدافع عيار 6 رطل، ومدافع بيات وصواريخ، ودبابات تشرشل، هذا غير الذخائر التي اشترتها المنظمات الصهيونية من الضباط الإنجليز، المسئولين عن المستودعات الخاصة بالأسلحة، إلى حد بيع مستودعات كاملة لهم، هذا عدا كميات المواد الحربية التي سرقت من مستودعات الخدمة البريطانية في منطقة القناة، في الفترة بين 15 مايو/ أيار و6 نوفمبر/ تشرين الثاني 1948، وتمثلت في ثمانية قنابل، عيار 500 رطل، وقنابل شظايا، عيار 20 رطل، وبلغ عددها ثمانية وستين، وقذائف عيار 5.25 بوصة، وقذائف عيار 4 بوصات، قذائف ثقيلة مضادة للطائرات، عيار 3.7 بوصة، وعددها 993، وكذلك قنابل دك شديدة الانفجار، عيار 25، وقنابل هاون، وقذائف مدافع، وأيضًا مركبات من مختلف الأنواع، وقنابل يدوية، هذا إلى كميات مختلفة من المتفجرات، والمواد الحربية [1].

(1) محمد حسنين هيكل، **العروش والجيوش**، ط7، القاهرة، دار الشروق، 2002، ص 97، 98.

في الوقت الذى كان عملاء الصهيونية في فرنسا والولايات المتحدة، وألمانيا يجمعون مختلف الأسلحة، ويقومون بإرسالها، ومن بينها طائرات C48، مقابل آلاف الدولارات، فقد أقيمت هيئة للطيران الحربى، في 1947، وضمت سبعة وثلاثين طيارًا، وكان لدى هذه الهيئة طائرتين، تايجر موت، وأربع طائرات بولندية، وثلاث طائرات، أوستر، من مخلفات الجيش البريطاني بفلسطين، وغيرهم [1].

لقد حرص ديفيد بن غوريون، منذ 1945، على أن يتوفر لدى الصهاينة مصانع أسلحة محلية، فعقدت صفقات ضخمة مع الولايات المتحدة، من أجل صناعة الذخيرة بفلسطين، وتمكن الصهاينة من إنتاجها، في ذلك الوقت، ومنها القنابل اليدوية، وذخيرة الأسلحة الصغيرة، وقنابل الهاون، من عيار 3 بوصة، والمفرقعات [2]. وقام قادة منظمة الهاغاناة بالتفاوض مع الاتحاد السوفييتي، لتأمين الحصول على أسلحة ومعدات حربية حديثة. أما عن الجيش الأردني، والذى أستخدم مدرعات ثقيلة، وعليها مدفع عيار رطلين ورشاشين، وعددها 72 مدرعة، إثنان وخمسين مدرعة كشافة، عليها رشاشات، ومدافع عيار 25 رطل، وبلغت أربعة وعشرين، مدافع عيار ستة أرطال، وعددها ثمانية وثلاثين مدفع، أربعين مدفعًا هاون، 3 بوصة، تسعة وعشرون مدفع، إثنين بوصة، وعدد 354 رشاش برن، وبلغ عدد البنادق قرابة 7359 بندقية [3].

(1) اللواء حسن البدري، **الحرب في أرض السلام**، القاهرة، دار الشعب، 1976، ص 155.
(2) **المصدر نفسه**، ص 78 - 79.
(3) عبد الله التل، **مصدر سبق ذكره**، ص 86، 87.

في بداية الحرب من 15 مايو/ أيار 1948 وحتى الهدنة الأولى، ضم الجيش الأردني أربع كتائب مشاة، أما القوات الإسرائيلية فكان لديها اثنان وثلاثون كتيبة مشاة، وبعد الهدنة وحتى نهاية الحرب، ازداد عدد الكتائب، فالقوات الأردنية احتوت خمس كتائب مشاة، أما الجيش الإسرائيلي، فازداد عدد كتائب المشاة فيه إلى إثنين وأربعين كتيبة.

فيما يخص الخطط العسكرية، وتوزيع القوات، فإن الخطة العربية للجيوش عامة، نصت على أن تقسم مناطق فلسطين إلى المنطقة الشمالية، المحاذية للبنان وسوريا، ووضعت تحت مسئولية الجيش السوري وجيش الإنقاذ، المنطقة الوسطى، فكانت من مسئولية الجيشين العراقي والأردني، أما المنطقة الجنوبية، فتمتد من الخليل، واتبعت للجيش المصري، على أن تلتقى جيوش سوريا ولبنان والعراق في حيفا، وفيما يلتقى الجيش المصري مع نظيره الأردني، في تل أبيب. وصرح عبد الله التل أن الفريق جون باجوت غلوب أوكل له، بصفته قائد الكتيبة السادسة في الحرب، على أن يبقى في منطقة الغور، والتي اعتبرها بمثابة الجناح الأيسر للجيش العربي، ولكي تحول دون قطع خطوط الرجعة من قبل الصهاينة في منطقتي بيسان والقدس. وذلك من خلال حفر الخنادق، والاستحكامات، خاصة على التلال في الخان الأحمر، ومن ثم بناء أبراج ضد الدبابات، وتحضير ألغام لنسف طريق القدس - أريحا، خاصة الجسور المهمة، وعلى أن تتوزع سرية من الكتيبة في الخان الأحمر، مدعمة بسرية أُخرى، لكي تتمكنا من تعويق تقدم الصهاينة إلى أريحا، فيما تعسكر إحدى السرايا، في جسر داميا، على نهر الأردن، وأن تقوم

بنسف الجسور الواقعة على طريق بيسان - الجفتلك، مع بقاء فئة في المواقع الحربية الهامة، وسرية أخرى احتياطية في أريحا، وفئة منها تحرس جسر اللبني [1].

في 15 مايو/ أيار 1948، تحركت القوات الأردنية إلى مواقعها، التي حددت لها، فاللواء الأول وكتائبة تمركزوا في (النبي صموئيل - الشمال الغربي من القوس - رام الله)، أما اللواء الثالث وكتائبه (في باب الواد - اللطرون - تل أبيب)، فيما اللواء الرابع وكتائبة (رام الله - أريحا - النبي صموئيل - الخان الأحمر) ووزعت قيادة الكتيبة المدفعية، بحيث أصبحت البطارية الأولى في البني صموئيل، لمساندة اللوائين الأول والرابع، والبطارية الثانية ببيت نوبا، لمساندة اللواء الثالث، وإن بقيت مستودعات الذخائر بالسلط وأريحا، وتمركزت السرية الخامسة عشر في اللد والرملة، والسرية الخامسة في نابلس، السرية الثانية عشرة في الخليل، أما السرية الثالثة عشر فبجسر المجامع [2]. أما استراتيجية القوات الإسرائيلية أثناء الحرب فتمثلت في:

1- المحافظة على أرواح أكبر عدد ممكن من الصهاينة.

2- معاونة أعمال القتال في الجبهات الأخرى، وذلك للعمل على إرباك العدو.

(1) **المصدر نفسه**، ص 78 - 79.

(2) **المصدر نفسه**، ص 84 - 85.

كما أن قيادة الهاغاناة، سبق وحددت خططها العسكرية لخوض الحرب، ومهامها:

1- أثناء خوض المعارك مع قوات غير نظامية، حيث ركزت على سمات وتنظيم الجيوش التي تحاربها، وكيفية التعامل معها، من خلال القيام باحتلال مناطق دفاعية، والقيام بأعمال دفاعية تعطيلية، وتوسيع نطاق الهجمات المستمرة على العدو.

2- أثناء الحرب ضد قوات العدو النظامية، التعاون مع القوات النظامية الصديقة [1].

هذا ما وضع في سير العمليات القتالية في 1948، ولجأت قوات الجيش الإسرائيلي إلى جذب تأييد القوى العظمي في أثناء حروبها مع الدول العربية، ولتمرير ما تجده مناسبًا مع مصالحها، كفرضها للهدنة من خلال الأمم المتحدة، ووضعت القوات الإسرائيلية خطتين، أثناء الحرب (خطة يوشع، خطة دالت)، وذكرت خطة دالت " د "، والتي بها أولاً " الشق الدفاعي "، وحدد على أن تقوم كل مستعمرة بالدفاع الذاتي، وأن تنشأ ثلاثة خطوط دفاعية، الخط الأول، ويمر بالهيئات في للظروف - قلقيلية - طولكرم - جنين - الناصرة - بحيرة طبرية - بحيرة الحولة - رأس النافورة، أما الخط الدفاعي الثاني (يبنا - رحوبوت - ريشيون لزيون - بيت دجان - ولهما - رأس العين - العفولة - حيفا)، وخط الدفاع الثالث (يافا - رامات غان - هرتزليا - الخضيرة - عتليت - حيفا)، على

---

(1) هيكل، العسكرية...، **مصدر سبق ذكره**، ص 143، 144.

أن تقوم قوات الهاغاناة والمنظمات الصهيونية الأخرى على امتصاص الهجوم العربي، واستنزاف قدراته في المعارك، والاحتفاظ بالطرق الرئيسية بين المدن، ثانيًا " الشق الهجومي "، والتي أوصت بالسيطرة على خطوط المواصلات والهيئات الاستراتيجية والاستيلاء على مناطق واسعة، باسلوب الضرب والحركة والاستيلاء على القدس، من خلال تأمين ممر باب الواد، والذي يربطها بتل أبيب، مع احتلال المواني والمطارات الرئيسية، ثالثًا " النسق الإرهابي "، وذلك من خلال بث الذعر بين العرب الفلسطنيين، وهذا الشق من خلال استخدام الحرب النفسية تجاه القوات العربية. وأخيرًا " الشق الانتقالي "، حيث قامت الحكومة الإسرائيلية المؤقتة التنسيق مع الاستعمار البريطاني، وذلك قبل إنهاء حكومة الانتداب بفلسطين [1].

علاوة على ذلك فإن " خطة نحشون "، التي وضعتها الهاغاناة خاصة في منطقة الرملة، على درجة عالية من الأهمية ن وحسب هذه الخطة، أن تقوم على فتح ثغرة، بعرض حوالي ستة أميال في السهل الساحلي، وبعرض حوالي ميلين في الجبال، ومن أجل تأمين ذلك، باحتلال المرتفعات، والقرى العربية المحيطة بالطريق، حتى تتاح للمقاتلين حرية الحركة على الطرق الرئيسية، ولتحقيق هذا الغرض فقد تم إعداد قوة لواء، بلغ تعدادها حوالي ألف وخمسمائة رجل، مقسمة على ثلاث كتائب، كتيبة تتولي مسئولية المنطقة من خلدة إلى اللطرون في السهل الساحلي، وأخرى من اللطرون إلى كيريات عنافيم، أما الكتيبة

(1) البدري، **مصدر سبق ذكره**، ص 163 - 164 - 165.

الثالثة فكإحتياطي [1].

ثانيًا: المعارك :

قبل الإعلان عن الحرب، رسميًا، في 15 مايو/ أيار 1948، شاركت قوات من الجيش الأردني في رفع معاناة الفلسطينيين من الانتهاكات التي ارتكبها العصابات الصهيونية المسلحة بحقهم، خاصة بعد صدور قرار التقسيم عن الأمم المتحدة (1947)، برز ذلك فيما ارتكبته العصابات الصهيونية، والتي تمثلت في الأرغون وشيترن، أبشع مذبحة عرفها التاريخ، وهي مذبحة دير ياسين، في 9 إبريل/ نيسان 1948، تلك القرية العربية بضواحي القدس الغربية، والتي راح ضحيتها أكثر من ثلاثمائة شهيدًا، أغلبهم من النساء والأطفال، وعقب هذه المذابح التي أظهرت مدي عنصرية تلك المنظمات الصهيونية، تدخلت الجيوش العربية، آنذاك، ولكن لم تكن معدة بشكل نظامي، وكان من بينها قوات من الجيش الأردني، ودخلت في 11 إبريل/ نيسان 1948م في معركة كفار عتسيون، بين الخليل والقدس، نشبه معركة عند مستعمرة النبي يعقوب، والتي كانت تبعد أربعة كيلو مترات، شمالي القدس، على طريق رام الله [2] ثم كانت معركة قطمون، والتي دارت بين اللواء عتسيوني بالهاغاناة، معززًا بثمانية سرايا إضافية، وكذلك اللواء هارئيل من ناحية وبين القوات الأردنية، من ناحية أخرى، وذلك في أواخر إبريل/ نيسان 1948، والواقعة في الحي العربي من القدس. ونظرًا لما يجعله هذا الحي من

(1) حاييم هارزوج، **الحروب العربية الإسرائيلية 1948 - 1982**، ترجمة بدر الرفاعي، القاهرة، سينا للنشر، 1993، ص 29.

(2) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص 28.

كونه بعدًا حربيًا، وذلك لأنه يشرف على أغلب الأحياء العربية واليهودية في القدس. لذا حرصت المنظمات الصهيونية على أن تتمكن من السيطرة عليه، ومن أجل أن تؤمن الإتصال المستمر بين المستعمرات اليهودية، المنتشرة حول القدس، وتمكن اللواءان هارئيل وعتسيوني من الاستيلاء على حي القطمون العربي.

في 8 مايو/ أيار 1948 بدأت عملية (مكابي)، حيث استولى لواء جعفاني بالهاغاناة على الطريق التلال المطلة على باب الواد. وفي محاولة لصرف انتباه الفريق العربي عن العملية انسحبت قوات هارئيل من المرتفعات التي كانت قد احتلتها. ولكن بمجرد انسحاب قوات هارئيل، تحركت القوات الأردنية نحو المواقع التى اخليت، وفشلت وحدات هارئيل في استعادة تلك المواقع [1].

في 9 مايو/ أيار 1948، أعيد تشكيل الجيش الأردني، المشارك في الحرب، بشكل أفضل مما كان عليه سابقًا. ثم وقعت معركة كفار عتسيون الكبرى، في 12 مايو/ أيار، والتي شاركت فيها السرية الثانية عشر من الكتيبة السادسة في الجيش الأردني، وتمكنت من التغلب علي المنظمات الصهيونية، فأوقعت في صفوفها ما يقرب من خمسمائة إصابة، وفي المقابل فقد الجانب الأردني قرابة ستة وثلاثين جنديًا [2] فمستعمرات كفار عتسيون، والتي منها ريفاديم وعين تسوريم وما سوؤت اسحق، كانت تعد

(1) البدري، **مصدر سبق ذكره**، ص 218.
(2) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص 31.

مناطق ذات موقع استراتيجي لأنها بمثابة شوكة داخل المناطق العربية حينئذ.

قبيل انتهاء الانتداب البريطاني، أجبرت سلطات الانتداب البريطاني القوات الأردنية على الانسحاب من فلسطين إلى شرق الأردن، إن ظلت بعض العناصر منها ترابط في حيفا، والخليل، ورام الله، بعد يوم 14 مايو/ أيار.

اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية، حيث اتخذت قراراً بغزو فلسطين، فور انتهاء الانتداب. وسرعان ما اجتمع رؤساء أركان الجيوش العربية، في دمشق، وذلك لإقرار الخطة العربية، والتي حددت لكل فريق عربي المناطق المخولة إليه، فكان على اللبنانيين أن ينطلقوا بطول الساحل الشمالي، نحو نهاريا، وعلى السوريين أن يعبروا إلى شمال وجنوب بحر الجليل، والتقدم إلى سمخ، بهدف احتلال الجليل، أما العراقيين أن يتواجدوا جنوبي بحر الجليل، وذلك للتحرك خلال المثلث العربي، بهدف الوصول إلي نتانيا، على ساحل البحر المتوسط، من أجل شق الدولة اليهودية.

وكان مناطًا بالجيش الأردني نابلس، ومنطقة السامرا، وهما من مسئولية اللواء الأول، أما اللواء الثاني فموقعة مدينة الرملة، عند مشارف تل أبيب، ويظل اللواء الثالث كاحتياطي، غير أن الجيش المصري كان عليه أن يتحرك ضمن كتلتين هما القوة الرئيسية، وعلى أن تنطلق من العريش، وإلى أن تستولي على غزة، ثم تتوجه جنوبًا، نحو تل أبيب، والقوة الثانية مدعمة بمتطوعي الإخوان المسلمين، على أن تتحرك

صوب الشمال الشرقي، مرورًا بالعوجة، وبئر السبع، والخليل، كما تؤمن المداخل الجنوبية من القدس، وأوكل إلى جيش الانقاذ من عرب فلسطين مهمة الدفاع المحلي[1]. وتم الإقرار على ما توصل إليه مؤتمر رؤساء الأركان العرب، في عمان، في 30 إبريل/ نيسان 1948، برئاسة الملك عبد الله. كان، في تلك الفترة، بن غوريون برأس مجلس الشعب، والذي أصبح، بعد ذلك، حكومة إسرائيل، وقرر استغلال فرصة انتهاء الانتداب البريطاني، وانتصرت وجهة نظر بن غوريون على معارضيه في المجلس ففي 14 مايو/ أيار 1948، جمع بن غوريون المجلس المؤقت - الذى أصبح البرلمان أو (الكنيست) - وأعلن قيام الدولة اليهودية في فلسطين وسميت " دولة إسرائيل " [2] ثم دخلت الجيوش العربية فلسطين، في تمام الساعة الثانية عشرة من ليلة 14 مايو/ أيار 1948م، ودخل الجيش الأردني إلى فلسطين عن طريق جسر اللبني - أريحا - الجفتلك - نابلس، علاوة على القوات الأردنية التي كانت مرابطة في الخليل، وحيفا، ورام الله.

المواجهة العسكرية في القدس

في 16 مايو/ أيار 1948، أتمت قوات الاحتلال الصهيوني سيطرتها على منطقة القدس القديمة، باستثناء الأحياء الشرقية. وأصدر جلوب، قائد الجيش الأردني، أوامره بإرسال سرية واحدة للقدس، وفي اليوم الذي تلاه وصلت الكتيبة السادسة، وتمركزت في الخان الأحمر، وجسر اللنبي،

(1) محمد فايز القصري، **مأساة العالم العربي**، ط 1، دمشق، مطبعة التعاونية، 1959، ص 203، 204.

(2) هارزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص 51.

وأريحـا، وانتقلـت إلـى القـدس. غيـر أن " جـيش الإنقـاذ " الـذي كـان فـي اللطرون فقد أكمل مهمته، يغلق الطريق المؤدي إلى القدس، وانسحب من مواقعـه، بغـرض إعـادة تنظـيم قواتـه، لكـن بسـبب عـدم تنسـيق الموقـف الحربي بين " جيش الإنقـاذ "، والقـوات الأردنيـة، فـي بـادئ الأمـر، أدي ذلك إلى أن المناطق المحوريـة فـي القـدس لـم تكـن تحـت سيطرة القـوات العربية [1]. ثم اتفق الجيشان، بعد ذلك، على توحيد القيادة العسكرية، فـي القدس، وأوكل إلى عبد الله التل أن يكون مركز قيادتـه بالروضـة، داخـل أسـوار القـدس، كمـا وحـدت قيـادة السـريتين الأمـن الأولـى والسادسـة، فوصلت فئتان، برئاسة نـواف الجبـر، إلـى بـاب النبـي داوود، والـذي كـان يعد من أخطر الأبواب، فهو الطريق الرئيسى بين القدس والحي اليهـودي فـي القـدس القديمـة، وبقيـة السـريتين فـي الطـور. غيـر أن السـرية الثامنـة تمركزت في الباب الجديد، وباب الخليل، حيث كـان قائـدها، عبـد الـرازق عبـد الله، وفـي رأس العـامود والطـور، حينـذاك، كانـت السـرية المسـاندة، بقيادة غـالب رضيمان، ترابط فـي تلك المنـاطق الحيويـة. والسـرية الثانيـة بقيت في منطقة الغور [2]. وقد خطط الجيش الأردني، وكثف جهوده من أجـل إحكـام السـيطرة، عسـكريًا، علـى المنطقـة. وبالفعـل تمكـن الجـيش الأردني من عزل الحي اليهودي في القـدس، وذلـك عنـد الهجـوم الأردنـي علـى بوابـة دمشـق، عنـد سـور المدينـة القديمـة، وباتجـاه ديـر نـوتردام، واسـتخدمت القـوات الأردنيـة، حينهـا، مـدافع الهـاون، عيـار 6 أرطـال،

(1) **المصدر نفسه**، ص 68.

(2) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص 109 - 111.

وبعض المدرعات، ثم تقدم الفوج الثالث مع عربات مصفحة، عند حي المصرارة والذي يمتد من بوابة دمشق إلى دير نوتردام، مرورًا بسور البلدة القديمة [1].

في 18 مايو/ أيار، حاولت المنظمات العسكرية الصهيونية اقتحام القدس القديمة لكن انهالت عليها نيران القوات الأردنية، وفقد الجيش الأردني، في يوم 23 مايو/ أيار، نصف رجاله من أصل مائتين، ما بين جريح وقتيل، وذلك نتيجة للمواجهة العنيفة مع القوات الصهيونية، التى استخدمت في هذه المعركة أسلحة مولوتوف، وقذائف " بيات "، المضادة للدبابات، والمدعمة بالعربات المصفحة، وذلك عند البوابة الجديدة بسور البلدة القديمة، مما تسبب في انفجار سور دير نوتردام، وغطى الحطام الطريق الذي يصل بين الدير وسور المدينة القديمة [2].

أدي ذلك إلى إعاقة تقدم الجيش الأردني، وقد وصف أحد القادة العسكريين في منظمة الهاغاناة، آنذاك، أن هذه المعركة كانت من أشرس المعارك، وحارب فيها الجانبان، باستماتة [3]. وفي 24 مايو/ أيار، أمر غلوب قواته بوقف الهجوم، نظرًا للخسائر الفادحة التى تكبدها الفوج الثالث من الجيش الأردني، في هذه المعركة (باب الواد).

---

(1) هارزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص 70 - 72.
(2) **المصدر نفسه**، ص 68.
(3) **المصدر نفسه**، ص 46.

نشـبت معركـة بـاب النبـي داوود فـي 24 مـايو/ أيـار مـع جنـود (البالمـاخ)، التابعـة للهاغانـاة، واستخدمت فيهـا القنابل اليدويـة من جانـب القوات الأردنية، غير أن عددًا من المقاتلين الصهاينة كانوا يحملون لغمًا، اقتربوا من موقع الجيش الأردني، لكي ينسف عددًا من قواتـه، علـى حد تعبير عبد الله التل، ولكن سرعة الهجوم علـى جنـود البالمـاخ بثت لـذعر في نفوسهم وفقدوا ستين قتيلاً صهيونيًا. وفي 26 مايو/ أيار تمكنت قوات عبد الله التل من تطويق الحي اليهودي المقابل لباب الخليل بالقدس، حيث استسلم موشي روزنـك، قائد الهاغانـاة فـي القدس، ومعـه 1500 يهوديًـا، من أصل ما يقرب من 1800 يهوديًا، وتـم أسـر أربعمائـة جنـدي، وسقط في هذه المعركة 300 إسرائيلي، منهم مائة وستة وثلاثين من " الأرغون "، وثمـانين جريحًـا[1]، وذلـك فـي 28 مـايو/ أيـار حيـث عانـت قـوات الاحتلال الصـهيوني مـن نفـاذ الـذخائر والمـؤن، فلـم يكـن، حينهـا، سـوى 300 شريط ذخيرة وستة وعشرون رجلاً، واستجاب المقاتلون الصـهاينة لمناشدة الحاخامات، للجلوس على مائدة المفاوضات مـع القـوات العربيـة. وأحكم الجيش الأردني السيطرة علـى الطـرق المؤديـة إلـى القدس، وذلـك مـن خـلال نشـر قواتـه حـول القدس، فمـن جهـة الشـرق تمركـزت الكتيبـة السادسة في النبي داوود، وحي الثـورة، أمـا فـي الشمـال فتواجـدت الكتيبـة الثالثـة عنـد بـاب العمـود، والشـيخ جـراح، وفـي الشمـال الغربـي، الكتيبـة الأولى في النبي صموئيل، وبدو، والرادار، ومـن الناحيـة الغربيـة الكتيبـة الخامسـة، فـي مركـز شـرطة الشيخ جـراح، وتـل شـعافاط، وكـذا الكتيبـة

(1) التل، **مصدر سبق ذكره،** ص 131، 135

الثانية في باب الواد، والكتيبة الرابعة في اللطرون[1]، بسبب قوة المدفعية الأردنية، والتي تسببت في تحطيم معنويات الصهاينة، وأرسلوا، في 8 يونيو/ حزيران للقيادة العامة الإسرائيلية، على أن لا مفر لديهم سوى التسليم، وردت القيادة الإسرائيلية، في 9 يونيو/ حزيران، طالبة منهم المزيد من الصبر والثبات [2]، وما لبثت أن وصلت النجدة، متمثلة في الهدنة، التي فرضها مجلس الأمن على كافة الأطراف المتحاربة بعد ثلاثة أيام من استغاثة القوات الصهيونية في هذه المعركة، الذي حقق فيها الجيش الأردني تقدمًا على حساب الجانب الإسرائيلي.

المعارك التي دارت في اللطرون:

أيقن بن غوريون ضرورة نجدة قواته في القدس، ودفع قوات من الهاغاناة لفتح الطريق عن عنق الزجاجة، الذي قبض عليه العرب في اللطرون، حيث أمر بن غوريون بتشكيل اللواء شيفع والمزوَّد بكتيبة مدرعة، وكلف شلومو شامير، بقيادة هذا اللواء، وفي 22 مايو/ أيار تمركز حول مستعمرة ناعان، وذلك استعدادًا للهجوم على اللطرون، ودخل شامير المدينة، في 24 مايو/ أيار، وذلك حتى يتمكن من الاستيلاء على اللطرون، والتقدم نحو الجبال، على طول الطريق إلى رام الله، حيث استخدم لواء شيفع، الذي سبق له الاستيلاء عليها، أثناء القتال مع القوات الأردنية، مزودًا بعربات نصف مجنزرة، وتشكلت كتيبة لتعاون اللواء شيفع، حيث ضمت مهاجرين يهود من معسكرات بقبرص، غير أن

(1) **المصدر نفسه**، ص 139.

(2) البدري، **مصدر سبق ذكره**، ص 263.

تدريب هذه القوات العسكري كان محدودًا، نسبيًا. وأدركت قيادة الهاغاناة مدى ضعف هذا الفريق، وأمرت إحدى كتائب اللواء السكندوني الالتحاق به، والتي كانت متمركزة في منطقة ناعان، وخلدة [1]. غير أن الكتيبة الرابعة في بالجيش الأردني، تدخلت في اللطرون، بقيادة حابس المجالي، يساعده محمود الروسان، وترجع أهمية هذه المنطقة إلى احتوائها على قلعة بوليس اللطرون، وكذلك تل اللطرون، عند دير الفرنسسكان، ومن يتمكن من التمركز والسيطرة على هذه المناطق، يتحكم في طريق القدس - تل أبيب، وكان مخولاً للكتيبة الرابعة أن تقوم بمهام دفاعية، واقتصر أداؤها على صد هجمات المنظمات الصهيونية المتكررة، لاحتلال قلعة البوليس، والتلال المحيطة بدير اللطرون. وظلت هجمات قوات الاحتلال الإسرائيلي مستمرة، واشتدت نيرانها الموجهة للقوات الأردنية، [2] كي تخفف من حدة المعارك في القدس، ولرفع الحصار المضروب على صهاينة القدس، آنذاك. ورغم وقوع العديد من القتلى في صفوف الهاغاناة، فإنها ظلت في مواقعها، وفي الوقت ذاته، لم يسمح للكتيبة الرابعة من الجيش الأردني القيام بأي هجمات معاكسة، وبقيت في مواقعها الأولى. وتتالت عمليات الهجوم المباغت على القوات الأردنية، إلى يوم 30 مايو/ أيار، حيث شن الصهاينة هجومًا ليليًا على قلعة اللطرون، بالمدفعية، وطلبت الكتيبة الأردنية الرابعة النجدة، حيث كان الملازم عبد المجيد عبد النبي مسئولاً عن القلعة، وطلب الاستغاثة، نظرًا

(1) هارزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص 70.
(2) البدري، **مصدر سبق ذكره**، ص 267، 268.

لأن عدد قواته قرابة الخمسة عشر جنديًا، ولكن دبابات العدو (شيرمان) اقتحمت القلعة، وصعد الجنود الأردنيين على سطح القلعة، وقذفوا قوات الهاغاناة بالقنابل اليدوية، ورغم محدودية عددهم، وافتقارهم للأسلحة المدرعة، إلا أن هذه الكتيبة نجت من بطش الصهاينة، فكانت المدرعات في اللواء الثالث المرابط في باب الواد واللطرون، تابعة للكتيبة الثانية، ذات القيادة البريطانية (1). وفي اليوم التالي ألقت قوات الهاغاناة قنابل على ساحة القلعة، مما أسفر على وقوع قتلى في صفوف القوات الأردنية، ومنهم الضابط عبد النبي، أما في صفوف العدو فبلغ عدد القتلى نحو الخمسين، وتمكن الجيش الأردني من الاستيلاء على أربع دبابات تابعة للهاغاناة، غير أن أحد العسكريين الصهاينة، ذكر أنه في هذه المعركة استخدمت قوات الهاغاناة أربعة مدافع عيار 65 مم، وعددًا من قذائف الهاونات، من عيار 120مم، وأكد أنه استخدمت في هذه العملية قاذفات اللهب. وكانت معلومات الأركان العامة الإسرائيلية تشير إلى أن حجم القوات الأردنية في اللطرون كان قليلاً، رغم ذلك فشلت منظمة الهاغاناة في السيطرة على المنطقة، في الهجوم الأول (2).

أما في معركة اللطرون الثانية فقد تفقد بن جوريون سير العمليات القتالية في 27 مايو/ أيار، ووجد القوات الإسرائيلية المرابطة في اللطرون تحتاج إلي تعزيز من ذوي الخبرة في فنون القتال، من لواء جعفاتي بالهاغاناة، وعين العقيد ميكي ماركوس، الذي خدم بالجيش

(1) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص 148، 148.
(2) هارزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص 76.

الأمريكـي مـن قبـل، فأصـبح قائـدًا لجبهـة الهجـوم الجديـد فـي المنطقـة، ووضعت خطة للقتال على أن يقوم حاييم لاسكوف باقتحام قلعة الشرطة، وذلك للتمويـه، حتـى تقع الكتيبـة الرابعـة بـالجيش الأردنـي فـي الخديعـة، وتتمكن الهاغاناة من هزيمتها. ونفذت الخطة، وشـاركت فيهـا الكتيبـة 52 من لواء جعفاتي، ثم وقع هجوم آخر، بقيادة برولوف، لمحاولـة السيطرة على منطقة دير أيوب، بالهجوم على مواقـع الكتيبـة الأردنيـة، إلا أن هذه المحاولة فشلت، وأوقعت في صفوف الهاغاناة نحو 137 قتيلاً [1].

في 9 يونيو/ حزيران، اندلعت معركة اللطرون الثالثة، وشـارك فيهـا لواء هرئيل، بقيادة يشخار شـادمي، فهاجمـت تـل يـالو، وحـدثت اشـتباكات ضارية مع الجيش الأردني، ولكن قوات هارئيل لـم تـتمكن مـن الاسـتيلاء إلا على مناطق صـغيرة مـن التـل. وفـي تلـك الأثنـاء كانـت الكتيبـة الثالثـة يفتاح، وعلـى رأسـها موشـي كيلمـان، مرابطـة فـي بـاب الـواد، فـي الجهـة الغربية من تل يالو. وقد بلغت الخسائر في صفوف الهاغاناة ما يقرب من نصف قوة الكتيبتين [2].

أما منطقة باب الواد، فكانـت تابعـة للكتيبـة الثانيـة المدرعـة الأردنيـة، والتي تولى قيادتها المقدم هنـري سليد، والـذي نشـر جنـوده قـرب القـدس، عند قرية دير أيوب وتمكنت القوات الأردنية من إحكام السيطرة علي تلك المنطقـة، خاصـة مـع تركيـز منظمـة الهاغانـاة قواتهـا فـي اللطـرون حيـث

(1) البدري، **مصدر سبق ذكره**، ص 268، 269.
(2) **المصدر نفسه**، ص 270.

نقلت اللواء يفتاح لتعزيز منطقة اللطرون[1] وذكر إرئيل شارون، في مذكراته، أن فصيله أبيد في معركة اللطرون، وقد كان تابعًا للواء إسكندروني، فنصف فصيله كان من القتلى، وما تبقي من الجرحى [2].

إعلان الهدنة في 11 يونيو/ حزيران 1948:

فرض مجلس الأمن الهدنة على كافة الأطراف المتحاربة، وتم الإعلان عن بدئها يوم 11 يونيو/ حزيران، إستجابة للمطلب الصهيوني، فيما كانت الفترة الأولى من الحرب قد شهدت تقدمًا عربيًا في العديد من المناطق الفلسطينية، على الرغم من محدودية القوات العربية التي شاركت فيها، إلا سيطرة القوات الأردنية على القدس، والتي كانت ستحكم سيطرتها عليها، لولا البدء بالهدنة العسكرية، والتي كانت تقتضي عدم إمداد القوات العسكرية لأي طرف، سواء عربيًا أم يهوديًا، ووقف التسلح، غير أن المنظمات الصهيونية، ومن بينها الأرغون، لم تلتزم بشروط الهدنة، واستطاعت القوات الإسرائيليه حشد قواتها، والتزود بالمؤن والأسلحة، وذلك بالتعاون المشترك مع حلفائها البريطانيين. ومع بدء الهدنة، تحرك اللواء السابع (شيفع) بالهاغاناة نحو القدس، بعد قيامه بدوريات متواصلة، وذلك للاستطلاع باتجاه القدس، ولأن الجيش الأردني - بتواجده في القدس - أغلق الطرق المؤدية إلى تل أبيب، وأصدر بن غوريون تعليمات من أجل شق طريق يربط بين القدس وتل أبيب، ولتخفيف الحصار الذي مثلته القوات الأردنية عن الحي اليهودي في

(1) **المصدر نفسه**، ص 271 - 272.

(2) محمد علي شاهين، **قراءة في مذكرات أرييل شارون**، 2008/3/4 من موقع www. alghoraba. com

القدس [1]. غير أن قوات الاحتلال استغلت فترة الهدنة، من أجل الحصول على الذخيرة، فاستطاعت سرقة بعض المستودعات البريطانية، علاوة على الدعم العسكري من الخارج، وأيضًا الدعم المادي الأكبر من الولايات المتحدة للمنظمات الصهيونية. وانتهت الهدنة في 18 يوليو/ تموز 1948.

معارك اللد والرملة:

عقب انتهاء الهدنة الأولى، كان الجيش الأردني، في اللد والرملة، ما مثل تهديدًا لتل أبيب، أكبر تجمع سكاني يهودي، علاوة على ذلك ففي اللد المطار الدولي، واللد الملتقى الرئيسي لخطوط السكك الحديدية. وكانت اللد والرملة محصنتين، حيث أحكم الجيش الأردني سيطرته عليهما قبل الهدنة.

في مذكرات موشي ديان، والتي تناول فيها المعارك التي حدثت في اللد، وبإعتباره قائد لواء الكوماندوز، الذي أعده، وشارك في الحرب في هذه المنطقة مع القوات الأردنية، يذكر ديان أن مدينة الطيرة، والتي تبعد ثلاثة أميال شمال مطار اللد الدولي، كانت تحت احتلال قواته. كما ذكر ديان بأن لحظة الهجوم عليها استخدم القصف المدفعي، فقد قررت قوات الهاغاناة شن هجمات مباشرة وسريعة، لمفاجأة الفريق الأردني، غير أن الإسرائيليين تعرضوا لنيران شديدة في اللد [2].

---

(1) هارزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص 77.

(2) شوقي ابراهيم، **ديان يعترف**، القاهرة، مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر، مركز الدراسات الصحفية، ص 75، 76، 77.

تناول عبد الله التل في مذكراته المعارك في مدينتي اللد والرملة، ولكن التل أكد أن المدينتين سلمتا للقوات الصهيونية، دون قتال [1]. هذا يتعارض مع ما صرح به ديان، ووصفه سير الحرب في تلك المناطق، ويتفق في ذلك معه حاييم هرزوغ، على أن الجيش الإسرائيلي واجه مقاومة من القوات الأردنية، وذكر ديان أنه تمكن من الدخول إلى مدينتي كلا والطيرة، ثم تقدم بفرقته وإحتل دير طريف، على بعد ميلين من اللد، وأنه بالتنسيق مع لواء القيادة من الهاغاناة، انسحبت الفرقة 82 مدرعة بالهاغاناة من عملية دير طريف، وحلت محلها وحدة سيارات جيب، ولواء القيادة، بقيادة أكيفا سار، واحتلوا الجزء الغربي والشمالي من المنطقة، وكان الجيش الأردني مسيطرًا على الجزء الشرقي. ذكر ديان أن في هذه العملية، تجلى مدى تفوق المدفعية الأردنية [2]. حيث أن السيارات المدرعة، التابعة للهاغاناة، عجزت عن التحرك أمام نظيرتها الأردنية، ولكن فريق ديان يساعده لواء القيادات تمكن من الاستيلاء على إحدى المدرعات التابعة للجيش الأردني، وبعد ساعات تمكن ديان من تدريب رجاله على كيفية استعمال المدافع التي كانت في المدرعة. عن طريق هذه المدرعة استطاع لواء الكوماندوز السيطرة على دير طريف، وفي اتجاة مدينة اللد، قرر ديان أن يسلك طريقًا لا يتوقعه الجيش الأردني، وهو الطريق القادم من الشرق، لأنه الطريق نفسه الذي سبق وسلكته القوات الأردنية. في الوقت الذي كان يتمركز لواء القطاع

(1) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص 246، 247.
(2) إبراهيم، **مصدر سبق ذكره**، ص 77.

الأوسط التابع للهاغاناه وبقيادة ملاح كوهين، وقد أوكل إليه العمل على الجانب المقابل للواء الكوماندوز، حيث كان اللواءان يشكلان فكي كماشة حول مدينة اللد، وعندما اقتربت قوات كوهين من المدينة، تعرضت لمواجهة عسكرية عنيفة مع القوات الأردنية، [1] ثم استنجد اللواء الأوسط بفريق ديان، للمساعدة، خاصة وأن المنطقة كانت محصنة وغاصةً بالأهالي، وتوجهت فرق من لواء الكوماندوز إلى ضرب بيت ناب الله، وفي ذات الوقت أرسل ديان مجموعة شتيرن، التابعة للواء الكوماندوز، للهجوم على طريق كلا - اللد، باستخدام السيارة الأردنية المدرعة، ذات المدفعين، والتي مكنتهم من اختراق مواقع كان من الصعب اختراقها من قبل. وأجبرت وحدات الجيش الأردني على الابتعاد عن بيت ناب الله، وواصل لواء الكوماندوز تقدمه، إلى مستعمرة بيت شمين. واتفق ديان، قائد لواء الكوماندوز، مع كوهين، قائد لواء القطاع الأوسط، على خطة للهجوم على مدينة اللد، وباستخدام ممر يربط بين بيت ناب الله واللد، وقد اعتبر ديان هذا الممر هو النقطة الوحيدة التي لا يتوقع الجيش الأردني أي هجوم منها [2].

لم يكن لدى الجيش الأردني في ذلك القطاع سوي كتيبتين من اللواء الثالث، ولم تكن قواتهما تتعدى 1200 مقاتل، يفتقرون إلى الذخائر، خاصة بعد الهدنة، ثم نشبت معركة البرج، يوم 16 يوليو/ تموز حيث أمر قائد اللواء الأردني الثالث جورج إستون، قائد الكتيبة الرابعة بأن

---

(1) **المصدر نفسه**، ص 78.
(2) **المصدر نفسه**، ص 79.

يجهَّز سرية مشاة أخرى مدرعة، للهجوم على قرية البرج، ونتج عنها ثلاثين شهيدًا، وما يقرب من أربعين جريحًا، وفقدان عدد من المدرعات والأسلحة[1].

المعارك في القدس بعد الهدنة:

تصاعدت حدة المعارك في القدس، وقامت القوات الإسرائيلية بالهجوم على القدس في 10 يوليو/ تموز، وعلى أحيائها العربية واستخدمت القوات الإسرائيلية مدافع الهاون والرشاشات، غير أن الكتيبة السادسة الأردنية قصفت منطقة " الوكالة اليهودية "، وكذلك مقر الأركان العامة الإسرائيلية. في 12 يوليو/ تموز قامت وحدات من لواء عتسيوني، المدعمة بحرس المستعمرات، بشن هجوم مفاجئ على الكتيبة الثالثة الأردنية، في منطقة باب العمود، واستطاع لواء عتسيوني تأمين الاتصال بجبل المكبِّر، ومستشفى هداسا، والجامعة العبرية [2]. وفي يوم 16 يوليو/ تموز قام لواء عتسيوني بالزحف تجاه " حائط المبكى "، المسجد الأقصى، وزاد عدد القتلي في صفوف الجانبين، ما بين قتيل وجريح. وسقطت كل من مدينة اللد والرملة في يد الاحتلال الإسرائيلي.

ثالثًا: أثر الدبلوماسية الأردنية على سير المعارك العسكرية

تلعب الدبلوماسية دورًا محوريًا في العلاقات بين الأطراف المتحاربة، بما يمليه عليها الوضع العسكري، حيث تضغط الدولة، طرف الصراع على الأطراف الأخرى، بنسبة إلي ميزان قوتها العسكرية، فهو

(1) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص 246.

(2) البدري، **مصدر سبق ذكره**، ص 324، 325.

المحدد الإساسي في عملية التفاوض، خاصـة وإن كـان موقفهـا العسكري أفضل من غيرها.

كانت هناك علاقات بين الأردن والوكالـة اليهوديـة، وذلك قبل البدء فـي الحـرب رسميًا فـي 15 مـايو/ أيـار 1948، حيث عرضـت قـوات الاحتلال الإسرائيلي مشروع لتوليد الطاقة الكهربائية " مشروع روتنبرغ " وعلى أن يقام على الحدود الفلسطينية الأردنية، [1] وقبل انتهاء الانتداب البريطـاني فـي فلسطين، حاولـت القيـادة الصـهيونية الضـغط، دبلوماسيًا، علـى الأردن، للحيلولـة دون دخولـه الحـرب [2]. غيـر أن مشـروع روتنبرغ، والذي كانت ترجع فكرتـه إلـى عـام 1928، لكـى يمـول أغلب المناطق الفلسطينية وكذلك المدن الأردنية على الحدود بالكهرباء اللازمـة لهـا، وتعهدت الأردن بالمحافظة على هذا المشروع، في زمن السلم، وبعد 15 مايو/ أيار 1948، طلب الجانب الأردني وضع خطة للمحافظة علـى المشروع، وكانـت المنشـأت التابعـة لـه (مستعمرة نهرايم) داخل الحـدود الأردنية، ولكن بموجب هذا الاتفاق على مشروع روتنبرغ، فإن مياه نـهر الأردن، لا يحـق للمملكـة الهاشمية الاستفادة منهـا إلا بموافقـة الصـهاينة، غير أن (أبو يوسف)، مدير المشروع، والذي يدعى دسكر، ظهر بعد هذا الاتفاق أنه أحد القادة في منطقة الهاغاناة[3].

عندما تقدم المندوب البريطـاني لمجلس الأمن، بإقتراح يوصـي بوقـف

(1) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص 68.

(2) **المصدر نفسه**، ص 71، 72.

(3) **المصدر نفسه**، ص 92، 93.

إطلاق النار في فلسطين، والذي أقره المجلس في 29 مايو/ أيار 1948، على أن يتوقف القتال لمدة أربعة أسابيع، وعين الكونت فولك برنادوت وسيطًا منتدبًا من قبل الأمم المتحدة، ليقوم بالتوفيق بين العرب واليهود[1]

بعد صدور القرار اجتمعت الدول العربية في عمان لدراسته، ووافقت الدول العربية على قرار الهدنة، تحت ضغط نقص الذخائر والمعدات لدى بعض الجيوش العربية المشاركة ومن بينها القوات الأردنية، علاوة على الحرب النفسية التى اتبعتها الوكالة اليهودية، بإرسال طائرة يهودية، أغارت على عمان، وبالأخص على قصور الملك عبد الله، وألقت بعض القنابل، بعد إيهام الأردن بأنها طائرة مصرية، القنابل التي استخدمتها الطائرة الإسرائيلية ترجع للجيش المصري، استولت عليها القوات الإسرائيلية، التي اختارت وقت اجتماع اللجنة العربية، لكي تؤكد على قراراتها، وتضطر بقبول الهدنة، وفي أواخر أيام الهدنة الأولى، طلب برنادوت تمديد الهدنة، فوافق الصهاينة على طلبه، فيما رفضه العرب، لتعود مرحلة الحرب، في 8 يوليو/ تموز 1948 [2].

تمت محادثات مشتركة بين الأردن وإسرائيل في ردوس في 4 مارس/ آذار 1948، ولكن بن جوريون واصل غزو صحراء الثقب المخصصة لإسرائيل وفقًا لقرار التقسيم، وذلك على الرغم من أن تلك المنطقة كانت لا تزال، رسميًا، تحت سيطرة الأردن، وقدمت الحكومة الأردنية شكوى رسمية إلى لجنة الهدنة، في 8 مارس/ آذار، وبعد أربعة

(1) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص 201.
(2) **المصدر نفسه**، ص 399، 400.

أيام وقَّع الإسرائيليون اتفاق وقف إطلاق النار مع الأردن.

في أواخر سبتمبر/ أيلول 1948، اجتمع الملك عبد الله وحكومته بقنصل بلجيكا في القدس، وعقد هذا الاتفاق بباريس وحضره المندوب الرسمي لمفاوضة الإسرائيليين في باريس، واستمرت المفاوضات قرابة الشهر ونصف.

وقد سبقه اجتماع مجلس الأمن الدولي، والذي أصدر قرارًا، في 15 يوليو/ تموز 1948، قضى بفرض الهدنة، دون قيد أو شرط، على فلسطين، ولمدة ثلاثة أيام، وقبله العرب، وكذلك إسرائيل. وفي 18 يوليو/ تموز، طلبت الولايات المتحدة من الحكومة الأردنية تنفيذ أمر وقف إطلاق النار، وفي أغسطس/ آب وافقت الحكومة الأردنية على تجريد القدس من السلاح، حيث أن لجنة الهدنة القنصلية في القدس، وضعت مقترحاتها لتجريد المنطقة، ثم اجتمعت جامعة الدول العربية، في سبتمبر/ أيلول 1948، وأقرت تشكيل حكومة عربية، تمثل عرب فلسطين، وفي 31 يناير/ كانون الثاني عقد مؤتمر عروبة فلسطين، في عمان وذلك للتأكيد على عروبة القدس، وحضرته شخصيات يهودية [1]. وطلب الجانب الأردني إعادة منطقة اللد والرملة، ومع السماح للاجئين العرب بالعودة، وإعادة الأحياء العربية في القدس، وفي 28 فبراير/ شباط 1949 تمت قمة ردوس بين الجانبين الأردني والإسرائيلي، وطلب الأخير أن يتم إيصال السهل الساحلي اليهودي، بسهل برج عامر، بواسطة طريق وادي عرعرة، وأن تشمل حدود إسرائيل من ناحية المثلث العربي، على

(1) **المصدر نفسه**، ص 446.

مواقع استراتيجية، تساعد على حماية السهل الساحلي اليهودي [1].

وقعت اتفاقية في 30 نوفمبر/ تشرين الثاني بين الجانبين، الإسرائيلي والأردنـي، وألحقت بالاتفاقيـة خريطـة تبـين مواقـع وقـف إطـلاق النـار، والمنطقة المحرَّمة بين الجانبين، وسمحت الاتفاقية بعبور قافلـة إلـى جبل المكبر، مرة كل إسبوعين، حاملة المؤن والأفراد، واتفق الجانبان على أن يتم تبادل أسراهما [2].

* * *

(1) **المصدر نفسه**، ص 495، 496.

(2) ابراهيم، **مصدر سبق ذكره**، ص 90.

الفصل الثامن:
الحرب على الجبهة اللبنانية

آمال الخزامي

ظلت القضية الفلسطينية هاجسًا لبنانيًا، منذ كانت تلك القضية، مطلع عشرينات القرن العشرين، وخلال الحركات الثورية الفلسطينية (1920/ 1921/ 1924/ 1929/ 1933/ 36- 1939)

فقد قرر " اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية "، في جلسته، بتاريخ 14 كانون الثاني/ يناير 1947، إرسال مذكرة إلى وزير الخارجية البريطانية، إرنسيت بيفن، حدد فيها الاتحاد موقفه من مؤتمر لندن، المنعقد في ذلك الوقت، لدراسة الوضع في فلسطين. أكدت المذكرة على رفض استمرار الانتداب البريطاني، ووجود الجيش البريطاني في فلسطين، وعدم قبول استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وأشارت المذكرة إلى أن المؤتمرات ولجان التحقيق، التي تعقد من أجل قضية فلسطين، مجرد محاولات لكسب الوقت، وإضاعة الفرص على العرب [(1)].

كما أرسل " اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية " مذكرة إلى الوزير المفوض البريطاني، في بيروت، في 23آذار/ مارس 1947، احتجاجًا على قرار الأمم المتحدة بتعيين لجنة جديدة لبحث المسألة الفلسطينية، بناءً على إصرار المندوب

(1) موقع هيئة الاستعلامات الفلسطينية الإلكتروني، " ملف النكبة ".

البريطاني في فلسطين على ذلك، وتضمنت المذكرة أن هذا القرار لا مبرر له، خصوصًا وأن قضية فلسطين لم تعد في حاجة للدرس والتحقيق [1].

إلى ذلك شارك لبنان رسميًا في الدورة العادية لمجلس جامعة الدول العربية في آذار/ مارس 1947، ورغم انشغال الوفد اللبناني في خلافاته الشخصية، فإنة استطاع أن يشارك في اجتماعات مجلس الجامعة، وعاد إلى لبنان، معلنًا في أول نيسان/ إبريل 1947، تأييد الحكومة والشعب في لبنان للشعبين، الفلسطيني والمصري، في نضالهما من أجل الاستقلال [2].

دعت لبنان إلى عقد مؤتمرات عربية عدة، من أجل القضية الفلسطينية، وكانت الدول العربية حريصة على تلبية الدعوة.

ففي بيروت اجتمع وزراء خارجية الدول العربية، مع لجنة التحقيق الدولية، في 1947/7/17، مؤكدين على ما ورد في المذكرة المقدمة من " الهيئة العربية العليا "، الممثلة للشعب العربي الفلسطيني، ورئيسها، الحاج محمد أمين الحسيني، وهي أن فلسطين جزءٌ لا يتجزأ من البلاد العربية، ولا سبيل لحل القضية بدون الاستقلال التام، وأن الصهيونية تستهدف البلاد العربية، ما بين النيل والفرات وأن التساهل لا يفيد في حل

(1) حسان حلاق، **موقف لبنان في القضية الفلسطينية (عهد الانتداب الفرنسي وعهد الاستقلال 1918- 1952)**، ط 1، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، 1982، ص 162.

(2) **المصدر نفسه**، ص 163.

القضايا الوطنية [1].

وكان الإضراب العام المنظم قد أعلن، في 3 تشرين الأول/ أكتوبر 1947، احتجاجًا على توصيات لجنة التحقيق الدولية بتقسيم فلسطين، وأغلقت مدينة بيروت، تمامًا، بدون مظاهرات [2].

لبت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية دعوة رئيس الجمهورية اللبنانية بشارة الخوري، لعقد اجتماعها في صوفر بلبنان، في الفترة من 16 - 19 أيلول/ سبتمبر 1947، ورفضت اللجنة توصيات لجنة التحقيق الدولية، وقررت جمع الأموال للدفاع عن فلسطين، ودعم شعبها، وإمداده بالسلاح، وأوصت اللجنة الدول العربية بإيواء أطفال ونساء عرب فلسطين، إذا ما وقع في فلسطين ما يستدعى ذلك. كما بحثت اللجنة كيفية تنفيذ المقاطعة ضد بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية [3].

كما صادق المجلس اللبناني، في 5 كانون الأول/ ديسمبر 1947، على تخصيص مليون ليرة لبنانية، للدفاع عن فلسطين، وتبرع النواب بشهرٍ من راتبهم. وأسهم المجلس البلدي، أيضًا، بمبلغ مئة ألف ليرة، واستنكر المجلس قرار التقسيم، واعتبر قيام الدولة اليهودية يهدد أرض لبنان، وحرياتة، بصفة خاصة، والكيان العربي ككل [4].

(1) هيئة الاستعلامات الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**.
(2) حلاق، **مصدر سبق ذكره**، ص 178.
(3) هيئة الاستعلامات الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**.
(4) حلاق، **مصدر سبق ذكره**، ص 186.

وقد جاءت ردود الفعل اللبنانية الشعبية، على قرار تقسيم فلسطين عنيفة وقوية، بداية من التظاهر، وصولاً إلى الهجوم على المحلات اليهودية، في مختلف المناطق اللبنانية، كما أعلن الإضراب العام وجمعت التبرعات من أجل فلسطين [1].

دور لبنان في الحرب:

تعد حرب 1948، الجولة العسكرية الأولى التي خاضها العرب ضد الغزوة الصهيونية لفلسطين، وشاركت فيها الجيوش النظامية لخمس دول عربية، هي: مصر، وسوريا، والأردن، والعراق، ولبنان، وقد بدأت الحرب كما هو معروف في 1948/5/15.

معروف أن الجامعة العربية كانت عقدت اجتماعاتها، بتاريخ 1947/9/16، في صوفر (لبنان)، وفيه قررت تقديم أقصى ما يمكن من الدعم العاجل لشعب فلسطين، في حال إقرار التقسيم، ثم قررت الجامعة، في اجتماعٍ آخر، عقد في عاليه (لبنان)، بتاريخ 1947/10/15، تقديم ما لا يقل على عشرة آلاف بندقية، مع ذخائر إلى أهل فلسطين، واختيار نخبة عسكرية، لإعداد الدفاع عن عروبة فلسطين [2].

أ- الدور السياسي:

انطلقت الحكومة اللبنانية للدفع عن فلسطين من مبادئ عدة، سياسية وعسكرية، منها الخطر الصهيوني على لبنان، ومشاركة الدول العربية في الدفاع عن فلسطين، فضلاً عن إرضاء الفئات الشعبية اللبنانية،

---

(1) **المصدر نفسه**، ص 183.
(2) **الموسوعة الفلسطينية**، ط1، القسم العام، المجلد الثاني، دمشق، 1984، ص 150.

المطالبة بدعم القضية الفلسطينية.

حرصت الحركة الصهيونية، مع بداية عام 1948، على إمداد يهود بيروت بالسلاح، ليتمكنوا من حماية أنفسهم، ولتنفيذ ما يطلب منهم من أعمال تخريبية في لبنان. وقد اكتشفت الشرطة اللبنانية أسلحة متنوعة، مخبأة في حديقة بالحي اليهودي في بيروت، مما دفع السلطات اللبنانية إلى ملاحقة العصابات الصهيونية، التي كانت وراء هذا العمل (1).

في الوقت نفسه قامت الجمعيات والهيئات الإسلامية في لبنان بالعمل، والحث على الدفاع عن فلسطين، وأثناء الاحتفال بالمولد النبوي، حرص الرئيس بشارة الخوري على حضور الاحتفال، وأكد، في كلمتة التي ألقاها بهذه المناسبة، تأييده للقضية الفلسطينية (2).

في تصريح لرئيس الوزراء اللبناني، رياض الصلح، أمام لجنة الشئون الخارجية بالبرلمان اللبناني، قرر بأن لبنان سوف يقدم المال والعتاد والرجال لفلسطين، في " حدود إمكاناته، وفق هذه الإمكانيات، إذا لزم الأمر " ! كما سمح الصلح للقوات العربية غير اللبنانية بالدخول إلى فلسطين، عبر أرض لبنان الجنوبية (3).

في الوقت نفسه صرح رئيس أركان حرب الجيش اللبناني، اللواء فؤاد شهاب، بأنه يعارض فكرة الهجوم، وأن الجيش اللبناني لا يستطيع القتال، وإذا كان لابد لهذا الجيش من الاشتراك في حربٍ نظامية، فعليه

(1) حلاق، **مصدر سبق ذكره**، ص 193.
(2) **المصدر نفسه**، ص 194.
(3) **المصدر نفسه**، ص 195.

أن يتخـذ لنفسـه خطـة الـدفاع عـن حـدوده، وقـد حسـم رئـيس الجمهوريـة اللبنـاني، آنـذاك، بشـارة الخـوري الموقـف، بتأييد شـهاب، ووقـف الجـيش اللبناني عند حدود بلاده، مدافعًا [1].

على صعيدٍ آخر، كان هنـاك بعض القوى المناهضـة لحقوق الشـعب الفلسطيني، وتقدم المسـاعدات للصـهاينة، فضـلاً عـن بعـض المتعصـبين دينيًـا، الـذين أيدوا إسـرائيل، آمـلاً فـي أن تصـبح قضـية " الـوطن القـومي المسيحي " في لبنان سهلة التحقيق، بقيام دولة إسرائيل [2].

ب - الاستعداد للحرب :

أعدت الخطـة الرسمية الأولـى للدفاع العربـي لفلسطين، فـي مركـز قيـادة الجنـرال طـه الهاشـمي، فـي دمشـق، قبـل بـدء شـهر آيـار/ مـايو، وعرضـت علـى القـادة العـرب، عنـدما اجتمعـوا فـي دمشـق، فـي الأسـبوع الأول من آيار/ مايو 1948، وتمت الموافقة على الخطة [3].

كـان مجمـوع الجيـوش العربيـة التـي دخلـت إلـى فلسـطين، حـوالي 24.000، مقسمة كما يلي:

مصـر 10000، الفليـق العربـي 4500، سـوريا 3000، العـراق 3000، لبنـان 3000، بمـا فـي ذلـك 2000 مـن قـوات " جـيش الإنقـاذ العربـي ". واشـترك الجـيش اللبنـاني بـالزحف مـن الشـمال، فـي الهجـوم

(1) محمد فـائز القيصـري، **حرب فلسطين عام 1948 الصراع السياسي بين الصـهيونية والعرب**، الجزء الأول، القاهرة، دار المعارف، 1961، ص 157.
(2) حلاق، **مصدر سبق ذكره**، ص194.
(3) جون، دبفدكميس، **من كلا جانبي التل بريطانيا والحرب الفلسطينية**، الترجمة العربية، لندن، سيكرواربرج، 1962، ص 150.

النهائي على حيفا [1].

في منتصف ليلة 1948/5/15، دخلت الجيوش العربية أرض فلسطين، ورغم كثرة المعوقات والنواقص في التسلح، فإن هذه الجيوش، حققت في الأيام الأولى من عمليتها العسكرية، نجاحًا، دفع الولايات المتحدة الأمريكية، إلى أن تطلب من مجلس الأمن (1948/3/19) التدخل لوقف إطلاق النار [2].

امتدت المرحلة الأولى للحرب، من 1948/5/15-1948/6/11، وكانت خطة الدخول إلى فلسطين تبدأ بدخول الجيشين، السوري واللبناني، في شمال فلسطين، وهدفهما الأول مدينة حيفا، فيما يدخل الجيشان العراقي والأردني، من الشرق، وهدفهما العفولة - حيفا، أولاً. أما الجيشان، المصري والسعودي، فيدخلان من الجنوب، واعتبرت تل أبيب هدف الجيوش العربية جميعًا [3].

ج - الحرب:

بلغ عدد الجيش اللبناني حوالي 1000 مقاتل، بقيادة رئيس الأركان اللبناني، فؤاد شهاب، الذي سبق أن أكد على عدم قدرة جيشه على خوض حرب حديثة، وأن أكثر ما في استطاعته هو الدفاع عن لبنان، قرب

(1) **المصدر نفسه**، ص 162.

(2) **مذكرات القاوقجي**، ط1، د. خيرية قاسمية، دمشق، دار التحرير، 1995، ص 403.

(3) حسن البدري، **الحرب في أرض السلام - الجولة العربية والإسرائيلية الأولى (47-1949)**، بيروت، دار الوطن، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر، 1976، ص 117-120.

الحدود [1].

اشترك الجيش اللبناني في الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام (1948) بأربعة أفواج من المشاة، والمدفعية، والمدرعات، وسرية خياله، وقد تمركزت هذه القوات على طول الجبهة اللبنانية - الفلسطينية [2].

دخلت القوات اللبنانية فلسطين، باتجاه ما يسمى إصبع الجليل، الممتد شمالاً من نهر الأردن ووادي الحولة نحو دان، وتعد هذه المرة الوحيدة التي سارت فيها العمليات الحربية العربية، وفق خطة عامة، ووضعت القوات الصهيونية بين فكي جبهتين عربيتين، في آنٍ، إذ عبر السوريون نهر الأردن، نحو شرق الجليل، واتجهت القوات اللبنانية نحو عربة [3].

سيطر " جيش الإنقاذ " على المالكية، والتي تقع عند مفترق الطرق التي تصل فلسطين بلبنان، في القطاع الأوسط من الجبهة اللبنانية، وتعتبر المالكية مفتاح حوض الحولة، والطرق المؤدية إلى عكا، وصفد، والناصرة، وتسيطر على طريقي عيترون - بنت جبيل، وبليدا - ميس الجبل. وفي ليلة 15-16 آيار/ مايو 1948، حاول الصهاينة احتلال المالكية، لكنهم أخفقوا، وتكبدوا خسائر فادحة [4].

تقدم الصهاينة من الشمال، واستولوا على عكا، ولم يكن فيها أي دفاع من القوات النظامية العربية، واقتربت القوات الصهيونية من الحدود

(1) الموسوعة، **مصدر سبق ذكره**، ص 158.
(2) **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ط1، بيروت، وزارة الدفاع الوطني، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1973، ص 553.
(3) القصري، **مصدر سبق ذكره**، ص 184.
(4) القضية الفلسطينية....، **مصدر سبق ذكره**، ص 554.

اللبنانية، وقد كانت المنطقة الساحلية خالية من المقاومة العربية [1].

في يوم 19 آيار/ مايو 1948، أطلقت قافلة مدرعة، تابعة اللواء " يفتاح "، التابع للعدو، وتوغلت نحو 15 كيلو مترًا داخل الأرض اللبنانية، ووصلت إلى المالكية من الخلف، وقامت باحتلالها [2].

وبذلك قطعت قوات الاحتلال الطريق الموصل من الناصرة إلى المالكية، ومفرق عيترون - بنت جبيل، وحاصروا 300 من المجاهدين العرب، لذا قرر الجيش اللبناني مهاجمة قرية المالكية، وتخليصها من أيدي الإسرائيليين، لفتح الطريق ومساعدة المجاهدين ومدهم بالعتاد [3].

قام الجيش اللبناني بهجوم على هضبة المالكية، بدءًا الهجوم، يوم 5 حزيران/ يونيو، مهدت له المدفعية، والطيران السوريين، ثم انطلقت السريتان، الأولى والثالثة، وتبعتها المدرعات، وقد صادفت القوات اللبنانية مقاومة عنيفة من العدو، ورغم ذلك لم يستطع وقف تقدمها، ودارت معركة شرسة، وجهًا لوجهة، بالسلاح الأبيض، أسفرت عن دحر العدو، وتخليه عن جميع مواقعه القتالية، بعد خسائر فادحة، وتمكنت القوات اللبنانية من المالكية، وتابعت التقدم إلى قدس، ودخلتها، بعد انسحاب قوات العدو منها إلى النبي يوشع [4].

---

(1) القاوقجي، **مصدر سبق ذكره**، ص 420.

(2) **حرب فلسطين 47- 1948/ الرواية الإسرائيلية الرسمية**، ط1 ترجمة أحمد خليفة، مراجعة سمير جبور، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984، ص 493.

(3) القضية الفلسطينية....، **مصدر سبق ذكره**، ص 554.

(4) **المصدر نفسه**، ص 556- 557.

فقدت القوات اللبنانية في هذا الهجوم شهيدين، وأصيب خمسة من القادة، وواحد وثمانون جنديًا، وعطلت دبابة واحدة، دون تدميرها، وكانت خسائر العدو ثمانية عسكريين، بينهم ضابط، وعدد من الجرحى [1].

قال قائد جيش الإنقاذ، فوزي القاوقجي، في مذكراته: " قررت معركة المالكية مصير الحدود اللبنانية، ومصير جبل عامل كله، فأصبح في أمانٍ مؤقت، على الأقل، كما قررت مصير القوات اليهودية، التي كانت تهدد من المالكية بالخطر الشديد، كل ما جاورها. وفتح أمامنا، بعد هذا الانتصار، مجال أوسع للاتصال بالجيش السوري، بحركة متقابلة، فيما إذا أقدم على عمليةٍ ما، وكان له صدى كبير في الأوساط العربية والأجنبية " [2].

قرر الإسرائيليون الهجوم، بعد أسبوع من ثبات الجيش اللبناني، وعدم تحركه، فشن الجيش الإسرائيلي هجومًا مخادعًا على النبي يوشع، وقدس، من الجنوب، في حين جاء الهجوم الرئيسي على المالكية، عبر الأراضي اللبنانية، حيث أرسل الإسرائيليون قوة من السيارات المدرعة، والمشاة، المحمولة على عربات نقل، عبر الحدود، انطلاقًا من المنارة، حتى الحدود غرب المالكية، تصدت لها وحدة لبنانية صغيرة، ولكنها عادت، وانسحبت، لعدم قدرتها على الصمود في وجه القوة الإسرائيلية المتفوقة في العدد والعتاد، وهي التي هاجمت القوات اللبنانية في الخلف، قبل أن تتمكن من اتخاذ الاستعدادات اللازمة، فسقطت المالكية، بعد

(1) **المصدر نفسه**، ص 558.
(2) الموسوعة، **مصدر سبق ذكره**، ص 158.

معركةٍ قصيرة، وتبعتها قدس، التي أخلاها اللبنانيون، وانسحبوا إلى ما وراء حدود بلادهم مع فلسطين [1].

انسحبت معظم القوات العربية، بدعوى " إعادة تنظيم الصفوف والتخطيط لاستئناف العمليات "، في ضوء ما تلقوه من دروس من قوات الصهاينة، ثم التنسيق للهجمات بين القوات اللبنانية والسورية و " جيش الإنقاذ " [2]. حيث شنت وحدات من الجيشين اللبناني والسوري، وجيش الإنقاذ، هجومًا مشتركًا مفاجئًا على المالكية، فاستردوها، رغم كثرة الحواجز، الألغام، التي وضعها العدو حول القرية، واستولت القوات العربية على رامات تفتالي، وقدس، وفتحت الطريق نحو سهل الحوله، والجنوب [3].

استمرت الهدنة الأولى، من 11/6-9/7/1948، ثم استؤنفت المرحلة الثانية للحرب، في 7/9 حتى 1948/7/18، على الجبهات، الأردنية، والمصرية، والسورية، فحسب، ولم يشترك لبنان في هذه المرحلة من الحرب [4].

جاءت الهدنة الثانية، في 1948/7/15، بقرارين من مجلس الأمن الدولي رقمي 4، 5، وفي هذه الأثناء ذهب القاوقجي إلى بيروت، على أمل أن يقدر لبنان مدى خطورة الموقف على حدوده، فيحاول أن يدافع

(1) حرب فلسطين......، **مصدر سبق ذكره**، ص 521.
(2) الموسوعة، **مصدر سبق ذكره**، 158.
(3) **المصدر نفسه**، ص 161.
(4) القاوقجي، **مصدر سبق ذكره**، ص 433.

عن أرضـه، وبـذلك يمكـن أن تمـد الحكومـة اللبنانيـة جيش الإنقـاذ بـبعض الأسلحة، لمنع إلحاق الهزيمة به. ورغم قلة إمكانيات لبنـان الحـربيـة، فقد استلم القاوقجي كمية من الأسلحة الفرنسية، وعاد إلى الجبهة، التي كانـت لا تـزال هادئـة، والصـهاينة علـى الصـعيد الآخـر، يراكمـون اسـتعداداتهم. فاجتمع القاوقجي بضباطه، وأطلعهم على ما حدث، وقرر الاسـتمرار فـي القيام بواجبه بالدفاع عن فلسطين، حتى النهاية [1].

عند قبول الهدنة الثانية، انطلقت في لبنان الاحتجاجات، والتظـاهرات الحاشـدة، التـي ذكـرت الملـوك والرؤسـاء العـرب، بمـا قـرره مـؤتمري أنشـاص، وبلـودان، كمـا ردد المتظـاهرون الهتافـات المعاديـة لبريطـانيـا، والولايات المتحدة، والصـهاينة، وطـالبوا بقطـع النفط عنهم. كمـا تظـاهر 500 لاجئي فلسطيني في بيروت، مطالبين بحقهم في الخبـز، فضـلاً عن تقديم استجوابين للحكومة اللبنانية في البرلمان، بسبب تقصيرها في حرب فلسطين. كما تولـت لبنـان إدارة المكتـب، الـذي تـم إنشـاؤه للدعايـة لقضـية الفلسطينية في أوربا، إبان قبول الهدنة الثانية [2].

لم يحدد مجلس الأمن الدولي للهدنة الثانيـة زمنًـا معينًـا، علـى أمـل أن تتحـول إلـى هدنـةٍ دائمـة، ويحـل الصـراع سلميًا، بمعاونـة الكونـت فولـك برنـادوت، وسيط الأمـم المتحـدة، الـذي وضـع خريطـة جديـدة لفلسـطين، وقرر تعديل قرار التقسيم، بشكلٍ يحقق بعض العدل، من وجهـة نظـره، فأعد مشروعًا، عـرف باسم " مشـروع الكونـت برنـادرت "، وقدمـه إلـى

(1) حلاق، **مصدر سبق ذكره**، ص 225- 226.
(2) الموسوعة، **مصدر سبق ذكره**، ص 161

الأمين العام للأمم المتحدة. غير أن الصهاينة لم يوافقوا على المشروع، فاغتالوا برنادوت، في القدس، يوم 1948/9/17، وفي هذه الأثناء تابعت إسرائيل عدوانها، وأخذت في تنفيذ مخططاتها التوسعية الاستعمارية، خارقة بنود الهدنة، وتمكنت من احتلال مساحات أخرى من الأرض، وانتزعت المبادأة من أيدي العرب [1].

عقد في لبنان اجتماع، في تشرين/ أكتوبر 1948، بعد خرق القوات الصهيونية الهدنة الثانية، ضم كلاً من جميل مردم، وزير الدفاع السوري، ونظيرة اللبناني مجيد أرسلان، فضلاً عن فؤاد شهاب، وفوزي القاوجي، وقائد الجيش السوري حسني الزعيم، ورئيس ركن في الجيش المصري المقدم ناصر، وعضو اللجنة العسكرية العربية العقيد محمود الهندي، للبحث لمساعدة الجيش المصري، وأسفر الاجتماع عن سفر الزعيم، وشهاب، إلى مصر، ليطلعا المسئولين هناك على ما أسفر عنه الاجتماع، ووافق الزعيم على السفر، في حين رفضه شهاب، قائلاً: " ماذا عسانا نعمل في مصر؟! فإذا كلفتنا المراجع المسؤولة بشيء لا يستطيع الجيش اللبناني القيام به، فماذا يكون موقفنا ". فرد عليه مردم: " يا جماعة هي مسألة رفع عتب " ! وعلق القاوجي على هذا الجواب، بقوله: " وكانت المؤتمرات كلها، من قبل وبعد كما بدا لي - رفع عتب " ! [2].

(1) حلاق، **مصدر سبق ذكره**، ص 241.
(2) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

في 25 تشرين الأول/ أكتوبر1948، قام الطيران الصهيوني بغاراتٍ جوية على جنوب لبنان، لاحتلال بعض القرى اللبنانية الحدودية، مثل ميس الجبل، وحولا، سحب على أثرها فؤاد شهاب الجيش اللبناني المرابط في المالكية، وحل محله بعض المتطوعين بما يوازي نصف القوة النظامية فحسب، الأمر الذي اضطر جيش الإنقاذ إلى البقاء متفردًا في شمال فلسطين، متعرضًا للقصف المدفعي، دون مساعدة من أيٍ من الجيشين، اللبناني أو السوري [1].

رغم أنه لم يكن لدور لبنان في حرب 1948، أي فاعلية، غير الدفاع، فإنه لم يكن بأسوأ من مواقف الدول العربية الأخرى، فقد أسهمت كل الدول العربية، إسهامات متواضعة حينًا وسلبية أحيانًا، والجدير بالذكر أن شعب لبنان قدم قائدًا جسورًا هو فوزي القاوقجي، إبن طرابلس، الذي مثل ظاهرة لبنانية مشرقة، حيال القضية الفلسطينية، فعندما شارك في جنازة الشهيد بهاء الدين الطباع، في بيروت، التف حوله الشباب، وطالبوه بإنقاذ فلسطين، واستئناف الجهاد، على غرار جهاده، في ثورة 1936-1939، الوطنية الفلسطينية، فأجابهم بأن حياته فدى لفلسطين، وأنه كان ولم يزل ينتظر الوقت المواتي لهذا الجهاد!؟؟؟[2] [3].

* * *

(1) خليفة، **مصدر سبق ذكره**، ص705.
(2) **المصدر نفسه**، ص 705.
(3) حلاق، **مصدر سبق ذكره**، ص 177.

البـــاب الثاني
الأبعــاد والروايــات

الفصل التاسع:
البعد الدولي لحرب 1948

نعيمة عبد ربه أبو مصطفى

اندلعت الاشتباكات المسلحة بين المناضلين العرب الفلسطينيين، والعصابات الصهيونية المسلحة الثلاث، (الهاغاناه/ الأراغون/ وشتيرن)، بمجرد صدور قرار تقسيم فلسطين، عن الأمم المتحدة (1947/11/29)، ومالت كفة القتال لصالح المناضلين، رغم تواضع سلاحهم وندرة ذخيرتهم، حتى أن مندوب الولايات المتحدة، في الأمم المتحدة " أورين أوستين "، طالب مجلس الأمن، في 1948/3/19، بإلغاء قرار التقسيم، حتى تحمي الولايات المتحدة صنيعتها من الهزيمة الكاملة. هنا تفتق ذهن القادة الإرهابيين الصهاينة، عن حلٍ فريد يعمل على ترجيح كفة القتال لصالحهم، ويرغم الولايات المتحدة على تعديل وجهة نظرها، أيضًا، فكانت مذبحة دير ياسين في 1948/4/9. والمستهجن أن أجهزة الإعلام العربية أسهمت، أغلب الظن دون أن تعي، في ذرع الرعب في نفوس العرب، بترويجها لأنباء تلك المذبحة مرارًا وتكرارًا، بدلاً من أن تتجه تلك الأجهزة بدعاياتها، إلى الرأي العام الغربي.

من المهم لنا، اليوم، أن نعود إلى حرب 1948، ونستعرض البعد الدولي، إبان تلك المرحلة، لنلتمس منها الدروس والعبر، التي قد تنفعنا في الوقت الراهن من الصراع العربي - الصهيوني، ونحاول تقييم

الأدوار الاستعمارية للدول العظمي، والتي يستمر نشاطها منذ 1948 حتى يومنا هذا، ودور المؤسسات الدولية، وموقفها من حرب 1948.

لقد تجلى الموقف الدولي، قبل قيام الحرب، نحو إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، لأسبابٍ اقتصادية، وسياسية، واستراتيجية، فسارعت الدول الغربية بتأييد هذا الموقف، وكان لكل دولة صورة مختلفة عن الأخرى في شكل التأييد، ومشتركة معها في الهدف.

1- بريطانيا والدول الأوروبية:

انطلقت الشرارة الأول من بريطانيا، حينما صدر " وعد بلفور "، في الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني 1917[1]، لتنفيذ ماوعدت به اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية، وانهزام الدولة العثمانية، الذي أدى إلى تقسيم الوطن العربي إلى عدة دويلات، كان نصيب بريطانيا منها فلسطين والأردن والعراق. بذا سنحت الفرصة، لبريطانيا، من أجل تحقيق وعدها لليهود، ساعيةً، في سبيل تحقيق ذلك، إلى موافقة الدول العظمى، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي، وفرنسا حليفتها في الاستعمار، آنذاك، التي لم تخذلها في تحقيق ذلك.

سبق لفرنسا أن قدمت عدة وعود لليهود " بإعادتهم " إلى " أرض الميعاد "، وبدأ النشاط الفعلي للإرساليات الفرنسية في القدس وضواحيها، منذ عام 1840، وكانت الدولة العثمانية تعارض هذه الإرساليات، إلا أن

(1) إبراهيم الإبراشي، **البعد القومي للقضية الفلسطينية**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987، ص34.

فرنسا استطاعت أن ترسخ وجودها بجانب الجاليات اليهودية في فلسطين، عن طريق إنشاء المدارس، ونشر الثقافة الفرنسية، وتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين[1].

قدم موسوليني، زعيم إيطاليا، وعودًا أخرى لليهود، بتقديم المساعدة لهم في بناء اقتصادهم، وأعرب موسوليني، أيضًا، عن تأييده وحماسته للمشروع الصهيوني. حيث تمكنت إيطاليا من تأسيس أول قنصلية لها في عام 1872، في القدس[2]، وكانت تمارس السياسة الفرنسية نفسها، وهي الوقوف إلى الجانب اليهودي، و دعمه، وقد رحبت ايطاليا بوعد بلفور، عندما عرض على " عصبة الأمم " في جنيف.

كما وجهت الحكومة الألمانية خطابًا إلى رئيس المنظمة الصهيونية، تيودور هرتسل، سنة 1898 أكد فيه قيصر ألمانيا استعداده لمناقشة توطين اليهود في فلسطين مع السلطان العثماني حليف ألمانيا[3]، في ذاك الوقت، وأن القيصر أبدى استعداده لاستقبال وفد يهودي، يحمل اليه معلومات مهمة لتوصيلها إلى سلطان اسطنبول.

ساعدت ألمانيا، عن طريق فرق " الجستابو "، و " الصاعقة "، في تهريب اليهود إلى فلسطين، وذلك أثناء الحرب العالمية الثانية، وسمح لليهود بالاتفاق مع الحكومة الألمانية على أخذ بضائع وسلع ألمانية بقيمة

(1) أحمد ذكي الدجاني، **مأساة فلسطين بين الانتداب البريطاني ودولة إسرائيل**، القاهرة، دار المستقبل العربي، 1999، ص248.
(2) **المصدر نفسه**، ص 248.
(3) **الصفحة نفسها**، ص 248.

ما يملكون في ألمانيا (مقايضة الهعفرا) [1]، وقد هاجر من ألمانيا، خلال الفترة 1933 - 1941، أكثر من 35 ألف يهودي إلى أرض فلسطين[2]، معظمهم من الأطباء، والمحامين، والمهندسين، والصناع المهرة، الذين أحضروا معهم الخبرات، والبضائع، والسلع. وكانت ألمانيا تدفع للوكالة اليهودية تكلفة استقبال اليهود المهاجرين للإقامة في فلسطين، وبناء المستوطنات لهم.

أما التعويضات الألمانية التي دفعتها الحكومة الألمانية لليهود، تعويضاً عن اضطهاد هتلر لليهود، فقد أسهمت هذه التعويضات، في بناء اقتصاد اليهود أثناء حرب 1948، وبعدها وحتى يومنا هذا.

عارض ممثل الهند المسلم، في لجنة التحقيق الخاصة، التي عقدتها الأمم المتحدة، قرار تقسم فلسطين، وانضم إليها، ممثل إيران وهو مسلم أيضًا، وممثل بلدية يوغوسلافيا - آنذاك - ولم تجد هذه المعارضات، حيث أن المخطط البريطاني يسير كما تم رسمه، لتسليم فلسطين إلى اليهود تحت غطاءٍ عالمي.

اعتبر الانتداب البريطاني على فلسطين، بمثابة مخطط عالمي لتنفيذ " وعد بلفور "، واستمرارًا لدعم بريطانيا المستمر للدولة " اليهودية "، المتمثل في صور عديدة، منها إصدار القوانين واللوائح التي فتحت أبواب هجرة اليهود إلى فلسطين تحت تنظيم الوكالة اليهودية ذات التوجه والارتباطات الصهيونية، ونقل ملكية مساحات واسعة من أراضي

(1) **الصفحة نفسها**، 248.
(2) **المصدر نفسه**، ص249.

الفلسطينيين إلى تلك الوكالة[1]، كما تعمدت السلطات البريطانية اغراق فلسطين بسيل من المهاجرين " اليهود "، الذين أخذو يزاحمون الفلسطينيين في مجالات العمل المحدودة، ضمن إطار محدودية الطاقة الاقتصادية لفلسطين، في ذلك الحين، وذلك للتخلص من المهاجرين " اليهود " المتدفقين إلى الدول الأوروبية الغربية من شرق أوروبا، كما اعتمدت السلطات البريطانية سياسة إرهاق الفلسطنيين بالضرائب الباهظة على الواردات، وعلى الفلاحين، وذلك لدعم الصناعات " اليهودية" الناشة في فلسطين، آنذاك، فقد بلغ عدد العرب في فلسطين، عام 1946، ما مجموعه 1.21.930، واليهود 553.600، بإجمالي عدد سكان 1.764.530، وبنهاية حرب 1948، سيطرت الحركة الصهيونية عبر " الوكالة اليهودية " على 20.850كم2، من مساحة فلسطين الكلية، البالغة 27.027كم2[2]. بالرغم من جميع أشكال المقاومة التي قام بها الفلسطينيون على مدار قرن من الزمان، فإن، " اليهود " استمروا يتمتعون بما أهدته لهم بريطانيا، من سياسة وثقافة الاحتلال حتى يومنا هذا.

لم تكن بريطانيا في حاجةٍ إلى قرار من الأمم المتحدة لتسليم مقاليد الحكم لليهود، متجاهلةً الانتداب الدولي لها على أرض فلسطين، وكان من

(1) محمد عبد الرؤوف سليم، **العرب وتقسيم فلسطين**، القاهرة، دار الزهراء للنشر، 1994، ص154.

(2) **الأوضاع والامكانات الاقتصادية والاجتماعية للشعب العربي الفلسطيني في منطقة آسيا**، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، نيويورك، الأمم المتحدة، 1985، ص13.

الطبيعي أن تسلم مقاليد الحكم لحكومـة فلسطينية، ولكن بريطانيا طبقت سياسة الأمر الواقع، الذي فرضته من قبل على أرض فلسطين، فما كان الا أن سلمت القوات البريطانية معسكراتها، ومواقعها للعصابات الصهيونية، بالرغم من ملاحظة الكثيرين في المنطقة العربية، للإرهاب المُمارس من قبل الحركة الصهيونية على البريطانيين، ففرضت الحركة الصهيونية سياسة الأمر الواقع على بريطانيا، في تنفيذ ما وعدت به، وأعدت له بريطانيا، سلفًا، لخلق كيان ذا طبيعة استعمارية تحت لافتةٍ " يهودية " في فلسطين.

سلمت بريطانيا مناطق الجليل، إبتداءً من شهر مارس/ آذار، وأوائل إبريل/ نيسان، لعام 1948، ولم تنتظر موعد انتهاء الانتداب، وذلك بموجب قرار التقسيم، الذي أعلنت بريطانيا موافقتها عليه، والاستعداد للقيام بتنفيذه[1]. أما أجزاء الأراضي المفترض تسليمها للعرب، فتمسكت بها بريطانيا، للَّحظةِ الأخيرة من نهاية الانتداب، فكانت القوات البريطانية لا تسمح لأي قواتٍ عربيةٍ من الاقتراب من معسكراتها، في الوقت الذي كانت تقوم ببيع الأسلحة، والذخائر، والمعدات، ومهماتٍ عسكريةٍ أخرى، للجانب اليهودي.

2- الولايات المتحدة الأمريكية:

تشجيع المصالح التجارية الأمريكية، واحتواء التهديد السوفييتي، والحد من تدخله في الشرق الأوسط، والحد من التفوق البريطاني في

(1) محمد عزة دروزة، **الحركة العربية الحديثة**، صيدا، المكتبة العصرية، ج 4 و5، 1960، ص134.

الشرق الأوسط، لهذه الأسباب أجمع المسؤولون الأمريكيون على أهمية الوجود الأمريكي في الشرق الأوسط عامة، وفي فلسطين خاصة. قبل الحرب العالمية الثانية، انتهجت الولايات المتحدة الأمريكية، سياسة خاصة بها لحماية هذه المصالح، وكانت تتجنب التورط سياسيًا، أو تحمل تبعات سياسية، خاصة أن هذه المنطقة كانت منطقة صراع للقوى الأوروبية الكبرى، إلى أن دخلت الولايات المتحدة الأمريكية، الحرب العالمية الثانية مع حلفاءها، فازدادت التزاماتها، واهتماماتها السياسية والعسكرية[1]، وهي مدركةٌ سلفًا الأهمية الاستراتيجية للمنطقة العربية.

وصل التعاطف الأمريكي، مع الحركة الصهيونية درجة كبيرة، جعلت الكونجرس الأمريكي، يؤيد إنشاء " وطن قومي لليهود " على أرض فلسطين في عام 1922، وسَّجل هذا التعاطف بقرار رسمي وقعة الرئيس الأمريكي وارين هاردنج، في 21 سبتمبر/ أيلول 1922[2]. كما صدر بيان لوزارة الخارجية الأمريكية، في أكتوبر/ تشرين الأول 1938، يعرب عن أمل الولايات المتحدة الأمريكية، في التعاون مع بريطانيا حول انتداب الأخيرة على فلسطين، والتعديلات الخاصة بذلك، وفي عام 1939، رفض الرئيس الأمريكي روزفلت، لما جاء في " الكتاب الأبيض• ". في 11 مايو/ آيار 1942، أقرت المنظمة الأمريكية،

(1) رؤوف عباس حامد، **التطلعات الأمريكية تجاه المنطقة العربية إبان الحرب العالمية الثانية**، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، المجلد 27، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، 1981، ص312: ص340.

(2) محمد خيرى طلعت، **القضية الفلسطينية (دراسة في الوثائق الأمريكية 1922 - 1956)**، المنيا، م مؤسسة الأفراد، 1997، ص1.

(•) الكتاب الأبيض: أصدرته الحكومة البريطانية، في 17 مايو/ آيار 1939، لامتصاص

فـــــي اجتمـــــاع لهـــــا فـــــي نيويـــــورك ببرنـــــامج " بلتيمور " لإنشاء " الدولة اليهودية "، وفي عام 1944، وقعت اتفاقية النفط الأنجلو أمريكية[1]، والتي هدفت إلى استغلال موارد الشرق الأوسط النفطية، عن طريق تمكين الشركات النفطية الأمريكية من نفط العرب، حيث أن شركات النفط الأمريكية، آنذاك، هي المسؤوله عن إمدادات النفط إلى أوروبا، واليابان. كما كان روزفلت في حاجة ماسة إلى مساعدة الشخصيات اليهودية الأمريكية لإعادة انتخابه، للمرة الرابعة، وهنا كانت بداية تدخل اللوبي الصهيوني، في السياسة الأمريكية. فالبرغم من أن العديد من المستوطنات اليهودية التي أنشئت خلال القرن التاسع عشر، في فلسطين بأموالٍ يهودية أمريكية، فإن عدد الأمريكيين العاملين فيها كان قليلاً[2]، بالدرجة التي تسمح بالتدخل الأمريكي المباشر، في شؤون فلسطين لحماية هذه المصالح، فاعتمدت الإدارة الأمريكية على الوجود البريطاني، حليفها للقيام بهذه المهمة.

الغضب العربي، وتهدئة الأوضاع مع العرب الساخطين على قرار تقسيم فلسطين، وجاء في ذاك تراجع بريطانيا التام عن فكرة قرار تقسيم فلسطين، وإقرار بريطاني بأن إقامة دولتين مستقلتين على أرض فلسطين، واحدة يهودية، والأخرى عربية، أمر غير عملي، ولكن الهدف المعلن من وراء هذا الكتاب هو إقامة دولة فلسطينية مستقلة، في غضون عشر سنوات، ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة، تضمن حماية المصالح الحيوية والمتطلبات الاستراتيجية والتجارية لكلا البلدين.

(1) **المصدر نفسه**، ص4.

(2) محمد عبد الرؤوف سليم، **فلسطين في العلاقات الأمريكية التركية حتى قيام الحرب العالمية الأولى**، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، المجلد 27، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، 1981، ص179: ص198

أعد اليهود أنفسهم لإقامة دولتهم المزعومة على أرض فلسطين، على أساس وعد بلفور، مستندين في تحقيق ذلك على القوة العالمية الجديدة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، وهي الولايات المتحدة الأمريكية، التي سارعت بفتح أبواب الهجرة اليهودية لفلسطين، دون أي شرط من سنة 1945 - 1947، وذلك بإصدار قرار من الرئيس الأمريكي، آنذاك، هاري ترومان، [1] وحين صدور قرار التقسيم، في 1947 هرولت الولايات المتحدة الأمريكية تفتح له أبواب التطبيق، سواءً أمام الأمم المتحدة، أو في عواصم العالم، إلا أن الولايات المتحدة لم تغفل الجانب العربي، وذلك للحفاظ على مصالحها لدى الطرفين المتصارعين. فخصص الكونجرس الأمريكي، في سبتمبر/ أيلول 1946، قرضًا بملبغ ثلاثمائة مليون دولار، لتحسين الأحوال المعيشية للعرب في فلسطين، وكذلك لدعم المصالح الأمريكية الاستراتيجية، والسياسية في الشرق الأوسط. فقام الرئيس الأمريكي، هاري ترومان بإبلاغ الملك عبد العزيز آل سعود، عاهل السعودية، بأنه يؤيد إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وأنها لن تضر بمصالح السكان الأصليين، وأوضح ترومان أن هدف سياسة الولايات المتحدة الأمريكية أن تحافظ على حقوق السكان العرب، واليهود في فلسطين، وأنها سوف تمنح الفلسطينيين أموالاً لمساعدتهم على الأحوال الاقتصادية المتدنية[2]، واضعةً أصحاب الحق

(1) محمد حسنين هيكل، **العروش والجيوش، كذلك انفجر الصراع في فلسطين 1948 - 1998، قرأة في يوميات الحرب**، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1998، ص25.

(2) فرد لوسون، إدارة ترومان والفلسطينيون، في، ميخائيل سليمان (محررًا)، **فلسطين والسياسة الأمريكية من نيلسون إلى كلينتون**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ص86.

مـع مغتصبيه فـي سلةٍ واحـدة، وبـالرغم مـن هـذه الخطـوة، التـي أتخـذتها الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنها ماطلت في إرسال هذه الأموال.

قلل جورج مارشال، وزير الخارجية الأمريكية، في عام 1947[1]، من أهميـة الموقـف الأمريكـي المؤيـد لقـرار التقسيم، والضـغوط التـي مارسـتها الولايات المتحدة الأمريكية، على بعض الدول كي تؤيد قرار التقسيم، وذلك لطمأنـة الـدول العربيـة الرافضـة لقـرار التقسـيم، علـى وعـدٍ بـأن السياسـة الأمريكية سوف تتغير، فـي القريـب العاجل، لصـالح الفلسطينيين، حيـث يـتم وضـع فلسطين تحـت وصـاية دوليـة لعدة سنوات، كـي يتـاح لكل الأطـراف المعنية مراجعة الحقائق، والمواقف من جديد، وهو نفس الموقـف الـذي نـراه على الساحة السياسية، الآن، وبعد مرور أكثر من نصف قرن علـى السياسـة الأمريكية، عند صدور قـرار التقسيم، فهـي لـم تتغير فـي مضـمونها، ولكنهـا ترتـدي أثوابًا متعددة، لتبعـد الأنظـار عـن حقيقـة نواياهـا، وهـي التحيـز التـام للصـهيونية العالميـة، كمـا فرضـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة حظـرًا علـى التجهيزات العسكرية والأسلحة للمقاتلين العرب، قبل وأثناء حرب 1948[2].

خشي الرئيس الأمريكي، ترومان، من أن الإنسـحاب البريطـاني، فـي 14 مايو/ آيار 1948عن أرض فلسطين قد يخلـق فراغًـا عسكريًا يمـلأُه الاتحاد السوفييتي، تحت شعار الحفاظ على السلام الدولـي، لذلك، الوجـود اليهودي علـى أرض فلسطين، سيحقق الأمن الأمريكي في المنطقة. كانت المخـابرات الأمريكيـة يقظـة، طـوال الوقـت، تتـابع عـن كثـب التحركـات

(1) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، ص38.

(2) فرد لوسون، **مصدر سبق ذكره**، ص86.

العربية، سواءً السياسية منها، والعسكرية، وتؤكد لليهود بأن الجيوش العربية في حالة تردد، ولن تدخل أرض فلسطين، إلا بعد انسحاب القوات البريطانية، وفي ذات الوقت، كان اليهود على أهبة الاستعداد لاستلام مقاليد الحكم من الانتداب البريطاني.

صرح مستر إلالوسون السفير الأمريكي في إسرائيل، وهو يقدم أوراق اعتماده إلى رئيس دولة إسرائيل، وقال " لا يسعني إلا الفخر بما قامت به بلادي، في سبيل إنشاء بلادكم، وجدير بنا نحن الأمريكيين الذين ندين بحضارتنا إلى الكثير من إلهام أبناء إسرائيل، أن نعمل متحدين مع أحفادهم في المهمة العظمى، وهي بناء أمة حديثة في الأراضي المقدسة " [1].

حاولت الولايات المتحدة الأمريكية، التخفيف من تآمرها، وانحيازها لليهود، فقامت بتخصيص برنامج معونه للأهالي الفلسطينيين، الذين هجًروا من أراضيهم، وساءت أوضاعهم، وفي محاولة أخرى لكسب رضا الشعوب العربية! فقدمت الولايات المتحدة الأمريكية، عدة مقترحات لإسرائيل للموافقة على منح تعويضات للمهجرين الفلسطينيين، وبذلت الولايات المتحدة الأمريكية، محاولات لإقناع إسرائيل بالموافقة على إعادة بعض العائلات الفلسطينية إلى الأراضي، التي احتلتها إسرائيل، ولكنها محاولات فحسب، ولم تستطع الولايات المتحدة الأمريكية إقناع إسرائيل بأيٍ من الحلول العادلة للفلسطينيين الذين اغتصبت أراضيهم.

(1) الدجاني، **مصدر سبق ذكره**، ص465.

هـدفت السياسـة الأمريكيـة، خـلال فتـرة الأربعينيـات، إلـى ترسـيخ الوجـود الأمريكـي فـي الشـرق الأوسـط، فـي محاولـه لمنـع الاتحـاد السـوفييتي مـن بسـط سيطرته علـى هـذه المنطقـة، وحمايـة المصـالح التجاريـة والاقتصـادية الأمريكيـة، والتظـاهر بإرضـاء اللـوبي الصـهيوني فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، أيضًـا، حفاظـاً علـى المصـالح السياسـية والاسـتراتيجية داخـل وخـارج الولايـات المتحـدة الأمريكية، والحد من الدور البريطاني في المنطقة العربية.

3- الاتحاد السوفييتي:

تسـرب النفـوذ السـوفييتى إلـى المشـرق العربـي، فـي أعقـاب الحـرب العالمية الثانية، مستغلاً التناقضات التي كانت سائدةً حينذاك، بين أهالي المنطقة، والاستعمار البريطاني لفلسطين[1]، اتضحت الرؤية السوفييتية، عندما وافق ستالين في مؤتمر بالتا، في فبراير/ شباط 1945، على تقرير الوطن القومي لليهود في فلسطين، وعلى فتح أبواب الهجرة اليهودية. كما وافق الوفد السوفييتي في مؤتمر نقابات العمال العالمي، الذي عقد في لندن، فبراير/ شباط 1945، على قرار يقضي بأن الشعب اليهودي، يجب أن يمكن من مواصلة إعادة بناء فلسطين كوطن قومي لليهود[2].

---

(1) محمد كمال يحيى، التأييد السوفييتي لإسرائيل، جذوره ودوافعه، **المجلة التاريخية المصرية**، المجلد 27، القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، 1981، ص342: ص361.

(2) محمد نصر مهنا، **مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي 1945 - 1967**، القاهرة، دار المعارف، 1979، ص 123.

امتنع الاتحاد السوفييتي عن التصويت على أي قرارا ت تتعلق بالقضية الفلسطينية، وذلك لمساندة قيام الدولة اليهودية، والسماح للهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين، ولم يسهم الاتحاد السوفييتي بالدعم المالي لوكالة غوث اللاجئين، ولم يكن متحمسًا للحديث عن حق عودة اللاجئين، أو التعويضات[1]، وعند طرح قضية فلسطين لأول مرة على الأمم المتحدة (ربيع1947)، أعدت الخارجية السوفييتية " مشروع جروميكو "، لتسوية القضية، وقضى بتكوين دولة اتحادية، بنسبة الثلثين للعرب، والثلث لليهود لكن الرؤساء العرب رفضوا هذا المشروع، بمجرد تسلمه[2].

فما كان إلا أن عبر السوفييت رسميًا، عن موقفه هذا أمام الأمم المتحدة، في نوفمبر/ تشرين الثاني 1947، عندما أيد الاتحاد السوفييتى قرار التقسيم، زاعماُ أن في هذا القرار حل لمشكلة فلسطين، فالاتحاد السوفييتي كان الدولة الثانية في العالم، بعد الولايات المتحدة الأمريكية، من حيث عدد اليهود الموجودين فيه[3]. كما كانت هناك آراء سوفييتية ترى في يهود فلسطين تقدميين، و ثوريين، و بروليتاريين في مقابل أنظمة الحكم الرجعية في المشرق العربي، وهو ما يعكس اهتمام السوفييت بالشأن اليهودي على حساب الجانب الفلسطيني، متذرعين بوجود الإقطاعيين العرب المتخلفين، مقابل اليهود المتقدمين في الأعمال

(1) **المصدر نفسه**، ص 21.
(2) عبد القادر ياسين، السوفييت وحركة التحرر الوطني العربية، **رؤيه**، تشرين أول/ أكتوبر، العدد24، فلسطين، الهيئة العامة للاستعلامات، 2003، 176: 182.
(3) يحيى، المجلة التاريخية، **مصدر سبق ذكره**، ص342: ص361.

الاقتصادية، وبالتالي، فإن الحكم اليهودي سوف يتناسب مع مصالحهم، و طموحاتهم في المنطقة، وتسهيل نشاط الشيوعية في المشرق العربي، التي تضطهد الشيوعيين. وقد وضع السوفييت في اعتبارهم الروابط الوثيقة بين اليهود الأمريكان، و اليهود في فلسطين، وأدركوا احتمال أن تسعى الولايات المتحدة الأمريكية، لتحل محل بريطانيا في هذه المنطقة، وبالتالي استقطابهم لليهود السوفييت، سوف يقلل من تأثير الدور الأمريكي على المنطقة، خاصةً وأن هناك عدد كبير من اليهود الروس لهم ولاء للاتحاد السوفييتي.

أصر المندوب السوفييتى في الأمم المتحدة، على إنشاء دولة يهودية في فلسطين، متجاهلاً آمال العرب، وحقهم في فلسطين، بل أن السوفييت استغلوا قضية اليهود المشردين على حساب العرب، للإعلان عن موافقتهم على قرار التقسيم، هادفة من ذلك - أيضًا - ضرب بريطانيا، وإبعادها عن المشرق العربي، لتدخل هي، وتنشر نفوذها في المنطقة. ظل الاتحاد السوفييتي في التغاضي عن موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بل ومؤيداً لها، حيث ظهر التأييد الرسمي للشيوعيين، في بولندا، التي كانت تضم وزراء شيوعيين في حكومة الاتحاد الوطني، أبلغت اليهود داخل حدودها أن من يرغب في الهجرة إلى فلسطين فليتفضل، وكذلك خصصت السلطات التشيكية، تسع قاطرات لنقل اليهود من الحدود البولندية إلى الحدود النمساوية، وأسهمت في إقامة معسكرات مؤقته للمهاجرين اليهود.

كما قدمت السلطات الرومانية، واليوغوسلافية مساعدات استثنائية، لتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين[1].

زود الاتحاد السوفييتي العصابات الصهيونية، العاملة في فلسطين بالمعدات العسكرية، إلى أرسلت عن طريق تشيكوسلوفاكيا، والتي استمر إمدادها لهم حتى بعد حرب 1948، حيث بلغت قيمة هذه المعدات 16.1 مليون دولار، في الفترة الأولى من النزاع المسلح بين العرب واليهود. وكانت ترسل عبر المرافيء، في يوغوسلافيا تحت حراسة ميليشيات الحزب الشيوعي اليوغوسلافي، وشملت هذه المعدات، كميات من الأسلحة، والطائرات المائية من طراز " مرشميدت "، وطائرات بريطانية من طراز " سبيتفاير "، و " موسكيتو "، ودبابات، ومدفعية ميدان مضادة للطائرات، وقاذفات لهب، ومدافع مضادة للدبابات، بالإضافة إلى ذلك، قامت وزارة الدفاع التشيكية، بموجب اتفاق عقدته مع منظمة " الهاجاناه " الإرهابية، بتدريب عدد من ضباط الجيش اليهودي، في تشيكوسلوفاكيا، ومن بينهم ضباط طيران. كما قدم إلى فلسطين، خبراء من مصانع " سكودا " التي تمتلكها الحكومة التشيكية، لمساعدة اليهود على تحويل الطائرات المدنية إلى طائرات حربية، وذكرت وزارة الخارجية البريطانية، أن أسطولاً صغيراً من الطائرات يحمل علامة دولة غير أوروبية، كان يشترك في نقل العتاد من تشيكوسلوفاكيا، إلى إسرائيل، بعد قيامها مباشرة[2].

---

(1) **الصفحة نفسها**، ص342: ص361.
(2) **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

أعلن المندوب السوفييتى في الأمم المتحدة، فـي 4 مـايو/ آيـار 1948 أي قبل إعلان دولة إسرائيل بعشرة أيام، أعلن أنـه توجد دولـة يهوديـة، بالرغم من محاولات بلاد معينة إعاقة تنفيذ قرار التقسيم[1]، قاصدًا بذلك التلميح لمعارضة الدول العربية.

قدم الاتحـاد السوفييتى اعترافًا قانونيًا، و مباشراً بالدولـة اليهوديـة، فور قيامها، واعتبر أول دولـة تقدم هذا الاعتـراف القانوني، فقد سبقت الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك. وفي خلال شهري أغسطس/ آب، و سبتمبر/ أيلـول مـن عـام 1948، تـم تبـادل البعثـات الدبلوماسية بدرجـة مفوضـية بـين الاتحـاد السـوفييتي، وإسـرائيل، وتـم افتتـاح مقـر البعثـة السوفييتية، في أغسطس/ آب 1948، في تل أبيب، وفي 3 سبتمبر/ أيلول 1948، وصـلت جولـدا مـائير، ومعهـا أعضـاء البعثـة الدبلوماسـية إلـى موسكو، كـأول مبعوث دبلوماسـي لإسـرائيل، وتـم اعتمـاد أوراقهـا فـي الكـرملين، فـي 10 سـبتمبر/ أيلـول 1948[2]، وتـم بعـدها الاتفـاق علـى التعـاون الاقتصـادي، وإمداد إسـرائيل بـالمواد الغذائيـة اللازمـة، وأيضًـا، باليهود المهاجرين إلى إسرائيل.

غاب دور السوفييت المؤيد للعرب، قبل أو خلال أو بعد حـرب 1948، ولكن كل المواقف السوفييتية أيدت قيام الدولـة اليهوديـة، وسـاندت اليهود السـوفييت للهجـرة إلـى فلسـطين، ونشـر الفكـر السـوفييتي داخـل الـوطن

(1) محمد نصر مهنا، **السوفييت والقضية الفلسطينية**، القاهرة، دار المعارف، 1981، ص 15.

(2) محمد كمـال يحيـى، **السـوفييت والقضـية الفلسـطينية (1948 - 1967)**، القـاهرة، دار الطباعي، 1986، ص59.

العربي، ولم يشارك السوفييت حتى في لجان الهدنة عام 1949، ولا في " لجنة التوفيق الدولية "، التي تكونت لكي تعمل على تنمية العلاقات الحسنة بين إسرائيل، والعرب، ووضع الأماكن المقدسة، تحت إشراف الأمم المتحدة، والسماح لمن يرغب من اللاجئين الفلسطينيين، في العودة إلى ديارهم، أو دفع التعويضات لهم.

4- الأمم المتحدة ومجلس الأمن:

أنشئت الأمم المتحدة، في سان فرانسيسكو، في 26حزيران/ يونيو 1945، وكانت فلسطين - حينذاك - تحت الانتداب البريطاني، بموجب " صك الانتداب "، الصادر عن " عصبة الأمم "، في عام 1922[1]، وأثناء سريان الانتداب، كانت فلسطين تتمتع بمركز دولي مستقل، وتملك السيادة على أراضيها، وكانت إرادتها بيدها من الناحية النظرية، فحسب، وفي الواقع العملي فهي بيد بريطانيا[2]، ولكن الأمم المتحدة لم تمنحها هذه الاستقلاليه لفترة طويلة، فكان الغرب يحث الخطى لإقامة إسرائيل مع إنشاء الأمم المتحدة، ليكون هناك مشروعية، وتصديق دولي على قرار التقسيم، فما كان للغرب إلا ماسعى نحوه!

طالبت بريطانيا بعقد دورة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة، بين 28 إبريل/ نيسان و 15 مايو/ آيار 1947، وإنشاء لجنة تابعة للأمم المتحدة معنية بفلسطين، تسمى " لجنة فلسطين "، لدراسة المشكلة الفلسطينية، عهدت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى لجنتها الأولى بمهمة

(1) الأمم المتحدة وقضية فلسطين، **الأمم المتحدة**، نيويورك، 1997، ص 7.
(2) الوضع القانوني للضفة الغربية وغزة، **الأمم المتحدة**، نيويورك، 1982، ص3.

تحديد نطـاق المشـكلة، وقامـت اللجنـة بزيـارة فلسـطين، والاسـتماع إلـى ممثلي " الوكالة اليهودية "، الذين طالبوا بالتصريح لهم بالهجرة اليهوديـة إلى أرض فلسطين، وإقامة دولة لهم في فلسطين، كما استمعت اللجنة إلى ممثلى " الهيئة العربية العليا "، الذين طالبوا بوضع حد للانتداب، فورًا، وإقامة حكومة ديموقراطية ذات سيادة على فلسطين[1].

قدمت اللجنة تقريرها بالاقتراح علـى الجمعيـة العامـة للأمـم المتحـدة، بإنشاء لجنة تحقيق خاصة، توضع تحت تصرفها جميع الوسائل اللازمـة، لتقديم مقترحات لحل القضية الفلسطينية، وبالفعل وافقت الجمعيـة العامـة على تكوين لجنة تحقيق خاصة، في 15 مايو/ آيار 1947[2]، وتم تشكيل اللجنة من 11 دولة، استبعد منهم الدول العربيـة والـدول الكبـرى، ولعـب اللـوبي الصـهيوني دوره فـي التـأثير علـى هـذه اللجنـة بـأن أقحـم اليهـود الموجودين خارج فلسطين، في نطاق المشكلة، وأنهت اللجنة أعمالها، في 31 أغسـطس/ آب 1947، باتفـاق أعضـائها علـى مسـألة إنهـاء الانتـداب، ومبدأ الاستقلال، وعلى دور الأمم المتحدة فـي الوصـول إلـى قـرار بشـأن تسـوية القضـية الفلسـطينية، وأوصـت غالبيـة أعضـاء اللجنـة (أورجـواي، وبيـرو، وتشيكوسـلوفاكيا، والسـويد، وجواتيمـالا، وكنـدا، وهولنـدا) بتقسيم فلسطين دولة عربية، ودولة يهودية، على أن يكون لمدينـة القدس مركـز دولي تحت السلطة الإدارية للأمم المتحدة، ويربط الكيانـات الثلاثـة إتحـاد اقتصــادي، كمــا اقترحـت خطــة الأقليـات التــي قـدمتها إيـران، والهنـد،

(1) الأمم المتحدة، **مصدر سبق ذكره**، 1997، ص3.

(2) محمد نصر مهنا، **مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي 1945 - 1967**، القاهرة، دار المعارف، 1979، ص 137.

ويوغسلافيا، إقامة هيكل فيدرالي مستقل، مكون من دولة عربية ودولة يهودية، وتكون القدس عاصمة الاتحاد، وامتنعت استراليا عن التصويت [1]. فجاء التقرير بما لا يرجوه العرب، وهو قرار تقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية، وفي 29 نوفمبر/ تشرين الثاني 1947، إعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة، القرار 181 (د. 2) ب 33 صوتًا، مقابل 13 صوتًا، وامتناع 10 دول، وغياب دولة على قرارا التقسيم[2]، ومن ثم اندلع القتال بين المقاومين العرب والمسلحين الصهاينة في فلسطين، واحتدم الصراع في الربع الأول من عام 1948، فعقد مجلس الأمن دورة استثنائية، استمرت من 16 إبريل/ نيسان، إلى 14 آيار/ مايو 1948، وطالب فيها بوقف جميع الأنشطة العسكرية في فلسطين، وفي 23 نيسان/ إبريل 1948، أنشأ مجلس الأمن " لجنة الهدنة "، للإشراف على وقف إطلاق النار[3]، والمساعده في تحقيق الهدنة في فلسطين، وقررت تعيين وسيط مهمته التشجيع على الوصول إلى تسوية سلمية، بالتعاون مع لجنة الهدنة، وطالب مندوب الولايات المتحدة بوضع فلسطين تحت الوصاية، وكان الرئيس الأمريكي، ترومان، يسعى لتهدئة الأمور في فلسطين، لمدة عشرة أيام، من 5 مايو/ آيار حتى إعلان الدولة الإسرائيلية في 15 مايو/ آيار 1948[4]. والذي بموجبه وضعت إسرائيل يدها على الأراضي التي خصصت لها، بموجب قرار التقسيم، وعلى الفور تجدد القتال بين

(1) الأمم المتحدة، **مصدر سبق ذكره**، 1997، ص7.
(2) خيرى طلعت، **مصدر سبق ذكره**، 1997، ص33.
(3) الأمم المتحدة، **مصدر سبق ذكره**، 1997، ص7.
(4) طلعت، **مصدر سبق ذكره**، 1997، ص41.

العـرب، والمنظمـات الصـهيونية المسلحة، حيث دخلـت القـوات العربيـة للدفاع عن فلسطين، في اليوم التالي لإعلان قيام الدولة الصهيونية، ودعـا مجلس الأمن، في 29 مـايو/ آيـار 1948، إلـى هدنـة لمدة أربعـة أسـابيع، عن طريق هيئة الأمم المتحدة، ثم اشتعل القتال مرةً أخرى، في 8 يوليـو/ تموز 1948، وفي 15 منه قرر مجلس الأمن وقف إطلاق النـار، وفـي ذلـك الوقـت، سيطرت إسـرائيل علـى أجـزاء مـن الأراضـي العربيـة - بموجب قرار التقسيم، وكذلك الجزء الغربـي من القدس، وفـي مـارس/ آذار1949، اسـتولت إسـرائيل علـى أراضٍ أخـرى، وفـي 11 ديسـمبر/ كـانون الأول 1948، عقـدت الأمـم المتحـدة دورتهـا الثالثـة، واعتمـدت القرار رقم 194 (د. 3) [1]، والذي يسمح للاجئين الفلسطينيين، بـالعودة إلـى ديـارهم، والعـيش فـي سـلام مـع جيـرانهم اليهـود، وتعـويض مـن يختـارون عدم العـودة عن ممتلكـاتهم، كمـا دعـا القـرار إلـى جعل مدينـة القدس منزوعة السلاح، ودعا إلى تدويلها، وحمايـة الأمـاكن المقدسـة فـي فلسطين، وضـمان حريـة الوصـول إليهـا، كمـا نـص القـرار 194، علـى إنشاء لجنة توفيق لفلسطين تابعة للأمم المتحدة، ومؤلفة من ثلاثة أعضـاء، تتولى مهام وسيط الأمم المتحدة، حسب ما تراه ضروريًا.

حاولـت " لجنـة التوفيـق " حـل ثـلاث قضـايا، وهـي حجـم الأرض، اللاجئين، وضـع مدينـة القـدس، وخـلال مفاوضـات مع كلٍ من الأردن، وسـوريا، ولبنـان، ومصـر، وإسـرائيل فـي مـؤتمر عقـد فـي لـوزان، فـي إبريل/ نيسان عام 1949، تم التوصل إلى بروتوكول وقع عليه كل طرف

(1) الأمم المتحدة، **مصدر سبق ذكره**، 1997، ص7.

بصورةٍ منفصلةٍ، واتفقوا على استخدام الحدود التي حددها قرار التقسيم كأساس للبحث، إلا أن دورة اللجنة لعام 1949، انتهت دون التوصل إلى نتائج، إذ أصرت الدول العربية على عودة اللاجئين، وأصرت إسرائيل على إعطاء أولوية لمسألة الأرض، وفي خطوة لحماية باقي الأراضي الفلسطينية، قام الأردن، في عام 1950، بوضع الضفة الغربية، والقدس الشرقية تحت سلطته[1].

رفضت الأمم المتحدة أول طلب لإسرائيل، بالانضمام إليها، في 29 نوفمبر/ تشرين الثاني 1948، بالرغم من تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لهذا الطلب، والاتحاد السوفييتي، وأوكرانيا والأرجنتين، وكولومبيا، واعترضت سوريا، فيما امتنعت بريطانيا، فرنسا، الصين، بلجيكا، وكندا، عن التصويت، بحجة عدم وجود حدود للدولة الإسرائيلية[2]. ثم أعادت إسرائيل الكرة مرةً أخرى، وأصبحت عضواً في الأمم المتحدة، في 11 آيار/ مايو 1949.

تكَّون " حلف شمال الأطلنطي "، الذي عرف بـ " الناتو "، في 14 إبريل/ نيسان 1949، وقعت عليه الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وعشر دول أوروبية أخرى، ونصت المادة الخامسة منه على " أن أي هجوم مسلح على أي دولة من دول الحلف يعتبر هجومًا عليها جميعًا "[3]، والغرض من تكوين هذا الحلف إرهاب الدول العربية التي تفكر في

(1) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**، 1997، ص7.
(2) يحيى، **مصدر سبق ذكره**، ص62.
(3) **المصدر نفسه**، ص63.

الهجوم على إسرائيل.

5- الحركات الصهيونية:

اعتبر هرتسل، المؤسس الحقيقي للحركة الصهيونية المنظمة، وهو أول من أطلق اصطلاح " أرض إسرائيل "، وكلمة " القومية اليهودية "، كما دعا هرتسل إلى المؤتمؤ الصهيوني الأول، الذي انعقد بسويسرا، في أغسطس/ آب 1897 [1]، ومنذ ذلك التاريخ تم إنشاء المؤسسات المالية الصهيونية، التي هدفت إلى شراء الأراضي في فلسطين، وتهجير اليهود إلى أرض فلسطين.

أعدت الدوائر الاستعمارية الفرنسية، في عام 1798، خطة لإقامة كومنولث يهودي في فلسطين، في مقابل تقديم اليهود قرضًا لحكومة فرنسا التي كانت تعاني ضائقةً ماليةً، آنذاك، على أن يقوم اليهود بإشعال الفتن، والفوضى في المناطق التي يرتادها الجيش الفرنسي، بقيادة نابليون بونابرت، لتسهيل احتلالها من جانب فرنسا[2].

مارست الشخصيات اليهودية المقيمة في الاتحاد السوفييتي نفوذها لجعل ستالين يسمح لهم بالذهاب إلى بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، والتضامن مع اليهود الموجودين بها، والتصريح بأن الصهيونية فكرة عظيمة، وإن لم تصلح للتطبيق على يهود السوفييت، وفي نوفمبر/ تشرين الثاني 1944، كتب رئيس اللجنة اليهودية المناوئة للفاشية، أن الشعب اليهودى له الحق في الاستقلال السياسي في فلسطين،

(1) الدجاني، **مصدر سبق ذكره**، ص249.

(2) الدجاني، **مصدر سبق ذكره**، ص447..

وتطوير وطنهم الذي أقاموه، من خلال العمل الشاق على أساس الحكم الذاتي[1]. كما مارس الصهاينة الأمريكيون ضغطًا سياسيًا على حكومة العمال، في عامي 1947 و1948 لكي تفعل دورها في فلسطين، وذلك من خلال دعمهم للرئيس الأمريكي ترومان، في حملته الإنتخابية لرئاسة الجمهورية، وحمل بريطانيا على الضغط على العرب في قبول مطالب الصهاينة[2].

في تصريح للزعيم الصهيوني، حاييم وايزمن - أول رئيس لدولة إسرائيل - سنة 1948، قال " إن مقاومة الفلسطينيين، ومواقف الحاج أمين الحسيني ضد إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، هي التي أخرت تنفيذ البرنامج اليهودي إلى عام 1948، بينما كان مقررًا له أن يتحقق في عام 1934 " [3]. كما أن وايزمن مارس ضغوطًا على الرئيس الأمريكي ترومان، لكي يرفض أي قرار يتخذه المسؤولون الأمريكيون الموالون للحركة الصهيونية، ضد إقامة دولة صهيونية في فلسطين. حيث كان 47% من اليهود يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية، و17% منهم لهم أصوات قوية في الانتخابات الأمريكية[4]. وهذه القوة السياسية الداخلية لليهود في الولايات المتحدة الأمريكية لا يستهان بها في تحديد اتجاه السياسة الخارجيه الأمريكية، وتوجيه التأييد نحو إقامة الدولة

(1) مهنا، السوفييت، **مصدر سبق ذكره**، ص 10.
(2) مايكل آدمز وكريستوفر مايهيو، **لا تبشروا**، **إخفاء حقائق الشرق الأوسط**، القاهرة، كتب مترجمة 721، الهيئة العامة للاستعلامات، 1978، ص21.
(3) الدجاني، **مصدر سبق ذكره**، ص463.
(4) فرد لوسون، **مصدر سبق ذكره**، ص83.

اليهودية، على حساب مصالح العرب وحقوقهم.

أعلـن وكيـل وزارة المسـتعمرات اليهوديـة فـي فلسـطين، فـي 26 سـبتمبر/ تشـرين الثـاني 1947، موافقـة حكومتـه علـى إنهـاء الانتـداب البريطاني في أسرع وقت. بلغ عدد الفلسطينيين 156 ألف، عندما قامت الدولة الإسرائيلية، وهو ما تبقى منهم في فلسطين، وبلغ عدد اليهود 650 ألفًا، بينما القوة الاقتصادية لليهود تفوق القوة الاقتصادية للفلسطينيين، حيث تلقى اليهود مليارات الدولارات من الدول المؤيده للدولة الإسرائيلية [(1)]، وخاصة الجاليات اليهودية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكيـة، ولولا مؤازرة هذه الدول العظمى لإسرائيل ومد يد المساعدة لها في جميع المجالات لما كانت إسرائيل ليومنا هذا!

لم يتغير موقف الدول الغربية، بعد الحرب، إلا بزيـادة التأييد للحفـاظ على أمن الدولة اليهودية الجديدة، وترسيخ قواعدها، واستمرار وجودهـا وأمنها، وفي ذات الوقت، التصدي لأي طموحـاتٍ عربيـةٍ فـي الاستقلال، والحريــة، والوحــدة العربيــة لضــمان وحمايــة مصــالح هــذه الــدول الاستعمارية، فـي المنطقـة الحيويـة من العـالم، والتـي تضـم معظـم الـدول العربية، والذي حرصت الدول الغربيـة الاستعمارية، علـى بقائهـا مشـتةً،

(1) محمد نصر مهنا، مشكلة فلسطين، **مصدر سبق ذكره**، 1979، ص 155.
كما تم الاستعانة بالمراجع الاتيه: -
1 - إبـراهيم شـكيب، **حـرب فلسـطين 1948رؤيـة مصـرية**، القـاهرة، الزهـراء للإعـلام العربي، 1986.
2 - ميخائيل سليمان (محررًا)، **فلسطين والسياسة الأمريكية من ويلسون إلى كلينتون**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.

وممزقة داخليًا، عن طريق إشعال الفتن الداخلية، والخلاف على الحدود، والسعي وراء المصالح الخاصة بكل دولة، والبعد عن أي مشاركة عربية، وعدم الالتفاف حول قضية واحدة، وهذا ما هدفت إليه السياسة الاستعمارية الغربية، حتى يومنا هذا.

* * *

الفصل العاشر:
الرواية الإسرائيلية للحرب

خالد سعيد

صوّتت الجمعية العمومية للأمم المتحدة في التاسع والعشرين من نوفمبر/ تشرين الثاني 1947، بأغلبية 33: 13 صوتًا (وامتناع 10 أصوات، وغياب صوتٍ واحدٍ)، على تقسيم الأراضي الفلسطينية إلى دولتين، الأولى عربية، والأخرى يهودية، مع وضع مدينة القدس تحت الإدارة الدولية.

وقد استقبلت الطائفة اليهودية، القرار بالفرح والسعادة، واحتفلت، علنًا، بما اعتبرته يومًا تاريخيًا في حياتها، لكن البلاد العربية لم تبتهج للقرار ورفضته، وأعلنت تصميمها على قتال العصابات الصهيونية، للحيلولة دون تنفيذ القرار الأممي.

أرّخت المصادر العبرية بداية حرب 1948، أو حرب " الاستقلال " أو " التحرير " (كما يطلق عليها الإسرائيليون) بصدور القرار الأممي رقم 181، والخاص بتقسيم فلسطين إلى دولتين، إذ اعتبرت تلك المصادر الهجوم العربي على الأتوبيس رقم 2094، والذي كان في طريقه من نتانيا إلى القدس، وحاملاً مسافرين يهود، ومقتل خمسة من ركابه، بدايةً لحربٍ فاصلة، اعتبرت الحرب الأولى للصراع العربي - الإسرائيلي [1].

---

(1) **دائرة المعارف باللغة العبرية (ويكبيديا)**، حرب الاستقلال.

مع اندلاع الحرب، تمخضت أمور مهمة عدة، وهي أجزاء هذه الدراسة، ومن بينها، المواجهات الدامية بين الجيوش العربية، كطرفٍ أول، والعصابات الصهيونية، كطرفٍ ثانٍ، ومدى استعدادهم للحرب، وكيف ينظر الإسرائيليون إليها، بعد مرور ما يقرب من الستين عامًا، على إقامة دولتهم، أو تجمعهم المزعوم، فضلاً عن الطرق الخداعية، التي احتالت بها العصابات الصهيونية لزيادة رقعة الأراضي التي سُلبت من أيدي الفلسطينيين، وذلك من خلال الرواية الإسرائيلية للحرب.

منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول، بمدينة بازل السويسرية، صيف عام 1897، بقيادة تيودور هرتزل، وانتهاءً بإنشاء الدولة اليهودية، في الخامس عشر من مايو/ آيار عام 1948، ومرورًا بتصريح بلفور، عام 1917، والقاضي بتأييد بريطانيا لإقامة وطن قومي لليهود على الأراضي الفلسطينية، ومن بعده اندلاع ثورة 1936 الوطنية الفلسطينية، فضلاً عن العديد من المواجهات اللاحقة بين الأهالي الفلسطينيين والعصابات اليهودية.

بيد أن الإسرائيليين، اعتبروا الصدامات، التي اندلعت، في الثلاثين من نوفمبر/ تشرين الثاني 1947، بمثابة تصعيدٍ للصراع المتقطّع بين الطرفين [1]، وبداية " حرب الاستقلال " كما يطلقون عليها.

انظر الموقع الإلكتروني www. wikpedia. co. il

(1) حاييم هرتزوج، **الحروب العربية - الإسرائيلية (48 - 1982)**، ترجمة بدر الرفاعي، ط1، دار سينا للنشر، القاهرة، 1993، ص7.

تؤكـد غالبيـة المصـادر الإسـرائيلية، أن العصـابات الصـهيونية، والمستوطنين اليهود، الذين كانوا موجودين قبيل إنشاء الدولـة العبريـة، بـأنهم لـم يكونـوا مسـتعدين للحـرب، كليـة، كمـا اعتبـروا أن القـوات البريطانية، كانت على عداءٍ سافر، للمستوطنين اليهود [1].

لـم تكـن هنـاك خطـوط فاصـلة بـين العـرب واليهـود، وغالبيـة المسـتوطنات الصـهيونية كانـت بمعـزل عـن بعضـها الـبعض (خاصـة مستوطنات النقب بالجنوب الفلسطيني المحتل)، فضلاً عن ضـعف طـرق المواصـلات، بينهـا وبـين التكـتلات اليهوديـة، بالمـدن السـاحلية، ومدينـة القدس [2].

فعلى سبيل المثال، كان بصحراء النقب، عشية اندلاع الحرب، 25 مستوطنة يهودية فقط، و400 شخصًا في 14 مستوطنة (بمعدل 25- 30 شخصًـا فـي المسـتوطنة الواحـدة)، و450 شخصًـا آخـرين، فـي 11 مستوطنة، مقابل ما يزيد عن المائة ألف عربي بالمكان نفسه [3].

القوات العسكرية بين الطرفين:

أولاً: الصـهيونـي:

اختلفـت الروايـات الإسـرائيلية، حـول عـدد القـوات اليهوديـة، أو العصـابات الصـهيونية، التـي أمكـن حشـدها، عنـد انـدلاع القتـال، إذ تشـير دائرة المعارف العبرية (ويكبيديا باللغة العبرية) إلى أن تعدادهم تخطى الـ 30ألفًـا، فيمـا يـرى حـاييم هرتـزوج، فـي كتابـه (الحـروب العربيـة -

(1) **المصدر نفسه**، ص 13.
(2) إيلان بن يعقوب، **النقب في حرب الاستقلال**، جامعة بن جوريون، ب. ت (بالعبرية).
(3) **المصدر نفسه**.

الإســرائيلية 48 - 1982)، أن القوة اليهودية الذي أمكن حشدها من بين إجمالي تعداد اليهود، آنذاك (650ألف نسمة)، هو حوالي 45 ألفًا، بينهم 30 ألفًا من الرجال والنساء كان عملهم قاصرًا على الدفاع المحلي (على حد وصفه)، معتبرًا أن القوة الفاعلة الذي أمكن حشدها 15 ألفًا، عند اندلاع القتال.

تشكلت العصابات الصهيونية من عدة تنظيمات، أو تشكيلاتٍ عسكرية، كان أهمها تنظيم " الهاغاناه " * ويتكون من 25 ألفًا من الرجال، وتنظيم " البلماخ " من ثلاثة آلاف، و " إتسل " ** ويتكون من ثلاثة آلاف رجل وإمرأة، وتنظيم " ليحي " ***، ويتكون من بضع مئات من الرجال والسيدات [1].

في الثامن عشر من مايو/ آيار 1948، أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق ديفيد بن غوريون، عن إنشاء الجيش الإسرائيلي، وتوحيد العصابات الصهيونية، تحت إمرته، وكانت منظمة " إتسل " أول من إنضم للجيش، ولحقته منظمة " ليحي " بأربعٍ وعشرين ساعة [2]، مع

(*) الهاغاناه: نواة الجيش الإسرائيلي، وهي عبارة عن مجموعات مسلحة، أو ميليشيا إسرائيلية، تشكلت بهدف الدفاع عن المستوطنات الصهيونية، قبل إنشاء الدولة الصهيونية، وتعني بالعبرية " قوات الدفاع ".

(**) إتسل: تعرف بالهاغاناه (ب)، لانشقاقها عن تنظيم الهاغاناه، عام 1937، وتعني الهاغاناه القومية، أو المنظمة العسكرية القومية.

(***) ليحي: هي اختصار لثلاث كلمات عبرية، تعني (المقاتلون من أجل حرية إسرائيل)، تأسست عام 1940، وهدفت إلى إقامة " المملكة العبرية من النيل إلى الفرات ".

(1) ويكبيديا، **مصدر سبق ذكره**.

(2) بن كسبيت وآخرون، **أرشيف صحيفة معاريف الإسرائيلية**، 1948/5/18.

التأكيد على أن تنظيم الهاغاناه كان نواة الجيش الإسرائيلي.

كـان إجمـالي تسـليح الهاغانـاه، عشـية الحـرب، 10.500 بندقيـة، و3500 رشاش، و775 مدفع خفيف، و34 مدفع هاون عيار 3 بوصة، و670 هاون عيار 2 بوصة، مع ذخيرة لا تكفي إلا لثلاثة أيام فقط من القتال. وكان لدى القوات الجوية للبلماخ 11 طائرة خفيفة، ذات المحرك الواحد، يعمل عليها 40 طيارًا، فضلاً عن 350 بحارًا سبق لهم العمل في البحرية الملكية البريطانية، وفي عمليات الهجرة غير الشرعية، بجانب عدد من القوارب البخارية والضفادع البشرية، بيد أن المدفعية، والأسلحة المضادة للدبابات، كانت مجرد حلم، فلم يكن بيد القوات الصهيونية أيًا منها[1] عشية اندلاع الحرب.

أثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة، تطـوع عـدد مـن اليهـود للخدمـة فـي صفوف القوات البريطانية، تشكلت مجموعة منهم بقوة لواء، للعمل ضد الألمـان فـي إيطاليـا، وكانـت الخبـرة القتاليـة التـي اكتسبها 30 ألفًا مـن المتطوعين، في جميع أسلحة الجيش البريطاني، كان لها الأثر الكبير، عند قيام الجيش الإسرائيلي.

اعتمـدت العصـابات الصـهيونية فـي تسـليحها، قبـل إنشـاء الدولـة الإسرائيلية، على سرقة مخازن الأسلحة البريطانية، والتهريب المستمر من الخارج، وتقدر بعض المصادر العبرية بأنه في الأول من إبريل/ نيسان 1948، وصلت شحنة أسلحة تشيكية، مهربة وبكميات كبيرة،

(1) هرتزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص 18.

وقدرت بـ 200 بندقية، و40 رشاش خفيف، وذلك على متن طائرة واحدة، في حين وصلت السفينة التشيكية الأولى محملة بالبنادق والرشاشات الخفيفة، التي جرى تفريغها وتوزيعها، سرًا، على الوحدات العسكرية الإسرائيلية، دون إزالة الشحم عنها، في كثيرٍ من الأحوال، وقدرت البعض هذه الشحنة بأنها كانت دفعة معنوية كبيرة للعصابات الصهيونية، خاصةً وأن بعض هذه المصادر العبرية أشارت إلى وجود الآلاف من البنادق والرشاشات، وألفين من القنابل الموقوتة، وعدد كبير من الطائرات، (ولم تذكر العدد تحديدًا) [1].

حاولت منظمة " إتسل "، في الثاني والعشرين من يونيو/ حزيران 1948، الاستيلاء على سفينة أسلحة قادمة من أوروبا، وتدعى " ألتلنا "، على متنها تسعمائة متطوع وأسلحة وذخيرة، قدرت بالآلاف وأمرهم بن غوريون بتسليم هذه الأسلحة للجيش الإسرائيلي، إلا أن نزاعًا نشب بين منظمة " الهاغاناه "، التي تشكل منها الجيش الإسرائيلي، ومنظمة " إتسل "، اشتعلت النيران في السفينة، على إثره، وغرقت، وقتل 13 رجلاً، وأصيب 48 آخرين[2].

ثانيًا:العربي:

عندما اقترب الموعد الذي حددته بريطانيا للإنسحاب من فلسطين، كانت الجامعة العربية قد اتخذت قرارها بتدخل دولها الأعضاء، عسكريًا، حيث اشتركت مصر، في بداية الحرب، بـ10 آلاف رجل، وبمرور

---

(1) مائير باعيل، **حروب إسرائيل (حرب الاستقلال)**، 1998، انظر الموقع الإلكتروني www. lib. cet. ac. il

(2) بن كسبيت وآخرون، **معاريف**، 22/7/ 1948.

الوقت، وصل العدد إلى 20 ألف جندي، وكان الجيش المصري أقوى الجيوش العربية، وسوريا اشتركت، في البداية، بـ2500 جندي، وصلوا إلى

5 آلاف، بمرور الوقت، أما الجيش العراقي فكان يتكون في مطلع الحرب من 5 آلاف جندي، وصلوا، نهاية الحرب إلى 17 ألف جندي [1].

تشكل الجيش اللبناني في البداية من ألف جندي، وصلوا مع مرور الوقت إلى ألفي جندي، بيد أن " الفيلق العربي " كان القوة العسكرية الأفضل بين القوات العربية، تدريبًا وأكثرها فاعلية، حيث تولى قيادته الضابط البريطاني " جون باغوت غلوب باشا " أحد محاربي الحرب العالمية الأولي المحنكين.

وضم الفيلق أكثر من 10آلاف مقاتل، منظمين في ثلاثة ألوية، وعدد من كتائب الدبابات، وعناصر المدفعية.

فيما شكّل " الجهاد المقدس " وحدتين تابعتين لأمين الحسيني مفتي القدس، والذي تألف من ألفين من الرجال الأشداء، وتشكلت قوة عسكرية أخرى سميت " جيش الإنقاذ العربي "، بقيادة الضابط اللبناني إبن طرابلس الشام فوزي القاوقجي.

على اعتبار أن بعض الجيوش العربية تملك عددًا كبيرًا من الدبابات والطائرات، وأنها، في الأساس، جيوش نظامية، تفتقر إليها القوات أو العصابات الصهيونية، فإن الإسرائيليين رأوا، في ذلك، دفعة معنوية

(1) ويكيبيديا، **مصدر سبق ذكره**.

كبيرة سجلت لصالح اليهود، آنذاك، فقد ذكروا أن الفارق الضخم بين الجيوش العربية، عدة وعتادًا، وبين القوات الإسرائيلية، التي تشكلت قبيل إنشاء الدولة، وكانت بمثابة حربًا من أجل البقاء.

المواجهة العسكرية:

اندلعت الحرب بين الطرفين، في شكل سلسلة من اشتباكات المدن، مواجهات دموية، عمليات " اضرب واهرب "، تخلف وراءها قتلى ومشوهين وجرحى من أهالي المدن، عند كلا الجانبين، هجمات على خطوط المواصلات بين المدن، ومحاولات لقطع طرق الإتصال بين المدن الرئيسية، ومحاولة عزل العرب للمستعمرات الصهيونية النائية، وعلى الرغم من أن المنطق العسكري الإسرائيلي كان يرى تقصير خطوط المواصلات عن طريق هجر مثل تلك المستوطنات، فإن الهاغاناه اتخذت قرارًا، من حيث المبدأ، بعدم هجر أي منها طواعية.

فقد كانت القيادة الإسرائيلية تقدر جيدًا أن ترك القرى، حتى لأسباب استراتيجية بحتة، يمكن أن تكون له نتائج خطيرة على المدى البعيد، فقد رأى الإسرائيليون أن الحدود النهائية للدولة اليهودية الجديدة سوف تتحدد، قبل أي شيء، على أساس التواجد الفعلي ومواقع المستوطنين اليهود، وهكذا، وبرغم شدة المعارك بين الجانبين، لم تهجر مستوطنة يهودية واحدة، حتى دخول الجيوش العربية الحرب [1].

(1) هرتزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص 21.

بنهاية عام 1947، وصل إلى صحراء النقب مئات المتطوعين من تنظيم " الإخوان المسلمين " المصريين، والذين حاولوا الهجوم، أكثر من مرة، على المستوطنات الصهيونية بالنقب [1].

في الوقت الذي أعلن فيه البريطانيون عن نقل 14 مستوطنة صهيونية، الواقعة جنوب خط غزة - بئر السبع، رفض ممثلو اليشوف اليهودي إخلاء المستوطنات، وقرر بن غوريون إقامة لجنة " النقب " (وشملت ممثلين من " الكيرين كيمت " *، والمركز الزراعي)، للدفاع عن المستوطنات ومن فيها، وتوفير المؤن، وبناء دُشم وتحصينات ميدانية، ومحاولة السيطرة على طرق النقب [2].

كان المجهود العربي الرئيسي موجهًا في تلك الأثناء نحو تعطيل خطوط المواصلات الصهيونية، ونجحت القوات العربية، في البداية، في قطع الطرق التي تربط مدن الساحل بالقدس، وعزلت منطقة النقب، تمامًا، والوسيلة الوحيدة للإتصال كانت طائرة " بايبركب "، وكان قائدها عيزرا فايتسمان، والذي أصبح، فيما بعد، الرئيس السابع لإسرائيل.

على الرغم من هذا الحصار، نجح المستوطنون، في صحراء النقب في تدشين المستوطنة رقم (26)، أثناء الحصار نفسه، حيث استطاعوا اختراق بعض القوات المصرية فيها، وإنشاء قواعدها بسرعةٍ مذهلة.

---

(1) بن يعقوب، **مصدر سبق ذكره**.

(*) الكيرين كيميت: بنك إسرائيل، وخصص لشراء وسلب الأراضي من الفلسطينيين، والاحتفاظ عليها، وتخصيصها لليهود.

(2) **المصدر نفسه**.

بنهاية مارس/ آذار 1948، نجحت القوات العربية في كسب الجولة الأولى من الحرب، نتيجة لأسباب عدة، من بينها نجاح عزل مناطق رئيسية، كالقدس، والنقب، وأجزاء من الجليل الغربي، وكذا لقلة العتاد العسكري الصهيوني.

بعدها بدأت جولة جديدة من الصراع العسكري بين الطرفين، خاصة مع وصول الأسلحة المهربة من تشيكوسلوفاكيا إلى إسرائيل، إذ تبادل الجانبان العربي والصهيوني، الإستيلاء على العديد من القرى العربية، والمرتفعات والمواقع الاستراتيجية، وتبادل الطرفان السيطرة عليها، أكثر من مرة.

نجحت العصابات الصهيونية في إحتلال بعض القرى العربية، باستغلال عنصر المفاجأة، خلال ساعات الليل، وتحت جنح الظلام، فكان أسلوبهم المعتاد، خلال الأشهر التي سبقت إنشاء دولتهم، هي الإحتلال ليلاً، وتدمير البيوت، ومن ثم الإنسحاب في الصباح، فيما استطاعت قوات " القاوقجي "، بشكلٍ خاص، إستغلال تفوقها العددي والتسليحي في إستعادة هذه القرى والمواقع التحصينية، نهارًا [1].

في هذه الأثناء، تمكنت وحدة كوماندوز من تنظيم الهاغاناة من نسف مقر حسن سلامة، أحد القادة العسكريين الفلسطينيين البارزين، خلال

---

(1) مذكرات رفائيل إيتان، **شخصيات صهيونية**، ط1، دار الجليل للنشر، عمان، 1986، ص17.

الحرب، بالقرب من مدينة القسطل، غرب القدس، والذي ترك أثرًا معنويًا بالسلب على بقية القوات العربية [1].

استكمل هذا الأثر السلبي بقيام العصابات الصهيونية بالعديد من المذابح بحق الشعب الفلسطيني، كان أشهرها مذبحة دير ياسين، التي اعتبرت انطلاقةً قوية نحو إنشاء الدولة الصهيونية، نتيجةً لميل الكفة في صالح العصابات الصهيونية.

روت صحيفة " دافار " الإسرائيلية، في التاسع من يونيو/ حزيران 1979، حول مذبحة قرية " دويمة "، عام 1948، قائلةً: " قتل ما يتراوح بين 80 و100 من العرب، نساء وأطفالا، كانوا يهشمون رؤسهم بالعصي، ولم يبق منزل واحد بلا جثث فيه، نسفت منازلهم بالديناميت،... جندى كان يفخر بنفسه لأنه اغتصب امرأةً عربية، قبل أن يطلق النار عليها، واستخدمت هذه المذابح كطريقة للطرد والإبادة " [2].

" لقد حدثت معجزة مزدوجة، في عام 1948، إذ أنقذ الله اليهود الذين كانوا، في (دولة إسرائيل) من العرب، ومن أنفسهم، إن أكبر بركة حظي بها اليهود، مع قيام دولتهم، كانت الهروب العشوائي الذي جاء نتيجة للرعب الذي تملك العرب، وجعلهم يهربون من " دولة اليهود " الجديدة، وبهذه الطريقة تخلصت " الدولة " من أقلية كبيرة كان من شأنها

(1) بن كسبيت وآخرون، **معاريف**، إبريل/ نيسان 1948.

(2) ليفيا روكاش، **الإرهاب الإسرائيلي المقدس**، دراسة مبنية على مذكرات شاريت الشخصية، ص25.

تخريبها من الداخل " [1].

الخطة (د):

تيقنت العصابات الصهيونية، قبيل إنشاء الدولة الإسرائيلية، من أن الجيوش العربية ستهجم، لا محالة، على تلك العصابات، وستطردها، وتلقي بهم في البحر، لذلك قاموا بإعلان الخطة(د)، التي تدعو إلى تأمين كافة القرى والمواقع الحصينة التي استولوا عليها، ومحاولة احتلال أجزاء كبير من الأراضي الفلسطينية الأخرى، والسيطرة على طرق المواصلات الحيوية، وسقطت بعدها عدة مدن عربية رئيسية، مثل طبرية، وصفد، وحيفا، ويافا، بالإضافة إلى فك حصار مستوطنات النقب بالجنوب[2].

تكوين الدولة الإسرائيلية " التجمع الصهيوني " :

في تلك الأثناء، كان الجلاء البريطاني يتم حسب خطته المقررة، فقد انسحبت القوات البريطانية، تباعًا، من عدد من المناطق بفلسطين، دون أن تنتقل سلطاتها الإدارية ألى أي جهة أخرى، تاركة خلفها فراغًا، وحالة من الفوضى الشاملة، حيث رأت بريطانيا أن انسحاب الـ 100 ألف جندي بريطاني من فلسطين، سالمين، هو نجاح كبير لها، مع عدم التدخل بين الطرفين العربي والإسرائيلي [3].

---

(1) مائير كاهانا، **شوكة في عيونكم**، ترجمة غازي السعدي، ط1، دار الجليل للنشر، عمان، 1995، ص 205.

(2) بن يعقوب، **مصدر سبق ذكره**.

(3) حرب الاستقلال، **الموقع الإلكتروني للكنيست الإسرائيلي**، انظر الموقع الإلكتروني www. knessit. co. il

جاء هذا في الوقت الذي كانت القيادة الإسرائيلية تناقش فيه مسألة وجوب إعلان ما يسمى " بالإستقلال "، في الرابع عشر من مايو/ آيار 1948، موعد الإنسحاب البريطاني، من عدمه، لتحاشي دفع الجيوش العربية لخوض حرب بين الطرفين، لكن بن غوريون، الذي كان يرأس، في ذلك الوقت، ما يعرف بحكومة إسرائيل المؤقتة، قرر أن يستغل الفرصة التاريخية، التي سنحت للإسرائيليين، ليعلن قيام دولة إسرائيل ليلة، الخامس عشر من مايو/ آيار 1948.

في الوقت الذي أعلن فيه عن قيام دولة للتجمع الصهيوني، عبرت الجيوش العربية الخمسة الحدود، لتحرير الأراضي الفلسطينية المحتلة من العصابات الصهيونية، حيث عزم كل جيش أن يعمل وفق مصالحه الوطنية، على حد زعم حاييم هرتزوج[1].

فكان على اللبنانيين أن ينطلقوا بطول الساحل الشمالي، نحو مدينة نهاريا اليهودية، وعلى السوريين أن يعبروا إلى شمال وجنوب بحيرة طبرية، والتقدم إلى مدينة سمخ، بهدف السيطرة على الجليل، وكان على العراقيين أن يعبروا الأردن جنوبي بحيرة طبرية، والتحرك، خلال المثلث العربي، والتقدم نحو مدينة نتانيا، على ساحل البحر المتوسط، لشق ما استولى عليه اليهود، إلى قسمين.

فيما كان الهدف المحدد للفيلق العربي الأردني السيطرة على نابلس، " الضفة الغربية "، أو السامراء، بلواء واحد، بينما يستولي اللواء الآخر

---

(1) هرتزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص 53.

على الرملة، عند مشارف تل أبيب بالسهل الساحلي، ويظل اللواء الثالث كاحتياطي.

أما المصريون فكان عليهم أن يتحركوا بقوتين: الكتلة الرئيسية، تنطلق من العريش، وتتقدم بطول السهل الساحلي، لتسيطر على غزة، ثم تتقدم، شمالا، نحو تل أبيب، وعلى القوة الأخرى، والتي يدعمها متطوعو الإخوان المسلمين، التوجه صوب الشمال الشرقي، مرورًا بمدن العوجة، وبئر السبع، والخليل، ومواجهة القوات اليهودية، المدافعة عن المداخل الجنوبية للقدس.

في حين أوكل إلى " جيش الإنقاذ العربي " مهمة الدفاع المحلي.

ويبدو أن التنسيق بين القوات العربية كان مفتقدًا، فقد كانت منقسمة أكثر منها موحدة، حتى أنه عندما اقترب الموعد، الذي حددته بريطانيا للإنسحاب من فلسطين، كانت الجامعة العربية قد اتخذت قرارها بالتدخل، لكن الإعداد للحرب في مواجهة العصابات الصهيونية تم على أرضية الخلافات العربية، المتعذر تجنبها، ومكائد ومناورات العديد من الحكام العرب، ضد بعضهم البعض.

فالملك فاروق، على سبيل المثال، قد توصل إلى استنتاج مؤداه القيام بمغامرة عسكرية كبيرة، في ظل ما تخيله فرصة لصالحه، من أجل صرف الرأي العام المصري عن المشاكل الداخلية، قد يمكن أن تسهم في تدعيم مركزه، وأنه بمساهمته بقوة كبيرة، يمكنه أن يفشل نوايا الملك عبد

الله في استغلال الموقف وإحكام سيطرته على الأراضي الفلسطينية [1].

على العكس، كان الإسرائيليون على وعي بأنهم يقاتلون حماية لأرواحهم، وأرواح أطفالهم ونسائهم، وكانوا يتمتعون بقيادة بارعة، يولونها ثقتهم، وثمة تنسيق بين وحداتهم المقاتلة، بحيث تمكنوا من تحريك احتياطي قواتهم من جهة لأخرى، أثناء الحرب.

فيما كانت القوات الإسرائيلية، آنذاك، تتكون من تسعة ألوية للعمليات، مقسمة بطول وعرض المدن الفلسطينية.

في السادس من صباح الخامس عشر من مايو/ آيار 1948، ومع طلوع أول فجر لتجمع صهيوني، شكَّل دولة إسرائيل، شن سرب من 6 طائرات مصرية غارات جوية على مدينة تل أبيب، وفجّر الميناء، والمطار فيها، وأسقط العشرات من الإسرائيليين، ما بين قتيل وجريح، في حين سقط أحد الطيارين المصريين الستة في الأسر، بعد أن نجح في الهبوط من طائرته، التي تصدت لها نيران المدفعية الإسرائيلية، من سلاح الطيران اليهودي " الإسرائيلي "، الذي تشكل في اليوم الأول من الحرب[2].

في الوقت نفسه، تقدم الجيش المصري في الجنوب، حيث اتجهت قوته الأولى عن طريق الشاطئ، من رفح باتجاه تل أبيب، واستطاع السيطرة على مدينة غزة، وحاول التقدم نحو أسدود. بيد أن الإسرائيليين

(1) **المصدر نفسه**، ص 80.
(2) بن كسبيت وآخرون، **معاريف**، 1948/5/15.

استطاعوا تدمير الجسور المؤدية إلى المدينة، في حين تقدم الجيش المصري بقوته الثانية، بتدعيم قوي من جماعة الإخوان المسلمين، نحو العمق الفلسطيني، وتمكن من السيطرة على خط: المجدل - الفالوجة - بيت جبرين - الخليل، وخط: أسدود - القسطينة، واستطاع المصريون عزل المستوطنات الصهيونية في النقب، بيد أن كل هذه النجاحات كانت في بدايات الحرب الحقيقية، التي تلت إعلان الدولة، ودخول الجيوش العربية للأراضي الفلسطينية [1].

ألقت بعض الطائرات المصرية على مستوطني النقب لافتات باللغة العبرية، تحض الصهيونيين على الاستسلام، إذ كتب فيها: " عليكم إخلاء المستوطنات، و إلقاء السلاح، بهدوء، ورفع العلم الأبيض، وذلك خلال ساعة واحدة، ومن لم يلتزم بالتعليمات، فليخرج لمحاربتنا " [2].

تحرك الجيش الأردني في الشرق، ليركز قطاعاته في وسط فلسطين، في مناطق القدس، ورام الله، واللد والرملة، على بُعد 10 كم من تل أبيب، بينما حقق الجيش العراقي بعض النجاحات، في مناطق جنين، ونابلس، وطولكرم، ووصل إلى مسافة 10 كم شرق نتانيا اليهودية، في حين سيطر الجيش السوري في الشمال على مدينة سمخ الإستراتيجية.

في هذه الأوقات، لجأ المستوطنون الصهاينة إلى الحيلة والخداع، فكانوا يقومون على سبيل المثال، بحشد جميع لورياتهم وجراراتهم،

---

(1) د. محسن محمد صالح، **فلسطين (دراسات منهجية في القضية الفلسطينية)**، مركز الإعلام العربي، القاهرة، 2003، ص 294.
(2) بن يعقوب، **مصدر سبق ذكره**.

لتصعد الجبل غربي بحيرة طبرية، ليلاً، وهي مطفأة الأنوار، ثم تعود، وهي مضاءة، وتكررت العملية على مدى ليال عدة لخلق الإنطباع بتدفق المساعدات [1].

في المقابل، أرسل بن غوريون خطابات تهدئة وتحفيز لمستوطني صحراء النقب، حثهم فيها على الصبر، ووعدهم بأنه سيقدم العون والمؤن، في أقرب وقت، وأنهم بصبرهم سيحصدون النجاحات، حتى أنه وعدهم بأن مدينة أم الرشراش " إيلات "، ستكون ميناءً دوليًا، وقد كان! [2]

بيد أن سلاح الطيران اليهودي قد استطاع تدمير الجسور، والطرق الرئيسية، المؤدية إلى مدن الشمال الساحلية، بداية من أسدود، لقطع الطريق على القوة المصرية، وهو ما كان سببًا رئيسيًا في عدم تقدم تلك القوة باتجاه الشمال نحو تل أبيب.

كما أن عملية فتح طرق صحراء النقب، قد سميت باسم " أن - فار "، وتعني " أنتي فاروق " أو ضد الملك فاروق الأول، ملك مصر والسودان، كنوعٍ من التحفيز والحشد المعنوي للمستوطنين الصهاينة [3].

وكحافزٍ آخر للإسرائيليين في استبسالهم ضد الجيوش العربية، أعلنت بلدية تل أبيب أنها ستطلق أسماء الميادين العامة، والشوارع الكبيرة، في المدينة بأسماء الذين سقطوا أثناء الحرب، كنوعٍ من التحفيز والتشجيع

(1) هرتزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص 57.
(2) بن يعقوب، **مصدر سبق ذكره**.
(3) **المصدر نفسه**.

المعنوي بأنهم سيخلدون، بعد مماتهم [1].

في هذه الأثناء، استطاعت غولدا مائير، وزيرة العمل، آنذاك، (ورئيس الوزراء الأسبق فيما بعد) أن تجمع ما يزيد عن الـ 15 مليون دولار، خلال رحلتها للولايات المتحدة، التي حُولت، في الحال، للجيش الإسرائيلي لشراء الأسلحة من أوروبا، وذلك رغم إصابتها في حادث سيارة بنيويورك، في الرابع من يوليو/ تموز 1948 [2].

في الإطار نفسه، أعلنت الحكومة الإسرائيلية، برئاسة ديفيد بن غوريون، عن فرض التأمينات على العائلات، التي ينضم أحد أبنائها للجيش، حيث ضمت كدفعة اولى منهم ما يزيد عن الـ 9000 عائلة، بكلفة 220 ألف ليرة [3].

الهدنــة:

وافق الطرفان، العربي والإسرائيلي، على الهدنة، التي اقترحتها الأمم المتحدة، وبدأت في الحادي عشر من يونيو/ حزيران، وانتهت، في التاسع من يوليو/ تموز، نظرًا لأن القتال كان عنيفًا وشرسًا، فقد رحبت الجيوش الميدانية من الجانبين بفترة الاستراحة تلك " شهر من الراحة دون مقابل "، على حد تعبير غلوب باشا.

وكان الإسرائيليون، بشكلٍ خاص، أحوج ما يكونوا إلى مثل تلك

(1) بن كسبيت وآخرون، **معاريف**، مايو/ آيار 1948.
(2) جولدا مائير، **حياتي**، ترجمة دار الجليل للنشر، ط1، عمان، 1989، ص 90.
(3) بن كسبيت وآخرون، **معاريف**، 10/ 1948/6.

الفترة، لإعادة التنظيم، وترتيب الصفوف، وتعويض الخسائر، فضلاً عن جلب واستيعاب سيل المعدات الذي تراكم في الخارج، بالإضافة الى التدريب المكثف لإستيعاب العتاد الحربي الذي وصل من تشيكوسلوفاكيا، بوجهٍ خاص.

حتى تلك اللحظة، كانت تحركات الجيش الإسرائيلى تأتي ردًا على الهجمات العربية، لكن بعدما انتهت الهدنة الأولى، بدأ الجيش الإسرائيلي في الإمساك بزمام المبادرة، واستطاع أن يحقق بعض النجاحات.

في خضم الهدنة الأولى بين الطرفين، ادعت إسرائيل أن سلاح الجو الأردني استخدم قنابل محرمة دوليًا، حيث أشارت صحيفة " معاريف " الإسرائيلية إلى أن قوات الأردن كانت تستخدم قنابل ألمانية الصنع تسقط من الجو، وتنفجر فور سقوطها بدقائق، مؤكدة أنها قنابل محظورة دوليًا [(1)].

لم تحسن الجيوش العربية استغلال الفرصة المواتية لهدنة ثانية، بدأت في الثامن عشر من يوليو/ تموز، وانتهت في الخامس عشر من أكتوبر/ تشرين الأول، حيث أحسن الإسرائيليون استغلال هذه الفرصة، بالتنظيم الجيد، وترتيب الصفوف، وجلب الأسلحة من الخارج، وتحقيق المزيد من النجاحات، فيما تلاها من أيام على كل الجبهات، خاصة في منطقتي الجليل والنقب.

لقد أدرك الإسرائيليون أهمية صحراء النقب بالنسبة إليهم، كزيادة في

(1) **المصدر نفسه**، يوليو/ تموز 1948.

رقعة حدودهم، رغم اقتراح الكونت فولك برنادوت، وسيط الأمم المتحدة، إعطاء النقب للعرب، مقابل الجليل لليهود، لكن الإسرائيليين أرادوا السيطرة على النقب، كما أرادوا السيطرة على مناطق شاسعة من الأراضي الفلسطينية الأخرى، لذلك زادوا من هجماتهم على القوات المصرية الموجودة بالنقب، بهدف إرغامهم على الإنسحاب.

تحقق الهدف الإسرائيلي بإجبار المصريين على الانسحاب، إلى الجنوب، واستطاع الجيش الإسرائيلي تفريق ألويته، وإخضاع ما يزيد عن 4 آلاف مصري تحت الحصار، في " جيب الفالوجا "، وقطع خطوط الاتصال عنهم.

نجحت القوات الإسرائيلية في إحداث العديد من الثغرات بين القوات المصرية في الجنوب، وصارت هذه القوات في المنطقة ما بين فار أو أسير، وذلك لإجبار المصريين على سحب بقايا قواتهم من جنوب غربي فلسطين، وتحديدًا غزة، وذلك بعد أن تعمقت قوات إسرائيلية في قلب سيناء المصرية، ولولا التحذيرات البريطانية بالتدخل الى جانب المصريين، بموجب معاهدة 1936، لوقعت القوات المصرية، التي كانت قد بدأت انسحابها، بالفعل، من غزة، في الثاني من يناير/ كانون الثاني 1949، في الفوضى والهلاك! (1)

(1) هرتزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص 120.

استغلت القوات الإسرائيلية ترهل وتفكك الجيش المصري وهزيمة الجيوش العربية، بشكلٍ عام، في التعمق جنوبًا، باتجاة البحر الأحمر، خاصة مع موافقة الأطراف العربية على وقف إطلاق النار، حيث استطاعت توسيع أراضيها جنوبًا، حتى " أم الرشراش "، أو إيلات، ورفعت عليها العلم الإسرائيلي[1]، وكان احتلال إيلات إيذانًا بنهاية حرب 1948، أو حرب " الاستقلال ".

قبيل احتلال ام الرشراش المصرية، وبسريان وقف إطلاق النار، وافقت مصر على مفاوضات لتوقيع اتفاقية الهدنة مع إسرائيل، والتي بدأت في 13 يناير/ كانون الثاني 1949، ووقعت، في 24 فبراير/ شباط 1949، بجزيرة رودس في البحر المتوسط. وكان على رأس الوفد المصري العقيد محمد إبراهيم سيف الدين، في حين ترأس الوفد الإسرائيلي مدير عام وزارة الخارجية، إيجال يادين، ومعه إسحاق رابين، الذي أصبح رئيسًا لوزراء إسرائيل لاحقًا [2].

ووقعت لبنان على الاتفاقية ذاتها، في 23 مارس/ آذار 1949، في حين وقع الأردن (الدولة العربية الثالثة) في 4 إبريل/ نيسان 1949، وترأس الوفد الأردنى الملك عبد الله، في حين ترأس الوفد الإسرائيلي وزير الدفاع الأسبق، موشيه دايان.

أما سوريا (الدولة الرابعة و الأخيرة) فقد وقعت على اتفاقية الهدنة مع إسرائيل، في 20 يوليو/ تموز 1949.

---

(1) بن يعقوب، **مصدر سبق ذكره**.
(2) بن كسبيت وآخرون، **معاريف**، 1949/1/13.

فقدت إسرائيل ما يزيد عن 6373 إسرائيليًا، من بينهم 4000 جنديًا وحوالي 2400 مستوطنًا، في حين فقد العرب ما يزيد عن الـ 15 ألف جندي، وعدد غير معروف من الفلسطينيين [1].

استنتاجات

1 - تعمد الإسرائيليون عدم ذكر " الفلسطينيين "، والحديث عن جيوش عربية غازية، وتصويرها على أنها اعتدت على حقوق اليهود، وبالتالي ليس لها حق في الحرب.

2 - ارتكزت الآلة العسكرية الإسرائيلية على عنصر المرونة والمفاجأة، والابتكار، وأصبح القتال الليلي بمثابة طبيعة عادية، على عكس القوات العربية، التي لم تستطع مجاراة الإسرائيليين في القتال الليلي، فكانا يتبادلان الأدوار، العرب يسيطرون على مكان ما، نهارًا، ثم يعاود الإسرائيليون، السيطرة عليه، أو احتلاله، ليلاً.

3 - المرونة والسرعة في التفكير، والتكيف مع المواقف المختلفة، وغير المتوقعة، أثناء مجريات الحرب.

4 - لم يستفد العرب من تفوقهم العددي والتسليحي، واعتبروا أنفسهم في نزهة حربية، أو جولة استطلاع، على عكس الإسرائيليين، الذين اعتبروا هذه الحرب بمثابة حياة أو موت، إما الحياة على أرضٍ اعتبروها وطنًا لهم، أو إلقائهم في البحر.

5 - عدم استغلال طبيعة الأرض الفلسطينية لصالح العرب، وذلك

(1) ويكبيديا، **مصدر سبق ذكره**.

لعدم معرفتهم الجيدة بها.

6 - استخدام المذابح الصهيونية في الدعاية لترويع الأهالي الفلسطينيين، ودفعهم لمغادرة أراضيهم، وتعمد نشر هذه المذابح، لزيادة المخاوف لدى الغير.

7 - استغلال حالة الضعف والوهن، التي بدت على الجيوش العربية، نهاية الحرب، في توسيع رقعة الأراضي الإسرائيلية.

8 - تحفيز القيادات الإسرائيلية للمستوطنين، باستمرار، وإطلاق أسماء الجنود القتلى على الميادين العامة والشوارع الرئيسية في مدينة تل أبيب.

* * *

الفصل الحادي عشر:
الذات والآخر في حرب 1948

محمد حسني

لقد كانت حرب 1948 نقطة تحول في التاريخ العربي المعاصر، فقد أفضت إلى نشوء دولة الكيان الصهيوني (إسرائيل)، وطرد معظم الشعب الفلسطيني من أراضيه. ولا شك أن الاستهانة بالعدو الصهيوني كانت إحدى أسباب الهزيمة، [1] وهو ما استتبع، بالضرورة، تضخيم صورته عقب النكبة، ولكن التهوين، أو التهويل في تصوير الذات أو الآخر أمر ممجوج، فالصورة الذهنية للذات، وللآخر (العدو) أمرٌ غير بسيط، أو هامشي، وهو ما سنتناوله بالدراسة فيما يلي.

يعد مصطلح " الصورة الذهنية " مقابلاً للمصطلح الإنجليزي image، ويمكن تعريفها بأنها: " الأفكار والمعتقدات والمشاعر والأحاسيس، التي تتكون في عقل ووجدان الفرد أو الجماهير تجاه قضية معينة، أو فكرة أو شخص، أو جماعة. وهي تتبادر إلى الذهن بمجرد ذكر اسمها، لتعطي فكرةً معينةً، أو مفهومًا، قد يكون سلبيًا أو إيجابيًا ". ترتبط الصورة الذهنية بعواطف الأشخاص واتجاهاتهم، بغض النظر عن صحة المعلومات التي تتضمنها خلاصة هذه التجارب، وتتكون الصورة الذهنية، وتتطور، خلال التفاعل بين نوعين من العوامل، الأول هو

(1) راجع أسباب نكبة 1948، على سبيل المثال لدى: عبد القادر ياسين، **الحركة الوطنية الفلسطينية**، القاهرة، دار الكلمة، ط1، 2000، ص31.

العوامل الشخصية، أي التي تتعلق بالفرد، مثل السن والنوع ومستوى الذكاء، والثاني هو العوامل الإجتماعية، التي تتعلق بالتنشئة الإجتماعية [1].

تتسم الصورة الذهنية بالذاتية، حيث أنها هي التفسير المفترض للحقيقة، وما نعتقد أنه الواقع، كما تتسم الصورة الذهنية، في كثيرٍ من الأحيان، بعدم الدقة، وهو ما يؤدي إلى تشويه معالم الصورة. والفرد يقوم بعملية إعادة تنظيم، وترتيب لعناصر الصورة، فتترسخ بعض تلك العناصر، بينما تُهمل عناصر أخرى في الصورة، وقد تنمحي، تمامًا. ويميل الإنسان، في أغلب الأحوال، إلى التمسك بالصور التي تشكلت في ذهنه، حتى أنه يتعصب لهذه الصور، ويتحيز لها [2].

وبالرغم من أن الصورة تميل، بطبيعتها، إلى الثبات فإنها أساسًا، تعد عملية ديناميكية، وليست استاتيكية، فهناك مجموعة من العوامل، قد تؤدي إلى تغييرها، مثل الأحداث العسكرية، والسياسية، والكوارث الطبيعية، أو مرور فترة زمنية طويلة [3].

يتعلق مفهوم الصورة الذهنية بعدة مفاهيم، من أهمها الصورة النمطية

---

(1) نرمين زكريا: **صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى الجمهور المصري**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، قسم الصحافة، 2001، ص10.

(2) مي إبراهيم حمزة: **صورة القضايا العربية في الكاريكاتير السياسي، وتأثيرها على الصورة الذهنية لدى الشباب**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، قسم الإعلام، 2006، ص143، 144.

(3) إسلام شفيق عواد: **صورة مصر في الصحافة اليومية لدى دول مجلس التعاون الخليجي 1989 - 1991**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم الصحافة، 2001، ص62، 63.

stereotype، والأخير أكثر خصوصية في دلالته على الصورة الذهنية الثابتة التي تتسم بالجمود [1]. والصورة القومية، وهو يشير إلى الكيفية التي يتصور بها شعبٌ ما شعبًا آخر، عبر مجموعة من السمات أو التصنيفات التي يسبغها على الشعب موضوع الصورة [2]. والصورة الإعلامية، و هي الرؤية الخاصة للواقع التي تقدمها وسائل الإعلام في إطار مجتمع معين، بكل ما يتضمنه من أنظمة، ومؤسسات، تؤثر على وسائل الإعلام [3].

الآخر/ العدو

الآخر هو تعبير أشمل من أن يحصر بصفات معينة، فهو يعني أي صفة عدا الذات، وبالتالي فإن تعريفي للآخر، ينطلق من تعريفي لذاتي، ولأن تعريف الذات غير ثابت، فالذات قد تعبر عن الفرد، أو الجماعة، على اختلاف مضمونها، وبالتالي فإن تعريف الآخر يختلف، بالضرورة. وبالرغم من أن كل " عدو " هو " آخر "، فليس بالضرورة كل " آخر " هو " عدو ".

أما صورة العدو، فهو مصطلح يرتبط بمصطلح " الصورة القومية "، المشار إليه، ويمكننا أن نعرفها بأنها: " صورة مشتركة بين أعضاء جماعة معينة، تجاه العدو، تتسم بنزع الطابع الإنساني عن هذا الآخر، علاوة على ما يشوب الصورة الذهنية عامة، من التنميط، والاختزال، والتضخيم، والتحيز، والتعميم، وعادة ما تشتق من مزيج من أفعال

(1) حمزة: **مرجع سبق ذكره**، 146: 150.

(2) **المرجع السابق**: ص150: 152.

(3) حمزة: **مرجع سبق ذكره**، 153، 155.

وتصرفات هذا العدو وإدراكات المتلقي. صورة العدو تقوم علـى مشـاعر الكراهيـة والتهديـد، وتقـوم صـورة العـدو علـى وجـود جماعـة ذات هويـة تهددها جماعة أخرى، خارجة عنها، ونحن عادة ما نجد نزعة للربط بين الصفات الجسدية والنفسية للعدو، بحيث لا يمكن فصلهما عن بعضـها. وتعد صناعة صورة العدو جزءًا من علم النفس السياسـي، نظـرًا للـدور الذي تلعبه صياغة هذه الصورة من قبل أجهزة الإعلام والاستخبارات في تماسك الجماعات ضد التحدي الخـارجي، ودورها فـي تفكك الدعم لهذا العدو، وتاريخيا كانت لصـناعة صـورة العدو دور بـارز، وخاصـة فـي الحروب، وكانت الصـورة التـي صـاغها قوات دول الحلفاء للنازيـة دور بارز في تماسك الجبهة الداخلية، أثناء الحرب العالمية الثانية، تلك الجبهة التـي سرعان مـا إنقسمت بعد الحـرب وبـدأت صـياغات جديدة لتصـوير " العدو الشيوعي " مقابل " العدو الرأسمالي". وفي الشرق الأوسط وفـي خضم الحرب الباردة وصلت صناعة صـورة العـدو إلـى مرتبـة الحرفيـة، فصـورة إسـرائيل كانـت عبـارة عـن خنجـر أو إسـفين فـي قلـب الـوطن العربي، وصورة العرب كانت عبارة عن تهديد إسلامي، يلقى مساندةً من الاتحاد السوفيتي، ويهدف الي إبادة إسرائيل، والشعب اليهودي.

يـذكر إدوارد سـعيد، أن أزمـة الهويـة، وهـي إحـدى أكثـر العلاقـات تجسيدًا للآخـر، فـي العصـر الـراهن، لا تظهـر إلا فـي المجتمعـات التـي تدخل في ديناميكية الحداثة. وتعني الأزمة هنـا مجـرد بـدء الجهد المؤلـف أو المفـرح فـي تحديـد الـذات، وهـي لـم تبـدأ إلا بالحداثـة، أو باكتشـاف الغرب. وترى الأستاذة فـي علم الاجتمـاع السياسـي " دلال البـرزي " أن

هذه الوظيفة للآخر تظهر لدى طرفي العلاقة، رغم عدم التكافؤ، أي لدى الغالب والمغلوب، لكن الفرق يكمن في كون الغالب هو المبادر، والقادر على طرحها، جاعلاً من هذه الوظيفة لدى المغلوب " أزمة "، تدوم بدوام غلبته. مصطلح " الآخر " قد يوظف لتعريف الهوية، وبنائها، فحسب، بينما مصطلح " العدو " يستخدم لتوجيه اللوم إلى الأحداث السيئة في الحياة. فالعدو ينشأ فقط لدى الاعتقاد بوجود اختلافات جوهرية " بيننا " و " بينهم "، مع ربط هذه الاختلافات بتمييزٍ موازٍ بين الخير (نحن)، والشر (هم)، وهو ما يؤدي عادةً إلى نزع الطابع الإنساني عن الآخر (العدو)، وبالتالي سيادة النمط العدائي العنيف في التعامل مع الآخر في هذه الحالة.

تتعد الأهداف من وراء رسم صورة العدو، ومن أهمها:

– إنها مصدر لإضفاء الشرعية على السياسة، أو السلوك تجاهه.

– مواجهة أزمات المجتمع، ومواجهة أزمة الهوية، حيث تساعد صورة الآخر، العدو تحديدًا، على تغذية التشابه بين العناصر المكونة للجماعة القومية.

– مواجهة الأزمات الاقتصادية وأزمات التهميش: حيث يساعد الآخر (العدو) في إيجاد كبش فداء لتفسير تردي الأحوال الاقتصادية، وتحييد الصراع الطبقي، بتمكين المضطهد من التماثل مع سيده، دون أن يتحمل هذا الأخير تكاليف باهظة.

– مواجهة الأزمات السياسية والعقيدية الأيديولوجية، إذ تتوحد الجبهة السياسية الداخلية في مواجهة خطر العدو، الذي يهدد الوجود.

وربط العدو بالتهديد الدائم هو ما يؤدي إلى تضخيم صورة العدو، لأنه لا وجود لعدوٍ إلا وكان قويًا [1].

الصفحات التالية تحاول تلمُس ملامح الصورة الذهنية لكلٍ من الذات، والآخـر، لـدى طرفـي الصـراع الصـهيوني - العربـي، بكـل تناقضـاتها وتشابكاتها، مع محاولة تناول المصطلحات، حسبما وردت في مصادرها، لأن ذلك أمرًا جوهريًا، في رسم ملامح الصورة.

الجانب الصهيوني

صورة الذات:

صورة الذات لدى الجانب الصهيوني، أمر ليس من السهل اختزاله، ولكننا سوف نحاول تحديد الملامح الرئيسية له:

- اليهودي:

يهودي: في القاموس العبري: يهودي، عبري، عبراني، 2 - من سبط يهودا، 3 - الشيء الذي يخص اليهود [2].

لذا فإن المصطلح لا يقتصر على المفهوم الديني فحسب، بل يتعداه إلـى مفهـوم تـاريخي أو عرقـي، حتـى وإن كـان مزعومًـا، فالأدبيـات الصهيونية تخلط، ونعتقد أن ذلك عمدًا، بين المصطلح التاريخي والديني والسياسي، وتستفيد، قدر استطاعتها من هذا التعميم في عرض مشروعها داخليًـا، أي بين اليهود، وخارجيًـا، بين الأطراف الدوليـة، وحتـى لـدى

---

(1) انظر مقال " **صورة العدو** " بالموسوعة الحرة ويكيبيديا، بقلم هيئة التحرير.
http://ar. wikipedia. org/wiki/

(2) دافيد سغيف، **قاموس عبري - عربي**، إصدار شوكن، القدس، وتل ابيب، ط3، 1990، الجزء الأول، ص671.

الآخر(العدو). فالمفهوم الديني للمصطلح، يسمح بترويجه بين معتنقي اليهودية، كما يسمح بتحويل الصراع على الأرض إلى صراع طائفي، بين يهود ومسلمين ومسيحيين. بينما المفهوم القومي يعطي الحق للمطالبة بالحصول على وطن قومي، اقتضاء بالقوميات الأخرى.

مناحم بيجن، الإرهابي (باعترافه الضمني) سابقًا، ورئيس الحكومة، فيما بعد، يستهل مذكراته بقوله: " كتبت هذا الكتاب أولاً لشعبي (اليهودي) لئلا ينسى... إنه توجد أشياء أثمن من الحياة، وأفظع من الموت... لكنني كتبت هذا الكتاب لغير اليهود، أيضا... " [1]. فهو يعتبر أن اليهودية عرق وقومية. إلا أن الطابع الديني يبقى مسيطرًا، فعندما خطط بيجن لنسف فندق الملك داود بالقدس، كان منشغلاً بمسألة، كيف ينسف فندقا يحمل اسم الملك اليهودي، لكنه أدعى بعد ذلك، أن الملك داود زاره في منامه، وقال له " لا تتردد في صنع مجد إسرائيل، إن اسمي لا يعرف الطمأنينة إلا إذا كانت قلوبكم مطمئنة [2].

كما تقول جولدا مائير، في معرض حديثها عن إضراب المهاجرين وممثلين عن الحركة الصهيونية، احتجاجًا على رفض السفن الإيطالية السماح لسفن المهاجرين بالمغادرة: " لقد واجهتنا صعوبة واحدة، كانت في اليوم الثالث للإضراب عن الطعام، فقد صادف بداية عيد الفصح اليهودي، وأخبرنا الحاخام بأن علينا أن ننهي إضرابنا.

(1) معين أحمد محمود، **يوميات الإرهابي مناحم بيجن**، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1983، ص15.
(2) **المصدر نفسه** ص7.

وتوصلنا إلى أن يأكل كل منا قطعة الماتساه[1]توازي حجم الزيتون[2].

وعندما ننظر إلى بيان إعلان الدولة، أوما يُسمى " وثيقة الاستقلال "، التي تلاها دافيد بن جوريون، أول رئيس وزراء إسرائيلي، نجدها تفتتح بالعبارة التالية: " في أرض إسرائيل قام الشعب اليهودي، وفيها تشكلت شخصيته الروحانية، والدينية والسياسية، عاش فيها حياةً مستقلةً وطنية، أنتج فيها كنوز ثقافة قومية وإنسانية، وأعطى العالم سفر الأسفار الأبدي " [3]. وهو بذلك يضع كل العناصر الدينية والتاريخية والقومية كمرادفات لمصطلح " يهودي ".

وفي موضعٍ آخر: " دولة إسرائيل ستكون مفتوحة للهجرة اليهودية، وجمع يهود المنفى، تعمل على تنمية البلاد لصالح كل سكانها، وتكون قائمةً على أسس الحرية والعدل والسلام في ضوء رؤية أنبياء إسرائيل ". وهو تأكيد على الطابع الديني للدولة.

وينتهي الإعلان بعبارة: " إننا ندعو الشعب اليهودي، في كل الأشتات، أن يجتمع حول الاستيطان، بالهجرة والبناء ومؤازرته في معركته الكبرى من أجل تحقيق حلم الأجيال لخلاص إسرائيل. من منطلق الإيمان بصخرة إسرائيل، فإننا نضع توقيع أيدينا كشهادة على هذا

---

(1) الماتساه:فطيرة يتناولها اليهود في عيد الفصح، وقد وردت خطًا في المصدر (ماتزاح).

(2) جولدا مئير، **حياتي**، ترجمة دار الجليل، عمان، ط1،، 1989، ص77

(3) د. تامار بروش: **خطاب لكل العصور**، الجامعة المفتوحة، وحدة الدراسات الخارجية، نشر مسكال، 1993. نسخة إليكترونية. مركز تكنولوجيا التعليم، وزراة التعليم والثقافة الإسرائيلية. http://lib. cet. ac. il/Pages/sub. asp?item=7187

الإعلان. " وعندما عارض أهرون تسيزلنج (مبام)، ذكر تعبير " صخرة إسرائيل ومخلصها " وهي كناية عن الرب، تم رفض اقتراحه، وظل التعبير ليعطي قوة دينية للدولة الجديدة [1].

- العبري:

والمصطلح، في حقيقته، أقدم من مصطلح، يهودي "، وليس هناك رأي حاسم في أصله، فهناك من يربطه بأحد أجداد الساميين، وهو عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام، فيما يرى آخرون بأن الاسم هو كناية عن إبراهيم - عليه السلام، لأنه عبر نهر الأردن، أو لأنه كان يعبر من وطن لآخر [2]. فضلاً عن آراء عدة، لكننا نقصد هنا المصطلح في ثوبه الجديد، أي شخصية " العبري الجديد ".

لقد كان هناك اتفاق بين الصهاينة، على اختلاف أطيافهم، على رفض شخصية يهودي الشتات، وتاريخ الشتات، بما يحمله من ذل ومهانة، فارتبطت الحركة الصهيونية بخلق نمط يهودي جديد على أرض فلسطين. وبذلك ظهر مصطلح " العبري "، كنقيض لليهودي المرتبط بالشتات، وتم رفض لغة الييديش المرتبطة بمجتمع الشتات، وحلت محلها، ولو إسماً في البداية، اللغة العبرية، رغم أن الأولى كانت أنسب للحياة المعاصرة.

وتم تصوير يهودي الشتات بنفس الملامح التي رسمها المعادون

(1) **المصدر نفسه**.

(2) رشاد الشامي، **إشكالية الهوية في إسرائيل**، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد224، أغسطس/آب1997. ص57.

لليهود: الظهر المقوس، والأنف المعقوف، والجبن والبخل، والانعزال، والإيمان بالخرافات [1]...

كانت الهجرة الثانية(1904 - 1914) صاحبة الفضل في طرح الهوية العبرية، فقد كان معظم تلك الهجرة من روسيا، وحملت الكثير من الشبان المؤمنين بأفكار الثورة الاشتراكية، ويحلمون بخلق طبقة عاملة عبرية، والسيطرة على الإنتاج والحراسة، وليس مجرد شراء الأراضي، وقد أسس هؤلاء المستوطنات الجماعية " الكيبوتس "، والأحزاب العمالية، هبوعيل هاتساعير(العامل الفتي)، وبوعالي تسيون(عمال صهيون) [2].

جاءت الهجرة الثالثة (1919 - 1924) لتعطي دفعة لهذا الاتجاه، وزاد الاتجاه الرافض للدين، إلى درجة فجَّة، تمثلت في انتهاك الشعائر علنا. وقد حاول الأدباء رسم صورة للعبري الجديد، مستوحاة من أبطال " العهد القديم "، وهي صورة أقرب للعربي البدوي ابن البلاد، جريء، قوي، شجاع، صلب، منتج.

في هذه التربة ولد جيل جديد من أبناء المهاجرين، وهو جيل لم ير الشتات، ونشأ على إيديولوجيات مجتمع المستوطنين، وهو ما يُطلق عليه " الصبار "، الجيل الذي حمل عبء خلق كيان جديد، على الأصعدة

(1) يهوشافاط هركابي، **ساعة إسرائيل المصيرية**، الهيئة العامة للإستعلامات، سلسلة كتب مترجمة794، 1990، ص174.

(2) حامد ربيع، **من يحكم تل أبيب**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1975، ص440

المختلفة. لكن هذا الاصطلاح لا يعني، فعليا، كل من ولد في فلسطين، حيث يستثني اليهود ذوي الأصول الشرقية، ويضم من ولدوا في أوروبا، وهاجروا إلى فلسطين [1]. هذا الصبار، الذي نجد صورته في الملصقات والمنشورات الصهيونية، يحمل وجها أوروبيا. إلا أن التحولات التي تلت إقامة الدولة، لم تستطع شخصية الصبار أن تصمد أمامها، ونحن نعتقد بأن وجود هذا الطرح للصورة الذاتية الصهيونية، اعتمد على الاصطناع، أكثر من اعتماده على الواقع، فمحاولة التوليف، بين الشخصية التاريخية، والحاضر الاستيطاني، بين التراث الديني والعلمانية، أليق بالكتابات النظرية، والأعمال الأدبية، التي كانت تنتمي إلى الأدب المجند.

يعلق د. أورتسيون برتنا، على الأدب العبري، في تلك الفترة: " جيل الأدباء الذي يمتد إنتاجه خلال الأربعينيات والخمسينيات، هو جيل البالماح[2]، مثل موشيه شامير، وحاييم جوري، وهو مؤمنٌ بالوعي الجمعي، وقد نمت، في تلك الفترة صورة اليهودي الصبار، شخصية جميلة وطيبة، خُلقت من عدم، بين خرائب الماضي السلبي، ويصور الصبار على أنه فتيّ، صحيح البدن، علماني، يخلق عالمًا جديدًا، نما في كنف النور والدفء في " أرض إسرائيل "، خلاف البرد والضباب الذي عاش فيه يهود المنفى.

---

(1) بنيامين نتنياهو، **مكان تحت الشمس**، ترجمة: محمد عودة الدويري، دار الجليل، عمان، 1996، ص386.

(2) اختصار بالعبرية لعبارة سرايا الانقضاض، والتي خدم فيها عدد كبير من أدباء هذا الجيل، حتى عُرفوا باسمها.

لعل ومن أهم موضوعات هذا الجيل موضوع التضحية بالنفس، فالموت من أجل مجتمع الاستيطان أصبح موضوعًا رئيسيًا في أدب هذا الجيل، وقد أزاح موضوع " الناجون " من أحداث النازية، كعلامة على طي صفحة من تراث الخنوع والذل. وقد تم تصوير الاستيطان اليهودي كمكان مثالي مستقل، منفصل عن واقع يهود أوروبا، وذلك بتأثير الحركة الكنعانية، التي تزعمها الأديب يوناثان راطوش، ودعت للانفصال عن هوية يهود المنفى، واعتبار المجتمع الاستيطاني مجتمع شرقي، ينتمي إلى أرض كنعان [1].

اليهودي المضطهَد:

لقد كانت أحداث النازية، بغض النظر عن حقيقتها، موضوعًا مركزيًا في الأدبيات الصهيونية، وقد تم استخدامها كمقدمة لتبرير حق اليهود في وجود وطن، وابتزاز المجتمع الغربي، وكذلك استغلالها كذريعة لاستخدام القوة، ضد البريطانيين وضد الفلسطينيين أبناء البلاد. بالرغم من عدم صمود الأطروحة أمام أي منطق، فإنها كانت مطروحة وبقوة.

يقول مناحم بيجن، في يومياته: "... إنه من خلال الدم والنار والدموع والرماد قد ولد نوع جديد من الكائنات البشرية، نوع لم يعرفه العالم على الإطلاق خلال1800عام هو (اليهودي المحارب). وفي فقرةٍ تاليةٍ: " منذ طفولتي، علمني والدي الذي قتله الألمان، وهو ينشد هاتكفاه، أن اليهود

(1) د. أورتسيون برتنا، **الأدب العبري في أرض إسرائيل**، ضمن كتاب شخصيات وأعمال في إسرائيل، تحرير: سارا أهروني، ومئير أهروني، مكسام، 1998، نسخة إليكترونية، مركز تكنولوجيا التعليم، وزارة التعليم والثقافة الإسرائيلية.

يجب أن يرجعوا إلى أرض إسرائيل... " [1].

يضيف، في موضعٍ لاحقٍ: " إن العالم لا يشفق على المذبوحين، إنه يحترم الذين يحاربون فحسب. هذه هي الحقيقة " [2].

تتجلى محورية هذا الطرح في احتلاله فقرتين من نص " إعلان الدولة" : الكارثة التي حلت بشعب إسرائيل، في الآونة الأخيرة، حيث تعرض ملايين اليهود في أوروبا لمذبحة، أثبتت، مجددًا، وبالبرهان الواعي بحل مشكلة الشعب اليهودي بعدم وجود الوطن، والاستقلال عن طريق تجديد الدولة اليهودية في أرض إسرائيل، والتي ستفتح أبواب الوطن على مصراعيها لكل اليهود، وتعطي للشعب اليهودي وضع أمة متساوية في الحقوق بين المجتمع الدولي ".

" إن بقية اللاجئين الذين نجوا من المذبحة النازية الرهيبة في أوروبا، ويهود بلدان أخرى، لم يتوقفوا عن الهجرة الجسورة إلى أرض إسرائيل، رغم الصعوبات، والمنع والخطر، ولم يكفوا عن المطالبة في العيش بكرامة وحرية، والكد الشريف في وطن شعبهم " [3].

اليهودي جزء من العالم المتقدم:

ربط الكيان الصهيوني نفسه، من البداية، بالقوى الاستعمارية، على الصعيد العملي. وعلى الصعيد النظري، فإنه يطرح نفسه، كجزء من العالم المتقدم، وهو ما يفيده في طرح نفسه سياسيًا كذراع للاستعمار،

(1) محمود، **مرجع سبق ذكره**، ص15.
(2) **المرجع نفسه**، ص30.
(3) بروش، **مرجع سبق ذكره**.

وفـي الوقـت نفسـه يستند إلـى المبـرر الاسـتعماري التقليـدي، وهـي تحكـم الأقلية المتحضرة في مجتمع بدائي متخلف.

وقـد ورد فــي إعــلان قيــام الدولــة: " فــي 1897 اجتمــع المــؤتمر الصهيوني بناءً على دعوة نبي الدولة اليهوديـة، تيـودور هرتسـل، وأعلـن عن حق الشعب اليهودي في النهضـة الوطنيـة فـي بـلاده... تـم الاعتـراف بهذا الحق بتصريح بلفور في الثاني من نوفمبر - تشرين الثـاني 1917، وتـم التصـديق عليـه مـن عصـبة الأمـم، التـي أعطـت سـند دولـي للعلاقـة التاريخية بين الشعب اليهودي وبين أرض إسرائيل، لإعـادة إقامـة وطنـه القومي ".

" فـي الحـرب العالميـة الثانيـة، أسـهم الاسـتيطان العبـري فـي الـبلاد بدوره كاملاً في نضال الأمم الطامحة في الحرية والسلام ضد قوات الشر النازيـة. وبـدم جنـوده وبجهـوده الحربيـة، أخـذ الحـق فـي أن يعـد مـن بـين الدول التي وضعت ميثاق الأمم المتحـدة... إن هـذا الاعتـراف، مـن الأمـم المتحـدة، بحـق الشـعب اليهـودي فـي إقامـة دولتـه، لا يمكـن مصـادرته ". ويُذكر أن مئير فلنـر، مـن الحـزب الشـيوعي، قـد طالـب بشـجب حكومـة الانتداب الاستعمارية، إلا أن طلبه قوبل بالرفض القاطع [1].

إسرائيل تمد يدها بالسلام:

يقـدم إعـلان قيـام الدولـة، إسـرائيل علـى أنهـا دولـة سـلام، متجـاهلاً الاعتداءات المسلحة قبل ذلك اليوم، والقوات المتأهبة فـي مواقعهـا. " إننـا ندعو - بالرغم من الاعتداء الـدامي الـذي نتعـرض لـه منـذ شـهور - أبنـاء

(1) **المرجع نفسه**.

الشعب العربي من سكان دولة إسرائيل، أن يحافظ على السلام وأن يسهم في بناء الدولة، على أساس المواطنة الكاملة... "

" إننا نمد يد السلام والجيرة الحسنة إلى كل الدول المجاورة وشعوبها، وندعوهم بالتعاون وتبادل المساعدة مع الشعب العبري المستقل في بلاده. دولة إسرائيل مستعدة للإسهام في الجهد المشترك لتقدم الشرق الأوسط كله " (1).

صورة الآخر (العربي)

كانت أهم المقولات التي تستند إليها الصهيونية هي مقولة " أرض بلا شعب لشعب بلا ارض "، وهي تعكس نية مسبقة لتجاهل الوجود العربي. إلا أن التجاهل التام، وليس الجهل، ما كان ليصمد أمام الواقع، فأخذت صورة العرب في الأدبيات الصهيونية منحى آخر.

لقد كان مصطلح " المسألة العربية " مصطلحًا مركزيًا في الفكر والحوار الصهيونيين حتى " حرب الاستقلال "، ولكن في دولة إسرائيل، يبدو أنهم توقفوا عن استخدمه، وتحولوا بشكل حاد، في منتصف 1948، لاستخدام مصطلح " الصراع الإسرائيلي - العربي "، كما زاد استخدام مصطلح " الخطر العربي "، وأصبح استخدام المصطلح القديم قليلاً. ويقول شبتاي طيفت، في كتابه " بن جوريون وعرب أرض إسرائيل " : " نظريا أو عمليا انزاحت المسألة العربية التي أثارتها الصهيونية من الساحة، وحلت محلها في دائرة الاهتمام الصهيوني مسألة أمن إسرائيل

(1) **المرجع نفسه**.

[1]. ففي الفترة التي سبقت قيام الدولة، قل النقاش حول المسألة العربية، وكلما دنت أيام الحسم، قل التطرق إليها، وأصبح وجود الخطر العرب في أرض إسرائيل والدول المجاورة، ليس هو المشكلة السياسية والأخلاقية الحاسمة، ويرجع ذلك إلى سيادة الوعي بأن الحل إما دولة يهودية على كل " أرض إسرائيل "، أو تقسيم وفرض وصاية دولية على العرب [2].

التعميم:

من خلال قراءتنا المتأنية لمذكرات مناحم بيجن، يتضح لنا في مقابل التحديد الدقيق للأنا، بذكر أسماء الأشخاص والكيانات السياسية والعسكرية للجانب الصهيوني، والأمر نفسه مع الآخر البريطاني، نجد تعميمًا تامًا عند الحديث عن " العرب " فلا ذكر لأسماء أشخاصٍ أو كياناتٍ أو مؤسسات، والتحديد الوحيد عند التحدث عن الجيوش العربية، وهو يصب في مصلحة تصوير الأمر كاعتداء من دول لها حدودها، وبالتالي فليس لها حق في الحرب، بينما لم يذكر مصطلح " الفلسطينيون "، أو " الشعب الفلسطيني " أبدًا. ففي أحد المواضع على سبيل المثال: " في الأشهر التي سبقت الغزو العربي، وبينما كانت الدول العربية الخمس (مصر، العراق، سوريا، لبنان، وشرق الأردن) تستعد للهجوم، أكملنا نحن هجماتنا على الأحياء والمناطق العربية " [3].

(1) ش. ن أيزنشتدت وموشيه ليسكي: **الصهيونية والعودة إلى التاريخ، لإعادة تحريرة**. يد يتسحاك بن تسيفي، القدس نسخة إليكترونية amalnet. k12. il

(2) ي جوراني: **المسألة العربية والمشكلة اليهودية**. تل أبيب 1985، ص356، 357.

(3)محمود، **مرجع سبق ذكره**، ص173.

كما أن الانطباع نفسه يأتينا لدى قراءة ذكرات شخصيات صهيونية أخرى، مثل جولدا مائير، رئيسة الوزراء فيما بعد [1].

وصم العرب بصفات سلبية:

تم وصم العرب بصفاتٍ سلبيةٍ، كالبدائية، والتخلف، والحمق، سواءً على لسان رموز الصهيونية، أو من خلال التعبير الأدبي.

يقول الجنرال رفائيل إيتان في مذكراته: " اقترب عربي منا، يحمل بندقية إنجليزية... كانت خطتنا تتمثل في أن يتستر قائد المجموعة خلفنا، وأن نخدع العرب بالكلام... " [2]. وفي موضعٍ آخر، يقول إنهم التقوا بمجموعة من البدو في الصحراء، وقد نصحهم زميلهم بألا يبدو لهفتهم على الماء " لأنه إذا شعر البدو بعطشنا سيدركون ضعفنا، ويسهل عليهم التغلب علينا، بدأنا نشرب بينما ظل " فوزا " يتحدث إلى البدو ويلقي إليهم بالنكات... " [3].

لقد اعتُبرالعرب في مرتبة أدنى من اليهود، حتى وإن كانوا يقومون بنفس العمل، تقول جولدا مائير، في مذكراتها: " الآلاف من يهود فلسطين (أرض إسرائيل) الشبان الذين منعوا من الخدمة في الوحدات البريطانية، عملوا، خلال الحرب، كسائقين في الجيش، وفي ورش الصيانة، وفي الوحدات الطبية، لقد عُرفوا، لا حاجة للقول، " كفلسطينيين " وليس كيهود، وعوملوا كعمال عاديين.... واليهود المدنيين... لم يعاملوا فقط كعمال

(1) جولدا مئير، **مرجع سبق ذكره**.

(2) **شخصيات صهيونية: رفائيل إيتان**، ترجمة غازي السعدي، دارالجليل، عمان 1989، ص11.

(3) **المرجع السابق** ص13.

عاديين، وإنما كانوا يتقاضون أجورًا بمستوى العمال المصريين، حيث لم يكن مقبولاً بالنسبة للهستدروت [1]. والغريب أن هنا كان أول موضع تذكر فيه كلمة " فلسطينيين ".

ومن بين الصفات التي أُلصقت بالعرب صفة الجُبن، حيث يقول بيجن: " عند تنفيذ عملية نسف فندق الملك داوود: تقدمت الفرقة الأولى، عن طريق مقهى لريجنس، فأسروا موظفي المقهى، وسجنوهم في غرفة مجاورة، ولم يُبد هؤلاء الخمسة عشر موظفًا عربيًا أية مقاومة، وكان ذلك منظرًا منهم... وقد أمر موظفي المقهى العرب أن يهربوا، فهربوا بدون أي تردد " [2].

وقد طالت تلك النظرة الوطن العربي كله، على المستوى الشعبي، وعلى مستوى الأنظمة الحاكمة، فتقول جولدا مائير، تعليقًا على موقف بريطانيا: ".. لم يستطيعوا، أو يشاءوا أن يقفوا أمام العرب، مع أن غالبية العالم العربي كان مؤيدا للنازية. إنني لا أستطيع أن أفهم لماذا وجد البريطانيون أنه من المستحيل أن يقولوا للعرب لا... قليل من الزعماء العرب سيصدرون تهديدات كلامية، وربما تكون هناك مسيرة احتجاجية أو اثنتين، أو بعض أعمال التخريب في انحاء متفرقة من الشرق الأوسط [3].

(1) جولدا مئير، **مرجع سبق ذكره**، ص 64.
(2) محمود، **مرجع سبق ذكره**، 106
(3) مئير، **مصدر سبق ذكره**، ص62.

نجد مضمون هذه الصورة أيضًا، في معظم الأعمال الأدبية المكتوبة عن تلك الفترة، حتى وإن كان ذلك في لهجة مغلفة بالإعجاب أوالتعاطف. فعلى سبيل المثال، لم يظهر العرب على خشبة المسرح الإسرائيلي، تقريبًا، قبل سنوات الستينات، اللهم إلا في عروض ساخرة، وفي شخصيات ثانوية. لقد ظهرت شخصية العربي في الأعمال المسرحية العبرية، قبل قيام الدولة، باعتبارها " آخر "، فهو إما عدو، أو شخص يستحق بعض التعاطف. ويظهر اللقاء بين اليهودي والعربي في مواقف صدامية، عبر نظرة احتقار وسخرية وتخوف من العربي. ومع وقوع المصادمات، زاد تصوير العرب بالهمجية، والعدوانية، وتنميط الشخصية العربية في قالب " الشرير "، مقابل " الطيب " اليهودي. ومن مظاهر الصورة الدونية الموصوم بها العربي، عدم قدرته على التحدث بطلاقة. ورغم التعاطف الذي تظهره بعض الشخصيات مع العربي، فإنها تضعه في قالب " البدائي "، حتى وإن كانت عقول المفكرين والأدباء تبحث فيه عن جذور لشخصية يهودية جديدة، بعيدة عن يهودي الشتات. ودائمًا ما يوضع العربي في مقارنة مع اليهودي، أو العبري الجديد، عبر نظرة استعلاء من الأخير. وهو يظل شخصية تابعة ثانوية، ليس لها ملامح درامية خاصة، وأحيانا لا يكون لها حتى أسماء [1].

لقد رسم الأدب العبري للعربي صورة معينة، هي صورة البدوي والفلاح، وتجاهل العربي في المدن الفلسطينية، إلى جانب حشد الصفات

(1) **المنهج الأداء التمثيلي والإخراج لدى ي. جروتوفسكي 2005/2/12**، موقع ستورادج http://storage. cet. ac. il/

الأخلاقية والجسدية، التي تعطـي مبررًا ضـمنيًا، لأعمـال الطـرد والقمـع، وتُحقر من شأن العدو فـي نظـرة المتلقـي الصـهيوني [1]. و للشخصـيات العربيـة فـي الأدب العبـري دور أساسـي، فهـي شخصـيات غيـر رئيسـية، تتضـح مـن خـلال تعامـل الشخصـيات الرئيسـية معهـا، أو حتـى مجـرد انطباعهـا الـداخلي عنهـا، تمثـل التحطـيم والضـياع، والمـوت، والرغبـة الجنسية العارمة [2].

يمكننا أن نلمس التوجه نفسـه، حتـى فـي اللوحـات الفنيـة، التـي تنتمـي إلى فترة ما قبل قيام الدولة، فالرسام نـاحوم جوتمـان، علـى سبيل المثـال، يصور فلاحة عربيـة تعمل بيديها فـي الحقل، ويصـور رجل عربـي فـي طريقـه إلــى الحقـل يسـوق أغنامـه، علـى خلفيـات طبيعيـة، غيـر محـددة الملامـح. فــي مقابـل تصــوير المسـتوطنين علــى خلفيـة بيئـة تـل أبيـب الحضرية [3].

إلقاء اللوم على الضحية:

طريقة غير مبتدعة من قبل الصـهاينة، وهي إلقاء اللوم على الضـحية، أو علـى بعض عناصـرها، فقد ادعـت الصـهيونية، أيضًـا، أن العـرب هـم الـذين هـاجروا طواعيـة، بنـاء علـى تحـريض مـن زعمـائهم، تقـول جولـدا مـائير: " وأينما سمعت عن عـرب بأننـا، علـى نحـو مزعوم، قد عاملنـاهم

(1) محمود صميدة، **استراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب**، مؤسسة الاتحاد، أبو ظبي، طبعة دار الهلال، القاهرة، 1988.

(2) درورا برجر، **صورة العربي في الأدب القصصي العبري**، صحيفة77، رابطة الأدباء والفنانين، مجلد 168، 1994/1، ص24، 25، نسخة إليكترونية، سنونيت.

(3) **فن الرسم في ارض إسرائيل**، الانتقال من القدس إلى تل أبيب، نسخة إليكترونية.
http://w3. kfar - olami. org. il

بوحشية فإن دمي يغلي، إنني نفسي في عام 1948، وقفت على شاطيء حيفا لساعات وأنا أتوسل إلى سكان المدينة العرب بعدم مغادرتهم لها. فعندما استولت الهجاناه مباشرة على حيفا، بدأ السكان العرب بالفرار من المدينة - لأن زعماءهم أكدوا لهم بأن ذلك كان أسلوبًا حكيمًا بالنسبة لهم... لقد صمموا على الرحيل " [1].

اتهام العرب بالوحشية والبدء بالاعتداء:

إنه مبرر قوي للاعتداءات المسلحة ضد العرب، فيقول رفائيل إيتان في مذكراته: " بقي المصابون، طيلة يوم وليلة، وهم بأيدي العرب، وقال أحد السائقين أنه شاهد العرب وهم يعذبون الجرحى اليهود، ومن ثم يصبون عليهم الوقود ويحرقونهم... " وفي موضع آخر: " سقط في أيدينا بريطاني، يدعى تايلور، كان يعمل مع العصابات العربية " [2].

ويقول مناحم بيجن في يومياته: " وهكذا توقفت المقاومة الرسمية المسلحة في نوفمبر/ تشرين الثاني1947، عندما بدأ العرب يقتلون اليهود "... " فبعد أسبوعين من الهجمات العربية، قامت " الإرجون " بأول هجوم مضاد للقوات اليهودية، ومن11 إلى13 ديسمبر/ كانون الأول هاجمت وحداتنا مراكز القتلة في حيفا ويافا والطيرة والياجور... وهاجمنا مراكز لعصابات القتلة [3].

(1) **المصدر نفسه**.
(2) **شخصيات صهيونية: رفائيل إيتان**، ص16.
(3) محمود، **مرجع سبق ذكره**، ص100.

الجانب العربي

رؤية الذات:

لقد كان ظهور فكرة القومية العربية، محاكاة للحركات القومية في أوروبا، في القرن التاسع عشر الميلادي، وما قبله، وفي الوقت نفسه وسيلة للتعبير عن مناوأة العسف العثماني. وقبل ذلك بقليل كانت الحركات الانفصالية عن السلطنة العثمانية تأخذ إما الطابع الديني، مثل الحركة الوهابية في الجزيرة العربية، وإما طابعا فرديا، مثل محمد علي وابنه إبراهيم، فقد كان الهدف منها هو إرساء قاعدة قوية ضد السلطنة العثمانية، فلقد غذَّا إبراهيم باشا فكرة القومية العربية، بإشاراته إلى أمجاد العرب، في خطاباته العسكرية، فكسب بذلك تأييد كل من المسلمين والمسيحيين في الشام، على حدٍ سواء، ورغم فشل الحركة، إلا أنها خلفت وراءها نظام تعليم يرمي إلى ترسيخ مباديء القومية العربية. وقد أخذت مدارس الإرساليات التبشيرية تروج لهذه الفكرة، وتنادي بإحياء التراث القومي العربي، وكان سفر الطلاب العرب إلى الغرب رافدًا لتغذية الفكر القومي[1]. وهي الفترة نفسها التي ظهر فيها دعاة الإحياء الإسلامي (أمثال جمال الدين الأفغاني، ورشيد رضا، والكواكبي).بالرغم من موجات الهجرات الصهيونية، خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، فإننا لم نجد أثرًا للوعي القومي العربي في مجابهة الاستيطان، فقد كانت المشكلة التي واجهت اليهود هي موقف الباب العالي من الهجرات وشراء الأراضي من

---

(1) د. مهنا يوسف حداد، **أثر الصورة الذاتية في الموقف العربي من دولة إسرائيل**، مركز دراسات الوحدة العربية، أغسطس/آب1999. انظر: طاهر لبيب(محررا)، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص337، 338.

أجل الاستيطان [1]. ولكن، في تلك الفترة، انتكب المجتمع العربي بالخضوع، والإذلال للحاكم الأجنبي وشيوع الدجل والشعوذة، والنزعات العرقية، والقبلية، والطائفية، وسيادة اللهجات المحلية، كل تلك العوامل هي عوامل واقعية، وأسباب للفرقة في مقابل الفكر القومي النظري. فلقد كانت الأفكار القومية العربية تستند إلى المحتوى التاريخي القائل بأمجاد العرب، واستعلاء العنصر العربي، أو التي تتلفع أحيانًا باسم الدين، مصورة المثالية الدينية عن المسلمين الأوائل وكأنها يُمكن أن تكون سمات للواقع المعاصر.

وربما كان عنصر اللغة، وهو أهم مقومات القومية العربية، هو أحد أسباب الخلط أو الدمج بين الفكر القومي والفكر الديني [2].

بعد الحرب العالمية الأولى طُبقت معاهدة سايكس - بيكو، التي أفضت إلى تقطيع الوطن العربي وتقسيمه بين القوى الاستعمارية، ثم ظهور أنظمة حاكمة، وفقًا لخريطة الاستعمار، دون مراعاة للواقع العرقي، أو الطائفي، أو غير ذلك [3].

أما مواقف هذه الذوات من الصهيونية وإسرائيل، فقد اتفق كل منها مع مسيرتها، حتى عام 1948، لكن أيًا منها لم تكن قادرة على الحركة لاتخاذ أي إجراء عملي حيال الهجرة اليهودية إلى فلسطين. فالدول التي تكونت عقب الحرب العالمية الأولى عانت كلها، تقريبا، من الآفات ذاتها، الأمية

(1) د. مهنا يوسف حداد، **مرجع سبق ذكره**، ص338

(2) إبراهيم أنيس، **اللغة بين القومية والعالمية**، القاهرة، دار المعارف، 1970.

(3) د. مهنا يوسف حداد، **مرجع سبق ذكره** ص343

والتخلف وعدم وجود الثقة بين الدولة وبين المجتمع، وكذلك الاعتماد الكلي والخضـوع للـدول الاسـتعمارية [1].لقد ارتـدت كـل مـن الـذوات الوطنيـة القومية فـي الـوطن العربـي ثـوبين: الأول تقدم بـه نفسـها للخـارج، كدولـة مؤسسية، لكنها تتقبل الأمر الواقع وسيطرة القوى العظمى، والثاني: لتقدم بـه نفسـها إلـى مجتمـع الـداخل وتستمد منـه شرعية وصـايتها علـى الـذات القومية، والتنديد بأية أنظمة أخرى تنافسها فـي إدعـاء الوصـاية علـى تلك الذات القومية. لقد كان لصورة الذات وجهان، الأول مثالي والثاني واقعي، وكانت الذات المثاليـة نوعًـا من الاستراتيجية، وضـعتها الأنظمـة العربيـة لنفسـها، وأصـبحت مصـدرًا للخـداع الـذاتي. وقد نشـأ التعليم فـي الـوطن العربي متشابكًا مع التعليم الديني واقتصر محتوى التعليم الأدبي، خاصة، على مثاليات تناقض الواقع الذي يعيشه الفرد، وهو ما يؤدي إلى أن تكون لشخصـيته وجهـين، أحـدهما للـداخل والآخـر للخـارج [2]. وحتـى الـذوات الوطنية، التي نشأت عقب حرب 1948، خدمت دولة إسرائيل، بطريقة أو بأخرى، بـدفع اليهـود المقيمين فيهـا للهجـرة إلـى إسرائيل، بـل إنهـا كانـت ترغمهم على التوقيع بعدم العودة. فالواقع يقول إنـه بـالرغم من الدسـاتير التي تنص على المساواة الكاملة للمواطنين، فقد بقيت الهوية تتأرجح بين الهوية القومية والهوية الدينية، فقد كان اليهود يعاملون باعتبارهم رعايا أو أهل ذمة، وفقًا لوضعيتهم التاريخية [3].

(1) خلدون حسن النقيب، **الدولـة التسلطية فـي المشرق العربـي المعاصر**، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، 1991. ص98.

(2) السيد ياسين، **الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر**. ص 57، 59.

(3) د. مهنا يوسف حداد، **مرجع سبق ذكره** ص349.

صورة الآخر (الصهيوني)

في عام 1948 قررت الأنظمة العربية، مع تباين الملابسات، والتوقيتات، والأهداف الحقيقية، الدخول في حرب مع المنظمات الصهيونية التي أعلنت قيام إسرائيل، وأخذت الخطابات تصور للمواطنين بأن هؤلاء الصهاينة إنما هم عصابات لن تستطيع الصمود أمام القوى العربية والإسلامية، ولكن النتيجة أظهرت عكس ما يروجونه. فلقد كانت الصورة التي رسمت لدولة إسرائيل مستمدة، لا عن معرفة حقيقية بالصهيونية، ولكن بناءً على الصورة التراثية لليهودي، كما جاءت في المصادر الدينية، سواءً الإسلامية، أو المسيحية، أو الأدب العربي [(1)].

وبرغم وجود اليهود على أرض فلسطين، قبل وعد بلفور، فإن صورتهم لم تظهر في الأدب الفلسطيني كأقلية مختلفة، لأن الكاتب الفلسطيني لم يكن ير فيهم خطرًا، إلا بعد ظهور الحركة الصهيونية وأهدافها الرامية إلى تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، ومع تزايد الهجرة إلى فلسطين، ومقاومة أهلها لهذا الخطر القادم، أخذ الأدب الفلسطيني يرسم صورًا لليهودي، الذي بات عدوًا، فالكُتَّاب الفلسطينيون اختلفوا في تناولهم لشخصية اليهودي، باختلاف مراحل الصراع معه، فعندما كان اللقاء معه ممكنًا، وجدنا من ميز بين يهودي وصهيوني، وبين عربي، ويهودي، ومهاجر قادم عبر البحار، كما فعل وديع البستاني في بعض أشعاره، وفي مقابل ذلك، هناك من اتخذ موقفًا معاديًا من كل

---

(1) **المرجع نفسه**، ص348، 349.

اليهود، معتبرًا إياهم أعداءه [1].

تـأثرت الكتابـة الفلسـطينية عـن اليهـود بمـا كتـب عـنهم فــي الأدب العالمي، وفي " العهد القديم " و " القرآن الكريم "، إضافة إلـى الاحتكـاك المباشـر معهـم، فخليـل بيـدس، فـي روايتـه " الـوارث، 1920 " تــأثر بشخصية (شايلوك) في " تاجر البندقية "، فصـور فـي روايتـه شخصـيات يهوديـة جشـعة، تفعل أي شـيء للحصـول علـى المـال، كذلك فعل محمـد العدناني، في روايته " الشرير "، لكننا في تلك الفترة لا نعدم وجود كتاب حاولوا رسم صورة حقيقية للآخر اليهودي، كما هـي علـى أرض الواقـع، دون أن يسـقطوا رؤاهـم الفكريـة عليهـا، لـذا بـدت صـورهم إيجابيـة تـارة وسـلبية تـارة أخـرى، ويبـدو ذلـك فـي قصـتي نجـاتي صـدقي " شـمعون بزاجلو " و " العابث ". وبعد إعلان الدولة، نجد الكُتـاب فـي الخمسينات، والستينات، لايزالـون أسـرى الصـراع القـومي بـين العـرب واليهـود، فلـم يستطيعوا خلق شخصيات يهودية واقعية، بل صوروا اليهودي كجندي في جيش العدو، بلا ملامح فردية، فاليهودي في بعض القصص، وإن تخلص من قالبه النمطي، إلا أنه ظل يمثل العدو[2]

إن اليهـودي السمسـار، واليهوديـة العـاهرة، نمطـان سـائدان للشخصـية اليهوديــة. و دارس الأدب الفلســطيني فـــي ثلاثينـــات القــرن العشـــرين وأربعينياتـه، يعثـر علـى نصـوص بـرز فيهـا هـذا (الموتيـف) بـروزًا لافتًـا.

(1) أمل أحمد عبد اللطيف أبو حنيش، **مرايا الذات والآخر في روايه مقامات العشاق والتجار**، ديوان العرب، نسخة إليكترونية: 12، كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٦
http://www. diwanalarab. com/spip. php?article2909

(2) **المرجع نفسه**.

الفتيات فيها يرسلن من الحركة الصهيونية للإقطاعيين العرب، حتى يبيع هؤلاء أرضهم لليهود. ولعل مسرحية محمد عزة دروزة " الفلاح والسمسار "، وفي روايات أخرى " الملاك والسمسار "، من أبرز تلك النصوص، ومثلها، أيضًا، مسرحية برهان الدين العبوشي " وطن الشهيد "[1].

تكشف لنا المادة الصحفية، التي تنتمي إلى فترة الحرب، عن الصورة التي رسمها الإعلام العربي للآخر الصهيوني[2]. وهي صورة نمطية، تنتمي إلى نفس التوجه الذي تحدثنا عنه:

تحت عنوان " الثروة أغلى من الحياة "، عرضت مجلة أكتوبر القاهرية، قصة اختطاف العرب ليهودي ألماني، كان يعمل خبير لصناعة الأسلحة في مستعمرة نتانيا، " وعندما طلب العرب من الدكتور فيرمن أن يشرف لهم على صنع الأسلحة، رفض، فهددوه بالقتل، فأصر على الرفض، وأخيرًا عرضوا عليه مبلغًا كبيرًا من المال، فقبل على شرط أن يدفع العرب المبلغ مقدمًا، أول كل شهر[3].

وفي خبرٍ عن المعتقلين في السجون المصرية بتهمة النشاط الصهيوني، نجد التعليق التالي: " إنهم لا يعتبرون رعايا دولة معادية،

---

(1) عادل الاسطة، **ذاكرة وصورة اليهود، الكرمل**، 2007/8/17، نسخة إليكترونية http://www. elkarmel. com/index. php?option=com - content&task=view&id=360&Itemid=155

(2) في السطور التالية سوف نعتمد على المادة الأرشيفية التي تنشرها مجلة أكتوبر القاهرية، في باب ثابت، تحت عنوان كانو من 50 سنة

(3) لمياء أبو المجد (إعداد): كانوا من 50 عامًا، **أكتوبر**، القاهرة، دار المعارف. 1998/1/18، ص72.

لأننا لا نحارب دولة، ولكن نحارب عصابة غير معترف بها دوليًا، كما أنه لا يمكن اعتبارهم أسرى حرب، فهم إما يهود من رعايا دول أجنبية، فيطبق عليهم قانون التجسس، وإما يهود مصريون فيطبق عليهم قانون الخيانة العظمى " [1]

في كاريكاتير يعرض مشهد لجنديين عربيين، يقتربان من مُستوطِنة صهيونية، توليهم ظهرها، وهي تظهر في الصورة شديدة البدانة، وذات شعر أشقر، وتحمل على ظهرها بندقية، ويعلق أحد الجنود " دي لازم تكون بيت لحم "، ونرى أن مثل هذا الكاريكاتير يعكس نوعًا من السطحية والاستخفاف بالقضية. وفي العدد ذاته نجد تعليقًا على موقف بريطانيا المنحاز ضد العرب ".. شيء واحد يمكن أن يعيد لبريطانيا بعض ثقتنا فيها وهي أن تطهر أراضينا من جيوشها، وأن تعترف بوحدة وادي النيل، وتشترك معنا فعليًا في تأديب يهود فلسطين ". وهو استخفاف بحجم العدو [2].

وفي كاريكاتير يصور الكونت فولك برنادوت، وفي المقابل جثة شخص عربي، يقف على رأسها، شخص آخر (يهودي) يحمل الملامح النمطية لصورة اليهودي، الأنف المعقوف، واللحية والحواجب الكثيفة، والقبعة والمعطف الطويل.

(1) **المصدر نفسه**، 1998/6/7، ص72.
(2) **المصدر نفسه**، 1998/8/16، ص74.

والتعليق على لسان برنادوت " ياترى مين فيهم اللي اعتدى على الثاني!! " [1].

في خبر عن تعيين شيخ جديد لحارة اليهود، يقول إنه بعد استقالة شيخ الحارة القديم لكبر سنه، تقدم ثلاثة مرشحين، اثنين من اليهود، والثالث مسلم، هو الحاج إبراهيم، وأن إدارة الشياخات بوزارة الداخلية استبعدت المرشحين اليهوديين، وبذلك لم يبق إلا الشيخ إبراهيم، ثم تعلق المجلة "... كان أهل الحارة، دائمًا، ما يلجأون إليه دائما لفض منازعاتهم، ويحتفظون لديه بالوثائق المالية، بعد أن اتضح أنه الشخص الأمين الوحيد في الحارة " [2].

وتظل صفة اليهودي البخيل مركزية، رغم احتدام الأحداث السياسية والعسكرية، ففي كاريكاتير يأتي مواكبًا لحادث انفجار وقع في حارة اليهود في مصر، يصور مشهد لرجال الإسعاف يحملون مصابًا على المحفة، وهو كثيف الحواجب وذو أنف معقوف، وتبدو ملامحه كمن يستشيط غضبًا، ويسأل أحد المارة " ده انفجرت فيه قنبلة؟ " فيرد المسعف: " لأ انفجرت في الخزنة بتاعته " [3]. وفي كاريكاتير مدون تحته التعليق " كيف يحارب المصري أفندي في أربع جبهات، يصور الكاريكاتير، شخصية المصري أفندي مشهرًا سيف، بينما يدور حوله اربعة شخصيات، نميز بينهما شخصية جندي إنجليزي، وشخصية الملك

(1) **المصدر نفسه**، 1998/8/23، ص78.
(2) **المصدر نفسه**، 1998/9/27، ص76.
(3) **المصدر نفسه**، 1998/10/4، ص84.

عبدالله، وشخصية اليهودي بالملامح والملابس، التي ذكرناها سابقا [1].

كما نجد صورة المرأة اليهودية، كمن تبيع جسدها، ففي كاريكاتير مدون تحته التعليق " استعراض المشاكل الدولية في اجتماع هيئة الأمم، يصور الكاريكاتير مشهدا لعرض ملكات الجمال، ويجلس زعماء الدول الكبرى في مقاعد المتفرجين، وتقف الفتيات من جنسيات مختلفة، من بينهم فتاة محجبة، وأخرى ترتدي أسمالاً ممزقة، وعليها وشاح (مس فلسطين)، وفي مقدمتهم فتاة تستعرض جسدها، وتعرى صدرها تمامًا، ويحمل وشاحها (مس إسرائيل) [2].

* * *

(1) **المصدر نفسه،** 1998/12/6، ص84.
(2) **المصدر نفسه،** 1998/11/1، ص90.

الفصل الثاني عشر:
الرؤية الإسرائيلية للنكبة

رضوى عبد القادر

مثلت نكبة 1948 الفلسطينية منعطفًا تاريخيًا هامًا، في الوطن العربي، حيث تم زرع الورم الصهيوني داخل الجسم العربي، ليتمكن منه، شيئًا فشيئًا، ويحوله إلى جسمٍ مريضٍ هزيل، تستطيع من خلاله الامبريالية تحقيق مطامعها.

كلُ من موقعه رأي للنكبة أسبابها، وسنحاول هنا إلقاء الضوء على الرؤية الإسرائيلية، في هذا الصدد.

بعد أن أعطت بريطانيا " وعد بلفور "، في 1917/11/2، للصهاينة، جائت الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945)، لتغير ميزان القوى داخل المعسكر الاستعماري، لصالح الولايات المتحدة، التي أرادت بدورها أن تزيد من مناطق نفوذها، ومستعمراتها، خاصة في المنطقة العربية. غدت الولايات المتحدة هي الداعمة للصهيونية، في حين حاولت بريطانيا التراجع عن إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وإدارة الظهر لوعد بلفور، مما أثار غضب الصهاينة، فقاموا بعدة عمليات عسكرية انتقامية، ضد الجيش البريطاني، ليعجلوا بإنهاء الانتداب.

رؤى الصهاينة:

لقد تعاون الانتداب البريطاني مع الصهاينة، للمحافظة على انتظام حركة المواصلات في طرق فلسطين، فانقلب هذا الآخر إلى عنصر غير

ثابت، ومعاد، ومشاغب، كما نظر الانتداب البريطاني باستياء إلى كل محاولة من جانب الصهاينة للسيطرة على جزء من أي طريق حيوي للبريطانيين، كان يمر بمنطقة عربية، ولم يكن بدافع من حرص الإنجليز على العرب، بل لأن ظهور الصهاينة كان يحوِّل الجزء إلى مكان مرشح للتحرشات، ولزرع الألغام، ولإغلاق الطريق. وعندما لا يعود الطريق يخدم أغراض البريطانيين، فإنهم كانوا يتخلون عنه لمن كانت له الغلبة، والسيطرة عليه، وكانت أهم التدابير التي اتخذتها حركة النقل اليهودية، ضد الهجمات العربية: البحث عن طرق أكثر أمانًا، وأطول مسافة، لكن تمر عبر مناطق أكثر خطورة، وموكابة حرس مسلح لسيارات الصهاينة، ولمصفحات القوافل، فضلاً عن الاعمال الأنتقامية الصهيونية(1).

الضيافة العربية:

بعد أن طوت ثورة 1936 راياتها، في ربيع 1939، كانت الحاجة الصهيونية ملِّحة إلى تخطيط منهجي، من أجل المعرفة الشاملة حول القرى الفلسطينية، وهذا ما أتى على أثره تدمير اكثر من 400 قرية، وتهجير أهلها، واعتقال شبابهم، مما أفضى إلى احتلال أكبر قدر من الأراضي الفلسطينية، وخاصة الزراعية منها، خلال حرب 1948.

اقترح موظف في الدائرة التعليمية، التابعة للوكالة اليهودية - وهو مؤرخ شاب من الجامعة العبرية، يدعى بن تسيون لوريا - إعداد سجل مفصَّل للقرى العربية، وأن يقوم " الصندوق القومي اليهودي " بإعداده،

(1) **حرب فلسطين 1947 - 1948**، ترجمة: أحمد خليفة، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984، ص 308.

ليساعد في " التطهير العرقي " للعرب الفلسطينيين، وبلغت حماسة مدير دائرة الاستيطان، آنذاك، يوسف فايتس، الذروة، عنما بلغه خبر ملفات القرى، واقترح، على الفور، تحويلها إلى " مشروع قومي " !، وكانت المهمة الرئيسية رسم خرائط القُرى العربية الفلسطينية، لذا تم تجنيد خبير طوبوغرافي صهيوني، من الجامعة العبرية، اقترح القيام بمسح فوتوغرافي - جوي لتلك القرى. وفي أواخر ثلاثينيات القرن الماضي، أصبح الأرشيف مكتملاً، وقد تضمن ملف كل قرية تفصيلات دقيقة، عن موقعها الطوبوغرافي، وطرق الوصول إليها، ونوعية أراضيها، وينابيع المياه، ومصادر الدخل الرئيسية، وتركيبتها الاجتماعية - الاقتصادية، والانتماءات الدينية للأهالي، وأسماء المخاتير، والعلاقات بالقرى الأخرى، وأعمار الرجال (من سن 16 إلى 50). ومن فئات المعلومات المهمة ثمة مؤشر يحد درجة " العداء " للمشروع الصهيوني. وكانت المشكلة الملحوظة في كثير من ملفات القرى، هي كيفية إيجاد نظام تعاون استخباراتي مع أناس يعتبرهم الصهايمة " بدائيين وبرابرة " !. فيما تضمنت الملفات، في فترة ما بعد سنة 1943، وصفًا مفضلاً للزراعة، وتربية الحيوانات، والأراضي المزروعة. ومع حلول سنة 1945، جاء المزيد من التفصيلات، حول وصف المساجد، وأسماء الأئمة فيها، وصفاتهم. ومع نهاية الانتداب، أصبح جمع المعلومات موجهًا، بصراحة، نحو المعطيات ذات الطابع العسكري. ولم تكن هذه المهمة خطرة جدًا، لأن القائمين بها استغلوا أصول الضيافة العربية التقليدية، حتى أنهم حلوا ضيوفًا في بيت مختار القرية نفسه، وعندما لم ينجحوا، خلال يوم واحد،

في جمع المعلومات طلبوا استضافتهم، مرة أخرى! كما ركزوا على أمرين: كيفية الدخول إلى القرية، ومعرفة الممتلكات. وروى يغئيل يادين، بأن هذه المعرفة الدقيقة والتفصيلية، بما كان يجري في كمل قرية عربية فلسطينية على حدة، هي التي مكَّنت القيادة العسكرية الصهيونية، في تشرين الثاني/ نوفمبر 1947، من الاستنتاج بأنه " لم يكن لدى الفلسطينيين العرب من ينظمهم، التنظيم الصحيح ". وكانت المشكلة الجدية الوحيدة، التي واجهتها القيادة الصهيونية هي البريطانيين: " لولا البريطانيون لكنا اخمدنا الاضطرابات العربية، خلال شهر واحد " ! [1].

ضعف وصراع وحماسية ظاهرية:

رأى الإسرائيليون بأن حركة الشبيبة احتلت مكانة قليلة الشأن في حياة العرب، وكانت أهمها حركة الكشافة، التي قامت بأدوار معينة، في مدن عربية فلسطينية عدة، خاصة يافا. وفي 1946 برزت منظمات شبه عسكرية للراشدين، واتضح، في أثناء حرب 1948، بأن نشاط جمعيات الشبيبة العربية كان متواضعًا جدًا، فهي لم تجمع سلاحًا كثيرًا، ولم تقم بنشاط تدريبي يستحق الذكر، ولم تنجح في تغيير النمط العربي، الذي كان السلاح، بموجبه، ملكًا خاصًا للمقاتل، يستخدمه وفقًا لإرادته وفهمه[2].

(1) إيلان بابه، **التطهير العرقي في فلسطين**، ترجمة: أحمد خليفة، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، تموز/ يوليو 2007، ص 26 - 31

- إيلان بابه، في حديث معه، **الجزيرة**، فيلم تسجيلي " النكبة "، ج2، الجمعة 2008/5/23، الساعة 8 م.

(2) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص12 - 13.

(*) الكتاب الأبيض: أصدره وزير المستعمرات البريطاني، مالكوم ماكدونالد، في آيار /

وجـد الصــهاينة بـأن " الانطبـاع الأول، الـذي يمكـن أن يخـرج بـه الدارس لفترة الصـراع بشـأن مجريـات الأمـور فـي الوسـط العربـي، هـو انطبـاع بالهـدوء، إلا أنــه انطبـاع ظـاهري، خـاطـيء، ومضـلل. بـدليل الانفجـار الكبيـر للأحـداث الداميـة "، الـذي أعقـب صـدور قـرار التقسـيم (1947/11/29)، مباشرة، وأبرز الصـهاينة أربعة أسباب رئيسـة لضـبط الـنفس، الـذي أبـداه العـرب، فـي سـني 1946 - 1948، وهـي: السياسـة البريطانيـة المتمسـكة بسياسـة " الكتـاب الأبـيض[*] المعاديـة للصـهيونية، والدعم المكشوف والخفي من جانـب الـدول العربيـة، والتخـوف مـن إثـارة ردة فعـل يهوديـة قويـة، قبـل حلـول أوان الحسـم، فضــلاً عـن الصـراع الـداخلي فـي المجمـع العربـي الفلسـطيني، وقـد اعتبـر موقـف العـرب فـي فلسطين من حركـة الهجـرة اليهوديـة السرية، نموذجًـا لسلوكهم، فـي تلـك السنوات، فكانت معارضتهم حادة، إلا أنها لم تكتسب، فـي تلـك السـنوات، أي تعبير علمي[1].

مـايو 1939، وفيـه تنـاول عـزم بريطانيـا علـى عدم إقامـة دولـة يهوديـة فـي فلسـطين، وغرمهـا علـى أن تقيم دولـة فلسطينية، بعد عشـر سنوات، يتقاسم فيهـا العرب واليهـود المسؤولية والسلطة، كما حدد الكتاب الهجرة اليهودية، منع انتقال الأراضي لليهود، بعد خمس سنوات!

(*) الكتـاب الأبـيض: أصـدره وزيـر المسـتعمرات البريطـاني، مـالكوم ماكدونـالد، فـي آيـار / مـايو 1939، وفيـه تنـاول عـزم بريطانيـا علـى عدم إقامـة دولـة يهوديـة فـي فلسـطين، وغرمهـا علـى أن تقيم دولـة فلسطينية، بعد عشـر سنوات، يتقاسم فيهـا العرب واليهـود المسؤولية والسلطة، كما حدد الكتاب الهجرة اليهودية، منع انتقال الأراضي لليهود، بعد خمس سنوات!

(1) **المصدر نفسه**، ص7.

رأى رأس الحركة الصهيونية، أول رئيس لدولة إسرائيل، حاييم وايزمان، كغيره من الصهاينة، بأن العرب، عنصر آخر ومتدن من البشر، يجب أن يكون هناك عنصر مساعد لحياتهم. فقال وايزمان، أمام لجنة فلسطين المنبثقة، عن هيئة الأمم المتحدة، في ليك سيكس، في تشرين الأول وتشرين الثاني / أكتوبر ونوفمبر 1947: " إن ما هنا لك من تفاوت، وعدم تساو، بيننا وبين العرب، إنما هو أقل بكثير من مثله بين الطبقة المتأخرة والعنصر السيد، في كثير من البلدان المتمدنة المتحضرة القوية، فأحرى بالمرء أن يسأل تلك البلدان الفتية القوية، ما الذي فعلته من أجل المتأخرين المنحطين من سكانها؟، إن شر مظهر اجتماعي للبقعة العربية، هو تلك الفجوة المنكرة القائمة بين طبقة ضئيلة من الأثرياء المفرط ثراؤهم، وبين أهل الحضيض الطويل العريض، سواء السكان المتفرقين المغمورين، بؤسًا وشقاءًا " [1].

وكأن تقدم اليهود يعطيهم الحق في اغتصاب حقوق الآخرين، خاصة إذا ما كان الآخرين متأخرين!

في 1948/3/19، أبلغ المندوب الأميريكي، في ليك سكس، ولرين رأوستن، مجلس الأمن الدولي، بأن الولايات المتحدة لم تعد تؤيد مبدأ تقسيم فلسطين، وأوضح أوستن أن هذا التغيير في وجهات النظر يرجع إلى أن الولايات المتحدة أصبحت مقتنعة، الآن، بأن التقسيم لن يتحقق بدون استخدام العنف. وأرفق هذا التملص الأمريكي، باقتراح يقضي

(1) حاييم وايزامن، **ملخص كتاب لتحربة والخطأ**، ترجمة: دويع البستاني، الناصرة، مطبعة الحكيم، 1964، ص302.

بفرض وصاية مؤقتة على فلسطين. ورأت كاتبة صهيونية بأنه كان " من الطبيعي أن يفسر العرب المحاولة الأمريكية بأنها دليل على أن هجماتهم العربية تؤتي ثمارها، على الجبهة الدبلوماسية، إن لم يكن على جبهة القتال، فضلاً عن أنها أفضت إلى تشجيع رجال (العصابات العرب) على أعمال العنف، التي يقومون بها، مما أودى بالزعماء السياسيين والعسكريين للطائفة اليهودية إلى تشكيل جاز لمواجهه أعباء الحرب الحديثة[1].

في 1947/12/8، اتخذ ممثلو الدول العربية، الذين اجتمعوا في القاهرة، عدة قرارات سرية، ذات طابع عسكري وسياسي، أهمها: إحباط مشروع التقسيم، والعمل على أن تكون أرض فلسطين " عربية ومستقلة وموحدة "، وحدد أولئك الممثلون حصص السلاح والمتطوعين لكل الدول العربية، وعين فوزي القاوقجي، قائدًا لجيش المتطوعين، أو كما دعي باسمه الرسمي " جيش الإنقاذ ". لكن سرعان ما اتضح بأن وحدة الدول العربية الحماسية هذه لم تكن أكثر من تظاهر إزاء الخارج! وعمليًا، دار من وراء الستار صراع على مستقبل فلسطين بعد جلاء البريطانيين عنها، كان بطلاها الرئيسيان: مفتي القدس، الحاج أمين الحسيني، وملك شرق الأردن، الملك عبد الله. وقامت معارضة مصر لإمكان ضم أرض فلسطين إلى دولة عبد الله، بدور كبير حاسم في جميع مخططاتها لنجدة أهل فلسطين، فساندت المفتي بالأموال والسلاح، ونظرت بتحفظ شديد

(1) ماري سيركين، **جولدا مائير**، القاهرة، وزارة الإعلام، هيئة الاستعلامات، كتب مترجمة، 1965، ص 119.

إلى " جيش الإنقاذ " العام التابع للجامعة العربية. وفي دورة انعقاد المجلس السياسي لـ " الجامعة العربية "، في شباط / فبراير 1948، التي شارك فيها وفد فلسطين برئاسة المفتي، تكشفت العلاقة السيئة، بين أعضاء الجامعة، واتضح بأن مصر " غير متعاونة "، وأن الأموال والسلاح الذي أرسلته إلى فلسطين سلمته إلى رجال المفتي، لا إلى القوة المشتركة التي أقامتها الجامعة، واتسمت العلاقات بين رجال المفتي، و " جيش الإنقاذ " بالعداء الصريح. وعندما جاء القاوقجي إلى فلسطين، في بداية آذار / مارس1948، نشرت " الهيئة العربية العليا "، بيانًا، بأن " من يتعاون مع الغرباء سيُعتبر خائنًا، ويطرد من البلد (فلسطين) " !، فلم يعترف رجال المفتي بالقاوقجي، وعينوا في جميع الأمكنة قادة من قِبلهم، وفي إثر هذه المشاحنات قُسم فلسطين، عمليًا، إلى ثلاث مناطق: المنطقة الشمالية (الجليل)، ووضع تحت قيادة " جيش الإنقاذ؛ المنطقة الوسطى (بين جبال القدس والنقب) تحت سلطة رجال المفتي؛ المنطقة الجنوبية، أُتبِعت بمصر، وإن أشرفت على كل هؤلاء وحدات " الفيلق العربي "، المعسكرة في فلسطين، منتظرة موعد انتهاء الانتداب البريطاني[1].

تباطؤ:

ركزت هيئة الأركان العامة الصهيونية، قبيل نهاية شباط / فبراير 1948، على إعداد خطة استعداد ليوم " الغزو العربي "، المتوقع حدوثه بعد الجلاء البريطاني، فورًا. وأرادت الهيئة إنشاء جيش من 30 كتيبة، في كل كتيبة 750 رجلاً، أي ما مجموعه 22.500 رجل، وسُلمت

(1) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص212 - 214.

الخطة، التي عرفت " خطـة د " (*)، إلـى الألويـة فـي 10 آذار / مـارس، وقد أقيمت على فرضيات ثلاث: لن تبقى قوات بريطانيـة فـي فلسطين؛ لـن تدخل قـوة دوليـة، وستعمل القـوات العربيـة جميعهـا، نظاميـة وشبه نظاميـة ومحلية، بصورة منسقة[1]

فـي الجهـة الأخـرى، اتخـذت اللجنـة السياسـية فـي الجامعـة العربيـة (1948/5/12) - أي قبل الانسحاب البريطاني بيومين اثنينّ - القـرارات التالية[2]:

1- إعلان حالة الطوارىء في الدول الأعضـاء في الجامعة العربية.

2- استيعاب الـدول العربيـة النسـوة والأطفـال والشيوخ، فحسـب مـن اللاجئين الفلسطينيين.

3- تحمل كل دولة عربية نفقات قواتها في فلسطين.

4- تبـادل وزراء الخارجيـة العـرب المعلومـات، فيمـا يخـتص بجميـع نواحي حرب فلسطين.

رأت القيـادة الصـهيونية بـأن " الجامعـة العربيـة " هـي مكتـب لاتحـاد

(*) الخطـة د: هي الخطـة العسكرية الصـهيونية الرئيسية، للسيطرة علـى فلسطين، أو علـى أكبر مسـاحة منهـا خـلال حـرب 1948، وتحويل فلسطين إلـى دولـة يهوديـة، بعد طـرد أهاليها العرب منها.

(1) غيرشـون ريفيلـين، الجانـان أورن (محـرران)، **ديفيـد بـن غوريـون/ يوميـات الحـرب 1947 - 1948**، ط1، ترجمـة: سـمير حبـور، بيـروت، مؤسسـة الدراسـات الفلسـينية، أيلول/ سبتمبر 1993، ص132 - 133.

(2) ديفيد بـن غوريـون، **إسـرائيل تـاريخ شخصـي**، الجـزء الأول، القـاهرة، مركـز البحـوث والمعلومات، د. ت.، ص258،

- حـرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص503 - 504.

فدرالي ضعيفًا جدًا بين عدة دول، فضلاً عن أنها هيئة قائمة، في حد ذاتها، سعت إلى زيادة نفوذها، وتقليص الاتجاهات الانفصالية، التي نبعت من المصالح المتناقضة للدول المشاركة فيها. ولم تظهر الخلافات التي كانت قائمة في شأنها، بين دول الجامعة، إزاء الخارج، مادامت مشكلة فلسطين تصل إلى مرحلة الحل الفعلي(1).

وإن اتضح للإسرائيليين بأن الدول العربية لن تبقى مكتوفة الأيدي، وأنها ستحاول تنفيذ تهديداتها، وفي البداية أملت الدول العربية بأن يقوم بهذا العمل العرب الفلسطينيون، بمساعدة متطوعين عرب مختلفين، لكن عندما اتضح لتلك الدول، في نهاية نيسان / أبريل 1948 (بعد احتلال الصهاينة طبرية، وحيفا، وتطويق يافا) انهيار القوات العربية المحلية، تمامًا، وأن كفة الميزان بدأت تميل لصالح الصهاينة، اتخذت الجامعة قراراتها، السابق ذكرها. ومنذ 5/14 (إعلان قيام دولة " إسرائيل ")، ودخول القوات العربية إلى أرض فلسطين، تغير تمامًا، طابع المعركة، السياسي، والعسكري، سياسيًا، أصبحت الحكومات العربية تتحمل كامل المسؤولية السياسية، والمالية، والعسكرية، التي ستترتب على ذلك، وعسكريًا، وضع الغزو جيوش الدول العربية، وقادتها في موضع الاختبار(2).

كانت محطات الإذاعة العربية، قد بشرت في نهاية تشرين الأول / أكتوبر 1947، بإنشاء جيش الجامعة العربية، كما وصلت أنباء عن

---

(1) **المصدر نفسه**، ص16.
(2) **المصدر نفسه**، ص 488، 503.

تمركز قوات عسكرية، مصرية، وسورية، ولبنانية، على حدود فلسطين، ووجد الصهاينة بأن الهدف من هذا النشاط، ممارسة ضغط سياسي على مجرى النقاش، في الجمعية العامة للأمم المتحدة. كما اتضح لهم بأن وضع الدول العربية، السياسي والعسكري، في تلك الأيام، لم يكن يسمح لها بأي إمكان للمساس بسيادة بريطانيا في فلسطين، فإن كان من الممكن التخوف من عمل متسرع، يقدم عليه هذا القائد أو ذاك، بموافقة خفية من البريطـــــــــــــــــــــــــــانيين، أو دون موافقتهم[1].

عملاء ورداءة جيش

روى الضابط الكبير في " الهاغاناة "، آنذاك، موشي ديان، عن عمله في هيئة الأركان العامة " الهاغاناة "، ضابطًا للشئون العربية، هو تجنيد العملاء، لتزويد الطرف الصهيوني بمعلومات عما يحدث بين القوات العربية غير النظامية في فلسطين، وعاونه كل من جيورازيد، وعوديد ياناي، وكانت لهما اتصالات ممتازة مع العرب والدروز في حيفا، وفي الشمال، كما حاول ديان، في مهمة سياسية وعسكرية - حسب قوله - تحويل العدو إلى محايد أو صديق. فطمأن الضابط الدروز، وعند انتهاء المفاوضات معهم، " وافقوا على عدم الاشتراك في الحرب، في المستقبل، بل إن بعضهم انضموا إلينا، وحاربوا إلى جانبنا! كان ديان مشوقًا إلى ترك العمل في المخابرات، والاشتراك عمليًا في المعارك، فقام بتشكيل كتيبة من الكوماندور، على إثر اقتراح عضو القيادة العليا

(1) **المصدر نفسه**، ص19.

للهاغاناة، اسحق صادح. وكانت الأهداف الأساسية للكتيبة طرد العرب الفلسطينيين، واحتلال قُراهم، وأمام دفاعات أهل القرى، طلبت من مَن معي: " التوقف عن استخدام الهوادة واللين " كما " أننا لن نضيع وقتًا في العناية بالجرحى، إلا بعد الوصول إلى الوادي، وإذا عجزت عربة عن التحرك، فيجب أن نتركها، وهناك قاعدة واحدة تتم، وهي: (اختراق، وتقدم، أطلق النار، وتقدم) " [1].

رأت إسرائيل بأنه لم يكن هناك نقص في عدد المتطوعين في " جيش الإنقاذ "، لكنها لمست نقصًا في الضباط والرقباء. وكان كثيرون من أصحاب الرتب، الذين تم تجنيدهم، من نوعية غير جيدة، " إن مستوى تدريب وحدات المتطوعين - ذكر تقرير صادر عن القيادة العربية، في نهاية آذار / مارس 1948 - أدنى من المتوسط، وقدرتهم القتالية منخفضة، ورجع هذا الأمر إلى قلة عدد الضباط، وتسليم القيادة في الوحدات إلى ضباط متقاعدين، أو ضباط صغار، وحتى رقباء، والنظام العسكري مهلهل جدًا ". وكان سلاح " جيش الإنقاذ " من نوعية رديئة، ومعظمه تشكيلة متنافرة من البنادق، وقطع الأسلحة الأخرى، مصدرها بقايا مستودعات سلاح الحرب العالمية الثانية[2].

فيما قال إسحاق رابين: " كان العرب قد بدأوا في استخدام الرصاص، الذي صنعوه محليًا، والذي كان يستطيع اختراق الدروع "

(1) موشى ديان، **قصة حياتي**، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، سلسلة " كتب مترجمة "،
(730)، القسم الأول، ص90، 107، 130.
(2) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص219 - 220.

.[1]

هذه دلائل صهيونية بحتة، على سوء السلاح العربي، وعدم التدريب الجيد، فيما يناقض الإسرائيليون أنفسهم، في غير موضع، بأن العرب امتلكوا أسلحة ضخمة، مدربين عليها، من عشرات السنين!.

رغم ذلك رأى رئيس الوزراء الإسرائيلي، آنذاك، بن غوريون بأن شهر المعارك، بداية من قدوم القوات العربية إلى الهدنة الأولى (1948/6/11)، أشق وأخطر فترة في " حرب الاستقلال "، فقد احتفظ العرب بالمبادأة، معظم الوقت، ولم تكن - حسب بن غوريون - العمليات التي بدأناها موفقة، دائمًا. وبدأت الأسلحة المشتراة من الخارج تصل، في بطء شديد. واستغرق وصول الأسلحة الثقيلة، التي كان للعرب فيها الميزة الكبرى، وقتًا كبيرًا[2].

مبالغة في الإعلام:

في بداية نيسان / أبريل 1948، شنت وحدات " جيش الإنقاذ "، بقيادة القاوقجي هجومًا قويًا على مستوطنة " مشما هعميك "، وبعد أن انتهت المعركة بهزيمة القاوقجي، لن تستطع أن تغطي عليها برامج " الكذب والتبجح " - حسب الرواية الإسرائيلية - التي كانت تبثها محطة اذاعة " صوت الإنقاذ "، حيث كان الأسلوب الدعاوي، الحافل بالمبالغات سمة مشتركة، لكل القوات العربية المحاربة، حيث كان " اعتيادًا على

---

(1) **مذكرات إسحاق رابين**، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة للاستعلامات، فبراير 1979، ص 37.

(2) بن غوريون، إسرائيل... **مصدر سبق ذكره**، ص257.

التزييف والمبالغة " (ويلسون). وظهرت في المطبوعات " أوصاف المعارك، وانتصارات وهمية، لا أساس لها في عالم الواقع " [1].

الموقف المصري:

رأى الإسرائيليون بأن مصر اتخذت موقفًا فاترًا جدًا من فكرة التدخل في الحرب، لأنها ترددت في أرسال قوات حقيقية من جيشها الصغير، الذي كانت في حاجة إليه لضمان أمنها الداخلي. وصدرت المبادرة للتطوع، لنجدة العرب، في مصر، أولاً، عن منظمة " الإخوان المسلمين "،

و " المكروهة " من جانب الحكومة، وانتظموا، في شباط / فبراير 1948، في كتيبة، وفي فجر 1948/4/10، حاول " الإخوان " مهاجمة مستوطنة " كفار داروم " المنعزلة. وانتهى الهجوم بهزيمة، وأدرك " الإخوان " أن أفضل السبل هي عدم مهاجمة نقاط يهودية منعزلة، وإنما إرغام الصهاينة على الدخول في معركة خارج مستعمراتهم، في ساحة مكشوفة. فإنقسمت الوحدات إلى عصابات صغيرة. وبحلول منتصف نيسان / أبريل، كان قد دخل منطقتي غزة، والنقب آلاف المتطوعين المصريين، من كل الأنواع. وفي الوقت نفسه، توصل " الإخوان " إلى اتفاق مع الحكومة المصرية عُين بموجبه ضباط مصرين لتدريب وحدات " الإخوان " [2].

---

(1) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص222 - 223.
(2) **المصدر نفسه**، ص223 - 224

استغلال صهيوني للهدنة:

ابتداء من قيام دولة إسرائيل، إلى يوم الهدنة الأ، لى 1948/6/11، قُتل - حسب الاحصائيات الإسرائيلة - 876 محاربًا إسرائيليًا، وحوالي 300 مدني، لكن الموقف العسكري الصهيوني تغير، وفي ذلك الشهر، فحصلت إسرائيل على مزيد من العتاد، وتدريب الجنود، وتوسعت وتطورت صناعة الأسلحة، في إسرائيل. وذكر بن غوريون، أنه في 6/3، أحرزت إسرائيل أول انتصار على القوة الجوية المصرية، باستخدام طائرات الداكوتا، مرشميت، التي وصلت، مؤخرًا، إلى الصهاينة، " ووضعت نهاية لتطوق العدو الجوي " (بن غوريون)، كما أكد بن غوريون بأن " خبراء العسكريين كلهم يؤيدون قيام الهدنة، لأنها ستتيح لنا فرصة لتدريب جيشنا " [1].

جاءت الهدنة الأولى، في الوقت الملائم لصالح الصهيونية. قال أحد القادة الإسرائيليين: " نزلت علينا كالندى من السماء " !، فقد كانت الوحدات متعبة، وخائرة القوى، وكانت الخسائر في كتائب سلاح المشاة عالية جدًا، وكان من الضروري منح الرجال فترة استجمام، لاسترداد القوى، وإرسال تعزيزات للكتائب، ولخص رئيس الحكومة، آنذاك، بن غوريون، الخطط لاستغلال الهدنة، في الجلسة التي عقدتها الحكومة المؤقتة، بتاريخ 6/14، وتوقف بين أمور أخرى، عند عدد من المشكلات: مشكلة إرسال المواد الغذائية والمؤن إلى القدس، وتحسين " طريق بورما "، وتوسيعه، مشكلة إيقاف نزوح اليهود عن القدس، مشكلة

(1) بن غوريون، إسرائيل... **مصدر سبق ذكره**، ص269، 272، 330.

رفع مستوى التدريبات والانضباط في الجيش، وإعادة تنظيم بنيته؛ مشكلة رفع مستوى الجهد القتالي لليشوف برمته، فضلاً عن زيادة الهجرة، وإقامة المستعمرات الجديدة بأسرع ما يمكن. وأكد الإسرائيليون بأنهم استغلوا الهدنة الأولى على أفضل ما يمكن، عسكريًا وسياسيًا[1].

قال رابين، إنه " بحلول أوائل حزيران / يونيو 1948، كانت جهودنا للحصول على السلاح قد بدأت تؤتي أُكلها، ولولا وجود الأسلحة التي أتتنا من تشيكو سلوفاكيا، والتي زودتنا بها بتوصية من الاتحاد السوفييتي، دون جدل، لكان من المشكوك فيه جدًا أن يكون بوسعنا المضي في حربنا للاستقلال. وتحسنت كذلك عملية التطوع، كما هيأت لنا الهدنة فرصة إدماج القادمين من معسكرات الاحتجاز في قبرص، في الوحدات المحاربة، كما هيأت لنا أن تقوم بتنظيم تشكيلات منفصلة " [2].

ذكر بن غوريون، في أواخر حزيران / يونيو 1948، " كانت قد أُحبطت مؤامرة تدمير إسرائيل، (فالغزو) العربي أبعد اليوم من النجاح، عما كانت عليه، منذ ثلاث أسابيع مضت، وتحتل جيوش إسرائيل مناطق متصلة أكبر مما كانت تحتله قبل الهجوم ". فيما شكا المصريون - والحديث لبن غوريون - للدكتور رالف بانش الأمريكي، المرافق لممثل الجمعية العامة للأمم المتحدة، السويدي الكونت فولك برنادوت، من تدخلنا في مشترياتهم من الأسلحة، والأعمال التخريبية للهاغاناة، في

(1) **المصدر نفسه**، ص293 - 294،
- حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص571 - 572.
(2) مذكرات...، **مصدر سبق ذكره**، ص49.
- وأيضًا: بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص356.

طائرات أُعدت في ورشة تصليح إيطالية، لنقل شحنة إلى مصر، كما استولينا على سفينة حملت أسلحة تشيكية كانت مباعة لسوريا، وأحضرناها إلى يافا، وأفرغنا شحنتها "، وأكمل بن غوريون، وقال بانش: " إن العرب يخشوننا، وأننا نغالي في كمية الأسلحة الموجودة تحت تصرفهم " [1].

قصة تلك السفينة أن سمسارًا سوريًا اشترى هذه الأسلحة، وعرفت " الموساد " بذلك، فأرسلت له فتاة لعوب، واستطاعت أن تحول السفينة إلى إسرائيل، بدل اللاذقية!

مع بداية الهدنة، شعر بن غوريون، بأنهم أحبطوا نية العرب القضاء على الدولة، بحملات خاطفة، وبحسب معلومات، كان من المفروض على العرب الوصول إلى حيفا، وفي 20 آيار / مايو، وإلى تل أبيب، والقدس، في 25 من الشهر نفسه. ويوم 6/10 أذاع بن غوريون على المستوطنين اليهود رسالة، بشأن الهدنة، وشرح بأن حكومته وافقت على الهدنة، لاعتبارين أساسين: الاستعداد لوقف القتال، لحظة توقف العدو عن القتال، ومبدأ العمل " عبر تفاهم متبادل وتنسيق " مع الأمم المتحدة[2].

وقد أكد الإسرائيليون بأن تاريخ الأشهر الأربعة الأولى للحرب هو تاريخ تكون تشكيلات عسكرية، وتدريبها، بصورة مكثفة، وشراء أسلحة،

(1) **المصدر نفسه**، ص474،
بن غوريون، إسرائيل...، **مصدر سبق ذكره**، ص311 - 316.
(2) بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص333 - 334.

قلبت الوضع، في ربيع 1948، رأسًا على عقب، وأدت إلى إلحاق هزيمة كاملة بالقوات العربية، المحلية، وغير النظامية[1].

في تقرير لبن غوريون، أمام الحكومة المؤقتة(1)، في اجتماعها الأول، في 5/16، تحدث عن اتفاقات في أوروبا لشراء أسلحة، قيمتها 19 مليونًا من الدولارات، وعن رحلة غولدا مائير (رئيسة الإدارة السياسية بالوكالة اليهودية) إلى الولايات المتحدة، لجمع الاعتمادات اللازمة (جمعت 500 مليون دولارًا)، " لقد اشترينا، بالفعل، 80% من الأسلحة التي تحتاج إليها، إلا أننا سنواجه وقتًا عصيبًا، إلى أن تصل إلى أيدينا. وغرضنا الأساسي، الآن، ليس الدفاع عن قرية أو أخرى، بل تدمير قوات العدو "[2] (بن غوريون). كما تطور سلاح الطيران الإسرائيلي، فضلاً عن اتساع نشاط " الهاغاناة "[3].

نفسية العرب:

إلى ذلك، لعب الإسرائيليون دورًا فعالاً في الناحية النفسية للعرب، داخل فلسطين وخارجها، ففي ليل 6/10، أي قبل الهدنة الأولى، تمامًا، - حسب الرواية الإسرائيلية - أقلعت في اتجاه دمشق طائرة " داكووتا "، حملت قنابل، فاق وزنها 2.5 طن، وحلقت فوق المدينة، مدة تزيد على

(1) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص229.
(2) بن غوريون، إسرائيل...، **مصدر سبق ذكره**، ص243 - 244،
- وللمزيد عن رحلة جولدا لأمريكا، لجمع المال، انظر:
- سيركين، **مصدر سبق ذكره**، ص 119 - 125.
(3) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص233،
- وعن الصناعة العسكرية ومشتريات السلاح: **المصدر نفسه**، ص401 - 430.

30 دقيقة، ألقت خلالها قنابل، وكـان التـأثير النفسـي علـى اهـالي دمشـق " هائلاً ". وقد خسر العرب، فـي شـهر المعـارك طـائرتي " داكوتـا "، وأربـع طائرات " سبيتفاير "، وطـائرة " هارفـارد " واحـدة، ووقـع فـي الأسر ثلاثـة طيـارين مصـريين[1]. كالنـت 3 طـائرات إسـرائيلية قصـفت، فـي 6/1، العاصـمة الأدرنيـة عمـان، حيث ألقـت 3/4 طـن مـن المتفجـرات[2]. فقد اعتبر الإسرائيليون، وعلى لسان بن غوريون، " الحرب بالنسبة لنا حربًا هجومية "، لذا ضربوا العرب في سوريا، ولبنان، وشرق الأردن. أضـاف بن غوريون بأن وزير الخارجيـة البريطانيـة، آنذاك، إرنسـت بيفن، منـع اليهود، ممن في سن التجنيد، من مغـادرة قبـرص إلـى إسـرائيل، إلا أن " رأيه لا يلزمنا بشيء، ولسوف نرفض الحظر على شحنات الأسلحة " [3].

فيما حاول الصـهاينة اللعب علـى نفسية العـرب، قـال بـن غوريـون: " ينبغي لـي أن امتدح العدو، فالفيلق العربي، قوة عسكرية مدربـة، شـديدة الضبط والربط، تتحلى بالشجاعة، وتحظى باحترام رجالنا، فـأفراد الفيلـق يعرفـون ماهيـة الجـيش، فهـم لا يولـون الأدبـار، كمـا أنهـم قـادرون علـى اقتحام الموقع، كلما كان ذلك ضروريًا. والجندي المصري مقاتل، أيضًـا، قائده لا يفتأ يدفعه للقتال، ولكنه يقاتل باستبسال " [4]. أردف بن غوريون: " المصريون منضبطون، لكن نجاحهم في استخدام الأسلحة الخفيفـة لـيس كبيـر، فعنـدما يكابـدون إصـابات تـنخفض معنويـاتهم، تنظـيم الإمـداد لـيس

(1) **المصدر نفسه**، ص 565 - 566

(2) بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص376.

(3) بن غوريون، إسرائيل...، **مصدر سبق ذكره**، ص318، 331.

(4) **المصدر نفسه**، ص343.

جيدًا " [1]. كما تحدث آخرون عن تدهور معنويات " الإخوان المسلمين "، بعد ايقاع خسائر كبيرة لهم، مما أحدث تأثيرًا سيئًا في نفوسهم، وبعث فيهم الكآبة[2].

فضلاً عن ذلك، أشاع الإسرائيليون، بأن رجال " جيش الإنقاذ " لم ينجحوا، في كسب ود العرب المحليين، " الذين رأوا فيهم عزباء، يتصرفون بعنجهية، وأنهم تصرفوا مع الأهالي تصرف الغزاة مع المحتلين، فجمعوا الأسلحة، وباعوها، وفرضوا الغرامات، وصادروا السيارات، ووصل الوضع إلى حد أن السكان باتوا يخشون حماتهم، أو مخلصيهم، أكثر مما يخشون اليهود أعدائهم " ![3]

تشتت وإستهانة:

عمومًا، رأى بن غوريون، بأن العرب دخلوا حرب 1948 منقسمين، ومختلفين، ولا يجمع بينهم هدف واحد، وكان انقسامهم واختلافهم مصلحة إسرائيلية، نجح الصهاينة في توظيفها، إلى اقصى حد ممكن. مما يؤرق بن غوريون " الوحدة العربية ". وفي يومياته اعرب، غير مرة، عن خشيته من قيام زعيم عربي، بقيادة العرب في طريق العرب. وكتب: " الويل لنا إذا كنا لا نعرف كيف نستغل هذا الوقت، كي ننمو ونتحصن، ونمتلك مكانة في العالم، ونقترب من الشعب العربي ". فقد دأب الصهاينة، منذ بداية حركتهم، على الاتصال بالقوى العربية المختلفة خارج فلسطين، واستطاعوا أن يضعوا أصابعهم على الخلافات

(1) بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص355

(2) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص545.

(3) للمزيد، **المصدر نفسه**، ص222 - 223.

والصـراعات بين هذه القوى، ووظفوهـا لخدمـة أهدافهم. إن مـن يراجـع كتاب أهرون كوهين، عن إسرائيل والعالم العربي، لا يجد إلا الإتصالات والحوارات واللقاءات مع العرب فـي فلسطين، وفـي خارجهـا، بحثًا عمـا سماه الصهاينة " الوفاق " أو " الاتفاق "، وكان بـن غوريـون لا يعـارض ذلـك، الـذي رأى أن القـوة وحدهـا أداة لتحقيـق هذه الأهداف، ولكـن القـوة المطلقة كذبة مطلقة، وحدود القوة كما قال بن غوريون " الوحدة العربية "[1].

كانت الاستهانة العربية بقوة العدو الصـهيوني، أحد أسباب النكبـة، فمثلاً، فـي 5/28، تـم اسـترداد البلـدة القديمـة لمدينـة القدس، علـى أيـدي الفيلـق العربـي، وكـان ذلـك النجـاح الأول للفيلـق، بعـد أن شـاهد عـدد المقاتلين، وكمية الأسلحة - حسب الرواية الإسرائيلية - " لـو عرفنـا بـأن هذا هو الخصـم الـذي نقاتلـه، لكنـا هاجمنـاكم بالعصـى، لقد ابتـززتم منـا، عمليًا، شروط (استسلام)، بعد أن تم احتلال الحي "[2].

كما أشار الصهاينة إلى صعوبة لفظ حرف الــ P علـى العرب، ممـا أحبط نواياهم في بعض العمليات، رغم وجود حالات اكتشف فيها العرب الشيفرة التي وردت بها حرف الـ P[3].

ماذا لو؟:

في فترة الهدنة، سـأل بـن غوريـون، فـي حـال تجـدد الحـرب - وإنهـا

(1) عبد العـال البـاقوري، " إسـرائيل " فـي السـتين، مفتـرق مصـيري، **العربـي** (القـاهرة)، 2008/5/11.

(2) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص533.

(3) **المصدر نفسه**، ص575 - 576.

ستتجدد - كيف ننتصر؟ علينا أن نقرر أين نستطيع إنزال الضربة المهلكة وبمن[1]. وأكد، في اجتماع، تم يوم 1948/12/18، بأن " هدفنا الرئيسي، الآن، هو السلام " !. وحذر من ا، " نعتز بانتصاراتنا ". وأضاف أن الهجرة تتطلب وضع حد للحرب، وأن ما نحتاج إليه، في المستقبل، هو السلام والصداقة مع العرب " ![2].

لقد تمت اتفاقيات الهدنة، في رودس، مع كل من مصر (1949/2/24)، ولبنان (1949/3/23)، والأردن (1949/4/3)، وسوريا (1949/7/20)[3].

فيما اعتبر رابين أنه " بانتهاء عملية (يوآف)[*] أصبحت (حرب الاستقلال) حربًا إسرائيلية - مصرية، بالفعل، نظرًا لأن الوحدة بين العرب كانت قد تحمت، كما أن بقية الجبهات ظلت مستكينة[4].

في آيار / مايو 1949 قُبلت إسرائيل عضوًا في الأمم المتحدة، قبيل مرور عام على إعلان قيام الدولة. وفي هذه المناسبة تساءل بن غوريون، لو قبل العرب قراري الأمم المتحدة، الصادرين يوم

(1) بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص423 - 424.
(2) ديان، **مصدر سبق ذكره**، ص 146.
(3) عن الاتفاقيات، انظر:
- حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص701، 705 - 707.
- بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص553، 563، 571، 619 - 620، 707 - 710.
(*) يوآف: كان الهدف الأول والأساسي لإسرائيل، لهذه العملية، شق ممر إلى النقب وحمايته، وتحطيم القوات المصرية. (انظر: حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص629.
(4) مذكرات...، **مصدر سبق ذكره**، ص58.

1947/11/29، بشأن التقسيم، كما قبلتها إسرائيل؟ وبموجب الأمم المتحدة، كانت إسرائيل ستحصل على مساحة تبلغ نحو 15 ألف كم، وكان فيها يوم إعلان الدولة، نحو 650 الف يهودي، و450 ألف عربي، لكن " في الواقع تسبب العرب " زيادة المساحة لتتجاوز 20.5 الف كم، وبقى داخل حدود " الدولة " نحو 170 ألف عربي فقط، أما عدد اليهود، فقد ارتفع، بفعل موجات الهجرة التي تلت الحرب إلى أكثر من 950 ألفًا[1].

وبعد،

فقد اتفق الإسرائيليون، في رصد أسباب نكبتنا، على ضعف العرب، داخل فلسطين وخارجها، وصراعهم، وتورط أحد القادة العرب فضلاً عن أناس آخرين، مع الصهيونية. غير تمويل العرب في قدراتهم، وتهوينهم في قدرات العدو. فيما ناقض الإسرائيليون أنفسهم، بشأن سلاح العرب، وقوتهم، ومدحهم للعدو. وبقى سؤال بن غوريون، للرد عليه، هو ما وصلنا إليه الآن، فسواء رضي العرب بقرار التقسيم، أم لم يرضوا، فإن إسرائيل كانت ستقوم بكل أعمالها العدوانية، لتحقيق حلمها الصهيوني " من النيل إلى الفرات "، مع ملاحظة أن القيادة الصهيونية تظاهرت بقبول قرار التقسيم، وإن ضمرت رفضه!.

* * *

---

(1) بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص751

الفصل الثالث عشر:
من اليبشوف إلى الدولة

أحمد منصور إسماعيل

مثلت حرب 1948 نقطة الانطلاق الأساسية لأهم مراحل المخطط الصهيوني، في فرض وإثبات االسيادة اليهودية على أرض فلسطين، كما اعتبرت تلك الحرب انقلابًا ونقطة تحول في تنفيذ المشروع الصهيوني، وفي تطبيق سياسة الاستيطان اليهودي؛ حين اندفعت القيادة الصهيونية الجديدة، بزعامة بن غوريون - زعيم صهيونيي الداخل - إلى حرب عام 1948، وأعلنت قيام دولة إسرائيل، بعد أن فصلت هذه القيادة المشروع الصهيوني عن المشروع الإمبريالي البريطاني. حيث انتهزت فرصة ترتيبات ما بعد الحرب العالمية الثانية، والتنافس بين مراكز القوى العالمية، ونشطت القوى الصيهونية في السعي نحو تحقيق هدفها وغايتها المرحلية؛ فتولى حاييم وايزمان العمل السياسي الخارجي، وتزعم بن غوريون العمل السياسي والعسكري في الداخل.

في أعقاب إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة، في ظروف غاية في السوء، قرارها القاضي بتقسيم فلسطين، في نهاية عام 1947، وإعلان بريطانيا انسحابها من فلسطين، في أقرب وقت ممكن؛ بادر المجلس الصهيوني العام - السلطة التشريعية الصهيونية العليا - بإعلان تشكيل (المجلس الوطني)، وانشاء (الإدارة الوطنية)، وبعد أقل من شهر واحد أعلن بن غوريون - رئيس كل من اللجنة التنفيذية الصهيونية واللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والإدارة الوطنية - قيام دولة إسرائيل،

في 14 مايو/آيار1948. كما سيطرت اللجنة الصهيونية للوكالة اليهودية على الحكومة المؤقتة، وتولى بن غوريون رئاسة الحكومة ووزارة الدفاع، في آن، وتم استدعاء وايزمان ليصبح أول رئيس للدولة الجديدة [1]. وهذا يوضح مدى سيطرة بن غوريون وتياره - والذي تزعم الحركة الصهيونية منذ العشرينيات - على مؤسسات الييشوف، التي تعتبر (الدولة الصهيونية في طور التكوين) كخطوة أولى، فدولة إسرائيل ما هي إلا (ييشوف متطور)، سعى من خلالها بن غوريون إلى التحول من (مركزية الييشوف) إلى (مركزية دولة إسرائيل).

كان النظام السياسي لليشوف يتكون من هيئتين رئيسيتين:

(1) - المجلس القومي اليهودي، والذي أنشئ عام 1928، بناء على تشريع صدر في عهد الانتداب، وكان يتولى الشئون الداخلية التي تهم " الييشوف ".

(2) - الوكالة اليهودية، وتحددت مهمتها بإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين، بجانب تولي الشئون الخارجية " لليشوف "، فيما يتعلق بالاتصال بين اليهود في فلسطين، وبين حكومة الانتداب، واليهود في الخارج [2]. وكانت الوكالة اليهودية مكونة من ممثلين للحركة الصهيونية العالمية.

---

(1) أسعد عبد الرحمن، **المنظمة الصهيونية العالمية، البدايات والمؤسسات والنشاطات و الصراعات 1882 - 1982**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط- 1، 1985، ص- 130.

(2) د. عبد الحميد متولي، **نظام الحكم في إسرائيل، الكلام عن الأحزاب ومبادئها وآثار حرب أكتوبر عليها**، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط- 2، 1979، صـ36.

كانت عصبة الأمم أقرت مشروع " صك الانتداب " علـى فلسطين، في 24 يوليو/تموز1922، اعترفت فيه بوعد بلفور، ونصت بصورة خاصـة علـى إنشـاء وكالـة يهوديـة تسدي المشورة والمسـاعدة للحكومـة البريطانية، فيما يتعلق بعملية الإنمـاء اليهودي وحاجاتـه، ثم خولت هذه الوكالـة صـلاحية القيـام بتنفيذ المشـاريع العامـة، ممـا جعل طبيعـة تلك المشاريع تضفي على الوكالة المذكورة صفة هيئة عامـة شـاملة السلطات وتعمل إلى جانب الإدارة البريطانية [1].

دشن الإعلان عن قيام دولة إسرائيل، مرحلة جديدة في تاريخ سياسة الاستيطان اليهودي في فلسطين، كمًا ونوعًا، تحول فيه النشاط الصهيوني مـن مرحلـة الإسـتيطان، كقاعـدة إقتصـادية تحـاول اكتسـاب الاعتـراف السياسـي، إلـى دولـة مؤسسـات ذات سـيادة، تحـاول تحصـين مـا قـد تـم إنجـازه، حتـى الآن، وإيجـاد المـدى الحيـوي للدولـة، باعتبارهـا كائنًـا عضويًا، سواء من الناحية السياسية، أو الإجتماعية، أو الإقتصادية.

أولاً - من ناحية البنية السياسية:

عقب إعلان قيام دولة إسرائيل، في مـايو/آيـار 1948، تكونت أول إدارة سياسـية لهـذه الدولـة، مـن ثـلاث هيئـات:(أولهـا)، مجلـس الدولـة المؤقت، والذي تكون من 38 عضوًا، 12 من أعضاء المجلس التنفيذي السابق، 11 عضوًا من الوكالة اليهودية اللجنة التنفيذية، 12عضوًا من الأحزاب والجاليات التي لم تمثل في هذه الأجهزة، كانوا يمثلون في عهد

(1) أنجيلينا الحلو، **عوامل تكوين دولـة إسرائيل، السياسية والعسكرية، والاقتصـادية**، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، أغسطس/آيار 1967، صـ33.

البيشوف، المجلس الوطني، (ثانيها)، الحكومة المؤقتة (مجلس الوزراء)، ويتكون من 12 وزيرًا انتخبهم المجلس من بين أعضائه، برئاسة ديفيد بن غوريون، والذي كان في عهد البيشوف يمثل اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، (ثالثها)، رئيس الجمهورية، ينتخبه مجلس الدولة [1].

أما عن المنظمة الصهيونية العالمية في علاقتها مع دولة إسرائيل، فسنجد أن الشخصيات البارزة في تلك المنظمة الصهيونية، قد احتلوا، بعد إعلان قيام دولة إسرائيل، المراكز الرئيسية في تلك الدولة الجديدة، وأصبح القسم السياسي للوكالة اليهودية قد تحول، بعد إنشاء دولة إسرائيل، ليصبح وزارة خارجية إسرائيل، كما اختفى القسم الخاص بالشئون التجارية والصناعية، وكذلك قسم الشئون المالية، ولكن المنظمة الصهيونية العالمية استمرت، وظلت الأقسام الأخرى في الوكالة اليهودية، مثل الأقسام الخاصة بمسائل الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، والمستعمرات الزراعية بإسرائيل، والعمل على امتصاص البلاد للمهاجرين، استمرت كذلك [2].

ويوضح هذا أن التشكيل الذي تكونت به السلطة المؤقتة، بفرعيها التشريعي والتنفيذي في الدولة الصهيونية، منسجمًا مع مخططات وأيديولوجية بن غوريون، فبعد أن سيطر على مؤسسات " البيشوف "، كخطوة أولى، قام بتوظيف تلك المؤسسات في عملية التحكم بالمؤسسات

(1) علي محمد علي، **في داخل إسرائيل، دراسة كيانها السياسي، والاقتصادي**، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، د. ت.، صـ29.
(2) الحلو، **مصدر سبق ذكره**، صـ42:43.

الصـهيونية في الداخل والخارج، كخطوة ثانية، " إن مصير الدولة يـرتبط بمصير يهود العالم، والعكس بالعكس.... ومن المشكوك فيـه أن تستطيع إسرائيل البقاء على قيد الحياة، وألا ينقرض يهود الدياسبورا بواسطة قتل الرحمـة أو الاختنـاق، دون الأواصـر المتبادلـة التـي تشـد إسـرائيل إلـى مجتمعات الدياسبورا " [1]. بعدها انتقل بن غوريون، إلى استخدام كل تلك البنـى المؤسسـاتية، مـن أجـل اقامـة الدولـة الصـهيونية، والاستيلاء علـى صناعة القرار فيها كخطوة ثالثـة، تمهيدًا للخطوة الرابعة، والتـي حـاول فيها بن غوريون، إخضاع المنظمـة الصـهيونية العالميـة، رسميًا وقانونيًا هذه المرة، لسلطة " إسرائيل " التي بيد بن غوريون كل مرافقها، بما فيها منصب رئيس الدولة؛ فعندما عرض بن غوريون علـى وايزمـان منصـب رئـيس الدولـة، وجـد الأخيـر أن منصـبه خـال مـن أيـة سـلطات حقيقـة، ولايوجد سوى ممارسة سلطات تمثيلية، كمـا رئـيس الجمهوريـة الفرنسـية وقتها، وصلاحيات وايزمان تجعله " ملك الصـهيونية " الشكلي، لـيس إلا [2]. وقـد أدى هـذا إلـى تبـاين شـديد بـين الجنـاح الإسـرائيلي، وبـين الجنـاح الصـهيوني في الخارج، حول من يخضع للآخر، وتميزت السنوات القليلة التاليـة لقيـام اسـرائيل بصـعود حـاد فـي التـوتر السياسـي، بـين القيـادة الإسرائيلية، والقيادة الصـهيونية فـي الخـارج، حتـى امتـد الصـراع ليشـمل الجاليـات والمنظمـات اليهوديـة غيـر الصـهيونية. لكـن بـرغم هـذا، أكـدت الدورة الرابعة للمجلس الصـهيوني العام، على بقاء أنشطة للمنظمة تـدخل

(1) د. أسـعد رزّوق، **إسـرائيل الكبـرى، دراسـة فـي الفكرالتوسـعي الصـهيوني، جــ(1)**، بيروت، دار الحمراء للطباعة والنشر، طـ3، 1991، صــ466.

(2) أسعد عبد الرحمن، **مصدر سبق ذكره**، صــ130.

في صلب مهمات الحكومة، وهي: الهجرة، استيعاب المهاجرين، الاستيطان الزراعي، هجرة الأحداث والشباب، الشؤون الإقتصادية، إنماء القدس وتطويرها، أمانة الصندوق، العلاقات العامة، التنظيم والإعلام، النشاطات التربوية في الشتات، الدائرة الفرعية للشؤون اليهودية في الشرق الأوسط [(1)].

وهذا يفسر أن دولة لدى إسرائيل، الإصرار على إشراك يهود العالم أجمع في تدعيم الدولة الصهيونية، ومدها بالأموال والمساعدات والموارد البشرية، على أساس أنها تعتبر نفسها نتاج اليهود جميعًا وصنيعتهم، بينما هي، في الأصل، صنيعة الاستعمار والفكر الصهيوني المتطرف.

لذلك يعتبر الحكم في إسرائيل، بعد قيامها، امتدادًا للحكم الذاتي الذي منحه الانتداب البريطاني، للمستوطنين اليهود في فلسطين، بموجب " صك الانتداب "، وحكومة اسرائيل الأولى، التي تشكلت فور " إعلان الاستقلال " (1948)، ولم تكن تلك الحكومة سوى الوكالة اليهودية (فرع فلسطين)، بمؤسساتها المختلفة، مع تغيير الإسم، وحل محل حكم الانتداب، الحكم الذاتي للمستوطنين اليهود في فلسطين، معلنًا قيام دولة إسرائيل، وأخذ يطور ذاته، بما يتوافق مع الواقع الجديد، المتشكل، آخذًا في الاعتبار الطبيعة الاستيطانية لإسرائيل، كونها دولة مستوطنين، فاتخذ نظام الحكم فيها النظام البرلماني الرئاسي، الذي يمارس الديموقراطية، ويفصل بين السلطات الثلاث الرئيسية في الدولة: التشريعية، والتنفيذية، والقضائية؛ لكنه، من جهة أخرى، ميّز ضد الفلسطينيين العرب في

---

(1) **المصدر نفسه**، صـ137.

الأراضي المحتلة، ومارس ضدهم التفرقة السياسية والاجتماعية و الاقتصادية، على حد سواء.

واجهت إسرائيل، أيضًا، في تحولها من نظام " اليشوف " إلى نظام " الدولة "، النظام القانوني الذي ستستند إليه في إعلان الدولة. رسميًا اتخذت إسرائيل شكل الدولة، بعد صدور قرار الأمم المتحدة، في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، القاضي بإقامة دولتين في فلسطين، أولهما يهودية والأخرى عربية، مع إبقاء القدس تحت نظام دولي خاص. لكن، فعليًا، استند مؤسسو دولة إسرائيل، في إقامة هذا الكيان، إلى ما أسموه " الحق الطبيعي والتاريخي للشعب اليهودي "، بجانب قرار التقسيم. فضلاً عن اعتراف الدول بها، ومنحها حقوق الدولة والسيادة على القسم المخصص لها في قرار التقسيم [1]. وعقب إقرار " بيان الاستقلال "، أعلن بن غوريون تشكيل " مجلس الدولة المؤقت "، وكذلك " الحكومة المؤقتة "، وتم الإبقاء على القوانين التي كانت سارية قبل إعلان الدولة، وهي قوانين الانتداب البريطاني على فلسطين، والتي شملت:

1- القوانين التي سنها البرلمان البريطاني، والمراسيم الملكية البريطانية المفروضة على فلسطين.

2- القوانين التي سنها المندوب السامي على فلسطين، بما فيها الأمظمة والأوامر الفرعية كافة.

---

(1) د. إلياس شوفاني، **إسرائيل في خمسين عامًا، المشروع الصهيوني من المجرد إلى الملموس**، دمشق، دار جفرا للدراسات والنشر، جـ3، طـ1، 2002، صـ46.

3- القوانين العثمانية التي كانت سارية المفعول على فلسطين، في نوفمبر/تشرين الثاني 1914، والقوانين العثمانية اللاحقة، حتى بدء الحكم البريطاني فيها.

4- الشرائع الدينية السماوية الثلاث، المعنية بشئون الأحوال الشخصية.

5- مبادئ القانون العام وأسس العدالة الدارجة في بريطانيا، في حال عدم وجود قانون صريح بشأن الموضوع في فلسطين [1].

كما تم وضع نظام (القانون والإدارة) للدولة المعلنة، في 19 مايو/آيار 1948، الذي نقلت بموجبه صلاحيات حكومة الانتداب إلى حكومة إسرائيل، والذي تضمن النظام القانوني للدولة، والقضايا المتعلقة بفرض الضرائب، وتنظيم قروض الدولة، وميزانيتها، وتنظيم القوات المسلحة، وتسجيل المؤسسات التجارية والجمعيات التعاونية، مع ضرورة نشرها في الجريدة الرسمية (رشرعوت). ووضعت الحكومة الإسرائيلية المؤقتة، بجانب هذه القوانين، بعض القوانين الأخرى اللازمة، لتثبيت كيانها، وخدمة أهدافها الصهيونية؛ مثل قانون العودة (1950)، قانون أملاك الغائبين (1950)، قانون أملاك الدولة (1951)، قانون الجنسية (1952)، قانون امتلاك الأراضي (1953)، فضلًا عن الشرائع العبرية

(1) للمزيد انظر:

Dan Horowitz, Moshe lissak: Origins of the Israeli polity, Palestine under mandate. Chicago univ press. 1978. PP186: 212.

واليهودية، مع تقليص الاعتماد على المفاهيم الإنجليزية [1].

واجهت إسرائيل، عقب قيامها، مشكلة دستورية، وحتى الآن لاتملك إسرائيل دستورًا مكتوبًا وكامًلا، يضع حدودًا للدولة جغرافيًا، وبشريًا، وسياسيًا، ويضع الأساس للعلاقة بين السلطات، بشكل محدد، كما يوضح علاقات الأفراد بالدولة، وحقوقهم، وواجباتهم. وقد بينت المحكمة العليا في إسرائيل " أن إعلان الاستقلال، هو إشهار قيام الدولة، على الصعيد الدولي، لكنه ليس قانونًا دستوريًا، يمكن من خلاله وضع معايير لدستورية القوانين والتشريعات الأخرى ".

بتاريخ 30 نوفمبر/تشرين الثاني 1947، نوقشت مسألة وضع دستور الدولة، وكلفت الوكالة اليهودية لجنة من القانونيين بوضع مشروع للدستور، وقدم المشروع للحكومة المؤقتة، التي أدخلت عليه تعديلات، ونشرته، في 9 ديسمبر/ كانون الأول 1948، لكنه أثار جدلاً بين مختلف الاتجاهات السياسية والدينية المختلفة، وذلك بسبب الخلافات الحادة التي نشأت بينهم في موضوعات مهمة، مثل: الدين، القومية، الحدود، الحقوق الأساسية للمواطن، حقوق الأقلية العربية، ومكانتها، لهذا لاتزال إسرائيل، بلا دستور ثابت ودائم [2].

---

(1) صبري جريس، أحمد خليفة: **دليل إسرائيل العام**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، 1996، ص4.

(2) انظر:

Israel pocket library: Democracy, keter publishing house Jerusalem Ltd. 1974. PP 71:76

لكن يبدو أن مسألة عدم وضع الدستور، ليس، في جوهرها، ما أحدثه مشروع الدستور من خلافات بين مختلف الأحزاب والتيارات، ولكنه تعمد من القيادة الصهيونية؛ ويتضح هذا في مقدمة الكتاب التي كتبها بن غوريون في (الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل)، عام 1952، " إن دولة إسرائيل قد قامت فوق جزء من أرض إسرائيل "، ليأتي هذا بمثابة إعلان على التأكيد، لكون التوسع الصهيوني في طليعة الأهداف التي تجاهر بها ((دولة إسرائيل الصغرى))، فالدولة لاتشكل هدفًا، في حد ذاته، وليست تجسيدًا كاملاً " للرؤيا الصهيونية "، بل هي مجرد الهدف الأسمى (الصهيونية)، " إنني اعتبر المقدمة الكبرى، الرئيسية التي تحتل مركز الصدارة في تفكيرنا بأسره، لا بل توجه حركتنا وسياستنا بأجمعها، هي التالية: بأن الدولة ليست هدفًا في حد ذاته، بل هي وسيلة إلى الهدف، والهدف هو الصهيونية " [1]. وهذا يتعارض مع وضع دستور يقيد الدولة اليهودية، ويحد من تنفيذ أهدافها التوسعية، على اعتبار أنها دولة لم تأت مطابقة لأرضها أو شعبها، وأنها قامت فوق جزء من " أرض إسرائيل ".

بعدما أثارته مسألة وضع الدستور، حسم هذا المشروع بالتجميد، بواسطة حزب " مباي "، الذي كان يتزعمه بن غوريون، والذي رأى تأجيل المناقشة " لعدم استكمال المشروع الصهيوني " !. وعقب الانتخابات العامة، في 25 يناير/ كانون الثاني 1949، دعيت الجمعية التأسيسية - مجلس الدولة المؤقت في السابق - للانعقاد من أجل مناقشة

(1) انظر: شوفاني، **مصدر سبق ذكره**، صـ51.

مشـروع الدسـتور، فـي 16 فبرايـر/شـباط 1949، إلا أن حكومـة بـن غوريون طرحت مشروعًا آخر، هو " قـانون الانتقـال "، بـديلاً لمشـروع الدستور، واقترحت، أيضًا، تأجيل البحث فيه إلى أجل غير مسمى؛ وتمت الموافقة على إقرار " قانون الانتقال "، الذي جاء مكمـلاً " لنظـام القـانون والإدارة " (1948) [1].

في 8 مارس/ آذار1949، أعيد طرح مشروع الدستور، واستمر النقـاش دون نتيجـة، حتـى 13يونيـو/حزيـران1950، حينمـا تقـدمت الحكومة بحل وسط، أقرته الكنيست، بأغلبية 50 صوتًا ضد 30 صوتًا، وامتنـاع 40 عن التصويت، ونـص القـرار علـى وجـوب وضـع دسـتور مكتـوب لإسـرائيل، مـع عـدم ضـرورة الإسـراع بإصـداره، وأن يـتم ذلـك تدريجيًا، عبر صياغة قوانين عادية، تتضـمن الأحكام الدسـتورية للدولـة، وتعرض تباعًا على الكنيست لإقرارها، ويمكن جمعها، لاحقًا، فـي وثيقـة واحدة [2].

كما أقر الكنيست عددًا من القوانين الأساسية ذات الطابع الدستوري، والتـي تعتبـر بمثابـة الدسـتور، ومـن أهـم هـذه القـوانين الأسـاسـية: قـانون الكنيسـت، قـانون أراضـي إسـرائيل، رئـيس الدولـة، الحكومـة، الجـيش، أمــلاك الدولــة، القضــاء، مراقبــي الدولــة، قــانون نقـل رفــات هرتسـل (1949)، قانون العودة (1950)، القوانين التي تحدد العلاقة بين كل من المنظمة الصهيونية العالمية، وإسرائيل(1952)، الصـندوق القـومي

(1) انظر: أسعد رزّوق، **مصدر سبق ذكره**، صـ448.
(2) انظر: شوفاني، **مصدر سبق ذكره**، صـ52.

اليهودي (1953)، الصندوق التأسيسي(1956)، وقانون التعويض عن الاضطهاد النازي(1957)، ومحرقة الهولوكوست(1959)، وأكثر من 1400 قانون ولائحة، تم إقرارها ضمن قوانين التشريع [1].

السلطة التنفيذية في إسرائيل:

فتتألف من رئيس الدولة، ومجلس رئاسة الوزراء، وعقب " إعلان الاستقلال "، وقيام دولة إسرائيل، انتخب حاييم وايزمان، رئيسًا للدولة بتاريخ 16 فبراير/شباط 1949، وفي اليوم التالي عهد وايزمان إلى بن غوريون، رئيس حزب " المباي "، بتأليف الوزارة، بعد أن حاز الماباي - سلف " العمل " - على أغلبية المقاعد التأسيسية [2]. وقد حدث خلاف بين وايزمان وبن غوريون، حول مسألة النظام الرئاسي، حيث كان يؤيد وايزمان نظامًا رئاسيًا، يتمتع فيه الرئيس بسلطات واسعة، كالنظام الأمريكي، بينما كان بن غوريون يؤيد النظام الرئاسي، الذي يعتمد على رئاسة الحكومة، مع بقاء منصب رئيس الدولة، كمنصب إداري، مثله مثل النظام الفرنسي، قبل عهد ديغول، ومع رؤية بن غوريون في فرض " مركزية إسرائيل "، نجح في فرض رؤيته.

معروف أن منصب رئيس الدولة في إسرائيل، منصب شرفي، ويجب أن يكون مترفعًا عن الانشقاقات الحزبية بمجرد انتخابه، بالاقتراع السري، وهذا يجعله مفتقرًا إلى المشاركة الشعبية، حيث لادخل للشعب في انتخابه. وتقتصر صلاحيات رئيس الدولة، على تعيين رئيس الوزراء

(1) **المصدر نفسه**، صـ52.
(2) انظر:

Israel pocket library: Op. cit. PP. 71:76.

الحائز على أغلبية مقاعد الكنيست، وتكليفه بتشكيل الوزارة، لكن لايحق له حضور اجتماعات مجلس الوزراء أو الاشتراك فيها، إلا إذا طلب منه رئيس الوزراء [1].

أما البرلمان الإسرائيلي:

فيمثل السلطة التشريعية في نظام الحكم في إسرائيل، ومصدر سلطة الحكومة المسئولة أمامها. وعليه فالكنيست هي الهيئة المركزية في النظام السياسي الإسرائيلي؛ ومنذ عهد الييشوف، وحتى قيام دولة إسرائيل، مر الكنيست بمرحلتين: **الأولى**، حيث كان في عهد الانتداب البريطاني يسمى (مجلس الشعب)، وقد تأسس، في 19 إبريل/ نيسان1920، عبر انتخابات عامة للمستوطنين اليهود في فلسطين، وفي الاجتماع الأول أعلن أنه المؤسسة العليا، وممثل الكيان الصهيوني الوحيد في الشئون الخارجية والداخلية، ما أصبح يملك الصلاحية التشريعية والقانونية في جميع الأعمال. **والثانية**، بعد أن تم " إعلان الاستقلال "، حيث تحول إلى (مجلس الدولة المؤقت)، عندما اتخذت اللجنة الوطنية، بالتشاور مع اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (فرع فلسطين)، قرارًا بتشكيل حكومة مؤقتة، ومجلس دولة مؤقت، بمجرد أن ينتهي الإنتداب البريطاني، في 15 مايو/آيار1948، وتشكل المجلس من 37 عضوًا، 14 من اللجنة الوطنية، 12من الوكالة اليهودية، 11من منظمات وهيئات مختلفة، وبعد إعلان قيام دولة إسرائيل، تركزت الجهود في وضع التشريعات الرئيسية

---

(1) انظر:

Krains, Oscar: Government and politics in Israel. Boston. Houghton Miflin Company. 1971. P. 26

اللازمة لتسيير شئون الدولة، وبدأ بإلغاء شروط الكتاب الأبيض (1939)، الذي يقيّد هجرة اليهود إلى فلسطين، وامتلاكهم الأراضي فيها، ثم وضع قانون التنظيم والإدارة(1948)، الذي نقل صلاحيات الحكم إلى حكومة إسرائيل، كما وضعت إجراءات الانتخابات العامة، وبالتالي عمل إحصاء عام للسكان [1]. وعقب الانتخابات العامة، في 25يناير/كانون الثاني1949، اجتمعت الجمعية التأسيسية، في مبنى الوكالة اليهودية بالقدس، في 14 فبراير/شباط1949، وافتتحها حاييم وايزمان، رئيس الجمعية التأسيسية، حيث أقرت الجمعية " قانون الانتقال " الذي جاء مكملاً " لنظام القانون والإدارة " (1948). ونص على أن " الهيئة التشريعية لإسرائيل تشكل من مجلس برلماني واحد، يدعى (الكنيست)، ويضم 120 عضوًا، يجري انتخابهم على أساس التمثيل النسبي، وانتخب الكنيست في تلك الجلسة حاييم وايزمان كأول رئيس لإسرائيل، وظل الكنيست يعقد جلساته في تل أبيب، حتى 11ديسمبر/كانون الأول1949، ثم انتقلت إلى القدس، بشكل دائم، حتى عام صيف1966، عندما انتقل إلى مقره الجديد الحالي، والذي أقيم بمنحة مالية من اليهودي الفرنسي جيمس دي ووتشيلد [2].

أما السلطة القضائية:

فقد كان عدم وجود دستور محدد، سببًا في حدوث إشكال

(1) د. كامل أبو جابر: **نظام دولة إسرائيل، إطار القرار السياسي**، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، 1973، صـ59.

(2) **المصدر نفسه**، صـ 54.

بالنسـبة لتأسـيس السـلطة القضـائية، ومصـادر القـانون فـي إسـرائيل، لهـذا شـددت " وثيقـة الاسـتقلال " علـى اسـتمرار العمـل بـالقوانين التـي كانـت سـائدة فـي فلسـطين، طالمـا أنهـا لاتتعـارض مـع أهـداف " وثيقـة الاسـتقلال "، وأجـازت تطـوير القـوانين الموروثـة، أو سـن قـوانين جديـدة تماشـيًا مـع النظـام الجديـد، وبمـا أن " وثيقـة الاسـتقلال " ليسـت مصـدرًا دسـتوريًا قانونيًـا، أصـدر مجلـس الدولـة المؤقـت، بتـاريخ 1948/5/19، بعـد خمسـة أيـام مـن " إعـلان الاسـتقلال "، " قـانون الإدارة "، الـذي أكـد علـى اسـتمرارية القـوانين التـي كانـت سـائدة قبـل 1948/5/14، مـالم تتعـارض مـع القـوانين التـي قـد تسن بعـد ذلـك. وتمثـل محكمـة العـدل العليـا، أعلـى سـلطة قضـائية فـي إسـرائيل، وتتمتـع بصـلاحيات إسـتثنائية فـي جميـع القضـايا، المدنيـة والجنائية، التي ترفع من المحاكم الإبتدائية [1].

وفيما يتعلق بالمجال العسكري:

فقد ضاعفت العناصر الصهيونية من نشاطها الإجرامي في فلسطين، واستعداداتها العسكرية، بعد صدور قرار التقسيم (1947)، حيث رفض العرب قرار التقسيم، وأعلنوا ثورتهم، بعد هدوء دام أكثر من ثمانية سنوات، نشطت خلالها الصهيونية، وبلغت ذروتها من الناحية العسكرية، استعدادًا " ليوم الاستقلال "، وكانت القوات التي حاربت في (1948)، يوم إعلان قيام " الدولـة الصـيهونية "، تتـألف مـن الوحـدات اليهوديـة فـي الجـيش البريطـاني، ومجموعـة " اللـواء اليهـودي "، الـذي حـارب علـى

(1) انظر: Israel pocket library: Op. Cit. PP. 50.

المسرح الإيطالي، وقوات الهاغاناه، ووحدتها الضاربة " البالماخ "، بجانب المتطوعين اليهود القادمين من الخارج، وبلغ قوام هذه القوات ما يقرب من 120 ألف، وهي التي ألفت، فيما بعد، قيام الدولة " جيش الدفاع الإسرائيلي "، وقد تم تسريح هذه القوات بعد اتفاقية " رودس " لوقف القتال(1949)؛ وكانت قوات غير نظامية، وكان على وزير الدفاع أ ن يختار بين جيش نظامي، وبين تكوين قوة غير نظامية، يمكن استدعاؤها عند اللزوم، واختير التنظيم الثاني، وتم العمل على تطويره، بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، وأنشئ جيش إسرائيل الجديد في عام 1950، ليتكون من 115 ألف جندي، على كفاءة قتالية عالية [1].

ثانيًا - من الناحية الاجتماعية:

قبل بداية الييشوف في فلسطين المحتلة، كان 90% من يهود العالم يعيشون في أوروبا وحدها، وكان أغلب هذه النسبة تحديدًا تتمركز في أوروبا الشرقية، ونتيجة لسوء الأحوال الصحية والاقتصادية للطبقة الفقيرة من يهود أوروبا، بدأت الهجرات إلى فلسطين، مع بداية انتشار (الأفكار الصهيونية) في " أرض الميعاد "، و " أرض الخلاص ليهود العالم ".

وتكون الييشوف على أرض فلسطين المحتلة، من خلال تدفق خمس هجرات، مثلت نواة الكيان الصهيوني، وبداية دولة إسرائيل في (طور التكوين)؛ الهجرة الأولى (1882-1903)، والتي أتى معظمها من شرق أوروبا، وتحديدًا من روسيا، الهجرة الثانية (1904-1914)، ثم

(1) انظر: .Dan Horowitz، Moshe lissak: Op. Cit. PP. 197:200

الهجـرة الثالثـة (1919ـ1923)، وجـاءت هـذه الهجـرة، عقـب قيـام الحـرب العالميـة الأولـى، وكانـت هـذه الموجـة هـي أولـى الهجـرات التـي أحدثت تغييرًا جذريًا فـي البنيـة الديموغرافيـة لمجتمـع الييشـوف، الهجـرة الرابعــة (1924ــ1931)، الهجــرة الخامســة (1932ــ1939)، الهجرة السادسة (1939-1948)؛ هذه الهجرات الستة هي التي تعتبـر الأساس الذي بني عليه (المجتمع الإسرائيلي الجديد) [1].

كان لكل هجرة من هذه الهجرات، دورها في بناء مجتمع الييشـوف، فقد مثلت الهجرة الأولى التي بدأت عام 1882، الخطوة الأولى في بناء حركـة الاستيطان، والتـي سميت (بيلـو)، وهـو مصـطلح يجمـع الأحـرف الأولى من الجملة العبرية، " هيا يا بيت يعقوب نمضي معًا "، أما الهجرة الثانية، التي بدأت في عام 1904، وسميت بهجـرة " أحبـاء صـهيون "، وكان أغلبهم من سن الشباب، ومن أبناء الطبقة الوسطى، وأخذوا العمل فـي المسـتوطنات، بـدلاً مـن العمـال العـرب المـأجورين، ونشـروا شـعار ((العمل العبري))، وغطوه بالمبـادئ والمقـولات " الاشـتراكية "؛ وحمـل أفراد هذه الهجرة فكرة العنف المسلح، وكانوا نواة التنظيمـات الصـهيونية المسلحة، والتي كان أولها منظمة (الهاشومير) أو الحارس. وخلال هاتين الهجـرتين ازداد عـدد المسـتوطين فـي الييشـوف، مـن 24.000 إلـى 85.000، مــن مجمــوع 700.000، هــم مجمــوع ســكان الــبلاد الأصـليين؛ أمـا الهجـرة الثالثـة، والتـي بـدأت تزامنًـا مـع وعـد بلفـور

(1) النعماني أحمد السيد: **التركيب الاجتماعي للمجتمع الإسرائيلي**، القاهرة، مكتبةنهضة الشروق، 1980، صـ13.

(1917)، لإقامة وطن قومي لليهود، وبها ارتفع عدد المستوطنين إلى 89.660، حتى جاءت الهجرة الرابعة، والتي بدأت عام 1924 [1]. ويلاحظ أن هذه الهجرة أحدثت طفرة كبيرة، من حيث العدد والنوع، في مجتمع اليشوف، حيث كان أغلبهم من بولندا، نتيجة تردي الأوضاع الاقتصادية هناك، والقيود التي فرضتها الحكومة البولندية على النشاط الاقتصادي لليهود، وكانت فلسطين خيارهم الثاني، بعد محاولة هجرتهم للولايات المتحدة نتيجة القيود التي فرضتها الولايات المتحدة على قوانين الهجرة.

وتميزت عن سابقيها من الهجرات الثلاث، من الناحية الطبقية، والأيديولوجية، والاجتماعية، فكان أغلبهم من أبناء الطبقة الوسطى، واستوطنوا المدن، ولم تكن لديهم دوافع الهجرات الثلاث السابقة نفسها، في حدة ودرجة الاضطهاد، وبالتالي لم يحملوا شعارات " الاشتراكية "، و " العمل العبري "؛ وحملوا معهم أموالاً كبيرة، قدرت بحوالي 17 مليون استرليني، مع عام 1924، مقارنة بـ11مليون في الأعوام الثلاثة السابقة. وتضاعف عدد السكان، مع بداية ازدهار اقتصاد المستوطنين، أما الهجرة الخامسة، والتي بدأت عام 1932، والتي تزامنت مع صعود النازيين إلى السلطة في ألمانيا، حيث جلبت ما مجموعه 224.785، مستوطنًا يهوديًا، وعرفت باسم (الهجرة الألمانية)، وكان لهم أثر كبير في تغيير مجتمع اليشوف، من الناحيتين الاجتماعية والثقافية، فمعظمهم كانوا أطباء، ومهندسين، وصناعيين،

(1) انظر: شوفاني: **مصدر سبق ذكره**، صـ113:136.

فضلاً عما حملوه من أموال قدرت بحوالي35مليون استرليني. أما الهجرة السادسة والأخيرة في مرحلة اليشوف، والتي بدأت عام 1939، و تزامنت مع نشوب الحرب العاملية الثانية، وصل عدد المستوطنين في فلسطين إلى 592.000 نسمة، أي أكثر من 31% من مجموع سكان القطر، وكان التمركز الأكبر في تل أبيب [1].

بعد نشوب حرب 1948، كان عدد المستوطنين اليهود في فلسطين، وفق تقديرات الوكالة اليهودية، حوالي 655.000 مستوطن، مقابل 1.350.000 عربي. ومع نهاية العام 1948، وصل عدد المستوطنين بحسب الإحصاء الرسمي الإسرائيلي إلى 758.700 نسمة، أي زادت بحوالي 103.000خلال حرب 1948، تحديدًا، معظمهم من المهاجرين والقادمين تطوعًا للقتال. ومع نهاية الحرب لم يبق سوى156.000فلسطيني، على المساحة التي احتلتها إسرائيل في الحرب، والتي تمثل نحو80%من مساحة فلسطين. مما يعني حدوث انقلاب ديموغرافي في فلسطين المحتلة، حيث أصبحت الأقلية اليهودية هي الأغلبية الكبيرة، بينما الأغلبية العربية انقلبت إلى أقلية ضئيلة تمثل 18% من مجموع سكان إسرائيل [2].

عقب الإعلان عن دولة إسرائيل، ظهرت مرحلة جديدة في تاريخ

(1) **المصدر نفسه**، صـ160

(2) انظر :حمدي طاهري: **اليهود ودولتهم، المؤامرة**، جـ2، القاهرة، مكتبة الآداب، 2001، صـ 215.

الإستيطان اليهودي في فلسطين، من حيث الكم والنوع، وهذا ماورد في " إعلان الاستقلال "، من أن دولة إسرائيل ستكون مفتوحة للهجرة اليهودية وجمع " الشتات والمنفيين "، وكان أول تشريع لمجلس الدولة المؤقت إلغاء شروط " الكتاب الأبيض "، فيما يتعلق بتقييد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وامتلاك الأراضي بها، ثم أقر بعدها " قانون العودة "، للسماح لكل يهودي بالهجرة إلى إسرائيل والاستيطان فيها.

وأكد بن غوريون، بعد ما يقرب من مرور عشرة أعوام على إعلان قيام إسرائيل، " أن مستقبل هذه الدولة رهن الوصول إلى هدفين نص عليهما (إعلان الاستقلال)، تم التأكيد عليهما في القوانين الأساسية، وطالما لم يتم تنفيذ هذين القانونين كليًا، فلا يمكن اعتبار مهمة الدولة منجزة وعملها تاما " [1]. وهذين القانونين هما " قانون العودة " وهدفه تجميع المنفيين، وقانون " التعليم الحكومي "، الذي تتبناه الدولة في سبيل تقوية الثقافة اليهودية في البلد الأم. وقد شهدت السنوات الثلاث الأولى لقيام إسرائيل (1948- 1951)، هجرة جماعية، على نطاق واسع، ضاعفت من عدد المستوطنين. فقد اقتلعت جماعات سكانية يهودية بكاملها من بلدان محددة، وتهجيرها إلى إسرائيل، مثل يهود اليمن، ليبيا، ويوغسلافيا، وبلغاريا، تبعتها هجرات جماعية من رومانيا، وبولندا، وبلدان شمال إفريقيا (المغرب، تونس، الجزائر)، فضلاً عن يهود تركيا، وإيران، والعراق. حيث بلغ عدد المهاجرين في خلال الثلاث سنوات

(1) شوفاني: **إسرائيل في خمسين عامًا، المشروع الصهيوني من المجرد إلى الملموس**، دمشق، دار جفرا للدراسات والنشر، جـ1، طـ1، 2002، صـ171.

الأولى 686.739 شخصًا، منهم 237.704 من آسيا، 93.282 من أفريقيا، 332.802 من أوروبا، 3.822 من أمريكا، 19.282 مجهولي الأصل [1].

وقد مثل هذا التطبيق رؤية بن غوريون، من أن " قانون العودة " أصبح قانون " الديمومة التاريخية "، والذي يعمل على استمرار الصلة القائمة بين " شعب إسرائيل " و " أرض إسرائيل "، ويضع المبدأ الأساسي الذي تم بفضله إحياء " دولة اسرائيل "، وأنه يعود إليه الفضل في بقائها، ونموها، وتحقيق رسالتها في الخلاص القومي.

وعن نظرة عامة إلى معدلات الهجرة ومصادرها، يتضح أن غالبية المهاجرين الجدد، منذ قيام دولة إسرائيل وحتى أواخر خمسينيات القرن العشرين، جاءت من آسيا وإفريقيا، ثم تقلصت بنحو 50% في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وفي فترة الثمانينيات وصلت إلى 20%، ومع أوائل التسعينيات وصلت إلى نسبة 6، 5%. مع تضاؤل نسبة المهاجرين من آسيا وإفريقيا، وانحصرت في " يهود الفلاشا " من إثيوبيا، فضلاً عن ما حققته إسرائيل من عمليات تهجير لمعظم يهود الاتحاد السوفياتي (السابق)، مع فشلهما في حمل يهود أوروبا وأميركا على الهجرة لإسرائيل [2]. أما التعليم، فقد اعتبره بن غوريون، بأنه يضع الخطوط الرئيسية للتعلق " بالشعب اليهودي " في جميع انحاء العالم وبثقافة الإنسانية، وبذلك يصبح (التهويد) عملاً متممًا للتهجير، أو تجميع

(1) **المصدر نفسه**، صـ 176.

(2) راجع النص الكامل لقانون العودة، (1950)، في رزّوق: **مصدر سبق ذكره**، صـ31.

" المنفيين "، ومكملاً له. لأن الدولة تجمع " منفييها "، في الوقت الذي تبحث فيه عن ثقافة مشتركة لهؤلاء " العائدين "، كي يتسنى لها دمج العناصر المتنافرة بثقافاتها المختلفة في " وعاء الأمة الواحدة، ذات الطابع اليهودي، الذي يميزها عن سائر الأمم ".

ثالثًا - من الناحية الاقتصادية:

الاقتصاد الإسرائيلي، مثل الدولة نفسها، فهو نتيجة تطور مدروس مسبقًا، وليس نتيجة مبادرات فردية. كما أنه مر بفترات ازدهار، نتيجة موجات الهجرة الست، التي أنعشت " اقتصاد مجتمع الييشوف "، في فترات الكساد الاقتصادي العالمي. كما أن ذاك الاقتصاد لايعتمد على التخطيط المركزي، والرقابة اللاحقة، كما كان الحال في عهد الاتحاد السوفياتي، وليس ناشئًا عن قوى السوق، مثل ماهو متبع في الولايات المتحدة الأمريكية، وحتى قبل قيام دولة إسرائيل، كانت هناك مجموعات ومنظمات تقوم ببناء قاعدة صناعية، من شأنها توفير العمل لليهود لتعزيز الأمال من أجل قيام وطن قومي ثم دولة يهودية، وهو ما يشكل عاملاً مركزيًا بالنسبة للاقتصاد الإسرائيلي.

في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، كانت مشاعر القلق تتزايد داخل أوساط العمال اليهود في فلسطين، حول ظروفهم، مما أدى إلى اتحاد أكثر من أربعة آلاف عامل يهودي، وأقاموا الاتحاد العام للعمال اليهود في فلسطين، وهو المعروف باسم " الهستدروت "، واختير بن غوريون ليكون أول سكرتير عام للهستدروت. وقد قام الهستدروت، بتوسيع نشاطاته تلبية لاحتياجات الجالية اليهودية الجديدة، وجرى تقديم

الخدمات الصحية عن طريق البرنامج الصحي للهستدروت، وفـي خـلال سنوات قليلـة، أسس الهستدروت بنكًـا تجاريًـا، وشـركة تعمير، وشـركة شراء وتسويق، ومنظمة للتسويق الزراعي، وشركة تأمين وجريدة يومية [1]. وبذا تحول هذا المجتمع النقابي العمالي إلى كارتل احتكاري!.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانيـة، اكتسبت الهستدروت نفوذًا كبيرًا وظهرت زعامات جديدة " للجاليـة اليهوديـة "، نشأت من طبقـة العمـال، وأصبح ثلاثة أرباع العمال اليهود فـي فلسطين ممثلين فـي الهستدروت، الذي أصبح يمثل أكبر هيئة صناعية رأسمالية في عهد الييشوف.

وكانت العلاقات بين العمـال والإدارة خاضـعة لهيمنـة الهستدروت، الذي اهتم بهدفين رئيسيين: أولهمـا، قيام دولـة يهوديـة، والآخر، إدخال أيديولوجيـة " اشـتراكية "، حيـث كانـت المشـاريع التجاريـة التابعـة للهستدروت، والمشاريع الخاصة، لم تكن تقام بهدف الربح، بقدر ما كانت بهـدف تـوفير عمـل، للعمـال اليهـود، وتطـوير اقتصـاد الـوطن القـومي اليهودي، حيث كان الهدف هو تعزيز البرنامج الصهيوني، في استصلاح الأرض واستعادة الحيـاة والثقافـة للمستوطنين اليهـود. وهنـا كـان دور " الصندوق القومي اليهودي "، الذي أسسه الصـهيونيون فـي عام1901، حيـث كـان هدفـه، ابتيـاع الأراضـي، علـى أنهـا " ملـك جمـاعي للشـعب اليهـودي "، وتـأميم " العمـل اليهـودي "، وهنـا كـان " الصـندوق القـومي اليهـودي "، يقـوم بـدور هـام فـي إقنـاع اليهـود الموجـودين فـي فلسـطين، بتحويل ملكيتهم الخاصة إلـى ملكيـة عامـة، بجانـب الامتنـاع عن استخدام

(1) شوفاني: **مصدر سبق ذكره**، صـ178.

الطاقة العمالية العربية. وبعد الاعتراف بالدور الرسمي للوكالة اليهودية في فلسطين، كشريك في الإدارة مع حكومة الانتداب، أصبح الصندوق القومي اليهودي أداة واحدة بين أدوات متعددة أخرى، في خدمة الوكالة اليهودية، وأصبح الصندوق القومي متدخلاً في جميع نشاطات القومية اليهودية [1].

وعقب إعلان قيام دولة إسرائيل، تعرض الاقتصاد الإسرائيلي إلى أزمة مالية شديدة، وذلك بسبب التدفق الهائل من المهاجرين الجدد، مما أجبر الحكومة المؤقتة على فرض رقابة اقتصادية شديدة، وضرائب مرتفعة على السكان، فاضطر أصحاب المصانع والمشاريع التجارية إلى تقديم تنازلات إلى العمال، بسبب وجود نقلة قليلة يمكن دفعها كأجور، بالإضافة إلى أن الأيديولوجية " الإشتراكية " الشكلية، في السنوات الأولى لقيام دولة إسرائيل، وشعر وقتها أصحاب المصانع بأنهم أصحاب عمل، وقرروا إشراك العمال في عملية إدارة المصانع. أيضًا عندما جاء المهاجرون اليهود عقب حرب48، إلى إسرائيل، كان يجب توفير فرص عمل لهم، في الوقت الذي كانت فيه إسرائيل تعتمد على استيراد المواد الخام، ثم تقوم بتصنيعها وتصديرها إلى الخارج، كمنتج نهائي، وهذا كان معاكسًا لما حدث في الولايات المتحدة، في القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث كان تدفق المهاجرون بسبب توافر فرص العمل.

كما يمكن ملاحظة دور " الهستدروت "، في دولة إسرائيل؛ فبرغم أنها، لم تمارس سيطرة تامة على جميع النشاطات الاقتصادية في دولة

(1) طاهري: **مصدر سبق ذكره**، صـ123.

إسرائيل الحاضرة، بسبب تنافس القطاعين، العام والخاص، فإن هناك تأثير للهستدروت على القطاع الخاص في إسرائيل، خصوصًا فيما يتعلق بسيطرتها على سياسة الأجور، كما أن سياسة الهستدروت في الأجور هي التي يتبعها القطاع الحكومي، بصورة مباشرة، على رفع شأن الحركة الصهيونية، ودفعها إلى الأمام. والفجوة الناشئة بين الطاقة المستثمرة، وحصيلتها في المرافق والمشاريع العامة، تسخّر كأداة لجمع الأموال، بقصد توسيع القطاع الحكومي، الذي يرتبط بشكل ما مع قطاع الهستدروت [1].

هنا يمكن القول بأن اسرائيل هي ييشوف متطور، أي يمكن اعتبارها قاعدة اقتصادية، تتقدم في تحقيق الإنجازات الجمعية الصهيونية. فهي تطبيق للصهيونية العملية، التي تطور عملها بمقدار الدوافع الجديدة التي تقابلها، لإيجاد المدى الحيوي، للدولة باعتبارها كائنًا عضويًا.

وهنا، ومن خلال ما سبق، يمكن القول إن القاعدة الحقيقية والأساسية التي يستند إليها المشروع الصهيوني، من أجل " حقهم " في وطن خاص بهم، هو الييشوف العبري، الذي يمثل ثمرة مجهود مدة أكثر من سبعين عامًا من الاستيطان، وأن حدود الدولة اليهودية تقرر وفق ما يحدده الاستيطان من إنجازات. وأنه سيظل يسعى، دائمًا، إلى توسيع هذه الحدود، حسب الإمكانات المتوفرة، لاستيعاب الأراضي الجديدة، معتمدة على القوة العسكرية الخاطفة، لفرض الأمر الواقع. فضلاً عما مزجته من خليط (اشتراكي عنصري) يقوم على العمل الجماعي، وفق معايير

---

(1) أنجلينا: **مصدر سبق ذكره**، صـ139:141.

عنصرية لخدمة اليهود دون غيرهم، في إطار عنصري يهودي، لخدمة المشروع الصهيوني، وتحقيق كيان إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل. فضلاً عن ما اعتمدت عليه القيادة الصهيونية في بناء دولة إسرائيل، من التعليم والخبرة ورأس المال اليهودي القادم من الخارج.

* * *

الفصل الرابع عشر:
ملابسات تأسيس " جيش الدفاع الإسرائيلي "

رضوى عبد القادر

ما كان السرطان الصهيوني أن يتواجد، لو لم تسلك الصهيونية سبل الإرهاب، إذ يستحيل الحفاظ على ما أغتصبته، من أراضي وحقوق، بدون توسع الصهيونية، وكيانها في أعمال القتل والتدمير. ما جعل تكوين جيش الدفاع الإسرائيلي، أمر بالغ الإلحاح، بمجرد قيام دولة إسرائيل، أما قبل ذلك فكانت العصابات الصهيونية المسلحة الثلاث.

نشأة العصابات:

في ربيع 1920، اتخذ مؤتمر أحدوت هعفوداه(*) قراره بشأن " الهاغاناه "، وكان نصه: " قرر أحدوت هعفوداه تنظيم مشاركة الشغيلة في الدفاع الشعبي عن البلاد، بخلقها مجموعة مخلصة، متأهبة، دائمًا. إن في إطار الكتائب العسكرية الإنجليزية أو في الشرطة، سيتم تنظيم الدفاع، ليكون تحت تصرف الذين سيشتركون فيه ". وكانت سنة 1921، سنة تأسيس وتدريب وتسليح " الهاغاناه "، وتزعمها إلياهو غولمب، الذي صرح: " لن نسمح بدخول روح العسكرية إلى المدارس اليهودية ". فيما كان رأي المسئول عن تدريب الضباط، حينذاك، إسحاق ساديه، بأنه " نحن من أنصار مواجهة مباشرة مع العدو، لكننا ضد اغتيال الناس العزّل

(*) **أحدوت هعفواداه**: حزب العمال المتحد، تأسس عام 1919، وانضم إلى الهستدروت (الاتحاد العام لعمال اليهود في إسرائيل)، عام 1920.

" [1].

وصدر دستور " الهاغاناه "، في العام 1924، الذي عرفها بأنها " منظمة عسكرية سرية "، استهدفت الحفاظ على الييشوف* [*]، بواسطة المليشيا الشعبية، ونص الدستور على أن أبواب الهاغاناه " مفتوحة لكل عبري، وعبرية، يبلغان من العمر سبعة عشر عامًا، وما فوق ". أي أن " الهاغاناه " أخذت بمبدأ الشمولية، في حين خضعت لإشراف الهستدروت، الممثلة لمصالح شريحة معينة في الييشوف اليهودي [2].

في آيار/ مايو 1938، تمت الموافقة على إنشاء " المفارز الليلية الخاصة "، المشّكلة من يهود الشرطة الإضافية الخاصة، والمدعّمة بضباط ورجال بريطانيين، على أن تتخذ هذه المفارز قواعدها في المستعمرات اليهودية، وذلك لمقاومة أعمال دخول السلاح، ومنع دخول الفدائيين إلى فلسطين. وكان إنشاء تلك المفارز، وعقد الدورة التدريبية لضباط " الهاغاناه "، و " الأراغون " حول قضية الالتزام السياسي، وهذا الاختلاف خدم

(1) جاك بينودي (تعريب: فارس عضوب)، **تساحال، القوات الإسرائيلية، من الميليشيات الفلاحية إلى القوة النووية**، بيروت، شركة المطبوعات الشرقية، دار المروج، 1985، صـ33- 35.

(*) **الييشوف**: كلمة عبرية تعني مستوطنة، أو استيطان، وكان هذا التعبير يُطلق، مجازًا، على المستوطنين الصهيونيين في فلسطين، قبل قيام الدولة الصهيونية، وعلى مؤسساتهم، وتنظيماتهم كافة.

(2) عبد الحفيظ محارب، **هاغاناه، إتسل، ليحي، العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة 1927- 1948**، طـ1، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، آب/ أغسطس، 1981، صـ27.

المخطط الصهيوني، دون شك، فيما يتعلق بتوزيع الأدوار بين المنظمات العسكرية المختلفة. فقد شُكلت " الأراغون " على أساس إنشاء جيش صهيوني، أكثر تخصصًا، بعيدًا عن تيارات السياسة.

أما " الهاغاناه "، فقد ظلت تابعة للصهيونية (الاشتراكية)، تتلقى أوامرها من البيشوف، وترتبط عملياتها بالقرارات السياسية المعلنة. وهكذا، تحقق التوازن بين مطالب السياسة الصهيونية الخفية، ومطالب السياسة الرسمية. فبينما اندفعت " الأراغون "، بحجة التخصص العسكري، نحو العمل الإرهابي(***)، وغير المسئول، صارت " الهاغاناه "، تحت سيطرة الجهاز السياسي الصهيوني، أداة منفذة للسياسة الصهيوينة، على الصعيد الرسمي.

وقد استتبع ذلك توزيع الأدوار بين المنظمتين. فمنذ صدور الكتاب الأبيض 1939، تولت " الأراغون "، شن الحملات الإرهابية ضد القوات البريطانية، وكانت هذه الحملات عطاء للأعمال الخطيرة " الهاغاناه "، في الوقت نفسه. كما تولت " الأراغون "، إرهاب العرب، لمنعهم من ممارسة حقهم في الدفاع عن أرضهم، وممتلكاتهم.

فيما كلفت " الهاغاناه "، في هذه الفترة، بثلاث مهام أساسية، هي: تنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وإقامة المستعمرات، وشن العمليات

(***) تبنت " الأراغون "، سياسة كسر " الهفلغاه " : ككلمة هي المرادف لـ(ضبط النفس)، وكاصطلاح سياسي، هي المفهوم العام للسياسة، التي قيدت بها الوكالة اليهودية " الهاغاناه "، أثناء مواجهة الأخيرة مع العرب في فلسطين، وإن كسرت " الهاغاناه "، " الهفلغاه " في غير مرة. للمزيد: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ46:44، صـ62:59.

العسكرية [1]. إن أنطوت العلاقة بين " الهاغاناه "، و " الأراغون "، على فوارق كبيرة، في النواحي التنظيمية، والعقائدية، والسياسية، فهناك نقطة اللقاء، والمفهوم المشترك، بينهما، وهي " دور القوة المسلحة الصهيونية في إقامة الدولة وبنائها " [2].

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945)، وفي حزيران/ يونيو1940، تحديدًا، حدث انشقاق خطير في " الأراجون "، تمخض عن ولادة منظمة جديدة، حملت في بداية تكوينها، إسم " إتسل في إسرائيل "، ثم ما لبثت أن تغيرالإسم إلى " ليحي "، (اختصار الكلمات العبرية الثلاث " لوحامي حيروت يسرائيل "، أي " المقاتلون من أجل حرية إسرائيل "). وقد تمردت ليحي [*] على واقع تنافس " الهاغاناه "، و " الأراغون "، في التعاون مع السلطات الاستعمارية، ودعا " ليحي "، إلى التعاون مع دول المحور النازية، وقد عمدت مجموعة القيادة لتلك المنظمة إلى إصدار البيان رقم واحد، وفيه أعلنت إبعاد المسئوولين عن الانهزامية والفشل "، وأن " ليحي "، الممثل الوحيد لليهودية المقاتلة. " وهدفها أن تشكل، بأسرع وقت ممكن، وبجميع الوسائل، عاملاً يكون بمقدوره السيطرة على البلاد، بقوة السلاح " [3].

(1) للمزيد انظر: محمد حسنين هيكل (محررًا)، **العسكرية الصهيونية، المجلد الأول، المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، النشأة والتطور 1887- 1977**، القاهرة، مؤسسة الأهرام، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، 1972، صـ139- 143.

(2) **المصدر نفسه**، صـ150.

(*) أسس " **ليحي** "، إبراهام شتيرن، فأطلق عليها عصابة شتيرن، وبعد اغتياله تزعمها ناتان فريدمان بيلين. وقد حُلت هذه الجماعة في انتخابات الكنيست الثانية (1951).

(3) بن تسيون دينور، ويهود سلوتسكي (رئيسًا التحرير)، **سيفرتولدوت هاغاناه (كتاب**

وبذا انتهجت " ليحي " أيديولوجية " الصهيونية المقاتلة "، فيما أعتنقت " الهاغاناه " أيديولوجية " الصهيونية العملية "، وسارت " الأرغون "، وفق أيديولوجية " الصهيونية السياسية " [1].

تعددت الأسباب لقيام العصابات الثلاث، كما تعددت أساليبها، إلا أن جميعها خدمت الهدف الصهيوني، بشكل أو بآخر، فكانت رغم تناقض سياستها، تكمل بعضها الآخر. كما اتفقت العصابات الثلاث على أن الإرهاب والوحشية، أفضل الطرق لتحقيق الحلم الصهيوني. فحتى إقامة " الدولة الإسرائيلية "، على جزء من أرض فلسطين، لا يمثل تحقيقًا للحلم، لأن الصهيونية تريد أن تكون أرض إسرائيل " من النيل إلى الفرات ".

من العالمية الثانية إلى التقسيم:

عقب انتهاء الحرب العامية الثانية (1939 - 1945)، بأشهرٍ معدودة، شهدت العلاقات بين العصابات الثلاث انعطافًا حادًا في مسارها، وقد انعكس هذا الانعطاف في انضواء هذه التنظيمات تحت لواء حركة واحدة، أطلق عليها إسم " حركة العصيان العبري "، التي لفظت أنفاسها الأخيرة، في أواخر يوليو/ تموز1946. وعادت العلاقات بين التنظيمات الثلاث إلى ما كانت عليه، فكثفت كل من " إتسل "، و " ليحي "، من نشاطهما العسكري، ضد سلطات الانتداب البريطاني، وعملتا على توزيع

تاريخ الهاغاناه)، 3 كتب (8 أجزاء)، تل أبيب، معرخوت وعام عوفيد، 1954- 1972، ط3، 1971، الجزء الأول، المجلد الخامس، صـ494. أورده: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ113- 114.

(1) **المصدر نفسه**، صـ98، 113- 114.

نفوذهمـا، فـي الوسـط اليهـودي، بينمـا ركـزت " الهاغانـاه " نشـاطها فـي مجالي: الهجرة، والاستيطان، كما عادت إلى تعاونها التقليدي مع سلطات الانتداب، دون أن تتخلى عن حركة العصيان، وشعاراتها [1].

تأرجحت سياسة الوكالة اليهودية، في فترة ما قبل التقسيم، بين قبول التعاون بين التنظيمات العسكرية المختلفة، ورفضه، فكانت فئة، ترأسها مسئوول أمن الهاغاناه [*]، ووزير الدفاع، آنذاك، ديفيد بن غوريون، من المعارضـين للفكـرة، باعتبارهـا عـاملاً سـوف يثقـل علـى كاهـل العمـل الصـهيوني، في سبيل إنشاء الدولة الصهيونية. بينمـا كـان الجانـب الآخـر، مـن زعمـاء الصـهيونية (أي مـن زعمـاء " الهاغانـاه ")، أمثـال إليـاهو غولمب، وإسرائيل غاليلي، وآخرون رأوا أن هذا التعـاون سوف يحقق نفعًا عسكريًا ضروريًا، وتوازنًـا مطلوبًـا، بـين أنـواع المهـام، التـي تنفذها كل من تلك المنظمات [2].

اشـتعل الصـراع بـين العصـابات الـثلاث، وارتـدى أشـكالاً مختلفـة، كالاشتباكات بالأيدي، والاختطـاف، والسطو علـى مخـازن السـلاح، وكـان يمكن أن تصل إلى حربٍ أهلية، لولا تطور القضية الفلسطينية، وطرحها على بساط البحث في أروقة الأمم المتحدة، الذي نتج عنه قرار التقسيم في 1947/11/29. وكانت " الهاغاناه "، قد وجدت أن أفضل وسيلة لإطفاء

(1) للمزيد عن حركة العصيان العبري، انظر: **المصدر نفسه**، صـ207- 267.

(*) تمخض المؤتمر الصـهيوني الثـاني والعشـرين، عن قـرار تسـليم حقيبـة الأمـن لـرئيس الوكالة اليهودية، ديفيد بن غوريون، وبهذا بـدأت عمليـة فصـل السلطات بين الجنـاحين السياسي والعسكري. للمزيد انظر: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ279:281.

(2) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، صـ150- 151.

الحريق في الوسط اليهودي، هو إشعال حرائق في الوسط العربي، على شكل جرائم بشعة إقترفها بحق عدد من العائلات العربية. وإن ركزت " الأراغون "، و " ليحي "، على تغييب التناقض القائم بين المشروع الصهيوني، وسكان البلاد الأصليين، وعزّ سبب الخلافات بين الطرفين إلى الطرف الثالث، المتمثل بـ " الإدارة البريطانية "، بالنسبة لـ " الأراغون "،
وبـ " الاستعمار البريطاني "، بالنسبة لـ " ليحي "، بسبب انتهاجه سياسة " فرق تسد ". في حين قلدت الأخيرة " الهاغاناه "، في مسلسل الجرائم البشعة ضد العرب، فيما تلقفت " الأراغون " تلك الجرائم من " الهاغاناه " دون أن تشجبها، أو تؤيدها، مستخدمة إياها كسلاح في حربها ضد " الهاغاناه " [1].

كما رفض الطرف العربي قرار التقسيم، رفضته، أيضا " الأرغون "،
و " ليحي " وإن اختلف سبب كل طرف لهذا الرفض، وكان هذا سببًا جديدًا لتوتر العلاقات بين هاتين العصابيتين من جهة، و " الهاغاناه " من جهةٍ أخرى. قبلت " الهاغاناه " قرار التقسيم، بعد ترويجها لفكرة التقسيم " الجيد "، والتقسيم " السيء "، فيما ميزت " الأرغون " بين فرحة الجمهور اليهودي، وبين القرار، معتبرة أن تلك الفرحه تعود إلى التبشير بقيام الدولة، وليس إلى التقسيم، الذى هاجمته بعنف، كما شجبت " ليحي "، القرار، فى بيان لها، أدانت فيه قادة " الوكالة اليهودية ". و مما جاء

(1) للمزيد: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ306- 320.

فـى البيـان: " أن الشـعب العبـري السـاعي للحريـة لـن يوافـق علـى تقسـيم وطنه، وسلب حقه فى استقطاب جماهيره فى أرضه. إن البلاد لا تتحمل تقطيع أوصالها.

إن المؤسسات والقادة، الذين انبهرت عيونهم بالسلطة المزعومة، فـى الدولة المجزأة، لا يمثلون مصالح الشعب فى الحاضر، ولا تلـزم الشـعب فــى ترابطــه التــاريخي. وعســكريًا، أخضــعت " الهاغانــاة " نشــاطها العسكري، فى الفترة التـى تلـت قـرار التقسيم، لخدمـة تنفيذه، بينمـا هـدف التنظيمان الآخران إلى توسيع حدود الدولة المقترحة، مستعينين بالأسلوب الإرهابي، المتمثل بـزرع القنابـل الموقوتـة، وإلقـاء المـواد المتفجـرة، بـين التجمعات العربية.

ولم تكن " الهاغاناه " بعيدةً عن هذا الأسلوب، وإن انتقدته، فقد نفذت عمليـات كثيـره مشـابهة[1] فلقـد وضـعت الصـهيونية اسـتراتيجية محـددة، انحصرت فى النقاط التالية[2]:

(1) الاحتفــاظ بالمســتعمرات، ممــا يتطلــب الحفــاظ علــى خطــوط المواصلات الطويلة.

(2) تركيز الدفاع عن المستعمرات النائية.

(3) تجنب أى صدام مباشر مع القوات البريطانيـة، حتـى لا يـؤدي ذلك إلى إعاقة خطط جلاء هذه القوات، وتأخرها.

---

(1) للمزيد: **المصدر نفسه**، صـ328- 338.
(2) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، صـ152.

(4) العمل على خلق اتصال أرضي، داخل كل منطقة يسيطر عليها اليهود، وبين هذه المناطق، وبعضها البعض. وتكفلت قوات " الهاغاناه "، و " البالماخ " (*)، وحرس المستعمرات، بتنفيذ هذه الاستراتيجية العامة. فيما تكفلت " الأرغون "، و " شيترن " بشن الحرب الإرهابية.

دير ياسين (1948/4/9)، في هذه القرية الصغيرة، تآلفت العصابات الثلاث سرًا، لتحقيق أولى أبشع المجازر، في حق الشعب العربي، وخاصة المدنى منه، فمسلسل الجرائم الصهيونية، لا يزال مستمرًا.

نظمت هذه المجازر قوات " الأرغون "، بقيادة، مردخلي كوفمان، وقوات " ليحي "، بقيادة، يهوشع زتيلر، وعندما تسربت نوايا العصابتين، كتب قائد " الهاغاناه "، ديفيد شالتيل، إلى قادتيهما، الرسالة المؤرخة، في 7 نيسان/ أبريل (قبل يومين من المجزرة): " أريد أن ألفت انتباهكم إلى أن الاستيلاء على دير ياسين، هو من ضمن خطتنا العامة. ليس لدي أي معارضة بأن تقوموا أنتم بهذا العمل، شرط أن تتمكنوا من السيطرة على الموقع، وإذا كان لديكم نقص في الوسائل، فأطلب منكم ألا تنسفوا القرية بالديناميت، لأن ذلك يؤدي إلى هجرة سكانها، واحتلال القوات الأجنبية للمنازل المدمرة، وإن مثل هذا الاحتلال سيرغمنا على التضحية بالعديد من رجالنا، لاستعادة القرية.

(*) " البالماخ "، قوة " الهاغاناه " الضاربة، أو صاعقة " الهاغاناه "، أسسها اسحق ساديه، عام 1941، وحلت عام 1949، عندما تم تنظيم " تساحال " (جيش دفاع إسرائيل).

وإذا ما احتلتها قوات أجنبية، فذلك يفشل مشروعنا، بإنشاء مطار فـي قطعة أرض مجاورة لها " *.

وبعد أن قبّرت دير ياسين حوالي نصف سكانها، وسارع الصـحافيون إلى المكان، بدأ شاتيل نفسه، بالتفكير، بكل المناورات الممكنة، لكي يحمل " الأرغون "، و " ليحي "، مسؤولية الأحداث، واستحصل بن غوريـون، على حرم بحق " المنشقين "، من أكبـر حاخامـات إسـرائيل، مؤكدًا إن " الهاغانـاه " لاعلاقـة لهـا بهـذه " المجـزرة الكـافرة " ! علـى أن المفارقـة تجلـت، عشـية إعـلان قيـام " الدولـة اليهوديـة "، إذ شـرعت " الهاغانـاه "، و " ليحـي "، فـي إجـراء مباحثـات، اسـتهدفت تحقيـق الوحـدة بينهمـا. واسـتحوذ علـى المفاوضـات موضـوعان إجرائيـان، (الأول)، تعلـق بنصـيب ضـباط " ليحـي " مـن المناصـب العسـكرية، فـي الجـيش، عقـب قيامـه. أمـا (الثـاني)، فـاختص بإعفـاء خمسين عنصـرًا مـن عناصـر " ليحـي "، مـن الخدمـة العسـكرية، بغرض تفريغهم لمهام إنشاء حزب سياسي. ولم يغفر أحد قادة " ليحي "، في مذكراته، موقف ليفي أشكول، بخصـوص تخفيض عدد المفرغين، " على الأقل خمسة "، بوصفه إياه " كتاجر صغير في سوق ".

وكان قرار الحل، والانضمام إلى " الهاغانـاه "، صـعبًا علـى " ليحـي ". وفـي غضـون ذلـك، صـدر الأمـر بتشـكيل " الجـيش الإسـرائيلي "، فوجدت " ليحـي "، الطريـق ممهجـة أمامهـا لدخولـه، عقـب اتفاقهـا مـع "

(*) بالفعل فيما بعد، أصبحت دير ياسين موقعًا لمطار " الهاغاناه ".

الهاغاناه " [1]. وكانت " الأرغون " توصلت بعد مفاوضات، إلى اتفاق وحدوي مع " الهاغاناه "، وانضمت إليه " ليحي "، ولن يتحقق ذلك الاتفاق، إلا بعد قيام الدولة، وإعلان قيام الجيش الإسرائيلي، الذي وحد بين صفوفه التنظيمات الثلاث [2].

تساحال:

إن أول عمل قامت به القيادة الإسرائيلية، عند نشوب الحرب العربية - الإسرائيلية 1948، هو توحيد التنظيمات، والجماعات العسكرية، والإرهابية، تحت رئاسة واحدة، فأنشئ " تساحال "، رسميًا 1948/5/27، (جيش الدفاع الإسرائيلي)، الذي تألف من جيش بري، وقوات بحرية، وطيران. وفي حالة الطوارئ، يتم التجنيد إجباري، تحدد الحكومة عمر المواطنين، الذين يلتحقون بالخدمة العسكرية، ومن المرسوم الذي يتم بموجبه تأسيس " تساحال " : " يمنع، منعًا باتًا، قيام أية قوة مسلحة، خارج جيش الدفاع، يكلف وزير الدفاع بتنفيذ هذا المرسوم ". وقد ترتب على ذلك، أن الجيش الإسرائيلي، جمع بين عدة قيادات مختلفة، من القادة العسكريين، تأثرت كل فئة منها بطبيعة المنظمة، أو الجماعة، التي انحدرت منها.

وعلى سبيل المثال، فغن القادة الذين خدموا في وحدات، وتشكيلات " البالماخ "، والعصابات الإرهابية، اتصفوا بالجرأة، والإقدام،

(1) للمزيد عن مجزرة دير ياسين، وعلاقتها بالولايات المتحدة:

- بينودي، **مصدر سبق ذكره**، صـ63- 65.

- محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ346- 356.

(2) **المصدر نفسه**، صـ327.

واللامبـالاة، مـع اتقـانهم لفنـون حـرب العصـابات، بينمـا افتقـدوا الخبـرة، والدراية العسكرية الكاملة. بينما اتصـف القـادة، والضـباط العـاملين فـي " الفيلق اليهـودي "، الـذي كـان يخـدم مـع الجيش البريطـاني، أثنـاء الحـرب العالميــة الثانيــة، بمميـزات القيــادة الحقيقيــة، إلــى جانــب إلمــامهم التــام بالنواحي الإدارية، وشئون الضـبط، والـربط العسكري، مـع القـدرة علـى التصـرف والتفكير. ونجـد الفئـة الثالثـة، مـن القـادة والضـباط، وهـم الـذين هاجروا غلى إسرائيل، وكانوا يعملون في جيوش الدول التـي وفدوا منهـا، وغالبية هؤلاء من الفنيين، عملوا في السلاح الجوي الإسرائيلي [1].

أفضـت فتـرة مـا بعـد التقسـيم، إلـى إنتهـاء الانتـداب البريطـاني علـى فلسطين، إلى زيادة تشكيل القوة العسكرية الإسرائيلية، بالطرق التالية: [2]

(1) - دخلت " البالماخ " الحرب، بأربع كتائب معبأة، تمامًـا، منظمـة داخل إطار لـواء، ما لبثـت أن أزدادت بسـرعة إلـى عشـر كتائـب، مقسـمة إلى ثلاث ألوية، خضعت لقيادة مركزية، اتخذت مقرها بالقرب من القيادة العليا " للهاغاناه "، لتسهيل الاتصـالات.

(2) - انفصـلت البحريــة، والقــوة الجويــة الإســرائيلية، الوليــدة عــن " البالماخ "، وأخذت تتطـور تـدريجيًا، إلـى أسـلحة متميـزة بفدائييهـا، وإن

(1) - بينودي، **مصدر سبق ذكره**، صـ73- 74.
- عقيد: فاروق حامد العزيزي، **صفات ومقومـات الجيش الإسرائيلي**، القـاهرة، وزارة الحربيـة، إدارة التوجيه المعنـوي، مؤسسـة دار التحرير للطبـع والنشر، د. ت، صــ57-58.
(2) إيجال آلون، **بنـاء الجيش الإسرائيلي**، القـاهرة، وزارة الإعلام، هيئـة الاستعلامات، د. ت، صـ35.

ظلت تابعة للقيادة العامة للجيش.

(3) - كان عد كبير من الكتائب، التي تم سحبها من قوات الميدان، التابعة " للهاغاناه "، في حالة تعبئة عامة دائمة.

(4) - تم تعبئة حرس داخلي، ضم الرجال والنساء الأكبر سنًا، والشبان، الذين قلت أعمارهم عن 18 عامًا.

(5) - أقيمت الخدمات المختلفة، مثل النقل، والمساعدة الطبية، والدفاع المدني، والهندسة.

وكانت عقيدة " البالماخ "، التي تلقاها المتطوعون، في برامج التدريب، والتي ورثها جيش الدفاع الإسرائيلي، ويمكن تلخيصها، فيما يلي:[1]

1 - الافتخار بالأمة.

2 - الموالاة لمبادئ الإشتراكية وحركة الكيبوتس.

3 - الضبط والربط والالتزام.

4 - المساواة.

5 - التدريب على القيادة.

6 - الدراسات الفكرية والثقافية.

(1) عاموس بيرلموتر، **العسكريون والسياسة في إسرائيل**، ط1، دمشق، ترجمة: مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، (صدرت ط1 من الكتاب العبري، في لندن، 1969)، 1975، صـ54.

أنشئت رُتب الضباط، وضباط الصف، أرفعها رتبة " لواء "، لم يشغلها غير شخص واحد، هو ياكوف دوري، رئيس هيئة الأركان الجديد، ورئيس هيئة أركان " الهاغاناه ". وكان تحويل " الهاغاناه "، إلى جيش نظامي لدولة مستقلة إسمًا، وليس مضمونًا، من ناحية معينة، ولكن من ناحية أخرى، كان التغيير في الواقع حقيقيًا، لأنه مّثل " التحول التاريخي لفلسطين لدولة يهودية مستقلة، والطائفة اليهودية إلى أمة ". وقد استغلت إسرائيل فترة الهدنة الأولى (1948/6/11)، التي دامت لمدة شهر، وفرضتها الأمم المتحدة، فراحت " تساحال "، تستولي على مدن فلسطينية أخرى، بهدف توسيع الرقعة الاستيطانية، وإيجاد عمق جغرافي، يعطيها الوقت الكافي لتعبئة فرق الاحتياط، ويمنحه الشعور بالأمن، وفي فترة الهدنة الثانية (7/19 - 1948/10/10)، تمكنت الصهيونية من تزويد وحداتها بقوة بشرية جديدة، وتوزيع المزيد من المعدات الأفضل، التي زودتهم بها كل من تشيكوسلوفكيا، وفرنسا. كما عملت " تساحال "، على إعادة تنظيم التسلسل القيادي داخلها [(1)].

لقد تشكل الجيش، فور تأسيسه، من قوات عامله، بلغ عدد أفرادها، نحو ثلاثين ألفًا، انتظمتهم تسعة ألوية، ثلاثة منها ألوية ضاربة متحركة، وستة موزعة على المناطق العسكرية. وأضيف إلى هذه التشكيلات،

---

(1) - آلون، **مصدر سبق ذكره**، صـ36- 40.

- كميل منصور (رئيس التحرير)، فوز عبد الهادي (مساعد رئيس التحرير)، **إسرائيل: دليل عام 2004**، طـ1، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، آيار/ مايو2004، صـ500.

القوات الاحتياطية، المؤلفة من مجموعات المستوطنين اليهود، والعاملين في المستعمرات، الذين كانوا يتولون الدفاع عن مستعمراتهم، ريثما تتمكن قوات جيش الدفاع من اللحاق بهم. وإلى جانب هذه الألوية، تم تشكيل ثلاثة أسراب جوية، وقوة بحرية صغيرة. وكانت أول مهمة حددها وزير الدفاع للجيش، هي: " السيطرة على كل المنطقة المخصصة للدولة اليهودية، والدفاع عن حدودها، وتأمين الحماية للتجمعات، والمنشآت اليهودية، بواسطة المستوطنين اليهود، حتى لو كانوا خارج تلك الحدود، وذلك ضد قوات الأعداء، النظامية وغير النظامية، التى تعمل من قواعد خارج حدود الدولة اليهودية، أو خارجها ". وقد بنت القيادة الأسرائيلية، الجيش على اساس التنظيم اللوائي، فجعلت اللواء وحدة مقاتلة، ذات اكتفاء ذاتي، ضمت مختلف صنوف الاسلحة ن كالمدرعات، والمدفعية، والهندسة، ووحدات الدعم والخدمات. ولقد حددت القيادة للواء صفة رئيسية، يجب أن تتوفر فيه، هي القدرة على التحرك والقتال، وحده. ولهذا سعت القيادة إلى تنمية روح المبادرة، واتخاذ القرار، والتصرف الذاتي، لدى قادة اللواء، وأركانه، وضباطه. وقد تألف الجهاز الدفاعي، في إسرائيل من: جيش نظامي محترف، قوامه الرئيس، والضباط، والاختصاصيون، خدمة إجبارية، يجند فيها الفتيان والفتيات (من عمر 18 سنة)، قوات احتياطية تشكل القسم الأعظم من الجيش، في زمن الطوارىء والحرب، نظام دفاعي للمستعمرات. وفى اطار هذا الجهاز، تم تحديد الوظائف الرئيسية للجيش [1].

(1) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، المجلد الثاني، دمشق، هيئة الموسوعة

تحقق للجيش الإسرائيلي وفرة من الخبرات المكتسبة، إذ أمدته " الهاغاناه "، و " البالماخ " بالخبرة الواسعة، في حرب العصابات، والمعرفة الطبوغرافية بالأرض، فضلاً عن ترسيخ المفاهيم الأيديولوجية، والعقائد الصهيونية، بين أفراد القوات الإسرائيلية. أما ضباط " الفيلق اليهودي "، والمتطوعون الأجانب، فأمدوا الجيش بالمبادىء والنظم، وبنظريات، وتعاليم المدارس العسكرية الأجنبية، وأخصها البريطانية، بالإضافة إلى الخبرة العريضة المستخلصة من القتال المنظم، خلال الحرب العالمية الثانية [1].

كما وضع الإسرائيليون أهدافًا محددة، وثابتة، ليحققها نظام التربية العسكرية، في دولتهم، تتلخص فيما يلي [2]:

(1) تنمية عقيدة القتال الإسرائيلية، في نفوس الإسرائيلين كافة.

(2) بث روح الكراهية، والحقد في نفوس الإسرائيليين على المواطنين العرب.

(3) الوصول إلى التفوق النوعي للمقاتل الإسرائيلي، من ناحية التدريب، والتنظيم، والتسليح، والروح المعنوية.

أما عن العصابات الثلاث، والجيش، فبقدر ما عجل إنشاء الجيش في تحقيق وحدة العصابات، فإنه أثار امتعاض " الأرغون "، و " ليحي " لما

الفلسطينية، ط1، 1984، صـ127- 132.

(1) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، صـ173.

(2) العزيزي، **مصدر سبق ذكره**، صـ51.

اتسم من اسم الجيش. فقد حرص المسؤولون عن إطلاق التسمية على الاحتفاظ باسم تنظيم " الهاغاناه " (الدفاع) كصفة للجيش الإسرائيلي. وأصحاب التسمية، هم من أوساط " الهاغاناه "، الراغبين في رؤية الجيش الإسرائيلي، وريثًا لمنظمتهم.

ومما زاد من امتعاض التنظيمين الآخرين، خاصةً " الأرغون "، الأمر اليومي، الذي أصدره بن غوريون، بخصوص إقامة " جيش الدفاع الإسرائيلي "، وفيه حاول رفع مكانة " الهاغاناه "، في الجيش على حساب العصابتين الأخريين، فقد جاء في الأمر: " مع إقامة دولة إسرائيل، خرجت (الهاغاناه) من العمل السري، وتحولت إلى جيش نظامي ". وقد جاء في الأمر، أيضًا، سرد لتاريخ " الهاغاناه "، ونضالها، وتطرف إلى الهجرة الثانية، وإلى منظمة هاشومير[*]، والكتائب العبرية، إلى قيام " الهاغاناه " وأسلحتها المختلفة، وإشادة بها، دون ذكر لأي من " الأرغون "، أو " ليحي "، وإن أشير إليهما، بشكلٍ عام[1]. ومع ذلك، فإن الامتعاض لم يكن بوسعه الوقوف أمام وحدة التنظيمات، فقد توافر الشرطان الأساسيان، اللذان لطالما طالبت بهما كل من " الأرغون "، وتفاقم الحرب العربية - الإسرائيلية، الأمر الذى دفع بالتنظيمات إلى الوحدة والاندماج. وفي الأول من حزيران/ يونيو 1948، أعلن عن الاتفاق الشهير، بين قائد " الهاغاناه "، يسرائيل غاليلي، وبين قائد "

(*) هاشومير: الحارس، منظمة يهودية لحماية النفس، تأسست سنة 1909.

(1) دافيد بن غوريون، **هيلاحم عام (في نضال الشعب)**، طـ3، تل أبيب، إصدار مباي، 1951، صـ113- 114 (بالعبرية). أورده: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ361. للمزيد، انظر: **المصدر نفسه**، صـ359- 362.

الأرغـون "، منـاحم بـيغن، الـذي تـم بموجبـه دخـول الأخيـرة الجـيش الإسرائيلي، المشكل أساسًا من " الهاغاناه ". وقد استمر وجود التنظيمات الثلاث، بعد هذا الاتفاق، في القطاع اليهودي من القدس، باعتبـاره خـارج السلطة الرسمية للدولـة اليهوديـة. وبسبب مـن هـذا الواقـع، إلـى جانـب رواسب الماضي، وتبعاته، شهدت التنظيمـات فصلها الأخير، عقب قيام الدولة بفترة، على حساب الجيش الإسرائيلي، المنصوبة تحت كنفه [1].

ميزانيات " تساحال "، وإمكاناته

كـان عـدد " الهاغانـاه "، فـي عـام1946، حـوالي 45000 رجـلاً، وإمراة، أي 7% من مستوطني البيشوف. وكانت ميزانيـة " الهاغانـاه " أقل من400.000 جنيه فلسطيني (مساوٍ للاسترليني)، وكان لدى وحدات الميدان التابعـة " للهاغانـاه "، 700 ضـابط مـدرب، مسئولين عن 7000 رجل جميعهم متطوعون، وبلـغ عـدد ألويـة الشـباب 10.000 [2]. وفـي حزيران/ يونيو 1947، عندما تسلم بن غوريون منصب الدفاع، سعى لتحقيق مهمتين: الأولى: إعادة تنظيم " الهاغانـاه "، لجعلها مسؤولة تجـاه السلطات الوطنيـة فحسب، والثانيـة: التعبئـة السريعة والشـاملة للرجـال، والمـوارد، حتـى يكون لليشـوف جيش جـاهز للتصدي للجيوش العربيـة المتوقعـة. ومـع حلـول تشـرين الأول/ أكتـوبر1947، ارتفعـت ميزانيـة " الهاغانـاه " إلـى 3، 3 مليـون جنيـه، وهـي أعلـى ميزانيـة فـي تـاريخ "

(1) دافيد نيف: **معرخوت هأرغون هتسضائي هليئومي: تاريخ المنظمة العسكرية القومية (إتسل)**، جـ6، صـ214، أورده: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ362:361.

(2) ديفيد بن غوريون: **من المفكرات، نيسان/ آيار1948، معريب، 30 نيسان/ إبريل1968، صـ25، (بالعبرية)**. أورده: بيرلموتر، مصدر سبق ذكره، صـ65.

الهاغاناه " [1] كما ارتفعت حصيلة حجم الأسلحة، لدى التنظيم المذكور، فأصبحت حوالي 10 آلاف بندقية، و2000 رشيش، و200 رشاش ثقيل، و500 رشاش خفيف، و800 هاون، بينما تكاد تنعدم المدافع، والدبابات، والطائرات الحربية، والسفن [2].

عند بداية الحرب، كانت القوة البشرية " لتساحال "، تزيد عن 50 ألف جندي، ارتفعت، في نهاية الهدنة الأولى، إلى 60 ألف، وجاءت معظم هذه الزيادة، في ألوية المشاة، والخدمات، والقوات الجوية، التي تضاعفت قوتها البشرية. واهتمت القيادة العامة للجيش بإنشاء الإدارات اللازمة لتنظيم القوى البشرية، واهتمت القيادة العامة للجيش بإنشاء الإدارات اللازمة لتنظيم القوى البشرية، خدمة للتجنيد، والتعبئة، وتسجيل المجندين، وتوزيعهم. كما أنشأت نواة لإدارة " الخدمة الفنية السيكولوجية "، لفرز الحرفيين، والقادة، والوقوف على كفاءاتهم، ومهاراتهم، و للمساعدة في تصنيف القوى البشرية، المعبأة من مصادر عديدة متباينة. وجاء قسم كبير من الجنود على شكل متطوعين من الخارج، ممن تدفقوا على فلسطين، من دول غرب أوروبا والأمريكتين، ووصل عددهم، أثناء الحرب، إلى حوالي 2400 متطوع من المحترفين، وأصحاب التخصصات الهامة. وأطلق على فئة المتطوعين الأجانب اسم " محل "، التي لم تنحصر أهمية رجالها في عددهم فحسب، بل أيضًا، في خبرتهم القتالية العالية. لذلك كان معظم أفراد القوات الجوية من " محل "، خاصةً

(1) دينور وسلوتسكي: **مصدر سبق ذكره**، المجلد الثاني، جـ3، (تل أبيب، معراقوت، 1959)، صـ44.

(2) بينو دي: **مصدر سبق ذكره**، صـ66.

طياري مسرشميث، والقلاع الطائرة، وكذا كل أسراب القاذفات، والنقل، كما أنهم قاموا بتدريب من خلفهم، من يهود فلسطين. وشغل أفراد " محل " وظائف رئيسية، في البحرية كرؤساء أركان، وقادة للسفن، ورؤساء للأفرع. أما في الجيش، فلم يزد عددهم عن 300 فرد، خدموا جميعًا في اللواء السابع المدرع، وهؤلاء أطلق عليهم اسم " جحل " (كتاب المهاجرين المحاربين)، ووصل هؤلاء المجندين إلى فلسطين، بعد منتصف عام 1948. ولم تقتصر مصادر القوى البشرية " لتساحال " على ذلك، فحسب، بل إن الصهيونية لجأت إلى استئجار المحاربين المرتزقة، من هنا وهناك، طبقًا لعقود خاصة، الذين عادوا إلى بلادهم، بعد انتهاء الحرب (1).

خلال الهدنة الثانية للحرب، تدفقت الأسلحة على الصهاينة في فلسطين، واشتملت على الطائرات، ودبابات الشيرمان، والمدافع، وكافة أنواع الأسلحة، والمعدات. وقد تنوعت أساليب الحصول على الأسلحة، بين الشراء، والتهريب، والسرقة، والقرصنة، أيضًا. فقد حدث أن اشترت سوريا، في مطلع 1948، صفقة أسلحة من تشيكوسلوفاكيا، وأثناء شحنها، في ميناء باري بإيطاليا، تمكن عملاء " ريجيش " (إدارة الأسلحة الصهيونية) من تخريب السفينة، وإغراقها. وأرسل ضابط سوري، لإنقاذ الشحنة، فتمكن من انتشال 8500 بندقية، وبينما كانت السفينة في عرض البحر، اعترضها سفن البالماخ، واستولت على الأسلحة، و السفينة، بعد

---

(1) هيكل: **مصدر سبق ذكره**، صـ61:62.

أن تمكن بعض العملاء من التسلل إليها [1].

عشية حرب 1948، كان لدى القوات الإسرائيلية: 800 هاون، من عيارات مختلفة، و75 مدفعًا مضادًا للدباب، و4 مدافع ميدان. وفي شهر تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه، أصبح لديهم 200 مدفع هاون، بين خفيف ومتوسط، و120 مدفع هاون 120 ملم، و675 مدفع م/دو، و250 مدفع ميدان [2].

تشكلت أول وحدة مدرعة إسرائيلية، أثناء الهدنة الأولى لحرب 1948، وأسسها الجنرال، إسحق ساديه، وكانت هذه الوحدة المدرعة الأولى، هي الكتيبة المدرعة المسماة أس/10، وتألفت، في البداية، من 6 سرايا، إثنتان منها فقط من الدبابات، ضمت واحدة 10 دبابات فرنسية، من طراز " هوتشكيس "، وعرفت بالسرية الروسية، لأن غالبية أفرادها انحدروا من أصول يهودية روسية، أو بولندية، فكانت تتحدث الروسية. أما السرية الأخرى، فضمت 3 دبابات[*]، إحداها أمريكية، من طراز " شيرمان "، والأخريتان بريطانيتان، من طراز " كروموبل "، وقد حملت هذه السرية اسم " السرية الإنجيلزية "، حسب اللغة السائدة فيها. وكانت باقى سرايا الكتيبة، من المصفحات (معظمها مصفح محليًا)، و عربات

---

(1) Lorch, Netanel: The Edge of the Sword. NY. Potman. 1961.

أورده: هيكل، **مصدر سبق ذكره**، صـ 176:177.

(2) د. كيلاني هيثم: **المذهب العسكري الإسرائيلي**، دمشق، وزارة الدفاع، 1999، صـ78:85.

(*) أخذت " الهاغاناه " الدبابات الثلاث من الجيش البريطاني، عشية انسحابه من فلسطين.

الجيب المسلحة [1] إلا أن عمليات المدرعات الإسرائيلية، خلال حرب 1948، لم يكن دورها هامًا، أو فعالاً، وأن المشاة، والعربات المصفحة، وعربات الجيب، والهاونات، كانت هي الأسلحة الأساسية للقوات الإسرائيلية، في هذه الحرب، وذلك لعدم توفر سدنة دبابات مدربين، وعدم تمتع ضباط " الهاغاناه " بفهم تكتيكي، وتقني كافٍ. لذا استخدمت الدبابات المحدودة، التي توفرت لدى الجيش الإسرائيلي، بواسطة أطقم أجنبية. فلم تخرج كل المعارك التي اشتركت فيها الدبابات الإسرائيلية، عام 1948، عن كونها محاولات تجريبية أولية، للتعرف على الدبابة، كأداة قتال من جانب الجيش الإسرائيلي [2].

أما سلاح المشاة الإسرائيلي، فقد نما قبل 1948، ضمن سلاح الميدان، وسرايا " البالماخ "، وشاركت القوات الصهيونية، في حرب 1948، بـ12 لواء مشاة، وفي أواخر الحرب تم تنفيذ عدة عمليات، اشتركت فيها مجموعات من ألوية ضمن تشكيل واحد، ومعركة واحدة، حيث كان التنسيق العملياتي بينهما وثيقًا جدًا. وفي تلك الحرب، والفترة التالية المباشرة لها، فإن وحدات المشاة ظلت تشكل القوات الرئيسية في القوات البرية الإسرائيلية، التي وقع على عاتقها، بصورة أساسية، تحقيق أهداف الحرب، في ميدان القتال. وأصبح المفهوم الإستراتيجي الإسرائيلي، بعد حرب1948، إذا ما نشبت حرب بمبادرة عربية، يقوم

---

(1) أمين محمود عطايا: **الجيش الإسرائيلي 1948 - 1995، التطور - العتاد - الاستخدام القتالي**، طـ1، بيروت، المنارة، 1995، صـ86:90.

(2) محمود عزمي: **القوات المدرعة الإسرائيلية عبر أربع حروب**، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، حزيران/ يونيو 1975، صـ90.

علــى مبــدأ الــرد والصــد، بواســطة القــوات النظاميــة، والاحتياطيــة الإسرائيلية، ومـن ثـم نقـل الحـرب إلـى أرض " الخصـم ". وحمـل هـذا المفهوم في المصطلحات العسكرية الإستراتيجية، اسم " المفهوم الدفاعي الهجومي " [1].

جويًا، خاضت إسرائيل حرب 1948، ولم يكن لديها، في البداية، أكثر من 9 طائرات خفيفة، و25 طيارًا، ولم تمض ستة أشهر، حتى أصبح لدى " إسرائيل "، أسراب من الطائرات المقاتلة، إلا أنه لم يكن لأعمال الطيران الإسرائيلي نتائج هامة، وإن انفردت إسرائيل، فيما بعد، بميزة السيطرة الجوية على مسرح العمليات [2].

هزل وتواضع دور البحرية الإسرائيلية، منذ قيام " الدولة الصهيونية "، وحتى أواخر الستينات، بسبب إعطاء الأولوية للقوتين البرية والجوية، فضلاً عن أن القوة البحرية العربية، وقتذاك، لم تكن تشكل تهديدًا حقيقيًا، إلا في النصف الثاني من الستينات. فلم يكن لدى إسرائيل، خلال عام 1948، إلا 171 بحارًا، وقطعة حربية أساسية واحدة، هي السفينة " إيلات "، إضافةً إلى سفن الشحن، التي تم تأهيلها، لتصبح سفن قتال، زودت بمدافع قديمة، لا يزيد عيارها عن65 ملم [3].

---

(1) عطايا: **مصدر سبق ذكره**، صـ40:43.

(2) Lutt Work, Dan Horowitz: The Israel Army, Pub Allen Lone, 1975, PP. 81:99.

أورده: عطايا، **مصدر سبق ذكره**، صـ 182:183.

(3) **المصدر نفسه**: صـ265:268.

عمـد بـن غوريـون إلـى إرسـاء أفكـار محـددة، لتنظـيم العلاقـة بـين الجيش، والمستوى السياسي، وهي [1]:

(1) أن يكون الجيش وطنيًا، رسميًا، وغير مُسيّس.

(2) أن تكون السلطة العليا في تقرير الحرب والسلام، في إسرائيل، هي للمستوى السياسي.

(3) أن يكون وزير الدفاع، هو الحكم النهائي للنزاعات بين المدنيين، والعسكريين.

(4) أن يشرف وزير الدفاع، مباشرة، ودائمًا، على الشئون المتعلقة بالأخلاق والمعنويات، والمستوى المهني، لضباط الجيش.

(5) إتباع أسلوب مركزي متقدم في اتخاذ القرارات المتعلقة بأمور الدفاع، وقضايا السياسية الخارجية.

كما سعى بن غوريون، لتحقيق الآتي [2]:

(1) تجميع جميع الوظائف، والمهمات المتعلقة بالأمن، والتي كانت تتولاها، في السابق، منظمات سياسية، أو عسكرية مستقلة، جمعها في سلطة مركزية، تحت إمرته.

(2) تحديد، وفصل وظيفتي رئيس الأركان، ورئيس الحرب، التي كانت قبل ذلك وظيفة واحدة، تحت إمرة رئيس " الهاغاناه ".

فيما سعت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، إلى تنمية اتجاهات

---

(1) بيرلموتر: **مصدر سبق ذكره**، صـ71.
(2) **المصدر نفسه**: صـ71.

أساسية، يشكل عن طريقها المقاتل الإسرائيلي: الاتجاه **الأول**: اعتبار إسرائيل دولة عسكرية، أو منطقة تجمع للشباب اليهودي، القادر على حمل السلاح، من أجل القتال، حفاظًا على بقاء إسرائيل. معتمدة بذلك على مبدأ " اضرب أولاً، ثم برر بعد ذلك أي شيء من موقف القوة "، والاتجاه **الثاني**: رأى أن " الحروب هي محاصيل اليهود "، فالحرب بالنسبة لليهود باب مفتوح، عن طريقها يستجدون المعونات، والهبات، والمنح، سواء من الدول التي تساندهم، أو من التنظيمات الصهيونية العالمية، أو من الأفراد اليهود الأثرياء، في جميع أنحاء العالم، الذين يكسبون هم أنفسهم، من هذه الحروب، فيما أكد الاتجاه **الثالث**: على ضرورة نسيان اليهود خلافاتهم الشخصية، واتحادهم في وجه العرب، رغم الصراع الحقيقي، بين اليهود الغربيين، واليهود الشرقيين، بينما كان الاتجاه الرابع: حول كون إسرائيل هي العدو الأول للوطن العربي الكبير [1].

" التالينا " :

" التالينا "، اسم سفينة اشترتها " الأرغون "، في صيف 1947، من بحرية الولايات المتحدة الأمريكية، لنقل خمسة آلاف مقاتل مدربين، للشواطئ الفلسطينية، فضلاً عن نقل كميات كبيرة من الأسلحة، حصلت " الأرغون " على جزء بسيط منها، عن طريق شرائها، من أوساط مختلفة، من فرنسا، والجزء الأساسي منها، من حكومة فرنسا بالذات. وقد أبحرت تلك السفينة، في ليل التاسع من حزيران/ يونيو 1948، (فترة الهدنة

(1) للمزيد، انظر: العزيري، **مصدر سبق ذكره**، صـ76:80.

الأولـى)، مـن بـاريس، وكانـت المخـاوف مـن إجـراءات التفتيش، فـي تـل أبيب، فاستعدت الحكومة للتعاون، بإنزال الحمولة، في كفر فنيكين، شمال ناتانيا (على بعد 5كم من تل أبيب)، بشرط أن تكون حصـة " تسـاحال " 20% من الأسلحة، والباقي يكون للقوات التي تحارب في القدس، إلا أنه نشب خلاف على كيفية التوزيع، فأراد بيغين أن يتأكد من تسليم الأسلحة، أولاً، إلـى مقـاتلي " الأرغـون "، فـي القـدس، وراح بـن غوريـون يقـول، حتى يستفيد من الوضع: " لا شئ لبيغين، ستسلم كل الأسلحة إلى هيئة الأركان. تأخذ كل وحدة حسب حاجتها ". وفيما حضر بيغين ومقاتلوه لاستقبال " التالينا "، فـي 6/22 رد بـن غوريـون: " يعتقد بيغين خطًا أن في هذه البلاد مكانًا لجيشين، يجب أن نمنعه عن عمل ما يروق لـه " !. وبالنتيجة، تلقى " تساحال " الأمر بـإطلاق النـار علـى عصـابة بيغين، إذا لم تذعن للأوامر!. وبدأ إطلاق النار، وانفجارات القنابل، بين الجهتين " الأرغـون "، و " ليحـي "، مـن جهـة و " البالماخ "، من الجهة الأخرى، إلى أن تم إحراق " التالينا "، وقفز طاقم السفينة إلى الماء، ووصل أفراده سباحة إلى الشاطئ، وترك الجميع " التالينا "، وعلى رأسهم بيغين، بواسطة الزوارق الصغيرة، ولفظت تلك السفينة أنفاسها على شاطئ تل أبيب، في 23 حزيران/ يونيو(*)، فيما استغل بن غوريون تلك الحادثة، متسلحًا " بالشرعية والقانون " ووجه ضـربة موجعـة إلـى " الأرغـون "، فنشـرت الحكومـة المؤقتـة مرسـومًا،

(*) بلغت حصيلة الاشتباكات أحد عشر قتيلاً (عشرة من " الأرغون "، وواحد من الجيش)، وعشرات الجرحى (انظر: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ378 - 379).

وضع " الأرغون "، و " ليحي " خارج القانون، وتم توقيف أعضائها، تمهيدًا لمحاكمتهم [(1)].

وجد بن غوريون، في حادث اغتيال وسيط الأمم المتحدة، لحل النزاع العربي - الإسرائيلي، السويدي الجنسية، الكونت فولك برنادوت (1948/9/17)، مبررًا قويًا لتصفية " ليحي "، في القطاع اليهودي بالقدس. فرغم إعلان منظمة أطلقت على نفسها اسم " حازيت هموليدت " (جبهة الوطن) مسؤوليتها عن اغتيال برنادوت، بحجة أنه " عميل مكشوف للعدو البريطاني، مهمته تحقيق المشاريع البريطانية لتسليم بلادنا إلى الحكم الأجنبي ". فإن هذا البيان متفق، تمامًا، مع اتجاهات " ليحي " (من وجهة نظر مختلف التيارات الإسرائيلية) تجاه برنادوت. ومساء يوم الاغتيال، عقد بن غوريون اجتماعًا، مع عدد من وزرائه، شرع في نهاية الاجتماع، بتنفيذ حملة شملت اعتقال أعضاء ليحي جميعهم، ومصادرة أسلحتهم، وإطلاق النار على كل من يتصدى لذلك. وبناءً على جملة من القرارات، استولت قوات من الجيش والشرطة الإسرائيلية على قاعدتي ليحي، في الجزء اليهودي، من القدس. وهكذا، كانت نهاية " ليحي "، مثل ولادتها، وسط أجواء المحاصرة والاعتقال [(2)].

ورغم كون " الأرغون " غير مشتركة في عملية الاغتيال، فإن يد بن غوريون قد طالتها، أثناء تضييق الخناق على عناصر ليحي، فقدم رئيس

---

(1) للمزيد عن " التالينا "، انظر:
- بينودي، **مصدر سبق ذكره**، صـ79:75.
- محارب، **مصدر سبق ذكره**، 381:367.

(2) **المصدر نفسه**، صـ390:382.

شـعبة العمليـات فـي الجـيش، يغئـال يـادين، إلـى قائـد " الأرغـون "، فـي القدس، شموئيو كاتس، أمرًا، في 1948/9/20، نص على [1]:

(1) تمثيـل جماعـة اتسـل، فـي القـدس، لقـوانين دولـة إسـرائيل، فيمـا يتعلق بالجيش، والتعبئة، والأسلحة.

(2) انضمام جميع أعضـاء اتسل، في سن التجنيد، إلـى جيش الـدفاع الإسرائيلي.

(3) تسليم جميع أسلحة اتسل إلى جيش الدفاع الإسرائيلي.

(4) كل شخص ينضم للجيش يؤدي يمين الولاء المعتاد.

(5) يعامـل أعضــاء اتسـل المعاملـة نفسـها، التـي يلقاهـا كـل يهـودي آخر.

(6) في حال قبول اتسل هذه الشروط، في ظرف 24 ساعة، يتم حل إتسـل، وتسـليم أسـلحة مقاتليهـا، والانتظـام فـي سـلك جـيش الـدفاع، " فلـن يضـار أحد منكم، ولسوف تعـاملون بالطريقـة نفسـها التـي يعامـل بهـا كـل يهودي آخر ".

(7) إذا لم تنفذ الشـروط المـذكورة، آنفًـا، بتمامهـا، فـي ظـرف الــ24 ساعة، فسيتخذ الجيش الإسـرائيلي جميـع الإجـراءات اللازمـة لوضـع هـذا القرار موضع التنفيذ.

(1) ديفيد بن غوريون: **إسرائيل تاريخ شخصي**، الجزء الثاني، القاهرة، المخـابرات العامـة، مركز البحوث والمعلومات، د. ت، صـ112:113.

وبالفعل امتثلت " إتسل " لمطالب الحكومة الإسرائيلية.

لم يكن من الميسور، على بن غوريون التصدي للبالماخ، بالأسلوب نفسه، الذي عامل به " الأرغون "، في بداية الحرب، باعتبار البالماخ الجيش النظامي الفعلي، الذي تعتمد عليه الصهيونية، في هذه المرحلة الحاسمة من العمل، لذلك أجل أمرها إلى مرحلة تالية [1].

حُلت قيادة " البالماخ "، وأُنشئت وحدة جديدة سميت " نحال " (1948/9/21) (الحروف الأولى للكلمات العبرية، التي تعني " الشباب المقاتل الرائد ") هدفت، جزئيًا، لتحل محل " البالماخ "، لذلك تم على أساس جماعي، وفردي، تنظيم حركات الشباب الوليدة، جميعها. بحيث ضمت كل فصيلة وحدة عسكرية، ومجموعة من المستوطنين، المنتظرين، في آن واحد [2].

وبعد، فلم ينجح " جيش الدفاع الإسرائيلي " من سمات أسلافه العصابات المسلحة الصهيونية الثلاث، فيما ترك ذاك الجيش بصماته على الحركة السياسية الإسرائيلية، ولهذا دراسة أخرى.

* * *

(1) هيكل: **مصدر سبق ذكره**، صـ171:172.
(2) آلون: **مصدر سبق ذكره**، صـ41.

الفصل الخامس عشر:
إتفاقيات الهدنة

كريمة عزوم

ظلت الهدنة سلاحًا يشهره أعداؤنا لكسب الوقت، ولإعادة تنظيم صفوفهم، فضلاً عن بث الفرقة في صفوف الجيوش العربية، واتخاذ الهدنة فرصةً لجمع قوات العدو، وتجميع صفوفه، فضلاً عن إنتظار المساعدات، وشحنات الأسلحة، والطائرات القادمة لأعدائنا من تشيكوسلوفاكيا. إنتهت الحرب العربية - الصهيونية في فلسطين عام 1948، بعقد اتفاقيات الهدنة بين الدول العربية المعنية، والدولة الصهيونية، حيث رسمت بموجبها حدود الهدنة، التي خلقت منطقةً سياسيةً فلسطينيةً، ذات شكلٍ مجزأ، وحدودٍ طويلةٍ لا تتناسب مع مساحة هذه المنطقة. فقد تكونت المنطقة السياسية الفلسطينية من جزئين متباعدين، هما الضفة الغربية وقطاع غزة، تفصل بينهما أراضي دولة معادية.

خَلَقَ رسمُ خطوطِ الهدنةِ بين كلٍ من الضفةِ، والقطاعِ، وإسرائيل، على أسسٍ عسكريةٍ بحتةٍ، مشاكلَ وعيوبَ كبيرةً، تتعلق بالنواحي الاستراتيجية، إضافةً إلى ما عكسته هذه الخطوط على حياة السكان، الإقتصادية والإجتماعية، وخاصةً لدى الجانب العربي الفلسطيني، مما كان له آثارٌ سلبيةٌ على شتى نواحي الحياة، والتي ما تزال تفاعلاتها قائمة

حتى الوقت الراهن.

إن الهدنة لا تعني في القانون الدولي إنهاءَ الحرب بين الأطراف المعنية، أو إلغاء الحقوق التي تترتب على استمرار حالة، ومنها، المقاطعة، والحصار، وزيادة السفن المعادية، وتفتيشها، لا يجوز أن نفسر خط الهدنة بأي معنىً من المعاني بأنه حد سياسي، أو إقليمي، أو أنه يمس بحقوق المدنيين الموقعين على الهدنة، ومطالبهم الأساسية، فيما يتعلق بالتسوية النهائية لقضية فلسطين[1].

الأتفاقيات

طبقًا للقرار 181، الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، أعطيت الدولة العربية ما مساحته 870.589.11 دونمًا، أي ما يعادل 42% من مساحة فلسطين، حيث شملت هذه المنطقة 17 مدينة، و574 قرية، أما الدولة اليهودية، فقد ضمت 15.291.649 دونمًا، أي ما يعادل 56.67% من مساحة فلسطين، وقد شملت 19 مدينة و458 قرية فلسطينية، كما جعل مشروع التقسيم ما يعرف بمنطقة القدس منطقةً دوليةً، بلغت 00.65% من مساحة فلسطين، وضمت 4 مدن و19 قرية. حيث شكلت المناطق الخاصة بالعرب أشباه جزرٍ تتصل ببعضها من خلال خنادق أرضيةٍ ضيقةٍ، يسهل غلقها وقطعها، بسهولة، كما أن حدود الدولتين جاءت من التعقيد والتداخل، بحيث جعلت عملية تنفيذ المشروع تتطلب عمليات تبادل، وإحلال، وتعويض بين العرب واليهود، الأمر

(1) **نصوص الأمم المتحدة وملحقاتها**، بيروت 1968، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 70.

الذي كان يعتمد، بالدرجة الأولى، علـى الطواعيـة والإستجابة الذاتيـة مـن جانب الطرفين، وهو ما لم يتوفر، بـأي حـالٍ من الأحـوال. وعلـى الـرغم من انتهاء المشروع الدولـي إلى طريقٍ مسدودٍ، فإنـه وضـع قاعدةً قانونيـةً لإنشاء دولتين في فلسطين، واحدةً عربية وأخرى يهودية[1].

على مـدى السنوات التـي سبقت حـرب عـام 1948، استطـاع اليهـود تركيـز مستوطناتهم فـي عـدة منـاطق مـن فلسطين، وبخاصـة فـي منطقـة السهل الساحلي (من يافا حتى حيفا)، بالإضـافة إلـى منطقـة الجليل، حيث سيطر اليهـود علـى 36% مـن أراضـي قضـاء يافـا، و35% فـي قضـاء حيفا، و34% في قضاء بيسان، و 28% في قضاء الناصرة. أما المناطق الجبلية الداخلية وصحراء النقب، فقد بقيت عمليات الاستيطان اليهودي فيها متعثرة، بسبب الكثافة العربية، وبُعد هذه المناطق عن الساحل.

كان الهدف الأساسـي للعمليات العسكرية التـي قامت بهـا العصـابات الصهيونية المسلحة في عام 1948، هو خلق اتصال أرضـي بين الخلايـا الإستيطانية داخـل المنـاطق التـي تنتشـر فيهـا، وبالتـالي فـإن وجـود هـذه الخلايـا الاستيطانية قـد أثـر، تـأثيرًا كبيـرًا فـي توجيـه وسـير العمليـات العسكرية، أثناء الحرب، في ظل هذه الظروف كانت الحكومة البريطانية قد أعلنت بأن الإنتداب فـي فلسطين سينتهي يـوم 15 مـايو/ أيـار 1948، وقبـل هـذا الموعـد بيـومٍ واحـدٍ أعلـن ديفيـد بـن غوريـون عـن قيـام دولـة إسرائيل.

(1) غـازي السـعدي، **الأحـزاب والحكـم فـي إسـرائيل**، دار الجليـل للنشـر، عمـان، الطبعـة الأولى، 1989، ص 130 - 145.

على الجانب الآخر، كانت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية قد قررت، في اجتماعها بدمشق، في 12 إبريل/ نيسان 1948، الزحف على فلسطين ودخولها في 15 مايو/ أيار 1948، فور الجلاء البريطاني عنها، وأخذت كتائب مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان في التحرك نحو فلسطين في وضعٍ عسكريٍ عام مال لصالح اليهود، الّذين استولوا على السلاح والعتاد والمعدات العسكرية البريطانية، كما احتلوا الثكنات العسكرية، وأغلب المواقع التي انسحب منها الجيش البريطاني، بترتيب مسبق، شبه متفق عليه، مع القوات البريطانية قبيل رحيلها.

في الأيام الأولى من سير المعارك، استطاعت الجيوش العربية، وبمساندة المتطوعين الفلسطينيين " وجيش الإنقاذ "، السيطرة على معظم الأراضي التي كانت مخصصة للدولة العربية، طبقًا لقرار التقسيم، ثم أخذت القوات العربية تأخذ شكل المواقع الدفاعية، نظرًا لاختلال الميزان العسكري لصالح القوات الصهيونية. على أنه بعد مرور أسبوعٍ واحد من بدء القتال في 15 مايو/ أيار 1948، بدأت الضغوط من أجل وقف إطلاق النار، وبالفعل قبلت الدول العربية وقف القتال، أو ما يعرف بالهدنة الأولى في صباح 11يونيو/ حزيران 1948، ولمدة أربعة أسابيع متصلة.

لكن المعارك استؤنفت في 9 يوليو/ تموز، حيث استطاعت القوات الصهيونية أن تحقق بعض المكاسب في الجليل الغربي، وفي مناطق اللد، والرملة اللتين سلمهما إليها الجنرال (جون باجوت جلوب) دون قتال بعد نزع سلاح المقاومين العرب من أبنائهما، بوعدٍ بدخول القوات الأردنية

إلهما، إلا أنه لم يَفِ بهذا الوعد، فدخلتهما القوات الصهيونية دون مقاومةٍ تذكر. ثم عاد القتال إلى التوقف، مرةً أخرى في 18 يوليو/ تموز، وهو ما يعرف بالهدنة الثانية. ثم استؤنف القتال من جديد في خريف عام 1948، واستطاعت القوات الصهيونية أن تحتل النقب في الجنوب من القوات المصرية. وفي الشمال استطاعت إحتلال الجليل الغربي بأكمله، كما طردت الجيش الأردني من جنوب النقب ومعابر العقبة(1).

لقد أكدت اتفاقيات الهدنة أن خطوط الهدنة المتفق عليها لا تجحف بحقوق الطرفين في الحل الدائم للصراع في فلسطين، وأن رسم هذه الخطوط تم لإعتباراتٍ عسكرية صرفة. تجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الخط الحدودي عكس، بشكلٍ قاطع، مصالح الجانب المنتصر في الحرب، وهو الجانب الإسرائيلي، حيث سمح لإسرائيل بالاحتفاظ بما خصص لها في قرار التقسيم، إضافة إلى مساحاتٍ جديدةٍ من الأراضي التي كانت مخصصةً للدولة العربية.

الهدنة الأولى:

قرر مجلس الأمن، يوم 23 أبريل/ نيسان 1948، إعادة القضية إلى الجمعية، العامة وقبول اقتراح الهدنة، قبل 15 مايو/ أيار 1948، ودعوة كل من العرب إلى التقيد بها، وتشكيل لجنة من قناصل الولايات المتحدة، وبلجيكا وفرنسا في القدس، للإشراف على تنفيذها، ولكن أثناء الهدنة، استطاع الصهاينة أن يستوردوا الطائرات، والدبابات، والرجال، من

(1) سامي حدادي ويوسف صايغ، **ملف القضية الفلسطينية**، منظمة التحرير الفلسطينية، ص 34 - 44، مركز الأبحاث، 1968.

بريطانيا والولايات المتحدة، وواصلوا التدريب العملي الشاق، ليجعلوا من عصاباتهم جيشًا منظمًا. إلا أن قرار الهدنة ظل حبراً على ورق، فقد أرسلت اللجنة القنصلية إلى مجلس الأمن في 28 أبريل/ نيسان 1948، تقول إنها عجزت عن أن تفعل شيئاً، وأن الجيوش العربية ستغزو فلسطين، قريبًا [1].

كانت نصوص الهدنة الأساسية لبنود الهدنة، تحتم على أن أيًا من الجانبين لن يحاول تحسين وضعه العسكري، وعلى عدم تحريك القوات، أو العتاد، وعلى عدم إدخال قوات مقاتلة جديدة، من جانب أيٍ من الفريقين، وعدم السماح بدخول مهاجرين جدد، قادرين على حمل السلاح إلى فلسطين، إلا بناءً على مواقف خاصة من الوسيط الدولي[2].

لم يتقيد الصهاينة بشروط الهدنة، مما أدى إلى تحقيقهم مكاسب في المرحلة الثانية من القتال.

ولقد سميت هذه الهدنة بعد ذلك بالهدنة الأولى، والتي بدأت من 11حزيران/ يونيو - 8 تموز/ يوليو 1948[3].

إزاء النجاحات العسكرية العربية الفلسطينية استنجدت السلطات الصهيونية بالولايات المتحدة، التي سارعت إلى مجلس، الأمن في 22مايو/ أيار 1948، اتخذ مجلس الأمن قرارًا، وجه فيه نداءً إلى

(1) محمد عزة دروزة، **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، بيروت 1960، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الرابع، 1984، ص 526.
(2) أمل خليفة، **ماذا حدث في فلسطين 1948**، الإسكندرية، دار المدائن، 2003، ص 171.
(3) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص 526.

المتحاربين، بوقف القتال خلال ست وثلاثين ساعة، في منتصف ليلة 22 - 23 مايو/ آيار، ولكن الحكومات العربية رفضت الإستجابة لهذا النداء، فتقدمت بريطانيا إلى مجلس بمشروع يدعو الطرفين إلى وقف القتال مدة أربعة أسابيع، مع التعهد بعدم إرسال محاربين، ومواد حربية إلى الشرق الأوسط [1].

الهدنة الثانية:

إن أيام القتال، بعد الهدنة الأولى، لم تطل، لأن مجلس الأمن فرض هدنة جديدة، بعد سقوط اللد، والرملة، والناصرة، في أيدى الصهاينة، حيث تسارعت الأحداث، انحدارًا، في النصف الثاني من عام 1948، ورفع الستار عن مظاهر التماسك الزائف بين العواصم العربية، وازداد العدو صلفًا وجبروتًا، بتحقيقه السيطرة الجوية التامة، ونمو ترسانته من الأسلحة الثقيلة، وإنفضاح غياب أدنى درجات التنسيق بين الجيوش العربية.

كان مجلس الأمن قد قرر سريان هدنة، تبدأ في 18 يوليو/ تموز 1948، تحت طائلة العقوبات، بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، ومن دون تحديد مهلة زمنية لها، خلافا لما حدث عند إقرار الهدنة الأولى، في 11 يونيو/ حزيران - 8 يوليو/ تموز، على أن يقوم الوسيط الدولي الكونت فولك برنادوت بمساعٍ، للوصول إلى تسويةٍ دائمةٍ بين الطرفين المتحاربين[2].

---

(1) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص 527.

(2) وليد الخالدي، **خمسون عاما على حرب 1948 أولى الحروب الصهيونية العربية**، دار

قدم برنادوت مشروعه المعّدل، قبيل وفاته، والذي انطوى على تعديلاتٍ إقليميةٍ، لصالح العرب، والذي نص على وضع القدس تحت إدارة الأمم المتحدة، مع إتاحة الحكم الذاتي لكل من العرب واليهود، وأكد حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة، في أقرب فرصة، وتعويض هؤلاء الذين لا يرغبون في العودة، على أن تتولى لجنة الوساطة بحث تفاصيل هذا الموضوع. وكان تأسيس لجنة الوساطة هو التوصية الرابعة الأساسية الواردة في " مشروع برنادوت "، كذلك اقترح المشروع ضم القسم العربي من فلسطين إلى الأردن، لعدم إمكان الاتحاد الاقتصادي بين هذا القسم وبين اسرائيل. وكان برنادوت يرى في هذه التعديلات أن إسرائيل صارت أمرًا واقعًا [1].

تضمنت الهدنة، المستمدة من ميثاق الأمم المتحدة، أن الوضع في فلسطين يهدد السلام، وبالتالي أمر مجلس الأمن في 15يوليو/ تموز بوقف الأعمال العسكرية في فلسطين، خلال ثلاثة أيام، تحت طائلة العقاب، مع حماية الأماكن المقدسة، وإشراف وسيط الأمم المتحدة على سير الهدنة، إلى أن يتم التوصل إلى تسويةٍ سلميةٍ للصراع.

لم يكن هناك أمام العرب من سبيلٍ إلا قبول الهدنة، فقد أدركوا مدى عمق المأساة في قيادة غلوب، الإنجليزي وعمقت لديهم آلام تسليم اللد والرملة، أما الصهاينة فقد كانوا يستفيدون من كل هدنةٍ، يعدون

النهار، للنشر بيروت 1998، ص 105 - 107.

(1) الدكتور صلاح العقاد، **1968 قضية فلسطين، المرحلة الحرجة 1945 - 1956**، ص 131.

ويستعدون، وتوالي الدول الأمبريالية الغربية إمدادهم بالعتاد والسلاح، وكثيرًا ما ضرب الصهاينة بالهدنة عرض الحائط، وزحفوا، فاحتلوا قرىً ومساحات، بينما مجلس الأمن الدولي لا يحرك ساكنًا، ولا يسمع لشكوى العرب، ولا يشغل باله بها [1].

من الملاحظات الهامة على اتفاقيات الهدنة، بالإضافة إلى أنها أعطت لإسرائيل السيطرة على أكثر من ثلاثة أرباع فلسطين، ما يلي: [2]

سلّم العرب بسيطرة الصهاينة على النقب الجنوبي، حتى خليج العقبة، رغم أن القوات الصهيونية احتلته أثناء أوقات فرض الهدنة، ولم يبق للعرب موضع قدم في جنوب فلسطين.

نصت الاتفاقية على إجراء تعديلات في الخطوط التي تقف عندها القوات، وتحديدًا على خط الهدنة بين الأردن وإسرائيل، وأهم هذه التعديلات ما يعرف بقضية المثلث. يقع المثلث في الشمال الغربي للضفة الغربية بمساحة تقدر بنحو 350 ألف دونم، من أخصب الأراضي، وتضم عدة قرى عربية، وبدأت القضية عندما صرح إيتان، نائب وزير الخارجية الإسرائيلي، في رسالةٍ إلى الملك عبد الله أنه " إذا غادرت القوات العراقية منطقة المثلث، حلّت محلها قوات إسرائيلية ". وأن " حلول القوات الأردنية محل القوات العراقية يعتبر ضد اتفاقية الهدنة ".

(1) **نصوص الأمم المتحدة وملحقاتها ومنشوراتها**، منشورات الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1968، ص24.

(2) **إتفاقية الهدنة العربية - الإسرائيلية، فبراير - يوليو 1949**، منشورات مؤسسة الدراسات العربية، بيروت، 1969، ص 51 - 63.

وبعد موافقة الجانب الأردني على إجراء مفاوضات استثنائية، حول منطقة المثلث مع الجانب الإسرائيلي، جرى الإجتماع لبحث القضية، في مدينة الشونة الأردنية يوم 1949/3/23، بحضور المندوبين الأردنيين والإسرائيليين، حيث حاول الجانب الأردني إستثناء قرى الطيبة وأم الفحم، وباقة الغربية من المنطقة التي يطالب الجانب الإسرائيلي بضمها إلى إسرائيل، ولكن الجانب الأردني لم ينجح في ذلك، واستطاع الجانب الإسرائيلي إنتزاع موافقة أردنية على أن تتم عملية سيطرة اسرائيلية على منطقة المثلث (كل المثلث)، على ثلاث مراحل. وأن تتم المرحلة الأولى بعد خمسة أسابيع من توقيع اتفاقية الهدنة العامة، المرحلة الثانية بعد ذلك بسبعة أسابيع، والثالثة بعد خمسة عشر أسبوعًا من توقيع اتفاقية الهدنة، وخلال هذه الفترة يحل الجيش الأردني محل الجيش العراقي، كي يكون في وضعٍ يمكنه من تسليم المثلث للقوات الصهيونية تنفيذًا للاتفاق.

خط الهدنة بين قطاع غزة وإسرائيل:

تحدد خط الهدنة في قطاع غزة بناءً على تقديراتٍ عسكريةٍ صرفةٍ، دون الأخذ بعين الاعتبار الطبيعة الجغرافية للمنطقة، التي سوف يسير فيها خط الهدنة، أو احتياجات السكان المحيطين بها، أو مدى تأثيره عليهم، حيث حاول الجانب الإسرائيلي أن يضمن لنفسه أكبر قدرٍ ممكنٍ من الأرض، بصفته الجانب القوي، ومن ثم جاء خط الهدنة بين قطاع غزة وإسرائيل علي الشكل التالي:

يبدأ خط الهدنة بين قطاع غزة، والأراضي التي احتلتها إسرائيل في الشمال، بالخط الممتد من شاطئ البحر الأبيض المتوسط على مجرى

وادي الحسى (وادي شكمة)، متجهًا شرقًا، نحو دير سنيد، قاطعًا طريق غزة - المجدل، حتى يصل إلى نقطة تبعد 3 كيلو متر شرق ذلك الطريق، ومن ثم يتجه جنوبًا بمحاذاة طريق غزة - المجدل، حتى يلامس الحدود المصرية، في نقطةٍ تبعد نحو 12 كيلو مترًا عن شاطئ البحر المتوسط. لقد تم تحديد هذا الخط من قبل لجنة عسكرية مصرية - إسرائيلية، واعتبر بمثابة الخط الفاصل بين قطاع غزة وإسرائيل. ورغم أن هذا الخط تم رسمه على الطبيعة فإنه لم يتطابق في بعض القطاعات، تمامًا، على ما تم الاتفاق عليه. ففي الشمال لم يبدأ الخط بمصب وادي الحسى (وادي شكمة)، بل إلى الجنوب منه بنحو كيلو متر واحد، لصالح إسرائيل، وكذلك لم يمر الخط من دير سنيد، بل على بعد اثنين كيلو متر إلى الجنوب منها، لصالح إسرائيل أيضًا، ومر خط الهدنة لقطاع غزة مع إسرائيل بمنطقة سهليه مكشوفة، تعلوها سلسلتان من تلال الحجر الرملي الموازية تقريبًا لخط الساحل، والتي ترتفع في بعض الأحيان إلى نحو مائة متر ويسير خط الهدنة على طول السلسلة الشرقية أو بالقرب منها[1].

1 - إتفاقية الهدنة بين مصر - إسرائيل:

بقرارات مجلس الأمن القاضية بوقف القتال، وبدء مفاوضاتٍ علنيةٍ، بغية الوصول إلى هدنةٍ دائمةٍ، والاتفاق على الحدود الفاصلة بين الأطراف المتحاربة، بدأت المفاوضات المصرية - الإسرائيلية في 13

(1) جمال البابا، **خطوط الهدنة بين الضفة العربية وقطاع غزة وإسرائيل**، صفحة الكترونية،
http://www. oppc. pna. net/mag/mag5 - 6/new - page - 2. htm

يناير/ كانون الثاني 1949، جرت مفاوضات الهدنة في جزيرة رودس، برعاية نائب الوسيط الدولي، رالف باتش، ولكنها تحولت، بالتدريج، إلى مفاوضاتٍ مباشرةٍ بين الطرفين، من دون وساطةٍ دولية [1].

بعد توقف المعارك، قامت كل من مصر وإسرائيل في 24 شباط (فبراير) 1949، بتوقيع اتفاقية الهدنة، وفيها أنه على كلٍ من الفريقين، بمقتضى قرارات مجلس الأمن، عدم القيام بأي عدوانٍ ضد الآخر، ويوافقان على إقامة خطوطٍ للهدنة، يتعهد الطرفان بعدم السماح لقواتهما باجتيازها.

تنص الاتفاقية كذلك على انسحاب الحامية المصرية في الفالوجة، وهي الحامية التي صمدت أمام الهجمات الصهيونية المتتالية، مع عتادها إلى ما وراء الحدود المصرية[2].

كان مطلب مصر الأول، العودة إلى ما وراء حدوده في 15أكتوبر/ تشيرين الأول، أي الحدود، التي كانت قائمةً، قبل عملية يوآف، عملاُ بقرار مجلس الأمن القاضية بذلك. كما رفضت مصر الإقرار بشريعة الإحتلال وإسرائيل لبئر سبع الواقعة داخل الدولة الفلسطينية، بموجب قرار التقيسم، وطالبت مصر بإجلاء قواتها التي كانت مازالت محتصرة في الفالوجة[3].

---

(1) الخالدي، **مصدر سبق ذكره**، ص 139 - 140.
(2) جورج طعيمة، **قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربى - الإسرائيلى 1947 - 1974**، بيروت، 1973، ص 530.
(3) الخالدي، **مصدر سبق ذكره**، ص 140.

يدون بـن غوريـون فـي " يوميـات الحـرب "، " بتـاريخ 24 فبرايـر/ شـباط 1949، وهـو يـوم توقيـع إتفـاق الهدنـة مـع المصـريين، بعـد إقامـة الدولة، وانتصاراتنا في ميدان القتال، فإن هذا هو الحدث الأعظم، خلال عام الأعمال المجيدة أي سنة 1948 " [1].

2- إتفاقية الهدنة بين لبنان وإسرائيل 1949/3/23:

جرت مفاوضـات الهدنـة فـي رأس النـاقورة، وكانـت إسـرائيل تمسـك بيدها ورقةً كبرى، وهى احتلال 14 قرية لبنانية، احتلتها في أثناء عملية " حيرام "، وتم توقيع الاتفاقية، وتحدد خط حدود الانتداب خطًا للهدنـة، وكـان الهـدف الرئيسـي مـن الإتفـاق، هـو وضـع خـط لا يجـوز للقـوات العسكرية للفريقين أن تتجاوزاه في تنقلاتهما.

بدأت المحادثات بين الطـرفين، فـي 14 ينـاير/ كـانون الثـاني 1949، ولكـن إسـرائيل آثـرت أن تؤجـل المحادثـات إلـى مـا بعـد توقيـع الاتفـاق الإسرائيلي - المصري، واستؤنفت المفاوضـات فـي آذار/ مـارس1949، في مركز رأس الناقورة، على الجانب الفلسطيني من الحدود، الذي كان الجيش اللبناني قد احتله عند بدء القتال.

أصرت إسرائيل، عند إستئناف المفاوضـات، علـى ربـط الإتفـاق بـين الطرفين، بإنسحاب الجيش السوري، مـن رأس الجسـر، الـذي أقامـه عبـر نـهر الأردن، جنـوبي الحولـة، عنـد احـتلال الجـيش السـوري مسـتعمرة " مشمار هيرودين ". وعند تعثر المفاوضات، تدخل نائب الوسيط الدولي " رالف بانش "، وأخذ يضغط على إسرائيل، لتوقيع إتفاق الهدنة مع لبنان.

(1) الخالدي، **المصدر نفسه**، ص 142.

في 16 مارس/ آذار، بحث بن غوريون الأمر مع قادته العسكريين ومستشاريه في الخارجية، وحسمه لفك الربط بين الاتفاق مع لبنان، وانسحاب الجيش السوري من " مشمار هيرودين "، شرط إعادة لبنان لمركز رأس الناقورة الحدودي، وخروج كتيبة سورية كانت مرابطة في لبنان.

يذكر بن غوريون يوميات الحرب، في التاريخ ذاته، الأسباب التي دعته إلى اتخاذ هذا القرار، على النحو التالي:

1 - يقوي هذا الإتفاق موقفنا في إيلات (أي العقبة).

2 - يعزز موقفنا في المحادثات مع شرق الأردن.

3 - يسهل لنا العملية في المثلث (جنين - طولكرم - نابلس) إذا كنا سنضطرللتحرك بهذا الإتجاه.

4 - وسندٌ يعزز مطلبنا من السوريين، كما أننا لا نريد أن نربط دولة عربية بأخرى.

هكذا تم في رأس الناقورة، في 23 مارس/ آذار1949، الاتفاق على الهدنة الدائمة، بين إسرائيل - لبنان، وأصبحت الحدود الانتدابية الدولية الحد الفاصل بين الطرفين(1).

3- إتفافية الهدنة بين الأردن - إسرائيل (1949/4/3):

وقعت اتفاقية الهدنة بين الأردن وإسرائيل، في 4 إبريل/ نيسان 1949، والتي كرست الوضع العسكري، بحسب تعديلات الحدود المتفق

(1) الخالدي، **المصدر نفسه**، ص 142 - 143.

عليها بين الجانبين، في الطرفين الشمالي والجنوبي من الضفة الغربية، وبينما كانت محادثات الهدنة دائرة بين الأردن وإسرائيل في رودس، تابعت القوات الإسرائيلية عملياتها العسكرية التوسعية جنوب النقب، واحتلت قرية أم الرشراش المصرية على رأس خليج العقبة، لتقيم مكانها مدينة إيلات، وميناءها، وترجع أهمية هذا الميناء من كونه بوابة إسرائيل البحرية على قارتي آسيا وإفريقيا[1].

لقد تضمن الاتفاق الذي وقع صباح 1949/3/24، بندًا هامًا، يتضمن وعدًا من الصهيانة، أنهم سيبادلون المثلث (جنين - طولكرم - نابلس) بمساحةٍ مساويةٍ له من الأرض، التي يسيطر عليها اليهود، وبالخصوبة نفسها، وهو ما أكدته إتفاقية الهدنة، حيث جاء في المادة السادسة من الاتفاقية ما يلي: [2]

1 - من المتفق عليه أن القوات الأردنية ستحل محل القوات العراقية، في القطاع الذي تسيطرعليه هذه الأخيرة، إذ أن نية حكومة العراق بهذا الصدد قد أبلغت إلى الوسيط بالوكالة، في الرسالة المؤرخة في 20 مارس/ آذار من وزير خارجية العراق، مجيزةً تفويض المملكة الأردنية الهاشمية، بأن تفاوض عن القوات العراقية، ومصرحة بأنه سيجري سحب تلك القوات.

---

(1) **فلسطين تاريخها و قضيتها**، ط4، بيروت، 1983، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 125 - 126.

(2) **إتفاقية الهدنة العربية - الإسرائيلية**، صفحة الكترونية، http://nakba. sis. gov. ps/nakba48/nakba1948 - 6. html

2 - يكون خط الهدنة للقطاع الذي تسيطر عليه الآن، القوات العراقية كما هو.

3 - يتعلق هذا البند بكيفية دخول القوات الإسرائيلية إلى أرض المثلث (جنين - طولكرم - نابلس).

4 - إن خط الهدنة في قطاع الخليل - البحر الميت. والذي يشكل إنحرافًا كبيرًا عن الخطوط العسكرية الحالية، لمصلحة القوات الأردنية، إنما حدد مقابل تعديلات الخطوط العسكرية الحالية في القطاع العراقي.

ورغم وجود هذا النص الواضح في اتفاقية الهدنة بخصوص التبادل، في الاتفاقية لم تحدد الوقت لتنفيذ هذا البند، الذي لم يلتزم الجانب الإسرائيلي تنفيذه، وبذلك أصبحت هذه القضية دربًا من الماضي.

كما أن الاتفاق كان يقضي بأن يعطى القرويون بعض الحماية، وأن يبقوا في قراهم، ويعيشوا على أرضهم، لكن هذه المادة، أيضًا، لم تنفذ، وطرد الجزء الأكبر من العرب من منطقة المثلث، كما انتزعت ملكية كل أهالي المدن في المنطقة العربية، الذين كانوا يملكون أراضي في المثلث، ومنعوا من الوصول إلى ممتلكاتهم، لأنهم اعتبروا من الغائبين[1].

5 - كان من ضمن التعديلات التي حدثت في الحدود، وهي لصالح إسرائيل، أيضًا، إعتراف الأردن لإسرائيل بحقها في منطقة عين جدي، وهي منطقة حيوية تقع على البحر الميت.

(1) عزت طنوس، **الفلسطينيون - ماضي مجيد ومستقبل باهر**، مركز الأبحاث، م. ت. ف، بيروت، ص 34 - 36.

هكذا كانت النقطة الرئيسية، التي حددت الخط الحدودي بين الأردن وإسرائيل، في اتفاقية الهدنة، عام 1949، هي المواقع والإستحكامات، التي تحصن خلفها كلٌ من طرفي النزاع، هذا بالإضافة إلى الدور الأساسي الذي لعبته طرق المواصلات الرئيسية في تحديد هذا الخط الحدودي. وباستثناء هذين العاملين - أي البعد العسكري، وطرق المواصلات، فإن واضعي الخط الحدودي تجاهلوا جميع العوامل، الطبيعية، والبشرية، والفيزيائية، فضلاً عن الحدود التي وضعها قرار التقسيم ذاته، في إقرار الخط الحدودي، إلا إذا كان لهذه العوامل بعدًا عسكريًا، والسبب الرئيسي في ذلك أن الذين قاموا بتخطيط الحدود هم من العسكريين، وتركز اهتمامهم على النواحي العسكرية دون سواها، الأمر الذي لا ينطبق علي الطرف الأسرائيلي، الساعي نحو زيادة مساحة الرقعة المحتلة من فلسطين.

طبقًا لاتفاقية الهدنة، يبدأ " الخط الأخضر " من نقطة قرب عين جدي، على البحر الميت، ويتجه نحو الغرب، مارًا جنوب جبل الخليل، حتى المنحدرات الشرقية لجبال الجلبوع، ثم يمر عبر مرتفعات وسط فلسطين حتى يصل إلى طريق الخليل - بئر السبع، وبعد قطعه للطريق، ينحرف نحو الشمال الغربي، ثم نحو الشمال حتى يصطدم بطريق الخليل - بيت جبرين. ينحرف الخط نحو الشمال الشرقي، أي نحو بوابات القدس الجنوبية، ومع هذا الإنحراف تبدأ الحدود الجنوبية للمنطقة المسماة " ممر القدس "، هذا الممر الذي يعتبر بروزًا إسرائيليًا داخل الضفة الغربية كي يصل القدس بالعمق الإسرائيلي، وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الخط في

هذه المنطقة عُدِّل لصالح إسرائيل، بحيث أبقى خط السكة الحديد، الذي يربط القدس بالقطاع الساحلي، تحت السيطرة الإسرائيلية. ثم يسير الخط الحدودي بالقرب من قرية بتير، وحتى القدس، قاطعًا سهل وادي شورك، بمحاذاة السكة الحديدية المذكورة من الناحية الجنوبية. وباستثناء قطاعٍ صغيرٍ من وادي شورك، فإن الخط الحدودي لا يستند إلى أي معلمٍ طبيعي، خاصةً أثناء مروره بممر القدس، وتجاهل كذلك انتشار أراضي الأهالي الفلسطينيين، وموارد رزقهم، حيث فصل الخط الحدودي بين المواطنين الفلسطينيين، وأراضيهم الزراعية. وحال وصول خط الهدنة إلى بوابات القدس الجنوبية، ينحرف نحو الشمال، ثم نحو الغرب، باتجاه المرتفعات الجبلية، والقطاع الساحلي. وبدءًا من قرية قطنة، وحتى قرية بودروسي، ينقسم خط الهدنة إلى خطين، تاركًا بينهما منطقةً خاليةً، دون سيادة (المنطقة الحرام في اللطرون)، يتراوح عرضها ما بين 500 متر إلى 3 كيلومتر، ويسير الخطان الحدوديان في هذا القطاع باتجاه الغرب، حتى يصلا قرب كنيسة اللطرون، ثم يتجهان نحو الشمال الشرقي، حيث يشكلان منطقةً عربيةً عازلةً داخل الأراضي الإسرائيلية، قبل أن يتجه الخطان نحو الشمال، وينحدر خط الهدنة في القطاع الواقع بين القدس وكنيسة اللطرون من رأس الجبل على إرتفاع 800 متر إلى مناسيب أقل، لا يزيد ارتفاعها عن 200 متر قرب كنيسة اللطرون. وإثر قطع خط الهدنة للمنطقة شبه السهلية في منطقة قلقيلية، يتجه نحو الشمال حتى بوابة سهل عارة. وقد روعي في خطي الهدنة بالقرب من مدينتي قلقيلية وطولكرم، أن تظل هاتان المدينتان، ضمن الأراضي العربية، وبعد أن

يتجاوز خط الهدنة هاتين المدينتين ويقطع قرية برطعة، يتجه الخط نحو الشمال الشرقي، بمحـاذاة وادي عـارة، والطريق الرئيس الـذي يمر بـه، ويواصل الخط سيره عبر جبال أم الفحم، لمسافة تتراوح بين 3 - 4 كم جنوب سهل عـارة، حتـى يصـل إلـى سـهل مـرج بـن عـامر، بجـوار قريـة زبوبة. وينحرف خط الهدنة بالقرب من قرية زبوبة، وعلى مداخل مرج بن عامر، إلى الجنوب الشرقي، ثم إلـى الشرق علـى منحدرات أم الفحم قاطعًـا الطـرف الجنـوبي لمـرج بـن عـامر، مقابـل جنـين، ثـم يتسـلق المنحدرات الغربية لجبال الجلبوع، وعلـى ظهر الجبال يتجه الخط فـي البداية، نحو الجنوب الشرقي ثم نحو الشرق، ويسير على المنحدر المتجه نحو الشمال والشرق، بمحاذاة الجرف، تمامًا. وبـالقرب مـن قريـة المغير يمـر الخــط الحــدودي أعلــى قمـم الجلبــوع (523 متـرًا) متجهًــا نحــو المنحدرات الشرقية للجلبوع، حتى يصل إلى مجرى نهر الأردن، وتسير الحـدود علـى هـذا المنحـدر، بمحـاذاة وادي بـزق، مسـافة 3 كـم تقريبًـا، ويعتبر هذا الجزء من خط الهدنـة هـو الجـزء الوحيد بين الضـفة الغربيـة وإسـرائيل الـذي يسير فيـه مـع معلمٍ طبيعـي، غيـر أن الخط يتخلـى عـن مجرى وادي بزق، بجوار قرية كعون قاطعًا منطقة سنجة حتى يصل إلى مجرى نـهر الأردن، في المكان الـذي يصـل فيـه ارتفـاع ضـفته إلـى 252 مترًا، حيث يلتقـي الخط، فـي هذا المكـان، مـع الحـدود الدوليـة لفلسـطين والأردن، التي تم تحديدها عام 1922[1].

---

(1) موشيه برافر، **حدود أرض إسرائيل**، ترجمة بدر عقيلي، دار الجليل للنشر، 1982، ص 67 - 88.

4- إتفاقية الهدنة بين سورية وإسرائيل1949/7/20:

لقد تأخرت اتفاقية الهدنة بين سورية وإسرائيل عن سائر الإتفاقيات، لأن القوات السورية كانت قد احتلت مستعمرة " مشمار هايردن "، وهي واقعه في أرض فلسطين المخصصة للصهيانة، وفقًا لقرار التقسيم، حيث أصرت السلطات الإسرائيلية على انسحاب القوات السورية منها، لتكون الحدود الدولية بين فلسطين وسورية، هي حدود الهدنة، وتمسك السوريون بها وأخيرًا جُعل خط الهدنة، منتصف خط القتال وأخلى السوريون " مشمار هايردن "، كما أخلى الصهاينة بعض المواقع، وجُعلَت بينهما منطقةٌ عزلة، تحت إشراف المراقبة الدولية، لا تدخلها قوى عسكرية سورية، أو يهودية، ووقعت الاتفاقية في 20 يونيو/ حزيران 1949، وسرت على جميع اتفاقيات الهدنة هذه الأحكام المستوحاة من الاعتبارات الوارد ذكرها أعلاه، بالنسبة إلى اتفاقية الهدنة الإسرائيلية المصرية[1].

اختراق إسرائيل للهدن والاتفاقيات:

كان هناك اختراق دائم من الكيان الصهيونى على اختراق جميع الهدن التى ابرمتها مع الدول العربية، كان هناك الجان دوليه لمراقبة الهدن الاربعة على ان تختص كل لجنة بمراقبة الاتفاقيات بين اسرائيل وكل من الدول العربية الموقعة للهدن لكنها كلها باءت بالفشل وذلك نتيجة اختراق اسرائيل الدائم للهدن. جاء خط الهدنة به العديد من العيوب وجوانب القصور، نوجزها فيما يلي:

---

(1) السلطة الوطنية الفلسطينية، الهيئة العامة للاستعلامات، **النكبة**، صفحة الكترونية، http://nakba. sis. gov. ps/nakba48/nakba1948 - 6. html

أ - تعيين خط الهدنة:

تمت عملية تعيين خط الهدنة على أرض الواقع، بصعوبة بالغة، وإن كانت هذه الصعوبة قد إختلفت في مداها من منطقة لأخرى، فهناك مناطق كانت تتسم بالحساسية، إما لموقعها الإستراتيجي أو لكثافة سكانها، أو أهميتها في السيطرة على بعض الموارد الطبيعية، وبخاصة مصادر المياه. لقد تم تعيين قطاعات طويلة من خط الهدنة في أعقاب توقيع اتفاقية الهدنة مباشرة (1949 - 1951) غير أن هناك قطاعات أخرى تم تعليمها في فترة لاحقة، واستمرت حتى منتصف الخمسينات، إما بسبب صعوبة التحديد، أو بسبب الرغبة في إدخال بعض التعديلات الحدودية التي تخدم أمد طرفي الصراع. ومن أهم هذه التعديلات ما حدث في خط الهدنة في منطقة جلبوع، حيث تم تحريك الخط شرقًا إلى ما بعد أراضي قرية جلبوع، كذلك التعديل الذي أجري بالقرب من قرية فقوعة، والتعديل الذي أجري في وادي عارة، حيث تبادل الطرفان بعض الأراضي. لم يكن الجانب الإسرائيلي نزيهًا في عملية وضع العلامات لدرجة أن الجانب الأردني إتهم الجانب الإسرائيلي بأنه إستولى على أراضي خلال عملية وضع العلامات، وتم تشكيل لجنة توصلت إلى أن هناك خطأ في الحدود، لمصلحة إسرائيل، في منطقة بيت جبرين، حيث تم تصحيح الوضع بتحريك خط الهدنة ناحية الغرب لصالح الضفة الغربية. وحسب بعض المصادر فإن الجانب الإسرائيلي استولى على آلاف الدونمات في منطقتي الخليل وجنوب القدس وكانوا يقدمون كل مرة خرائط جديدة يقولون إنها وقعت في رودس، وقد أجرت السلطات الأردنية تحقيقًا في ذلك تبين وجود مطابقة بين هذه الخرائط وبين الخرائط الموجودة مع الجانب

الأردني [1]

ب - خط الهدنة والسكان:

ألحق سير خط الهدنة بين الضفة الغربية وإسرائيل أضرارًا كبيرة بالسكان، وبخاصة السكان على الجانب الشرقي من الخط، وليس أدل على ذلك أن الخط الحدودي قطع أثناء سيره أراضي 75 قرية، وبلغ عدد السكان المتضررين على الجانب الشرقي للخط نحو 96 ألف نسمة من العرب، إضافة إلى عشرات الآلاف من السكان من سكان القدس وقلقيلية وطولكرم.

اختلف الضرر الذي لحق بالسكان والقرى العربية من جراء رسم خط الهدنة من منطقة إلى أخرى. فقط كان أبلغ الضرر في منطقة السهل الساحلي، بسبب الكثافة السكانية العالية نسبيًا، وأصاب بأضرار أقل منطقة صحراء الخليل، التي كانت مأهولة فقط بالبدو الرحل. ففي منطقة السهل الساحلي لم تكن الأضرار التي أصابت القرى العربية وسكانها مقتصرة على إقتطاع أجزاء من أراضي هذه القرى، بل تعدى ذلك إلى التأثير وبشكل مباشر، على مصادر الرزق، وحياة السكان الإجتماعية، والإقتصادية. فخط الهدنة منع القرويين في المنطقة الحدودية من الوصول إلى أراضيهم السهلية الموجودة في مرج بن عامر والسهل الساحلي، واضطرهم للجوء إلى المنطقة الجبلية، والتي لم يكن بإمكانها الحلول محل أراضيهم. ورغم تطور العلاقة بين قرى المناطق الحدودية في الجانب الشرقي من الحدود وبين المدن الجبلية البديلة، إلا أن هذه

(1) **الدولة الفلسطينية**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1993.

العلاقة إختلفت تمامًا عن العلاقة التي كانت قائمة بين هذه القرى والمدن الساحلية، فقد كانت هذه القرى على إتصال مباشر بمدن السهل الساحلي حيث تقوم بتصريف منتجاتها، إضافة إلى الأيدي العاملة الزائدة عن حاجة الزراعة التي كانت تجد لها فرص عمل في المدن الساحلية الكبيرة نسبيًا.

كل هذا أدى إلى أن تعيش هذه القرى في ضائقة إقتصادية مفاجئة، دفعت العديد من سكانها، ودفع الشباب منهم للهجرة إلى دول النفط العربية، ووصلت هذه الهجرة إلى ذروتها خلال فترة الخمسينات والستينات، هذا رغم أن الزراعة في القرى الحدودية أخذت تنتعش، في هذه الفترة، بعد أن وجدت منفذًا لتصدير منتجاتها إلى الدول العربية عبر الأردن. كذلك فإن المناوشات الحدودية التي كانت تنشب، بين الحين والآخر بين إسرائيل من جهة، والأردن والفدائيين الفلسطينيين من جهة أخرى، في الفترة 1949 - 1967، كان لها وقع شديد على قلة إزدهار القرى الحدودية القريبة من خط الهدنة، حيث ساعدت على هجرة الشباب إلى الخارج، إضافة إلى عزوف رأس المال عن الإستثمار في هذه المناطق [(1)].

جـ - الحدود ومصادر المياه والتربة:

إن مساحة فلسطين المحدودة نسبيًا جعلت من الصعوبة بمكان تقسيم مصادرها المائية، بالإضافة إلى التشابك الشديد بين هذه المصادر، وإعتماد بعضها على البعض الآخر، ومما زاد من هذه الصعوبة أيضًا

(1) برافر، **مصدر سبق ذكره**، ص 97.

تركز الغالبية الساحقة من مصادر المياه في الجزء الشمالي والأوسط منها، أما الجنوب فهو شحيح في مصادره المائية. ولما فرضت الظروف السياسية والعسكرية رسم خط الهدنة أصبحت القضية أكثر تعقيدًا، حيث أوجب ذلك تقسيم مصادر المياه في فلسطين بين العرب واليهود. لقد جاء خط الهدنة في مكان شديد الحساسية من الناحية المائية، حيث يسير هذا الخط مع السفوح الغربية لجبال الضفة الغربية، وإن كان في بعض المناطق يمر في كنتورات مرتفعة نسبيًا، بمعنى أن خط الهدنة يمر بين منطقة جبلية مرتفعة في الشرق ومنطقة سهلية منخفضة في الغرب. وتتراوح كمية الأمطار في المنطقة الجبلية ما بين 600 و700 ملم سنويًا، هذه الكمية من الأمطار يتسرب جزء كبير منها داخل الصخور، ليستقر في باطن الأرض على هيئة مخزون من المياه الجوفية. هذه المياه الجوفية لا تستقر كلها داخل الضفة الغربية، بل ينساب جزء منها عبر خط الهدنة بإتجاه الغرب صوب السهل الساحلي في الجانب الغربي من الخط، وتقدر كمية المياه الجوفية المتجددة في الضفة الغربية بنحو 650 مليون متر مكعب سنويًا.

إن إهتمام إسرائيل بمياه الضفة الغربية، لا ينحصر في مصادر المياه داخل الضفة الغربية فحسب، ولكن الإهتمام الرئيسي مُرَكَّز على المياه الجوفية التي تنساب من الضفة الغربية عبر الأحواض الجوفية، إلى السهل الساحلي، حيث تقدر كمية إستهلاك إسرائيل السنوية من هذه الأحواض، بنحو 450 مليون متر مكعب، تمثل نحو 25% من إستهلاك إسرائيل المائي، وهي المصدر الرئيسي للمياه في منطقة السهل الساحلي،

ومن ثم فإن هذا التعقيد في شبكة المياه الجوفية، يخلق نوعًا من الارتباك الشديد للسلطات المسؤولة على جانبي خط الهدنة.

أما فيما يتعلق بالتربة، فإن مرتفعات الضفة الغربية، تعتبر المصدر الرئيسي الذي يمد السهل الساحلي على الجانب الغربي لخط الهدنة، بالتربة، حيث تقوم الأودية الموسمية، بحمل الطمي من المرتفعات إلى السهل الساحلي، ومن ثم فإن خططًا تنموية فلسطينية، تستدعي إقامة سدود، على هذه الأودية، للإستفادة من مياهها، سوف يمنع وصول الطمي إلى السهل الساحلي، مما قد يتسبب في تقليل كفاءته، في الإنتاج الزراعي [1].

د - خط الهدنة داخل مدينة القدس:

لقد كانت مدينة القدس قبل عام 1948 بمساحتها البالغة نحو 20 كم مربع، تشمل بالإضافة إلى مدينة القدس نفسها بعض القرى والبلدات المحيطة بها، والتي تعتبر أبو ديس أقصاها من الشرق، وبيت لحم أقصاها من الجنوب، وعين كارم أقصاها من الغرب، بما في ذلك المساحة المبنية من موتا، وكانت شعفاط أقصاها من الشمال. وبعد حرب عام 1948 وإستيلاء كل طرف على جزء من المدينة تمت عملية رسم وتعيين الحدود داخل المدينة، وكان وقع خط الهدنة داخل المدينة مغايرًا تمامًا لوقعه في أي مكان آخر من الخط الأخضر، حيث قسم المدينة إلى قسمين إنفصل كل منهما عن الآخر إنفصالاً تامًا.

(1) برافر، **مصدر سبق ذكره**، ص 112 - 115.

إن قيام الحدود بتقطيع إحدى العواصم، وفصلها إلى جزئين هو أمر نادر الحدوث، ويؤدي إلى خلق أوضاع جديدة، وقد إعتاد الكثيرون على تشبيه التقسيم الذي حدث لمدينة القدس بالتقسيم الذي أجري في مدينة برلين عاصمة ألمانيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، غير أن الوضع يختلف إختلافًا جوهريًا بين المدينتين، فالتقسيم في مدينة برلين لم يكن عرقيًا أو طائفيًا كما هو الحال في مدينة القدس، بالإضافة إلى أن طبيعة المدينة المقدسة أضفت على التقسيم طابعًا فريدًا، ساعد في عزل قسمي المدينة عن بعضهما البعض بصورة أكثر سهولة عما هو الحال في برلين.

مع العلم أن التقسيم في مدينة القدس أرغم كل قسم من قسمي المدينة على إعادة تنظيم وتشكيل أجهزته بما يتناسب والوضع الجديد الذي طرأ على المدينة. ويتكون خط الهدنة الفاصل في مدينة القدس من خطين حدوديين متوازيين، كانا في أصلهما خطا الجبهة المجمدين حينما توقف الإقتتال داخل المدينة، وتوجد بين هذين الخطين منطقة حدودية فاصلة تركت خربة بعد أن هجرها سكانها أثناء القتال، ولم يتم تقسيم هذه المنطقة أثناء إتفاقية الهدنة، حيث تركت كمنطقة فاصلة مغلقة بين جزئي المدينة، وقد قطع خط الهدنة المدينة من الجنوب إلى الشمال بشكل أبقى البلدة القديمة وأسوارها والأحياء الشرقية والشمالية منها في الجانب الشرقي منه (الضفة الغربية) وظلت البلدة الجديدة بإستثناء بعض المناطق الجنوبية والشمالية في الجانب الغربي من الخط (إسرائيل).

ونشأت منطقتان فاصلتان في إطار بلدية القدس، الأولى في الجنوب، وكانت تحت سيطرة الأمم المتحدة، وهي منطقة غير مأهولة، والثانية في الشمال الشرقي فوق جبل المكبر.

لقد أدى تقسيم المدينة بهذه الصورة إلى سيطرة الجانب الأردني على الطرق المتجهة من القدس نحو الجنوب والشمال والشرق، في حين سيطر الجانب الإسرائيلي على الطرق المتجهة نحو الغرب.

تجدر الإشارة هنا إلى أن معظم الخدمات في المدينة (قبل رسم خط الهدنة والتقسيم) من كهرباء، ومياه، وطرق، والعديد من المؤسسات كانت مشتركة بين القسمين، أما بعد التقسيم، فقد اضطرت السلطات في كل قسم إلى إنشاء خدمات خاصة بقسمها منفصلة عن القسم الآخر، وهذا ساعد على تثبيت تقسيم المدينة، في الفترة من 1949 - 1967. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن العمليات العسكرية التي دارت عام 1948 داخل المدينة أحدثت عمليات تبادل سكاني واسعة بين قسمي المدينة.

حيث انتقل الفلسطينيون، الذين كانوا يعيشون في الأحياء الغربية من القدس إلى الأحياء الشرقية، وحدث العكس للعدد المحدود من اليهود في القسم الشرقي من المدينة، مما أدى إلى تقسيم واضح بين قسمي المدينة.

تحليل الهدن:

إن خطوط الهدنة لا تعتبر من الناحية القانونية حدودًا تفصل بين كيانين على إعتبار أنها خطوطًا مؤقتة، مع ضرورة أخذ المصالح العربية بالإعتبار وليس المصالح الإسرائيلية وحسب. وكان الموقف الإسرائيلي بأنه على إستعداد لإدخال تعديلات متبادلة على الحدود تلبي حاجات

الطرفين مع تأكيده على أن خط الهدنة هو الخط الوحيد المتفق عليه بين الأطـراف. ولـذلك فـإن أي تعـديلات تـتم عليـه يجـب أن تنـال موافقـة الطرفين.

يرتكز الموقف الفلسطيني من حدود الهدنة على قرارات الشرعية الدوليـة والمنطلقـات الأساسية لإقامـة كيـان فلسطيني، قـادر علـى الحيـاة والاستمرار، ويفي بالحد الأدنـى من متطلبـات الشعب الفلسطيني. ولكن قبل الحديث عن المتطلبات الفلسطينية، لابد من الإشارة إلى أن القراءة الإسرائيلية لنصوص القرار 242 مليئة بالمغالطات القانونية، وهي تستند أساسًـا إلـى مبدأ القـوة، إضـافة إلـى التلاعب بالألفـاظ وتفسيرها تفسيرًا مغـايرًا لمحتواهـا. تـدعي إسـرائيل بـأن القـرار 242 إقتصـر فـي نصـه الإنجليـزي علـى طلـب " إنسـحاب قـوات إسـرائيلية مسلحة مـن أراضـي احتلت في النزاع الأخير.

إن الموقف الفلسطيني من القرار 242 واضح وصريح وهو تمسكه بـالنص الفرنسـي للقـرار، الـذي يؤكـد علـى وجـوب الإنسـحاب مـن كافـة الأراضي التي أُحتلت في النـزاع الأخير، والـذي يتفق بمـا لا يـدع مجـالاً للشك مـع مقدمـة القـرار التـي تـنص علـى عدم جـواز إكتسـاب الأراضـي بالقوة.

خاتمة

وفقا لما ذكر بالنسبة للهدنة في القانون الدولي، ما مدى تطابق التعريف، مع الهدن التي تمت على أرض الواقع؟، أنتجت حدودًا معينة ما بين دول الجوار العربية وإسرائيل. وأخذت أراضي وأدخلتها للدولة الإسرائيلية، مخالفة لقرار التقسيم، وما كان من الهدن إلا أن ثبتت وضع تلك الأراضي، بما يخالف القانون الدولي، وقرار التقسيم.

أعطت من لا يملك في الأراضي حق التصرف، مصر والأردن ولبنان وسورية، حقوقًا في تقرير شكل، وحدود، وعلاقة تلك الدول باسرائيل، علي حساب أراضي الفلسطينيين، وحقوقهم.

لبنان: جعلت النقطة رأس الناقورة حدًا سياسًا وإقليميًا بينها وبين إسرائيل، الامر الذي يمس حقوق الفلسطينيين في أي تسوية قادمة (انظرإلى التقسيم الإقليمي البريطاني لفلسطين في الأربعينيات)

مصر: إقامة منطقة منزوعة السلاح ما بين رفح وشمال غزة، الأمر الذي ينتهك حق الشعب في الكفاح والدفاع عن النفس ضد أي هجوم وفقًا للقانون الدولي.

الهدن الأربعة مع دول الجوار كانت تأكيدًا للحدود، التى طبقها الاستعمار البريطاني والفرنسي في حدود عام 1923، بإيعاز من اليهود، حتى تشمل المياه مما يخالف القانون الدولي، للهدنة في تعريف القانون.

* * *

البـــاب الثالث
النكبــة

الفصل السادس عشر:
الحرب المزعومة

أسمهان شريح

لا عجب في أن رئيس هيئة أركان الفيلق العربي، الإنكليزي غلوب باشا، سمى حرب 1948 بـ " الحرف المزيفة ". " إيلان بابيه ".

لقد غدا متاحًا بعض الشيء، الآن تناول مجريات النكبة، بعد المحاولات الجادة التي قام بها مؤرخون أكاديمون فلسطينيون مرموقون لكتابة تاريخ النكبة بهدف مواجهة الرواية الإسرائيلية المضللة، وبعدما أفرج الإسرائيليون، بعد خمسين عامًا على الإعلان عن قيام كيانهم، عن بعض الوثائق التي بحوزتهم والتي تتناول وقائع النكبة ومجرياتها. وقد عزز هذا التوجه، بروز ظاهرة " المؤرخين الجدد " الإسرائيليين الذين بدأوا بالكتابة عن النكبة إستنادًا إلى الوثائق الإسرائيلية المفرج عنها، حيث أخذت روايتهم بمقاربة الرواية الفلسطينية.

أورد المؤرخ الما بعد صهيوني إيلان بابيه هذه المقولة في كتابه " التطهير العرقي في فلسطين "، في إطار إيضاحه أن الحرب التي قامت بها الجيوش العربية في فلسطين عام 1948، كانت حربًا مزيفة، وتعزز الرواية الفلسطينية للنكبة ما ذهب إليه بابيه.

فما الذي دعا الفلسطينيين، وبابيه، إلى إطلاق هذا الحكم على الحرب التي خاضتها الجيوش العربية في فلسطين ردًا على تقسيم فلسطين بين

أصحابها الشرعيين والغزاة اليهود القادمين من أوروبا؟ هل هو انعدام إرادة القتال؟ أم عدم توافر الاستعداد للحرب؟ أم عدم التكافؤ بين الطرفين، أو الأطراف التي خاضت الحرب؟ هذا ما ستحاول هذه الدراسة الإجابة عنه من خلال سرد أسباب الحرب، والأطراف التي شاركت فيها، وبالتالي رصد مجريات الحرب.

وستعتمد هذه الدراسة التقسيم الزمني والمنهج النقدي التحليلي، والأسلوب العلمي لمعالجة هذا الموضوع.

تمهيد:

وصفت اليهودية حنّة آرندت الاتجاه السائد في الرأي العام اليهودي سنة 1948، بالقول: " إن يهود أميركا ويهود فلسطين، متفقون أعمق الاتفاق على المقترحات التالية التي جرى الإعراب عنها بصورة فظة بعض الشيء: لقد أتت اللحظة التي ينبغي لنا أن نربح فيها كل شيء؛ النصر أو الموت؛ إذ أن المطاليب العربية والمطاليب اليهودية لا تقبل التوفيق، فوحده الحل العسكري هو القادر على تسوية القضية. والمسألة واضحة: العرب، كل العرب هم أعداؤنا؛ وليس سوى الليبراليين الذين ولى عصرهم بمؤمنين بميزة التسوية، والجهلة هم وحدهم المؤمنون بالعدالة " [1].

وهذا يؤكد أن حرب 1948، لم تكن حربًا خاطفة، بل كانت حربًا مخطط لها، كما جرى الاستعداد لها بشكل جيد من قبل الغزاة اليهود على

(1) جان إيف أولييه، **لجنة الأمم المتحدة للتوفيق بشأن فلسطين 1948 - 1951 حدود الرفض العربي**، مؤسسة الدارسات الفلسطينية بيروت، الطبعة الأولى 1991، ص1.

الأقل. ففي إطار البحث عن حل لما اعتبرته الحركة الصهيونية " المشكلة العربية " في فلسطين، أي الوجود الفلسطيني، جرى منذ وقت مبكر على نشوء الحركة الصهيونية الإعداد لتفريغ فلسطين من أصحابها الشرعيين، وهم الفلسطينيون. لأن مجرد وجود الفلسطينيين على أرضهم يقوّض الفكرة الصهيونية القائلة بخلو فلسطين من السكان من أساسها. لذلك " وفي الواقع، لم تكن فلسطين في سنة 1882، حتى أرضًا " محتلة "، وإنما " أرضًا خالية من البشر ". أما الفلسطينيون، السكان الأصليون الذين كانوا يعيشون هناك، فكانوا في نظرهم، إلى حد كبير، كائنات غير مرئية، أو - إن لم يكونوا كذلك - كانوا جزءًا من عقبات الطبيعة التي يجب التغلب عليها أو إزالتها. لا شيء، لا الصخور ولا الفلسطينيون، كانوا يجب أن يشكلوا عائقًا في الطريق إلى " استرداد " الأرض التي اشتهتها الحركة الصهيونية وطنًا قوميًا لها [1].

بيّن الأستاذ نور الدين مصالحة من خلال كتابه " طرد الفلسطينيين: مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيونيين 1882 – 1948 " من خلال الوثائق، أن فكرة ترحيل الفلسطينيين عن أرضهم، كانت قد رافقت ظهور المشروع الصهيوني، وإن كانت مناقشتها قد اتخذت في البدايات طابعًا سريًا، إلا أنها، منذ ثلاثينيات القرن العشرين، أخذت طابعها العلني. وكان الحديث يدور عن ترحيل الفلسطينيين بطرق الإغراء وعلى مراحل. وعندما تبين للقيادة الصهيونية أن الفلسطينيين،

(1) إيلان بابيه، **التطهير العرقي في فلسطين**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى 2007، ص 20.

ومعظمهم من الفلاحين، متمسكون بأرضهم، بدأ التفكير باقتلاعهم بالقوة. فقد أعلن بيرل كاتسنلسن، وهو أهم زعيم عمالي معارض للتقسيم، في خطاب متشدد في 2 آب/ أغسطس 1937، أثناء النقاشات التي دارت بشأن اقتراح لجنة بيل البريطانية بتقسيم فلسطين: " إن موضوع ترحيل السكان قد أثار النقاش في صفوفنا.. وفي التحليل الأخير، فإن هذا عمل سياسي واستيطاني يخدم مصلحة الطرفين. ولطالما اعتقدت أن هذا أفضل الحلول. وفي أيام الإضطرابات [الثورة الفلسطينية]، ازداد اقتناعي بأن هذا الحل لابد أن يأتي في يوم من الأيام، لكنني ما ظننت أن الترحيل إلى خارج أرض إسرائيل، يعني مجرد الترحيل إلى ضواحي نابلس، كنت ولا أزال أعتقد أن قَدَرَهم الترحيل إلى سوريا أو العراق " [1].

ومنذ سنة 1924، بدأ التخطيط للخطة (د)، التي شكلت الأساس للحملة العسكرية التي تعيَّن على الهاغاناه أن تشنها، وقد اعتمدتها قيادة الهاغاناه العليا في 10 آذار/ مارس 1948.

وبذلك في طرد الفلسطينيين من ديارهم، كان سببًا رئيسيًا من أسباب حرب 1948. أي أن هذه الحرب قد خطط لها سلفًا وتم الإعداد لها من قبل القيادة الصهيونية قبل صدور قرار التقسيم، الذي تشير أدبيات النكبة، في الروايتين الفلسطينية والإسرائيلية، أنه كان سبب نشوب الحرب سنة 1948، وذلك خلافًا لما حدث في الجانب الآخر.

(1) نور الدين مصالحة، **طرد الفلسطينيين مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيونيين 1882 - 1948**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى 1992،
ص 58.

أسباب الحرب واستعدادتها:

ذهب بعض مؤرخي النكبة، مثل د. عبد الله عبد الدائم، إلى أن احتلال فلسطين، بدأ بعدما استقر رأي الحركة الصهيونية على أن تكون فلسطين المكان المنشود لتحقيق الهدف الصهيوني بإنشاء دولة لليهود، حيث بدأت الخطوات التمهيدية بإقناع القوى النافذة في ذلك الحين، بأهمية وصوابية الهدف الصهيوني والفوائد التي يمكن لهذه القوى جنيها جراء تحقيقه، وبالتالي الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية واستعمارها بشتى السبل.

وهكذا، أفضى التقاء المصالح بين القوى الاستعمارية التي كانت تسعى للاستيلاء على تركة السلطة العثمانية، خصوصًا في المشرق العربي، مع المشروع الصهيوني، إلى تعاون وثيق بين هذه القوى وبين الحركة الصهيونية؛ ما يمكن معه تحميل مسؤولية حرب 1948، وبالتالي ما نجم عنها من كارثة وقعت على الشعب الفلسطيني، اصطلح على تسميتها بـ " النكبة "، إلى أكثر من طرف حيث ساهمت هذه الأطراف في وقوع الحرب، بل اشتركت فيها.

كانت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، والحركة الصهيونية، وهيئة الأمم المتحدة والأنظمة العربية والزعامة الفلسطينيية التقليدية مسببًا في حرب 1948، وقد تفاعلت هذه المسببات وتداخلت بحيث غدت هذه الحرب أمرًا واقعًا لا محالة.

رغم أن الجنود الفلسطينيين في الجيش التركي أتوا بأعمال باهرة في الحرب العالمية الأولى، كما يورد فوزي القاوقجي، الذي قضى فترة من

حياته مساهمًا في المقاومة الفلسطينية ضد البريطانيين واليهود، حيث شارك في الثورة الفلسطينية سنة 1936 وحرب 1948، كما جاء في مذكراته، إلا أنهم انقطعوا عن التدريب العسكري منذ ذلك الوقت، ولم يتح لهم تأليف جيش، كما أن عدد ضباطهم كان قليلاً جدًا، بخلاف سوريا والعراق، الأمر الذي أثار شكوك القاوقجي [1] . أما تفسير ما أثار شكوك القاوقجي، فيتلخص بأن البريطانيين الذين تعهدوا تنفيد المشروع الصهيوني، كانوا قد دخلوا فلسطين منذ سنة 1918، أي قبل انتدابهم من قبل عصبة الأمم عليها، وبالتالي، فإنهم منعوا الفلسطينيين من تكوين أي شكل من أشكال العسكرة أو التسلح أو المقاومة؛ كما أن الفلسطينيين، في ذلك الوقت، لم ينظروا إلى فلسطين باعتبارها كيانًا مستقلاً عن سوريا، ما يؤكده د. عبد الوهاب الكيالي في كتابه " تاريخ فلسطين الحديث "، عند الحديث على ردة الفعل الفلسطينية على مقررات مؤتمر السلم في باريس، الذي أبرز مطامع بريطانيا وفرنسا في السيطرة على المشرق العربي؛ فيذكر أن الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس ارتأت، قبل وصول لجنة كنغ – كرين بأسبوع، إصدار منشور يتضمن وجهات نظرها التي تعتزم عرضها على اللجنة. وأكد المنشور أن فلسطين – سوريا الجنوبية – هي جزء لا يتجزأ من سوريا [2]. والأمر نفسه أكده الوفد الفلسطيني إلى المؤتمر السوري الأول (تموز، يوليو 1919) في البند الثامن من

(1) خيرية قاسمية: إعداد وتقديم، **مذكرات فوزي القاوقجي**، دار النمير، دمشق الطبعة الثانية، 1995، ص 184.

(2) د. عبد الوهاب الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة السابعة 1979، ص 138.

برنامج دمشق، الذي نص على: " إننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سوريا المعروف بفلسطين والمنطقة الساحلية التي من جملتها لبنان، عن القطر السوري، ونطلب أن تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان [1].

ولما تضمن البند الثاني من صك الانتداب البريطاني على فلسطين تنفيذ وعد بلفور، فإن سلطات الانتداب، أخذت على عاتقها تهيئة البنية التحتية لإنشاء الدولة اليهودية. فـ " منذ البداية، سمحت السلطات الانتدابية البريطانية للحركة الصهيونية بإنشاء كيان مستقل لها في فلسطين ليكون بمثابة بنية تحتية للدولة العتيدة " [2]. وهو أمر أقره المؤرخون الجدد الإسرائيليون. هذا في الوقت الذي كانت فيه قوات الانتداب تضيق على الفلسطينيين، وتطبق نظامًا عرفيًا جائرًا بحقهم، فتمنعهم من اقتناء السلاح، وتواجه مقاومتهم لها بقسوة بالغة. كما كانت تقف إلى جانب المهاجرين اليهود أثناء المواجهات بينهم وبين الفلسطينيين، بل إن ضابطًا بريطانيين ساعدوا المهاجرين اليهود في إنشاء منظمة عسكرية فعالة، وهي منظمة الهاغاناه، أثناء " التحضيرات الصهيونية للتمكن من الاستيلاء على البلد بالقوة " [3].

وكان الضابط البريطاني أُورد تشارلز وينغيت قد جعل القادة الصهيونيين يدركون، بصورة أفضل، أن فكرة إقامة دولة يهودية يجب

---

(1) **المصدر نفسه**، ص 139.
(2) بابيه، **مصدر سبق ذكره**، ص 24.
(3) **المصدر نفسه**، والصفحة نفسها.

أن تقترن بشكل وثيق بتحضيرات عسكرية، وإنشاء جيش، لأن الأعمال المسلحة الهجومية من شأنها أن تشكل رادعًا فعالاً ضد المقاومة المحتملة للفلسطينيين، ومن هنا إلى التفكير في طرد جميع السكان الأصليين بالقوة، بات الطريق، كما برهنت التطورات اللاحقة، قصيرة جدًا [1].

تنبه الفلسطينيون إلى الدور الذي تلعبه قوات الانتداب في تنفيذ وعد بلفور، من خلال فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية، والتسهيلات التي تقدمها للمهاجرين اليهود. فيذكر المؤرخ الفلسطيني محمد عزة دروزة:

" إن الإنكليز أخذوا في تنفيذ المنهج اليهودي بكل حماس وقوة منذ البدء. فقد فتحوا أبواب فلسطين للهجرة اليهودية.. واستقبلوا وايزمن وزعماء اليهود الآخرين بالحفاوة، وسمحوا لهم بإعلان آمالهم وأهدافهم منذ وقت مبكر، ثم عينوا في سنة 1920 هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني مندوبًا ساميًا، كبرهان على أنهم متفقون مع اليهود على دمغ الفلسطينيين بدمغة الحكم اليهودي منذ أول الحكم المدني، حيث صرّح بهذا أمام كبار موظفي الحكومة من الإنكليز قائلاً: " إن سياسة حكومة جلالة الملك التي جاء لتطبيقها هي تشجيع اليهود إلى أن تصبح السيطرة لهم على البلاد ويمكن إنشاء حكومة يهودية " [2].

(1) **المصدر نفسه** والصفحة نفسها.

(2) محمد عزة دروزة، **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، الجزء الأول، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الإعلام والثقافة، دمشق، الطبعة الثالثة، 1948، ص 31.

ويوضح القاوقجي في مذكراته أن الصهيونية كانت تستخدم جيش بريطانيا في فلسطين، ورجالات الإدارة فيها " تسمح بجلب المهاجرين من اليهود بصورة شرعية وغير شرعية، أضعاف ما هو مقرر، ويستوردون الأسلحة سرًا وعلانية " [1].

وفي هذا تدليل على النية المبيتة للحرب على الفلسطينيين من قبل المهاجرين اليهود، وعلى موافقة قوات الانتداب البريطاني.

أتاحت ثورة 1936 - 1939 الفرصة لأعضاء الهاغاناه كي يطبقوا، في المناطق الريفية الفلسطينية، التكتيكات التي تعلموها من ويغنت، والتي اتخذت على الأغلب شكل عمليات انتقامية ضد أهداف محدّدة، كالقناصة الكامنين بجانب الطرقات. وكما يبدو، كان الهدف من وراء هذه العمليات زرع الخوف في قلوب الفلسطينيين القاطنين قرب المستعمرات اليهودية.

وقد نجح ويغنت في ربط الهاغاناه بالقوات البريطانية خلال الثورة الفلسطينية، كي تتعلم بصورة أفضل، " ماذا يجب أن تتضمن مهمة تأديبية " ضد قرية فلسطينية.

ويتذكر أماتسيا كوهين، الذي شارك في أول عملية من هذا النوع عام 1983، عندما هاجمت وحدة تابعة للهاغاناه وسرية بريطانية معًا قرية على الحدود بين فلسطين ولبنان، الرقيب البريطاني الذي شرح لهم كيف يستخدمون حربة البندقية عندما يهاجمون القرويين الفلسطينيين العزّل. " ولو كان هذا الرقيب موجودًا في فلسطين سنة 1948 لكان شعر بالفخر

---

(1) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص 183.

لدى رؤية السرعة التي أتقنت فيها القوات اليهوديـة فن مهاجمـة القرى " [1].

أما الدور المباشر الذي لعبته بريطانيا، والذي أدى إلى نشوب الحرب فكـان إعلانهـا الجـلاء عن فلسطين فـي آب / أغسطس من عـام 1948، وانسحابها الفعلي منها قبل هذا التاريخ (15 أيار / مايو 1948)، دون أن تقدم أي حل للمشكلة التي بلغت ذروة تأزمها. بل ساعدت اليهود بتسليمهم المعسكرات والتحصينات والمطارات ومستودعات الذخيرة، مقابل وقوفها ضـد اسـتعدادات الفلسـطينيين العسـكرية، ومقاومتهـا إدخـال الأسـلحة والمتطوعين الشعبيين من الأقطـار المجـاورة إلـى منـاطق تواجدهم. كمـا غض الجيش البريطـاني الطـرف عـن المجـازر والفظـائع التـي ارتكبهـا اليهود بحق الفلسطينيين، بل سهلوا لهم مهماتهم.

وتجلى الدور الأميركي فـي انـدلاع الحـرب فـي موقفين: تمثـل الأول في نسف الكتاب الأبيض الذي طالب بتحديد هجـرة اليهود إلـى فلسطين؛ فيما تمثل الموقف الثـاني فـي الجهد الـذي بذلتـه الولايـات المتحـدة لإقـرار التقسيم.

فيما شكل انسحاب الجيش البريطاني من فلسطين فرصـة لإطـلاق يد العصـابات الصـهيونية لتحقيـق حلمهـا وتنفيـذ مخططهـا القاضـي بتفريـغ فلسطين من أصحابها الشرعيين بـالقوة؛ مستخدمة أبشـع الأسـاليب دمويـة وعنفًا لتحقيق غايتها، فاعتمدت الإرهاب المسلح نهجًا في تطهير فلسطين

(1) بابيه، **مصدر سبق ذكره**، ص 24.

عرقيًا.

ساهمت منظمة الأمم المتحدة في الحرب بإقرارها قرار التقسيم أولاً، ثم بعدم إشرافها على تطبيقه ثانيًا، وبحياديتها إزاء الإرهاب اليهودي بحق الفلسطينيين ثالثًا.

وكان للجانب الرسمي العربي دوره السلبي الذي تسبب في الحرب: ففي حيت قدرت اللجنة العسكرية لمجلس الجامعة العربية القوات اليهودية بستين ألف شخص مدرَّب ومسلَّح بأحدث الأسلحة، ورغم معرفة مجلس الجامعة بحقيقة قوات جيش " الهاغاناه " و " البالماخ "، وعصابة " شتيرن "، وبوليس المستعمرات، وقوى سكان المدن والمستعمرات، فقد اتخذ قرارات هزيلة للتصدي للخطر المحدق بفلسطين، حين قرر تقديم عشرة آلاف بندقية إلى أهل فلسطين، وثلاثة آلاف متطوع. ومع ذلك تمكنت هذه القوة الهزيلة، بالتعاون مع الفلسطينيين، من تسجيل بطولات كبيرة، أجبرت اليهود على التقهقر، ما اضطر مجلس الأمن، إزاء تدهور أوضاع اليهود، إلى إهمال قرار التقسيم [1].

ويرى د. عبد الله عبد الدائم، أن قرار الجامعة العربية بدخول الحرب إنما حدث، ظاهريًا، بفعل نقمة الجماهير العربية إزاء صمتها وجمودها، واكتفائها بالتصريحات والاجتماعات؛ لكن الأحداث والوثائق كشفت بعد ذلك عن أن هذا القرار لم يتم فعلاً إلا بعد موافقة بريطانيا عليه، وبعد أن قيّدت بشرط أفقده معناه، وهو أن يقتصر هدف هذه الجيوش العربية على

(1) د. عبد الله عبد الدائم، **نكبة فلسطين**، دار الطليعة، بيروت الطبعة الأولى، 1998، ص 66 - 67.

حمايـة الأراضـي التـي خـص قـرار التقسيم العـرب بهـا، وألا تـغـزو هـذه الجيوش بحالٍ من الأحـوال الأراضـي التـي هـي مـن نصـيب اليهـود، وقـد عبرت عن ذلك بوضـوح المفاوضـات التي جرت بين المستر بيفن وزير الخـارجية البريطـاني، وبين وفيق أبو الهدى، رئيس الـوزارة الأردنية، فـي ربيع عام 1948 (1).

وعن استعدادات الجانب العربي بما فيه الفلسطيني، يذكر القـاوقجي: أنـه عـرف، أثنـاء زيارتـه للبنـان عشـية حـرب 1948، (آذار / مـارس 1947)، أن التسـليح الشـعبي غيـر قليـل، وأنـه تأكـد أن هنـاك إمكانيـات واسـعة لتشكيلات مسلحة قويـة، يمكن الاستفادة منهـا إلـى حد بعيد، فـي معركة فلسطين التي كان يحس أنها تقترب منه بسرعة فائقـة. فكتـب إلـى الحاج أمين الحسيني في مصر، شارحًا لـه الحالـة بوضـوح، كمـا خبرهـا، ومبينًا له قيمة الاستفادة من الإمكانيـات الشـعبية، إذا عُمل علـى تنظيمهـا، ووضع نفسه تحت تصرفه من أجل فلسطين. وسلم الكتاب إلى السيد عز الدين الشوا، الذي سلمه إلى سماحة المفتي، لكن القاوقجي لم يتلقَّ جوابًـا، وقد عُلم فيما بعد، أن المفتـي كـان يعتمـد علـى تشكيلات شـعبية فلسـطينية باسم " الخلايا " منتشرة فـي أنحـاء فلسـطين كلهـا، وهـي مـن القـوة بحيث تستطيع أن تحل قضية فلسطين، وأن كل ما يطلبه من الدول العربية، هو أن تموّنـه بالمـال والسـلاح والعتـاد. ويضـيف القـاوقجي، أنـه كـان يخـالف سماحة المفتي في رأيه واعتقاده، رغم عدم توافر معلومات موثوقة تمكنه

(1) شفيق رشيدات، **فلسطين: تاريخًا وعبرة ومصيرًا**، بيروت، دار النشر المتحدة للتـأليف والترجمة، 1961، ص 241 - 242.

من إثبات خطأ رأي المفتي، ويتابع القاوقجي أنه كان يدرك نية اليهود وتصميمهم على إقامة دولة يهودية بالقوة في فلسطين، حيث ستكون محاطة بدول وشعوب رافضة وممانعة لوجودها؛ واليهود على ما هم عليه في أمريكا وأوروبا " علمًا، وفكرًا ونفوذًا وغنى وحيلة ومثابرة، لا يمكن إلا أن يكونوا هيأوا لإنشاء دولتهم، ما تقتضيه مغامرة كهذه، من أسلحة وعتاد وأموال وقوى مدرّبة وتحصينات واتفاقات مع بعض دول غربية لهذا الغرض، مما لا ينفع معه إلا ما يماثله، أو ما يقرب منه على الأقل " [(1)].

وكانت الإعتداءت اليهودية، خصوصًا على الجيش البريطاني، في فلسطين، تدل دلالة واضحة على مقدار تنظيمهم، وتسلحهم، ومدى استعدادهم العسكري وكثرة ما يملكون من مواد متفجرة وأسلحة أوتوماتيكية، بحيث بدا الجيش البريطاني حيال هذه الإعتداءات ضعيفًا ومترددًا. وهو أمر، كما يقول القاوقجي، كان يجب أن " يحملنا على أن نحسب لهم حسابًا.. على أنني وإن كنت حتى ذلك الحين، غير مطلع اطلاعًا حقيقيًا على مبلغ ما في فلسطين من استعداد، لدى العرب، من ناحية التنظيم والتشكيلات والتسلح، فقد كنت أميل إلى الاعتقاد بأن الحالة حسنة من هذه الناحية، كلما تذكرت ما قاله لي سماحة المفتي " [(2)].

ويتضح من خلال سرد القاوقجي لمجريات ووقائع عشية حرب 1948، أنه كان مطمئنًا إلى أقوال المفتي؛ وأنه إذا حدث ما من شأنه أن

---

(1) قاسمية **مصدر سبق ذكره**، ص 318 - 319.
(2) **المصدر نفسه**، ص 320.

يصدع هذه الاطمئنان، فإنه كان يبادر إلى تذكر ما كان يتمتع به المفتي من نفوذ وسلطان في ألمانيا وإيطاليا، ما كان يحمل على الاعتقاد أن الأوساط الألمانية والإيطالية، وهي تسعى للتقرب من العالم العربي والإسلامي، فإنها لابد أن تزوده بالأموال التي يحتاجها، إضافة إلى ما كان يرد إلى سماحته من الخارج [1].

إن ما يقدمه القاوقجي من معلومات، يستدعي الكثير من التأمل والتدقيق، بل والبحث والتركيز؛ أولاً: لجهة الدعم الألماني والإيطالي للمفتي؛ فمع الأخذ بالاعتبار ما تبيّن من التعاون بين النازية والصهيونية، يمكن اعتبار أن المفتي وقع ضحية مكيدة. وهو ما يمكن الاستدلال عليه من خلال ما أورده غِرهَرد هُب في كتابه " العرب في المحرقة النازية ضحايا منسيون !؟ " حيث يرى أن التكهنات المتعلقة بحقيقة زيارة المفتي أثناء إقامته في ألمانيا لمعسكرات الاعتقال النازية، أمر متنازع عليه، وبإساءات أخرى صادرة من المفتي، تبدو بالنظر إلى تعاونه الثابت الذي لا يشك فيه، مع النازيين، فائضة عن الحاجة على نحو كامل في الحقيقة، إلا إذا كانت تتابع الهدف المتمثل في إضفاء صفة الشيطان على أمين الحسيني، واتخاذه، على هذا النحو، في حلبة الصراع الدائر في تلك الأيام حول فلسطين، أداة سياسية، في صورة " هراوة عَقدِية " [2].

(1) **المصدر نفسه**، والصفحة نفسها.

(2) غرهرد هب، **العرب في المحرقة النازية ضحايا منسيون!**، ترجمة محمد جديد، دار قدمس، دمشق الطبعة الأولى، 2006، ص 17.

أما فيما يتعلق بالنقطة الثانية التي أثارها القاوقجي عن المعونات التي كانت تتدفق على المفتي من الخارج، ففيها غمز من قناة المفتي، إن لم تكن اتهامًا صريحًا، خاصة أن القاوقجي يعلن، عند التقديم لمذكراته، أنه يرغب في إظهار الكثير من الحقائق التي لم تكن معروفة حول ما حدث في حرب 1948. وليس ثمة ما يجلو هذه الحقيقية في المتوفر من المصادر التي تناولت النكبة، رغم أن مصادر التاريخ الشفوي أشارت بإصبع الاتهام مباشرة للزعامات التقليدية الفلسطينية، والأنظمة العربية، متهمة إياها بالتقاعس ومحملة مسؤولية النكبة لها.

على أية حال فإن ثلاثة ممن عايشوا النكبة وأرّخوا لها وهم: الفلسطيني محمد عِزة دروزة، واللبناني فوزي القاوقجي، والإسرائيلي إيلان بابيه، يلتقون حول نقطة واحدة، مفادها أن الاستعدادات العربية لمواجهة الهدف الصهيوني المدعوم من الغرب، والمتمثل بإقامة دولة لليهود على حساب الحقوق الوطنية الفلسطينية، تركزت على الاستعدادات اللفظية؛ ففي حين كتب دروزة حول أثر عدم جدّ العرب وتبعته قائلاً: أن العرب كانوا ينذرون بمقاومتهم للتقسيم بالقوة ويقولون أنه سيثير اضطرابات دموية في فلسطين والشرق الأدنى. وعلى صواب الإنذار وتحققه بعد التقسيم، وعلى أن له طابع المؤثر الأقوى في الموقف، فقد كان استعداد العرب لتحقيقه ضعيفًا بطيئًا مرتجلاً، بالرغم مما كان يجيش في نفوسهم من حماس وغيرة ورغبة صادقة، وبالرغم من أن النضال المسلح كان المصير المحتوم والمتوقع منذ اجتماع مجلس الجامعة في بلودان في حزيران / يونيو 1946 على الأقل. فلم يكن في فلسطين، إلى

يوم قرار التقسيم، من وسائل النضـال والمقاومـة، مـا يمكن أن يوجد فـي ذهن الملاحظين احتمالاً بقدرة الفلسطينيين وحدهم عليهما [1].

ذكـر القـاوقجي أن: حمـى المـؤتمرات والاجتماعـات أخـذت تسـري بشكل غريـب، حتـى كـاد لا يسلم منهـا رأس سياسـي ولا عسـكري، وأخذ نشاط الرسل والوفود بين الأقطار العربية يشتد، حتى ليخيل إلي المرء أن عواصـم البلـدان العربيـة كلهـا، غارقـة فـي مـؤتمر واحـد لا ينقطـع. واسم فلسطين على كل لسان، والحـرب مع اليهود حديث كل فرد كأنما الأقطـار العربية في حالة " نفير عام ". لقد كانت حماسة حقيقيـة فعـلاً، لا يعوزهـا إلا أن يستغلها استغلالاً شريفًا منظمًا لمصلحة الصفوف ويضعوا الخطط ويعدوا العدة لقتال عملي جدي، وإنها لجولة أو جولات حربية قليلـة، بعد ذلك، مع اليهود في فلسطين، ويحل العرب قضية فلسطين، ويضعون العالم أمام الأمر الواقع [2].

ولا يخفي القاوقجي ارتيابه من عدم جديـة الاستعدادات للحـرب، من قبـل الأنظمـة العربيـة، رغم أن مـا كـان يظهـر عليهم يبـدي خـلاف ذلك. ويذكر القاوقجي أنه في 10 تشرين الأول/ أكتوبر 1947 عقد فـي قصـر الجمهوريـة فـي دمشـق وبحضـور فخامـة الـرئيس الأول شـكري القـوتلي اجتماعًـا مـن أجـل فلسـطين، حضـره رئـيس الحكومـة السيد جميـل مـردم والعميـد طـه الهاشـمي، ومـن الفلسـطينيين السـيدان معين الماضـي وعـزة دروزة. وقد لمس القاوقجي فـي حـديث هؤلاء السـادة، مـا يـدل علـى أنهم

(1) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص 177.

(2) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص 321.

ينحون نحوًا، يختلف اختلافًا تامًا، عما كان قائمًا في ذهنه بشأن فلسطين، نحوًا لعله يبدو لأول وهلة بمظهره المنطقي الخارجي، أنه لا غبار عليه، وهو يتلخص بما في هذه العبارة من دلالات.. " إن قضية فلسطين لا تحل إلا بالقتال، تقوم به الجيوش العربية النظامية، ولكن يجب أن يسبق القتال نشاط سياسي قوي شامل في دوائر هيئة الأمم المتحدة، ولدى دولها كلها، فلعل هذه الدول تتهيب الموقف وتبادر إلى حل القضية بطرق سلمية، فإن هي لم تفعل، فإننا نقذف إلى الميدان بجيوشنا النظامية ونحطم اليهود " (1).

وقد أدرك القاوقجي بحسه العسكري أن " وراء هذه الأقوال أمرًا، وكأنما يقولونها وكل واحد منهم يعتقد – دون أن يفضي إلى الآخر – أن بريطانيا وأمريكا ستحولان حتمًا دون وقوع حرب في فلسطين... وبالنتيجة، فإنهم لن يحاربوا " (2).

ويؤكد بابيه ما توصل إليه القاوقجي من عدم نية الأنظمة الرسمية خوض الحرب، فيذكر أن التغيير الوحيد، الذي يمكن ملاحظته، في السلوك العربي العام فور انتهاء الإنتداب كان في الخطاب البلاغي. " طبول الحرب أصبح ضجيجها أعلى وأكثر صخبًا من ذي قبل، لكنها فشلت في تغطية التقاعس والارتباك والفوضى التي كانت سائدة. قد يكون الوضع اختلف من عاصمة إلى أخرى، لكن الصورة العامة كانت واحدة

(1) **المصدر نفسه**، 322.
(2) **المصدر نفسه**، والصفحة نفسها.

" [1].

وهكذا، لم تتوفر للفلسطينيين، فرصة الدفاع عن وطنهم في وجه المخطط الصهيوني الذي قضى بالاستيلاء على أراضيهم وترحيلهم بعيدًا عنها. وقد كان تقاعس الأنظمة الرسمية العربية من أبرز مسببات النكبة، لأنها لم تخض حربًا فعلية في فلسطين لإنقاذها من المصير الذي كان يتهددها. ما دفع شهود هذه الحرب إلى اعتبارها حربًا مزيفة.

الحرب المزيفة:

من المفارقات المثير للتأمل والجديرة بالبحث، أن بريطانيا، التي رأت في زرع كيان، في الزاوية الواصلة بين المشرق العربي ومغربه، معادٍ لسكان المنطقة وصديقًا لها، هو الحل الأمثل للسيطرة على هذا الجزء من العالم المتمتع بالثروات الهائلة، الذي يمتلك من أسباب الوحدة والقوة ما يؤهله لأن يكون قوة عظمى منافسة لها، وبالتالي مجابهة إمكانية توحد العالم العربي، هي التي أيدت قيام شكل من أشكال الاتحاد بين أقطار العالم العربي، والغريب في الأمر أن هذا التوجه البريطاني انطلى على بعض زعماء العالم العربي. فكتب نجيب صدقة عام 1946: " وبعد دخول البريطانيين إلى سوريا ولنبنا وتقلّص النفوذ الفرنسي، ظهرت في جميع البلدان العربية نزعة إلى التفاهم والتضامن ترتكز على ما بين هذه البلدان من صلات وثيقة ومصالح مشتركة، ويشجعها ما بدا من الحكومة البريطانية من العطف عليها " [2].

---

(1) بابيه، **مصدر سبق ذكره**، ص 140.

(2) نجيب صدقة، **قضية فلسطين**، دار الكتاب، بيروت 1946، ص 267 - 271.

ويؤيد صدقة ما ذهب إليه بالاستشهاد بتصريح للمستر إيدن وزير الخارجية البريطانية في 29 آذار / مارس 1941: " إن كثيرين من مفكري العرب يرغبون في أن تتمتع الشعوب العربية بنصيب من الوحدة أكبر من النصيب الذي تتمتع به الآن... وستعاضد حكومة جلالته معاضدة تامة أي مشروع ينال الموافقة العامة ".

ويتابع صدقة، أن النحاس باشا (رئيس الحكومة المصرية في حينه) بادر إلى إجابة هذه الدعوة الصريحة، التي أفضت إلى عقد مؤتمر في الإسكندرية عام 1944، حضره إلى جانب مصر، مندوبو كل من اليمن والمملكة السعودية وسوريا ولبنان وشرقي الأردن والعراق، ووضعت فيه مقررات أشهرها " البروتوكول " الذي يسجل اتفاق الدول العربية على مبدأ التعاون والتضامن والإنضمام إلى هيئة تدعى " جامعة الدول العربية ".

وقد مُثِّلت فلسطين في مؤتمر الإسكندرية بالسيد موسى العلمي، الذي عرض قضية فلسطين على المؤتمرين، ودعاهم إلى المساهمة في إنقاذ أراضيها وخدمة قضيتها العامة. فأسفر المؤتمر عن قرار يطالب بتنفيذ الكتاب الأبيض ويرجئ بحث قضية الأراضي إلى موعد آخر. والجدير ذكره، في هذا الصدد، أن ميثاق الجامعة العربية خص فلسطين بملحق خاص أقر بموجبه: أنه نظرًا لظروف فلسطين الخاصة، يتولى مجلس الجامعة اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله [1].

(1) **المصدر نفسه**، والصفحة نفسها.

أخذ صدقة على الجامعة العربية لإحالتها قضية الأراضي إلى اللجنة الاقتصادية، التي لم تسفر المناقشات الطويلة التي أجرتها حول هذه القضية عن شيء، معتبرًا أن " ليس هذا البطء المؤسف هو المظهر الوحيد لتهامل الجامعة العربية في قضية فلسطين بل إن هناك دلائل أخرى أشد خطورة على هذا التهامل " [1].

وفي هذا دليل على أن الجامعة العربية لم تكن جدية في التصدي لنكبة فلسطين. ويبدو أن الحاج أمين الحسيني كان مدركًا لهذا الأمر، لذلك فقد عارض خطط الجامعة العربية في الحرب، ويظهر هذا واضحًا في مذكرات القاوقجي حيث يقول: " كان سماحة المفتي في خلال هذه المدة [تجهيز الجيوش العربية النظامية خريف 1947]، يعلن أمام الرجال الرسميين أنه لا يقبل أن أتسلم قيادة جيش المتطوعين، وكان هؤلاء الرجال، وغيرهم من الرجالات غير الرسميين، يحاولون إقناعه بضرورة تسلمي القيادة من أجل فلسطين، فيصرّ على الرفض.. فصارحوه بأن الأفضل والأليق أن يعلن قبوله، من أن يفرض عليه الأمر فرضًا [2].

ويورد نجيب صدقة في كتابه عن قضية فلسطين، أن إنكلترة، أوفدت الكولونيل نيو كومب إلى بغداد عام 1940 فعقد مشروع اتفاق بين السيدين جمال الحسيني وموسى العلمي لتقريب أجل الإستقلال وتقصير

(1) **المصدر نفسه**، ص 271.

(2) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص 328.

فترة الإنتقال التي حددها الكتاب الأبيض بعشر سنوات [1] .

وربما يفسر هذا الاتفاق تقاعس هذه الزعامات عن الاستعداد للحرب.

ويذكر القاوقجي أن رئيس الحكومة المصرية السيد فهمي النقراشي باشا، أطلق تصريحًا في أحد اجتماعات مجلس الجامعة العربية في تشرين الأول / أكتوبر 1947، جاء فيه، " إن مصر لن تشترك في (مظاهرة عسكرية) مع الدول العربية من أجل فلسطين، ويجب أن تعلم هذه الدول مقدمًا، أن الجيش المصري لن يشترك في القتال، وذلك لأسباب مصرية داخلية بحتة، فلتعمل الجيوش العربية حسابها على هذا الأساس ". ويعلق القاوقجي قائلاً: هكذا كان موقف الدول العربية وهي تستعد لإنقاذ فلسطين، وهذا ما كان يشغلها في الدرجة الأولى، وبعد هذا بمراحل بعيدة جدًا، تأتي قضية فلسطين [2].

وبذلك فإن مصر ترغب في خوض حرب من أجل فلسطين، ويبدو أنها كانت على دراية بعدم جدية الآخرين في الحرب، ما دفع رئيس حكومتها إلى اعتبارها مظاهرة عسكرية. ولذلك، فإنه عندما قررت مصر، في اللحظة الأخيرة فقط، وقبل يومين من انتهاء الانتداب، المشاركة فيما اعتبرته مظاهرة عسكرية فإنها أرسلت قوة تكونت من 10.000 جندي؛ واشتملت هذه القوة، التي أفرزتها الحكومة أداء المهمة، على فرقة كبيرة، بلغ نحو

(1) صدقة، **مصدر سبق ذكره**، ص 266.

(2) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص 333 - 334.

50 % من عددها من الإخوان المسلمين المتطوعين الذين كانوا معتقلين، وقد أفرج عنهم في أيار / 1948 كي ينضموا إلى الحملة العسكرية المصرية، غير أنهم لم يكونوا مدربين على القتال [1].

حالة الجيوش العربية عشية النكبة يشرحها القاوقجي [2] فيذكر أنه: تسلم قيادة جيش الإنقاذ رسميًا يوم 7 كانون الأول / ديسمبر 1947، وبدأ بتشكيل هيئة القيادة والمقر، وقد كان مراقبًا بدقة من قبل المفتش العام لجيش الإنقاذ العميد طه الهاشمي، بسبب شكوك القيادة السورية من إمكانية تعاون القاوقجي مع الملك عبد الله، أو إعلانه إدارة مستقلة في فلسطين تقود إلى انقلاب في سوريا، وكان اللواء إسماعيل صفوة ينقل للقاوقجي خبر هذه المخاوف، قائلاً أنه كان يحاول أن يمحوها من نفوسهم، بقوله لهم، مادام المال والعتاد في أيدينا، فلا مجال للتخوف، لأننا قادرون في كل وقت، أن نقضي على كل حركة قد يخطر له القيام بها. وكأنه يريد إفهام القاوقجي، بأنهم قادرون في كل وقت أن يقضوا على كل حركة قد يخطر له القيام بها. وبالفعل فقد طبق هذا التهديد تدريجيًا، حتى جاء وقت لم يكن فيه لجيش الإنقاذ، من العتاد ما يكفيه للدفاع عن نفسه، إذا هو هوجم. وفوق ذلك فقد نشطت القيادات المحلية في فلسطين، المرتبطة رأسًا بسماحة المفتي، إلى العمل لعرقلة حركات جيش الإنقاذ، وبذر بذور التفرقة بينه وبين الفلسطينيين. بالإضافة إلى أن جيش الإنقاذ،

(1) بابيه، **مصدر سبق ذكره**، ص 140.
(2) اعتمدت إساسًا، على: قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص 334 - 339.

كما يقول القاوقجي، كان يجهل تمامًا وضع اليهود، من حيث عدد المقاتلين، ومقدار أسلحتهم، ومدى استعدادهم، وكانت المعلومات التي تردهم حول هذا الموضوع من مصادر متعددة متناقضة: فتارة تصل المبالغة في وصف قوة اليهود إلى حد يدخل الذعر في النفوس، وتارة كانت الأخبار تصورهم من الضعف بحيث يخيل للسامع أن العرب سيصلون في سباق إلى تل أبيب وبدون توقف.

وقد حاول القاوقجي الحصول على معلومات يمكن الركون إلى صحتها عقليًا، فاجتمعت لديه المعلومات التالية:

أولاً: - جيش الهاغاناه – قيادته الدائمة – عدد الضباط 500.

ثانيًا: جنود الهاغاناه – عددهم ستون ألفًا، مقسمون كما يلي:

أ- خمسة عشر ألفًا تحت السلاح.

ب- خمسة وعشرون ألفًا مدربون، احتياط.

ج- عشرون ألفًا مسلحون، يستطيعون الاشتراك في القتال حين الطلب.

ثالثًا: قوى بوليس نظامية وإضافية خمسة آلاف (الإيرغون، وشتيرن عشرة آلاف).

السلاح:

1- كان لديهم مائة وخمسون مدفع هاون.

2- مائة سيارة مصفحة تصفيحًا محليًا.

3- دبابـات إنكليزيـة وألمانيـة مـن بقايـا العلمـين وطبـرق (لـم يعـرف عددها).

4- متفجرات، حوالي خمسين طنًا.

5- عتاد يكفي لخمسة أشهر قتال.

وفيما كانت لدى اليهود خطة محكمة للحرب، فإن المفتي أفسد الخطة التي وضعها جيش الإنقاذ، واستطاع تحويل كميات من مخصصات جيش الإنقاذ إلى ناحيته ليوزعها على جماعات معينة مرتبطة به.

وعند الخطوة العملية الأولى فوجئ القاوقجي، كما يقول، بتصريحات جديدة، علـى جانـب كبير من الخطـورة، وهـي أن الجيش السـوري نفسـه غير مستعد للقتال، وأنه ينقصـه السـلاح والعتـاد... وأن معـارك أسبوعين أو ثلاثـة تكفـي لتستنفذ منـه آخـر طلقـة... وبمثـل هذا أخذ المقربـون مـن الحكومات العربية يهمسون عن جيوشها.

لقد أبدى القـاوقجي خيبـة أملـه بسبب التصـريحات الطنانـة للزعامـات العربية، التـي كانـت بهدف التضـليل والتحـذير والتجهيل لـيس إلاّ، وكـان العميدان طه الهاشمي ومحمود الهندي اللذين آلت لهما قيادة جيش الإنقاذ، بسبب انشغال القائد العام اللواء إسماعيل صفوة، يرفضون طلبـات الكثيـر من المتطوعين الذين يأتون عن طريق القاوقجي.

كما يذكر القاوقجي، في تلميح يغنـي عن التصـريح، محاولـة كل من الهاشمي والهندي لتحميلـه مسؤولية أي تقصـير فـي المعركـة، حيث كانـا يفرضـان عليـه الضـباط والجنـود الـذين يختارونهمـا، ويقومـان بتـدريبهم

وإعدادهم على طريقتهما، بحيث لا يتم الإتصال بينهم وبين القاوقجي إلا في ساعة المعركة، حيث لا يكون سواه مسؤولاً عنهم وعن حركاتهم وتصرفاتهم في ساحة القتال.

ويصف القاوقجي العميد طه الهاشمي، المفتش العام لجيش الإنقاذ بأنه ضابط ركن جيد، ولكنه ليس قائدًا. ومن هنا، كما يرى القاوقجي، جاءت النظرية التي شكّلت سببًا من أسباب تأخر النجدة عن فلسطين، فقد كان المفتش العام يحب أن يسير في تدريب المتطوعين على أسلوب يتفق مع أسلوب تدريب الجنون، الذين جندتهم الخدمة الإجبارية. في حين أن دقة الظرف وخطورته في فلسطين تتطلب اختصار الوقت، والإسراع في النجدة، والاعتماد في إتمام النقص الذي قد يبقى في بعض فروع تدريب المتطوع، على شخصية القائد وعلاقة جنوده به، من جهة، وطبيعة المعارك التي سيخوضونها من جهة أخرى.

وكان سماحة المفتي ماضيًا من بعيد في تأليف جماعات مسلحة في فلسطين كيفما اتفق، يسمي لهم قادة، أفرادًا قد يكونون شجعانًا ولكنهم جهلاء، يحتفظ بهم للمستقبل. وأخذت ترد على المتطوعين الفلسطينيين في معسكر قطنا (جنوب سوريا)، رسائل باسم الهيئة العليا تطلب منهم الفرار بأسلحتهم من المعسكر والالتحاق بهذه المجموعات التي تنتمي إلى سماحة المفتي، وقد عمل بهذه " النصيحة " كثير من هؤلاء المتطوعين المساكين.

* * *

الفصل السابع عشر:
جامعة الدول العربية والنكبة

هدى فاروق

جاء تأسيس جامعة الدول العربية مع استفحال المعضلة الفلسطينية، وبداية العد التنازلي لإقامة دولة إسرائيل. وفي هذا البحث نتناول مواقف الجامعة في حرب 1948، وأهم قراراتها، وأثر ذلك على القضية الفلسطينية.

نشأة الجامعة:

لقد كانت الجامعة العربية هدفًا تدعو لتحقيقه مختلف الروابط، والتنظيمات الشعبية القومية، خلال فترةٍ كان فيها التيار القومي العربي تيارًا نشطًا، ولم يكن مفهوم الدولة القطرية قد ترسخ، وكان التركيز القومي على مفهوم الأمة العربية الواحدة، الممتدة من المحيط إلى الخليج. وأمام تزايد هذا الضغط، خلال الحرب العالمية الثانية، على حكومات المنطقة وكانت كلها تستند بشكلٍ أو بآخر على النفوذ الأوربي أقدمت بريطانيا على تشجيع الحكومات العربية على تبني فكرة إنشاء الجامعة [1]. حيث أعلنت الحكومة البريطانية تصريحًا، على لسان وزير الخارجية، أنتوني إيدن، في 29 مايو/ آيار 1941، بأنها تعطي كامل

(1) د/علي الدين هلال، جميل مطر، **النظام الإقليمي العربي/ دراسة في العلاقات السياسية العربية**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، دار المستقبل العربي، ط4، 1983، ص139.

موافقتها لأية حركة تلقى التأييد العام، ويكون مقصودًا منها دعم الروابط الثقافية، والاقتصادية التي تربط البلاد العربية. وكان التصريح البريطاني الثاني، في 24 فبراير/ شباط سنة 1942، بأن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى كل حركةٍ تنشأ بين العرب، بغرض دعم وحدتهم السياسية، والاقتصادية.

بطبيعة الحال لم يكن غرض الحكومة البريطانية إرضاء التيار القومي العربي، أو تحقيق أهدافه، وإنما كانت محاولة لنقل المبادرة من الشارع العربي إلى الحكومات العربية، بحيث تكون الجامعة، في شكلها ومضمونها، جامعة دول وحكومات، تحرص على سيادة كل عضو فيها، وليس الجامعة التي دعا إلي تحقيقها التيار القومي العربي [1].

تم التوقيع على ميثاق الجامعة العربية، في 22 مارس/ آذار 1945، وأصبح نافذ المفعول، ابتداء من مايو/ آيار 1945. وذكر الميثاق الغرض الذي من أجله أنشئت الجامعة، وهو إيجاد أداة تهيئ للدول العربية إمكانية توحيد جهودها في سبيل تأمين مستقبلها، وتحقيق أماني البلاد العربية الأخرى[2].

فرز الأوراق:

ما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها (صيف 1945)، حتى دلفت القضية الفلسطينية إلى مرحلة فرز الأوراق، وبدء العد التنازلي

---

(1) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

(2) وحيد الدالي، **أسرار الجامعة العربية وعبد الرحمن عزام**، مكتبة روز اليوسف، القاهرة، يناير/ كانون الثاني 1982، ص15.

لإخراج المشروع الصهيوني إلى العلن.

في المجال الدولي كان أول عمل شغل الجامعة التعامل مع لجنة التحقيق الأنغلو - أمريكية، التي بدأت عملها، في كانون الثاني/ يناير 1946. والسبب في إرسال هذه اللجنة هو مقابلة الصهيونية التلكؤ البريطاني إزاء المشروع الصهيوني، بشن هجمات مسلحة ضد الجند البريطانيين في فلسطين، وإنزال خسائر بشرية في أولئك الجند. ورضخت لندن، جزئيا، للضغوط الأمريكية، فشكلت هذه اللجنة، التي أخذت على عاتقها النظر في دخول مائة ألف يهودي الى فلسطين، وتسهيل انتقال الأراضي لليهود[1].

وتلقت الأمانة العامة للجامعة العربية، فى 1946/2/11 دعوة من اللجنة الأنغلو - أمريكية، للإدلاء بوجهة نظر الجامعة في قضية فلسطين، فضلاً عن سماع شهادات أهالي فلسطين العرب، وكذلك شهادات اليهود.

غادرت اللجنة فلسطين، في 28 آذار/ مارس إلى لوزان في سويسرا، لوضع تقريرها النهائي. ورفضت اللجنة حل تقسيم فلسطين، لأنه غير عملي، كما رفضت الاقتراح بأن تكون فلسطين دولة عربية أو يهودية، وذلك بعد نقاشٍ دام ثلاثة أسابيع، ثم أصدرت اللجنة تقريرها، وتوصياتها، بالإجماع، وعندما نشرت اللجنة الأنغلو - أمريكية تقريرها، الذي أوصى بفتح أبواب فلسطين لمئة ألف مهاجر يهودي، فورًا، وبإلغاء القيود المفروضة على الاستيطان.

(1) عبد القادر ياسين، **الحركة الوطنية الفلسطينية المحطات الرئيسية/ الدروس المستفادة**، ط1، دار الكلمة، القاهرة، 2000، ص26

تفجرت مشاعر الغضب في سائر أرجاء الوطن العربي، وعم الإضراب مدن فلسطين، وقراها [1].

على إثر ذلك دعا فاروق، ملك مصر، إلى عقد مؤتمر قمة عربي، فالتأم المؤتمر المذكور، في أنشاص، يومي 27، 28 مايو/ آيار 1946، وعرف باسمها. وبعد المداولة وجد العرب أنفسهم " متفقين، تمام الاتفاق، على أن البلاد العربية المشتركة في جامعة دولهم ترغب، رغبةً أكيدة، في السلم الدائم بينها، وبين جميع دول العالم ". أما عن قضية فلسطين " هى قضية العرب جميعًا، وأن فلسطين عربية، ويجب على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها، وأنه ليس في إمكان هذه الدول أن توافق، بوجه من الوجوه، على أي هجرة جديدة، ويعتبرون ذلك نقضًا صريحًا للكتاب الأبيض(1939)، الذي ارتبط به الشرف البريطاني " [2].

لم تمض عشرة أيام على مؤتمر أنشاص، حتى اجتمع مجلس الجامعة، في دورةٍ استثنائية، للبحث في تقرير اللجنة الأنغلو - أمريكية، والرد عليه، وذلك في الثامن من حزيران/ يونيو 1946، في بلودان بسوريا. كان للمجلس مجموعة من التعليقات على توصيات اللجنه، منها: تحيز عدد من أعضاء اللجنة الأنغلو - أمريكية الى الجانب الصهيوني، وأن اللجنة جاءت لإقرار سياسةً مرسومةً سلفًا، مثل إقرارها هجرة مائة ألف يهودي، في ذلك العام، وأن اللجنة لم تعر الجامعة العربية ومصالح

(1) مروة جبر، **جامعة الدول العربية وقضية فلسطين (1965، 1945)**، نيقوسيا، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، 1989، ص17 - 22.
(2) **المصدر نفسه**، ص12 - 23.

دولها أي اهتمام.

وكانت أهم القرارات:

- إرسال كتاب إلى الحكومة البريطانية، يطلب المفاوضة، طبقًا لميثاق الأمم المتحدة.
- إرسال مذكرة من كل دولة عربية إلى الحكومتين، البريطانية و الأمريكية، لإبلاغها خطورة الموقف في فلسطين.

فضلاً عن قرار باتخاذ التدابير الآتية:

أ - تأليف لجنة تدعى " لجنة فلسطين "، ممثلةً لجميع الدول العربية، ومقرها القاهرة، للإشراف على جميع الأعمال في فلسطين.

ب - دعوة الفلسطنيين إلى جمع كلمتهم، لتاليف هيئة عربية عليا، تعتمدها الجامعة، للقيام بجميع الأعما ل التي تهم عرب فلسطين.

ج - تأليف لجنة سياسية، لتنسيق العمل السياسي، وتوحيد الخط في السياسة الخارجية بين البلاد العربية.

د - قرار طلب تجريد اليهود من السلاح.

هـ - قرار العقوبات فيما يتعلق ببيع الأراضي لليهود في فلسطين.

و - توصية الحكومات والشعوب العربية بمساعدة المشاريع القومية لانقاذ أراضي فلسطين، ومساعدة عرب فلسطين.

أما القرارات السرية فكانت كما يلي:

1 - عدم السماح لبريطانيا والولايات المتحدة أو إحداهما، أو رعاياهما، بأي امتياز اقتصادي جديد.

2 - عدم تأييد مصالحهما الخاصة، في أي هيئة دولية ومقاطعتهما، مقاطعة أدبية.

3 - إلغاء ما يكون لهما من امتيازات في البلاد العربية.

4 - شكواهما إلى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة.

ذكر الدكتور فاضل الجمالي، وزير خارجية العراق، وعضو الوفد العراقي في تلك الدورة، أن فلسطين انتهت في مؤتمر بلودان، وأن قراراته كانت كالطبل الأجوف، وأنه حين اقترح استخدام سلاح النفط، قوبل بالرفض، وشطب الاقتراح من مضبطة الاجتماع، لأن ذلك كان مشروطًا باشتراك جميع الدول المنتجة للنفط [1].

يتضح مما سبق أن القرارات كانت نظرية، كباقي قرارات جامعة الدول، وأنها لم تصل إلى حيز التنفيذ، وبقيت حبرًا على ورق، ولم ترقَ إلى مستوى القضية، التي وصلت إلى مرحلةٍ حادةٍ، شددت فيها العصابات الصهيونية المسلحة معاركها ضد الجيش البريطاني، مطالبةً بمغادرته فلسطين، معلنةً تصميمها على إقامة الدولة اليهودية[2]. وقد نتج

(1) د. فاضل الجمالي، مقابلة معه في منزله بتونس، بتاريخ 1980/3/10. أوردته: جبر، **مصدر سبق ذكره**، ص25.
(2) **المصدر نفسه**، ص25 - 26.

عن هذه الحالة أن أصبح نشاط الدول العربية وقائيًا سلبيًا، فكلما أظهر الصهاينة وأعوانهم من البريطانيين نشاطهم، كانت تقوم ثورة كلية عربية في فلسطين، وتحتج البلاد العربية، ويقاطع العرب الحكومة المنتدبة، وتسارع الجامعة العربية للاستنكار، والاحتجاج، وتساعدها الحكومات العربية، ومجالسها النيابية، وهيئتها السياسية على أن هذه المساعي لم تخرج عن نطاق البلاد العربية ذاتها، بشكل واضح[1].

الهيئة العربية العليا:

في منتصف عام 1946، كانت الجامعة العربية تسعى لتكوين لجنة تمثل فلسطين، بدلاً من الاكتفاء بعضوٍ واحدٍ يمثلها في مجلس الجامعة، وكانت القوى السياسية الفلسطينية منقسمة إلى كتلتين كبيرتين: بقايا " اللجنة العربية العليا " و " الجبهة العربية العليا "، التي تكونت حديثًا. وعلى سبيل التسوية، دعا أمين عام الجامعة العربية كلا الفريقين، وبعد مشاورات تم التوافق على تأليف هيئة جديدة، نواتها أربعة أشخاص فقط، نصفهم من اللجنة العربية، والنصف الآخر من الجبهة العربية، وعرفت اللجنة الجديدة باسم " الهيئة العربية العليا ".

تقدمت " الهيئة العربية العليا " باقتراح إلى دول الجامعة العربية، لتأسيس حكومة لفلسطين، يلتف حولها الشعب الفلسطيني، وبعد أن أعلنت بريطانيا عن رغبتها في إنهاء الانتداب، طلبت " الهيئة " من جامعة الدول العربية ودولها دعم قرارها، لتشكيل حكومة فلسطينية، ومساعدتها

(1) العميد محمد فائز القصري، **حرب فلسطين عام 1948 - الجزء الأول الصراع السياسي بين الصهاينة والعرب**، ط1، دار المعرفة، القاهرة، يوليو/ تموز. 1961.

على تنفيذه. ورغم عرض الفكرة، ومناقشتها مرارًا، في الجامعة العربية، إلا أن الدول العربية لم توافق، يومئذٍ على إنشاء حكومة فلسطينية [1].

الادارة المدنية:

صدر قرار إنشاء الإدارة المدنية الفلسطينية من جامعة الدول العربية، في 8 يوليو/ تموز 1948، وقد نص القرار على أن تتكون من مجلس للإدارة، قوامه تسعة أفراد، كما نص القرار على أن تكون مهمتها الشئون الإدارية المدنية العامة، من غيرأن يسمح لها بالتدخل في الشئون السياسية أو العسكرية للبلاد، على أن تكون هذه الإدارة تابعة للجامعة العربية، تبعيةً مطلقة، فالجامعة هي التي تعين أفرادها، وتحدد صلاحياتهم، وتمول نشاطها. وقابلت " الهيئة " هذا القرار بعدم الارتياح، إذ أن هذه الإدارة مقيدة الصلاحيات، وتابعة للجامعة العربية، ودولها، المشاركة في حرب فلسطين.

بعد اجتماع بلودان، أخذت لجنة فلسطين - المشكلة بناءً على أحد قرارات بلودان - اجتماعها في القاهرة والأسكندرية. وفي هذه الأثناء، قبلت الحكومة البريطانية الدخول في المفاوضة مع الدول العربية، استجابةً لطلب الأخيرة. وبتاريخ 1946/8/1 أبرقت الأمانة العامة للجامعة إلى الدول الأعضاء لإبلاغها بضرورة اجتماع ممثليها في " لجنة فلسطين ".

عقد اجتماع وزراء خارجية الدول العربية، في مدينة الاسكندرية،

(1) أمل خليفة، **ماذا حدث في فلسطين1948، الجزء الثاني**، ط1، الإسكندرية، دار المدائن، 2003، ص107 - 110.

بتاريخ 1946/8/12. وقرر الوزراء أن توفد كل دولـة عربيـة إلـى لنـدن مندوبين عنها للمفاوضـة، مفاوضةٌ حرة غيـر مقيـدة، إلا بقـرارات مجلس الجامعة، ودورته الاستثنائية في " بلودان "

ســافرممثلو الــدول العربيــة إلــى مــؤتمر لنــدن، الــذي افتــتح فــي 1946/9/10، حيث عرض الجانب البريطاني تصوره لحل المشكلة، فيما سمي " مشروع موريسون " الذي تضمن الاتجاه السريع نحو إقامة الحكم الذاتي، وانحصر في صياغة دستور للبلاد، بشكل يعطي كلاً من الفريقين أعظم قسط ممكن من السلطة لإدارة شؤونه.

نجـد فـي هـذا المشـروع أنـه يوقـع بـالعرب أضـرار فـرض التقسـيم، وحرمان العرب من النقب، دون وجه حق، والسماح بهجرة مائـة الـف يهودي، فورًا، وسلب عرب فلسطين خيرة أراضيهم، ثم تراجع بريطانيـا عن سياستها المتمثلـة فـي الكتـاب الأبيض لعام 1939، ورفض العـرب المشروع، رفضًا قاطعًا[1]. وعند ذلك أعلن أرنست بيفن، وزير الخارجية البريطانية، أن حكومته، لا تتمسك بمشروع موريسون، وهاجم " الكتا ب الأبـيض "، الـذي سـبق أن أصـدرته الحكومـة البريطانيـة، عـام 1939، وطلب بيفن من العرب أن يضعوا حلاً بديلاً. وقد اجتمعت الوفود العربية بـدار السـفارة المصـرية، فـي 16 أيلـول/ سـبتمبر، وقـررت تـأليف لجنـة فرعية، للـرد علـى الوفـد البريطـاني، وأعدت اللجنـة الفرعيـة مقترحاتهـا، التي عرضتها على الوفود العربية، في 19 أيلول/ سبتمبر فوافقت الوفود عليها بالاجمـاع. وعنـد عـرض هـذه المقترحـات علـى المؤتمر، تقـرر أن

(1) جبر، **مصدر سبق ذكره**، ص27 - 29.

تتشكل لجنة فرعية من الجانبين، العربي والبريطاني، وأتمت اللجنة تقريرها، وعرضته على المؤتمر في 1946/10/2.

رفض الصهاينة " مشروع موريسون "، كما رفضه العرب، فيما اتصل بعض زعماء الصهاينة بالحكومة البريطانية، بصورةٍ غير رسمية، وتقدموا بمشروع بديل، على أساس دولةٍ مستقلة، على 65% من مساحة فلسطين، تشمل الجليل، وصحراء النقب، والسهول والمناطق الغربية والساحلية [1].

ابتدأت الدورة الثانية لمؤتمر لندن، بتاريخ 1947/1/27، وقد حضر من الجانب العربي ممثلو دول الجامعة العربية السبع، إلى جانب وفد يمثل عرب فلسطين. وعندما تكلم بيفن، رفض المشروع العربي على أنه مستحيل التنفيذ، كما بين بيفن أنه يرفض المطلب الصهيوني بأن تكون فلسطين بأكملها يهودية. إلا أنه لم يستبعد إمكانية التقسيم. كذلك ألح بيفن على إمكان عرض الموضوع على الأمم المتحدة.

بتاريخ 7/2/ 1947، قدم الوفد البريطاني مذكرة، أرفق بها مشروع كأساس للمفاوضات بشأن مستقبل فلسطين عرف بمذكرة بيفن، ورد العرب على مذكرة بيفن بأن الوفود العربية مقتنعة بأن المشروع الذي قدمته هو الأكثر عدلاً، وهو الممكن عمليًا، وأن الوفود العربية ترفض التقسيم، بالإجماع وستقاومه بكل قوة، وإن لم يوجد حلٌ عادلٌ للمشكلة، فمن العسير على الحكومات العربية أن تصون السلام.

(1) **المصدر نفسه**، ص30 - 32.

فـي 14شـباط/ فبراير، أعلـن بـيفن أن الحكومـة البريطانيـة تعتـرف، لأول مرة، في تاريخها، بأنها تخفق فـي الوصـول إلـى حـل مشـكلةٍ كهذه، وفي 1947/2/18، أعلن وزير الخارجية البريطانيـة فـي مجـاس العموم البريطـاني: بأنه يواجه مشكلة نزاع مبادئ غير قابل للتسوية، وأنه خلص إلى نتيجةٍ أن الطريق الوحيد هو طرح المشكلة على الأمم المتحدة [1].

لم تـر الـدول العربيـة أي مبـررٍ لرفـع القضـية إلـى الأمـم المتحـدة، إلا لإعـلان فلسـطين كبلـدٍ عربـيٍ مسـتقل، وفـي حالـة الإخفـاق فـإن الجامعـة العربية مضطرة إلى تنفيذ قرارات بلودان السرية، وبدأت الوفود العربيـة بإنشـاء لجنـة ومكتـب فـي نيويـورك لإعـداد الوثـائق والدعايـة، وقامـت باتصـالاتٍ رسـميةٍ، وصـحفيةٍ، مـن أجـل قضـية فلسـطين. إلا أن النشـاط الإعلامـي لم يكن يقاس بنشاط الصـهيونية في هـذه الـدورة للأمـم المتحـدة، فقد أخفق المندوبون العرب في محاولة تفادي تـأليف لجنـة تحقيـق دوليـة، كما أخفقوا فـي جعل إعـلان استقلال فلسطين مـن مهمـات اللجنـة. قامـت لجنـة التحقيـق الدوليـة بزيـارة فلسـطين، والأقطـار العربيـة المجـاورة، وأوصـى أكثر أعضاء اللجنـة بتقسيم فلسطين إلـى دولتين، وجعل منطقـة القـدس دوليـة، واسـتنكرت الحكومـات والشـعوب العربيـة، مـا جـاء فـي التقرير.

اجتمعت اللجنة السياسية العربية في صوفر بلبنان، في أيلول/ سبتمبر 1947، وحضر الاجتماع رؤسـاء الـوزارات العربيـة. وتكمـن أهميـة هـذا الأجتماع في انعقاده قبل بضعة أيام من انعقاد دورة الأمم المتحدة. وأسفر

(1) **المصدر نفسه**، ص33 - 34.

الاجتماع عن تأكيد عزم الدول العربية على تأييد عرب فلسطين، وإرسال مذكرات إلى حكومتي بريطانيا، والولايات المتحدة، تحذرهما من أن أي قرار لا ينص على قيام دولة عربية في فلسطين يهدد بإثارة اضطرابات خطيرة في الشرق الأوسط. كما أسفر الاجتماع عن قرارات بتقديم معونة لأهل فلسطين، وتأليف لجنة فنية لدراسة حاجات فلسطين، ووسائل دفاعها، وعرض التقرير على مجلس الجامعة. وقد تألفت اللجنة من مندوبين عن الحكومات العربية، برئاسة اللواء اسماعيل صفوت.

في تشرين الأول/ أكتوبر 1947، اجتمعت الوفود العربية في عاليه، ولم تتخذ قرارات أبعد من قرارات صوفر. إلا أنه في الجلسة الأخيرة، قدمت اللجنة الفنية تقريرها، الذي تضمن تحليلاً عسكريًا عن فلسطين، جاء فيه:

- للصهيونية في فلسطين منظمات وتشكيلات عسكرية وسيا سية وإدارية على درجة من التنظيم، مما ييسر لها أن تنقلب فورًا إلى حكومة صهيونية.
- اللجنة تقترح المبادرة حالاً بدعوة المتطوعين، وتسليحهم، وتدريبهم، بواسطة الدوائر الحكومية والهيئات، المنظمات الشعبية.
- الدول العربية تقوم بحشد قواتها في المناطق القريبة من حدود فلسطين.
- قيادة عربية عامة تشكل فورًا.

- عرب فلسطين يزودوا بكمياتٍ كافية من الأسلحة.
- اليهود يجابهوا بقوات نظامية مدربة.

كما عقد مؤتمرضم رؤساء أركان حرب الجيوش العربيـة، للمداولـة، وبعد أن نـا قش مجلس الجامعـة تقريـر اللجنـة المشـار إليـه، اتخذ قـرارًا يتضمن تأكيد قرارات بلودان، ووجـوب تنفيـذها، وأن الحالـة فـي فلسـطين تستلزم قيام جامعة الدول العربيـة باتخـاذ احتياطـات عسكرية علـى حـدود فلسطين، وأن تيسر الدول المتاخمة لفلسطين سبيل الاشتراك والتعاون في هذا الواجب بالاتفاق فيما بينها.

في 29 تشرين الثانـي/ نـوفمبر، أقـرت الجمعيـة العامـة للأمـم المتحـدة توصية لجنة التحقيق الدولية بتقسيم فلسطين دولتين، وقـد شـهدت القـاهرة اجتماعاتٍ عديدة للجنة السياسية للجامعة العربية فيما بين 8 - 17 كـانون الأول/ ديسـمبر 1947. واسـتنكرت تلـك الاجتماعـات التقسـيم، وأعلنـت العزم على مقاومته [1].

اضـطرت لجنـة الأمـم المتحـدة لفلسطين، والتـي ضـمت ممثليين عـن (بوليفيا، تشكوسلوفاكيا، الـدنمارك، بنمـا والفلبين) التـي نـص عليهـا قـرار التقسيم، أن تعلن عن يأسها من قدرتها على تنفيذ قرار الأمم المتحدة، مالم تسندها قوة دولية.

وكان لشهادة رئيس لجنة التقسيم، وللوضـع الخطيـر الـذي تـردت فيـه الأوضـاع فـي فلسـطين أثـر بـالغ فـي تراجـع بعـض الـدول المؤيـدة لقـرار

(1) **المصدر نفسه**، ص36 - 39.

التقسيم عن موقفها السابق، وأهمها قرار الولايات المتحدة، الذي طرحت اقتراح وضع فلسطين تحت الوصاية، وإعادة القضية إلى الأمم المتحدة، ودعوة الطرفين إلى هدنة في فلسطين.

رفضت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، في اجتماع عقدته، في نيسان/ إبريل 1948، اقتراح وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية، وجاء في قرارها: " إن الوصاية الدولية نظام مؤقت سيزيد اليهود خلاله قوة، ويعطيهم وقتًا لتأمين تفوقٍ لهم على تفوق العرب الحاضر ". وكذلك رفضته " الوكالة اليهودية ".

نتيجة لذلك أكد مجلس الأمن، في الأول من نيسان/ إبريل 1948 قرار إعادة القضية إلى الجمعية العامة، ودعوة العرب واليهود إلى هدنة، ودعوة الجمعية العامة إلى دورةٍ استثنائية، كما اتخذ في 1948/4/23، قرارًا بإنشاء لجنة هدنة مكونة من ممثلين لأعضاء مجلس الأمن، الذين لهم قناصل في القدس. كما عقدت الجمعية العامة، في 4/16 /1948، دورة استثنائية، واتخذت في 5/14 /1948 - حيث لم يبق على نهاية الانتداب إلا ساعات - قرارًا تضمن تعيين وسيط مفوض من هيئة الأمم المتحدة، يشمل نشاطه جميع فلسطين، ويختاره ممثلو الدول الخمس الكبرى [1].

(1) **المصدر نفسه**، ص40 - 41.

وقع قرار التقسيم:

لقد اختلفت الحكومات العربية بين رأيين: بين القبول بالتقسيم، وبين استخدام القوة لرفض التقسيم، وكانت الجامعة العربية ترفض التقسيم. لقد كان أصحاب الرأي الأول يرون بأن إمكانات العرب لا تكفي لكسب حرب حقيقية يخوضون غمارها، وسيخسر العرب، لأن الدول الكبرى، وفي مقدمتها بريطانيا والولايات المتحدة، قد تمد يد المساعدة للصهاينة وتزودهم بالسلاح، إذا طلبوه، كما تمدهم بالمال. وبأن الحكمة تقضي أن يقبل عرب فلسطين التقسيم، وأن يتريثوا، ويتشاوروا مع الحكومات العربية، لمعالجة القضية دبلوماسيًا، ولكن القائلين بهذا الرأي لم يستطيعوا أن يجاهروا برأيهم، كي لا يتهمون بالخيانة والانهزامية. والقسم الآخر كان يرى أنه لابد من خوض المعركة، على الفور، لأن الغرب يخضع للأمر الواقع، أكثر مما يصغي لصوت الحق، والضمير. والوقت ثمين، لا يجوز إضاعته بالمناقشة والتصاريح. الصهاينة بحاجة الى سلاح ورجال، فلابد من مباغتتهم، قبل أن يستعدوا، وأن الانتظار خمسة أشهر، حتى يجلو الإنجليز خطأ جسيم، وأن الكفاح يجب أن يرتكز على أهل فلسطين الذين ينالون الإمداد من الجيوش العربية (1).

الدول العربية عشية الحرب:

كانت الظاهرة الأساسية لهذه العلاقات انقسام الحكومات العربية الفاعلة إلى كتلتين: الأولى الكتلة الهاشمية، التي ضمت العراق، وشرق الأردن، والثانية الكتلة التي ضمت كلاً من سوريا، ولبنان، ومصر،

(1) القصري، **مصدر سبق ذكره**، ص99 - 100.

والسعودية. وكانت عواصم كلا الكتلتين تنظر بعين الشك والريبة إلى عواصم الكتلة الأخرى، علمًا بأن العراق كان يتنازعه تياران: أحدهما مال إلى التعاون المحكم مع الشقيقة (الأردن)، وثانيهما كان أميل إلى مد الجسور إلى العواصم غير الهاشمية، وخصوصًا فيما يتعلق بفلسطين. وكان مصدر الشك والريبة الأكبر في عواصم الكتلة الثانية، " مشروع سوريا الكبرى " لضم كلٍ من سوريا، ولبنان، و فلسطين، وشرق الأردن في كيانٍ واحد يدخل في اتحاد مع العراق تحت الرعاية الهاشمية، بالتفاهم مع بريطانيا [1].

الجامعة والاعداد للحرب:

ليس هناك ما يبرر القول بأن الدول العربية، حين دخلت الحرب، لم تكن على معرفةٍ، ودرايةٍ بقدرة الصهاينة، بعد أن أوضح تقرير اللجنة العسكرية، في تشرين الأول/ أكتوبر 1947. تفوق الصهاينة في جميع المجالات، إلا إذا كانت تلك الدول قد اعتبرت أن المقارنة في التقرير بين الصهاينة، وعرب فلسطين فحسب، فكانت الاستهانة بالصهاينة وتنظيماتهم، واعتبروا قرار حشد الجيوش العربية مجرد تظاهرة استعراضية، سوف ترهب الصهاينة. حيث كان رأي رئيس الحكومة المصرية آنذاك، محمود فهمي النقراشي: " أريد ان يكون معلومًا من الجميع أن مصر، إذا كانت توافق على الاشتراك في هذه المظاهرة العسكرية، أي الحشد على الحدود، فإنها غير مستعدة قط للمضي إلى أكثر من ذلك ".

(1) الخالدي، **مصدر سبق ذكره**، ص27.

وبـالرغم مـن أن اللجنــة العسـكرية قـد قـررت، فـي 6/10/ 1947، تشـكيل " جـيش الإنقـاذ "، فـإن هـذا القـرار النظـري لـم يطبـق، عمليًـا، بالسرعة المطلوبة، ولم يعين قائد " جيش الإنقاذ " إلا فـي 1947/12/7، أي بعد مرور شهرين، شهد كل يوم منهما تقدمًا لصالح العدو. فقد كانـت تلك الفترة من أدق وأحرج الفترات التي أثرت، تأثيرًا سيئًا، فـي الموقـف العربــي بفلسـطين، وعلــى موقـف الجامعــة التــي دخلـت بقراراللجنــة العسـكرية، المعركـة فـي فلسـطين، وأصـبحت تلـك اللجنـة تشـرف علـى القـوات غيـر النظاميـة العاملـة فـي كافـة ميـادين القتـال هنـاك، قبـل انتهـاء الانتداب البريطـاني.

أما مسألة دخول الجيوش النظامية الحرب، فقد بدأت الـدول العربيـة، الأعضـاء فـي الجامعة، تتخذ الاستعدادات في شهر نيسـان/ إبريـل 1948، لدخول قواتها فلسطين، بعد أن تنسحب القـوات البريطانيـة منهـا، بتـاريخ 1948/5/15. وفــي 12/4/ 1948، عقـدت اللجنــة السياسـية للجامعــة اجتماعاتها في القاهرة، وقابل الملك فاروق رؤساء الوفود في قصر عابد ين، وطلب من رئيس ديوانه أن يتلو البيـان، الذي جـاء فيـه: " إذا دخلـت جيوش عربية فلسطين يجب النظر إلى هذا التدبير كحلٍ مؤقت خـالٍ من صفات الاحتلال أو التجزئة لفلسطين، وأنـه بعد تمـام تحريرهـا تسلم إلـى أصحابها يحكموها كما يرون ". وإلى جانب هذا أقـرت اللجنـة السياسية، في الوقت عينه، عددًا من الإجراءات، لضمان سلامة الجيوش الزاحفة منها، ما يلي [1] :

(1) خليفه، **مصدر سبق ذكره**، ص54 - ص113.

1- إعتبار الجيوش العربية هى الوسيلة الوحيدة الصالحة لحماية عرب فلسطين، وإنقاذ عروبتها.

2- حل جميع المنظمات الشعبية في فلسطين، وتوقف نشاطها، وإبعادها عن ميدان المعركة.

3- عزل جميع الأحزاب والهيئات السياسية الفلسطينية عن مباشرة القضية، أو الاشتراك في العمليات العسكرية.

4- وضع خطة عسكرية مشتركة لجميع الجيوش العربية في فلسطين، وتكوين قيادة عامة، واختيار القائد الأعلى للجيش الأردني رئيسًا لهذه الهيئة.

رافق هذا القرار إعلان حالة الطوارئ، والأحكام العرفية في الدول العربية، بحجة حماية المجهود الحربي.

موقف الجامعة من قيام الكيان الصهيوني:

في 14 - 15 آيار/ مايو 1948 إنتهى الانتداب البريطاني على فلسطين، وأعلنت الهيئة التنفيذية " منهيلت هعام " الصهيونية في تل أبيب قيام دولة عبرية باسم " إسرائيل " [1]، واعترف الرئيس الأمريكي، هاري ترومان، بدولة إسرائيل خلال 11 دقيقة من إعلانها، وتبعته العديد من دول العالم، واعترفت بالكيان الصهيوني. واستقبل ترومان الزعيم الصهيوني، حاييم وايزمن، في البيت الأبيض، في 25آيار/ مايو، وبحثا،

(1) وليد الخالدي، **خمسون عامًا على حرب 1948، أولى الحروب الصهيونية - العربية، ط1**، دار النهار، بيروت، تشرين الأول/ أكتوبر، 1998، ص11.

فيمـا بحثـا، تقديم قـرض مـن واشـنطن الـى تـل أبيـب، بقيمـة 100 مليـون دولار[1].

موقف الجامعة من الهدن:

فـي 29 مـايو/ آيـار 1948، طلـب مجلـس الأمـن وقـف جميـع أعمـال القوات المسلحة (أربعة أسابيع)، وكـان ذلـك بعـد استسـلام الحـي اليهـودي في القدس للقوات الأردنية. وقد وافقت مصـر علـى قبـول الهدنـة، وامتنـع عبـد الـرحمن عـزام، الأمـين العـام لجامعـة الـدول العربيـة، عـن حضـور اجتمـاعات اللجنة السياسية للجامعة التـي عقدت في عاليه بلبنـان، احتجاجًـا على قبول الدول العربيـة الهدنـة، واتصـل عـزام باللجنـة، وأوضـح وجهـة نظره، وبالرغم من تحذير الأمين العام فإن الدول العربية قد قبلت الهدنة، وكانت الأمم المتحدة قد عينت، يوم 25مـايو/ آيـار 1948، الكونـت فولـك برنـادوت وسـيطًا دوليًـا لحـل الخـلاف بـين العـرب واليهـود، ولقـد انقسـم العـرب علـى أنفسهم، بسبب قبول، أو رفـض الهدنـة، وكـان مـن نتيجـة ذلـك أن ظـل كـل جيشٍ فـي موقعـه، يعمـل لحسـابه، منفـردًا، وانحلـت " القيـادة العربية المشتركة "، وبـدأت الـذخيرة فـي التنـاقص بشـكلٍ متـواتر، وتغيـر الموقف.

فـي 27 يونيـة/ حزيـران 1948، اجتمـع برنـادوت بممثلـي العـرب والصـهاينة، كـلٌ علـى انفـراد، وعـرض علـيهم عـدة مقترحـات، رفضـتها جامعة الدول العربية، في مذكرةٍ بعث بها الأمين العام. وفي 1948/7/8، اجتمعـت اللجنـة السياسـية فـي الجامعـة العربيـة، وقـررت رفـض اقتـراح

(1) **المصدر نفسه**، ص17.

الوسيط الدولي بمد أجل الهدنة. وفي هذا الجو العربي المضطرب، بدأت الجولة الثانية من القتال، والتي استمرت من 8 - 18يوليو/ تموز1948، وانتهت بتقهقر الجيش المصري إالي غزة وهو الخط المتفق عليه، كمشروع للتقسيم، وكانت الهدنة الثانية، في 18يوليو/ تموز 1948، وفقًا لقرار مجلس الأمن الدولي، وبصدور هذا القرار اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية في بيروت، وصدر قرار بقبول الهدنة [1].

شهادات على حرب 1948:

يروي الفريق أول صا لح الجبوري، رئيس أركان الجيش العراقي، وأحد الحاضرين في أول مؤتمر عسكري لرؤساء أركان حرب الجيوش العربية، الذي عقد في عمان، في 30 نيسان/ إبريل 1948، في مذكراته ما يلي: [2]

" اجتمعنا بعد ذلك مع السياسيين، وبينا لهم القوات الجاهزة للعمل في كل جيش، كما ذكرها ممثلو الجيوش، وكذلك ذكرنا القوات المطلوبة للقيام بالواجب، كما يتطلبه الوضع القائم.

واستنكر السياسيون هذه القوات، ولم ترق لهم النتائج التي توصل إليها العسكريون، وقال بعضهم: " بأن العسكريين يعطون أهميةً زائدة إلى قوة الصهاينة، ويبالغون في تقدير القوات المطلوبة ".

---

(1) الدالي، **مصدر سبق ذكره**، ص236 - 238.

(2) الخالدي، **مصدر سبق ذكره**، ص21 - 22.

" وأوضح العسكريون بأن الموقف، من الوجهة العسكرية، يجعل القوات التي اتفق عليها العسكريون ضرورية، إذا ما أريد تطهير فلسطين حقيقة، والوصول إلى نتائج إيجابية مرضية "، " وبين العسكريون بأنه لا أمل في القيام بحركاتٍ سريعةٍ وناجحة، بدون وجود هذه القوات، وأن الزمن ليس في جانب العرب، وأن العدو يزداد قوةً وشدةً، بمرور الزمن، وكلما عجل العرب بإنزال ضربتهم، كان الأمل بالحصول على نتائج حسنة ومستمرة.

" وصرح أحد المسؤولين عن السياسة العربية العامة، بأن علينا أن نقاتل بضعة أيام، ثم لابد وأن تتدخل بعدها هيئة الأمم المتحدة في الموضوع، وهكذا سوف لا يستمر القتال طويلاً، وتحل القضية سياسيًا.

" ورد أحد العسكريين بأن من يقدم على القتال يجب أن يحسب كافة الحسابات، وأن لا يعلق مصير ونتائج الحركات العسكرية على الاحتمالات السياسية، وماذا تكون النتيجة لو دخلنا القتال غير متخذين له الأهمية الكافية، معتمدين على تدخل هيئة الأمم المتحدة، ولم يتحقق تدخل هيئة الأمم المتحدة المنتظر؟ هذا بصرف النظر عن القول بأن مثل هذا التدخل قد لا يكون لصالح العرب.

" وعليه يجب أخذ أسوء الاحتمالات بنظر الاعتبار، وإشراك جميع الجيوش العربية با لقتال يوم 15 مايو/ آيار " على أن الاجتماع مع السياسيين انتهى على أساس " أن تباشر قوات الجيوش العربية المتيسرة القتال، وتستمر فيه، وأن هذه القوات ستزداد تدريجيًا ".

ولم يكن رأي الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين ورأس الحركة الوطنية الفلسطينية، آنذاك دخول الجيوش العربية فلسطين، " بل كان رأيي أن يقوم أهل فلسطين أنفسهم بالدفاع عن بلادهم، مؤيدين بمساعدة الأقطار العربية بالأسلحة والذخائر والأموال والخبراء العسكريين والمتطوعين ". أردف الحسيني: " لم أعلم بعزم الجيش المصري على التدخل إلا قبيل دخوله بوقتٍ قصيرٍ جدًا، فقد كنت في دمشق في شهر مايو/ آيار1948، بمناسبة اجتماع اللجنة السياسية لجامعة الدول، فسمعت ذلك من الإذاعة وقرأت الخبر في الصحف هناك " (1)

أما عن رأي عزام فكان: " نحن العرب دخلنا فلسطين، ونحن أقوى عددًا وعدة من اليهود، بل أنا واثق أنه فيما يتعلق بالمدفعية، مثلاً، كانت مدفعية أي جيش عربي من الجيوش الكبيرة الزاحفة، أقوى وحدها من مدفعية اليهود كلها " وأستطرد عزام: " ولقد أيقنت أن الجيش الأردني، مثلاً، سوف يدخل، ولكن الذي لم يخطر بخيالي أن الجيش الأردني سوف يلزم نشاطه حدود التقسيم، ولا يتعداها، ثم ترتب على ذلك أخطر النتائج " (2)

مما سبق من حديث نستنتج التالي، عن الطرف العربي في حرب 1948:

في المجال السياسي كان الخلل القاتل في تغيرات القيادة الموحدة، والرؤية الموحدة، والهدف الواحد، والتنسيق العسكري، والتكامل في

(1) محمد حسنين هيكل، **العروش والجيوش - كذلك انفجر الصراع في فلسطين - (1948 - 1998) قراءة في يوميات الحرب**، ط1، القاهرة دار الشروق، ص439 - 458.
(2) **المصدر نفسه**، ص448 - 450.

العمليـات الحربيـة، وتفريغهـا مـن مضـمونها، وضـياع أثرهـا. وبالنسـبة للحكومات العربية لم يكن ثمـة هدف واحد، وإنمـا أهداف، علـى نقيض بعضها البعض " [1]

علـى المستوى الشعبي لـم يكـن فـي فلسطين، وفـي الـبلاد العربيـة، هيئات قومية توجهها، التوجيه الصحيح، وتستطيع أن تقود الـرأي العـام، وترشده بصـراحة، وإنمـا كانـت الصـحافة تتـولى هـذا الواجـب، وتقـوده، باتجاه يخالف الواقع، والحقائق الراهنة[2].

وبينما كـان الصـهاينة يعملون بقوة، وتصـميم، بـوحي مـن مصـالحهم العامة، وتنفيذًا لبرنـامجهم الصـهيوني الخطيـر، كـان بعـض المسئولين فـي بعض الدول العربية يعملون إمـا بـوحي مـن الاستعمارالأجنبي، أو بتـأثير مصـالحهم الخاصـة. وقـد نـتج عـن تضـارب الأهـواء والمصـالح، وتبـاين الغايـات، والأهـداف، والتخـاذل بـين دول الجامعـة، وقـوع هـذه الكارثـة الأليمـة. إن الضـغط الاستعماري الأجنبـي علـى بعـض الأقطـار العربيـة جعـل قيادتهـا السياسـية فـي معركـة فلسـطين فـي يـد عـددٍ مـن الساسـة البريطـانيين، كمـا جعـل قيادتهـا العسـكرية الحقيقيـة فـي يـد الجنـرال الإنجليزي جلوب، أيضـا! فكيف النصر لمن سلم مقاليد أموره لخصومه؟! [3]

(1) الخالدي، **مصدر سبق ذكره**، ص20.
(2) القصري، **مصدر سبق ذكره**، ص100.
(3) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، ص440 - ص446

المتتبع لنشأة الجامعة يجد أن القضية الفلسطينية، آنذاك، كانت أهم ما يشغل بال الاستعمار البريطاني في المنطقة العربية، كما ساء حال العرب في فلسطين، وتردت أوضاعهم السياسية، خلال تلك الفترة نتيجة اعتقال، وتشريد معظم قادة الحركة الوطنية، وبسبب الإجراءات البريطانية التعسفية ضد العرب، كما أن النشاط الصهيوني في تلك الفترة، أصبح واضحًا في كل الميادين. كل هذه العوامل واجهت تأسيس الجامعة، فخلقت لقيامها شتى التفسيرات والأسباب من جهة، ووضعتها وجهًا لوجه أمامها، فظهرت الجامعة وكأنها خلقت لقضية فلسطين. ومنذ إعلان ميثاق الجامعة أصبحت الجامعة هى الناطقة باسم فلسطين، وهى المسيطرة، والموجهة لحركة الكفاح العربي، سواء على الصعيد الدولي أو العربي، وسواء في الميدان السياسي أو العسكريٍ [1].

إن المتتبع لقرارات الجامعة، في تلك الفترة يجد أن حماسة الملوك والرؤساء، التي بلغت الذروة في أنشاص، وقراراتهم الخطيرة، التي تجاوبت مع رغبات الشعب العربي وشعوره، وحملت بريطانيا وأمريكا على التظاهر بالرجوع عن محاولتهما لتقسيم فلسطين، لم تحافظ تلك القرارات والحماسة التي رافقتها على مستواها الصحيح طويلاً، حيث جاءت قرارات بلودان مفاجأة للرأي العام العربي فكانت سياسيةً، وعامةً، ولا تختلف عما سبقها في شيء، إن لم تكن قد أضعفت الموقف الشعبي في فلسطين. أما القرارات السرية، فلم يكن أثرها بأحسن من أثر القرارت

(1) شفيق الرشيدات، **فلسطين تاريخًا وعبرةً ومصيرًا**، ط 2، القاهرة، دارالكاتب العربي، 1968، ص231 - 233.

العلنية، فقد ظهر، فيما بعد، أنها كانت معروفة من قبل المخابرات البريطانية، والأمريكية، والصهيونية بعد اتخاذها مباشرة، على الرغم من احتياطات الأمن، والسرية التي أحاط بها مجلس الجامعة اجتماعاته، وكيف لا تعرفها بريطانيا، وأكثر من دولة من الدول المجتمعة مرتبطة بها، عسكريًا، وسياسيًا، ومن غير المعقول، قطعًا، أن لا تتخذ بريطانيا كل الاحتياطات اللازمة لاحباط هذه القرارات، سواء بواسطة أصدقائها من العرب، أو عن طريق شريكتها الصهيونية، وحليفتها أمريكا.

في مؤتمر فلسطين في لندن سبتمبر/ أيلول 1946، رفضت بريطانيا المشروع العربي، وأصرت على تبني مبدأ تقسيم فلسطين، وقيام دولة إسرائيل، على الرغم مما في هذا المشروع من تنازلات من قبل العرب. وكان الرأي العام العربي ينتظر رد فعل من قبل الجامعة، ولكنه لم يتخذ أي إجراء اقتصادي، أو سياسي، واستمر البترول العربي يتدفق لحساب الدولتين، واستمرت الامتيازات الاقتصادية تمنح لهما.

وبينما كانت بريطانيا تدرب العصابات الصهيونية المسلحة في فلسطين، بينما أمريكا تغذي تلك العصابات بالمال، والسلاح، والمهاجرين لم تتدخل الجامعة حيال ذلك الأمر بأي إجراء إلا بالخطب والتصريحات المخدرة لشعب فلسطين [1].

أما قرارات مؤتمر صوفر، التي جاءت على الرغم من تأخرها مطمئنة بعض الشيء، ولكن رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين أعلن

(1) **المصدر نفسه**، ص234 - ص241.

عدم ثقته بنوايا بعض الحكام العرب، وبخططهم الرامية إلى تجريد الحركة الوطنية الفلسطينية من حقوقها في قيادة الكفاح الوطني، وربط بين ذلك، و بين خطط الاستعمار، والصهيونية، التي تسعى لعزل الفلسطينيين عن قضيتهم، وتسليمها للجامعة العربية، لما في مثل هذا الاجراء من إضعاف لحركة الكفاح، وسهولة توجيه بحكم العلاقات القائمة بين بريطانيا، وبعض الحكام العرب، ولقد أثبتت الأحداث بأن الحركة الوطنية الفلسطينية كانت على حق في تقديراتها.

كان قرار التقسيم صدمةً عنيفةً للعرب في فلسطين وفي كل البلاد العربية، وكان الإجتماع، الذي عقد في القاهرة، في 8 كانون الأول/ ديسمبر 1948، وكان النداء الذي جاء فيه نص استعراض تقليدي لحقوق العرب في فلسطين، والذي لم يشر إلى اتخاذ أي قرار من القرارات التي هددت الجامعة باتخاذها ضد بريطانيا، وأمريكا في اجتماعاتها السابقة في صوفر، وعاليه، وبلودان، وكان القرار العملي الوحيد هو معونة عاجلة لأهل فلسطين من سلاح، ومال. وكانت تلك قرارات سابقة في صوفر، وعاليه، فكان كل ما زاده مجلس الجامعة هو تقدير عدد الرجال الذين يجب إرسالهم إلى فلسطين، بثلاثة الآف متطوع، تتولى لجنة الجامعة العسكرية توزيعهم في جبهات فلسطين. وبالرغم من أن مجلس الجامعة درس تقرير لجنته، الذي كان في أيلول/ سبتمبر 1947، والذي قدر القوات الصهيونية، وبالرغم من معرفة مجلس الجامعة بأن ليس في فلسطين، آنذاك، أية منظمات عسكرية عربية، وبالرغم من معرفة الجامعة بأن بريطانيا دأبت من ثورة 1936 العربية في فلسطين، على

جمع الأسلحة من الأهالي العرب، تحت طائلة الحكم بالإعدام، والأشغال الشاقة، إزاء هذا كله ماذا كانت تفيد (10 الآف بندقية، وثلاثة الآف متطوع) لعرب فلسطين في المقاومة، ومجابهة القوات الصهيونية المدربة، والمسلحة من قبل بريطانيا، وأمريكا؟! وحتى هذه المساعدة بالأسلحة ليست سوى بنادق قديمة، ومن عيارات مختلفة، لا تصلح لأن تكون سلاحًا لقواتٍ محاربة، تواجه جيشًا منظمًا، ومسلحًا بأحدث الأسلحة. ونتيجةً للأوضاع في فلسطين، وأمام مقاومة العرب، صرح مندوب أمريكا " وارن أوستن " في 19مارس/ آذار 1948، سحب حكومته لتأييدها قرار التقسيم، لعدم إمكان تنفيذه إلا بالقوة. واقترح وضع فلسطين تحت الوصاية، وإعادة القضية للأمم المتحدة، ودعوة الطرفين إلى هدنة في فلسطين، ورفضت الجامعة هذا القرار كما رفضته " الوكا لة اليهودية ". لقد كان قرار مجلس الأمن انتصارًا للعرب، ولكفاحهم، وعلى الرغم من وقوف الجامعة العربية في مركز القيادة، التي أدت إلى هذا النصر فإن مؤمرات بريطانيا وأمريكا، وانسياق االأنظمة العربية، في فلك سياسة " الدولتين الصديقتين " ! حالت دون ذلك، وانحرفت بكل كفاح العرب، وبكل تضحيات شعب فلسطين عن أهدافها الحقيقية، ووضعها كلها في خدمة خطط ومصالح " الدولتين الصديقتين " ! بريطانيا، وأمريكا، والمتعاونين مع الصهيونية العالمية، والمتآمرين على عروبة فلسطين [1].

* * *

(1) **المصدر نفسه**، ص242 - ص295.

الفصل الثامن عشر:
السيرة الذاتية للنكبة
كيف نُسجت النكبة الفلسطينية؟!

عبد القادر ياسين

لم تهبط القضية الفلسطينية بالمظلة، كما لم تنبت شيطانيًا في الأرض، بل وُلدت القضية بملابسات وحيثيات، في غير قطر، وعلى مدى عقود وعقود.

1- الخلفية التاريخية

فقد تأسست الصهيونية، صيف 1898، حين انعقد المؤتمر الصهيوني الأول، في بال بسويسرا، في ذاك الصيف[1]، لكن الحركة الصهيونية لم تستقر على فلسطين موقعًا لمشروع دولتها، إلا بمشورة لندن، الأمر الذي أقره المؤتمر الصهيوني السابع (1905) [2].

في 1917/11/2 أصدر وزير الخارجية البريطاني، آرثر بلفور، تصريحه، الذي عرف باسم " وعد بلفور "، وفيه وَعَدَ بلفور الحركةَ الصهيونيةَ بإقامة " وطنٍ قومي " لليهود في فلسطين[3]. وفي العام التالي

---

(1) أسعد عبد الرحمن، **المنظمة الصهيونية العالمية/ تنظيمها وأعمالها (1897 - 1948)**، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، سلسلة " دراسات فلسطينية " (15)، تموز/ يوليو 1967، ص29 - 35.

(2) د. محمود حسن صالح منسي، **تصريح بلفور**، القاهرة، دار الفكر العربي، 1970، ص30.

(3) **المصدر نفسه**، ص77 - 101.

استكملت القوات البريطانيـة احتلال فلسطين، وسرعان مـا اجتزأتهـا مـن الجسـد السـوري. وفـي يوليـو/ تمـوز 1922 انتـدبت " عصـبة الأمـم " بريطانيـا علـى فلسـطين[1]، وحثـت الصـهيونية خطاهـا مـن أجـل إقامـة مشـروعها الاسـتعماري فـي فلسـطين، فيمـا حابـت سـلطات الانتـداب البريطـاني فـي فلسـطين المسـتوطنين اليهـود ومؤسسـاتهم، علـى حسـاب الشعب العربي الفلسطيني، في شتى المجالات الاقتصـادية، والاجتماعيـة، والسياسـية، والثقافيـة. وفـي هـذا السـياق فـتح الانتـداب أبـواب فلسـطين لليهـود، الـذين تـدفقوا فـي موجـاتٍ متتاليـة، كمـا عمـد الانتـداب إلـى نقـل الأراضي الأميرية إلى المستوطنين اليهود ومؤسساتهم [2].

لم يقـف الشـعب العربـي الفلسـطيني مكتـوف اليدين، فبدأ بالصـدامات المسلحة مع المستوطنين اليهود، وسلطات الانتداب، في استمرار متقطع، سنوات 1920 و1921 و 1924 و1929 و1933 و1935، وتوجت هذه الهبَّـات والانتفاضـات بثـورة 1936 الوطنيـة الفلسـطينية المسـلحة، التـي استمرت ثلاث سنواتٍ متصلة.

فـي مطلـع 1939 دعـت حكومـة لنـدن إلـى مؤتمـر، بـزعم إيجـاد حـل للقضـية الفلسـطينية، وبـدأ " مـؤتمر لنـدن " اعمالـه فـي 1939/2/7،

(1) د. كامل محمود خلة، **فلسطين والانتداب البريطاني 1922 - 1939**، ط1، طرابلس الغرب، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1982، ص284.

(2) للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:

- عادل حامد الجادر، **أثر قوانين الانتداب البريطاني في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين**، بغداد، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1976.
- وليم فهيم، **الهجرة اليهودية إلى فلسطين**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

بحضور وفد عربي فلسطيني، وآخر عن " الوكالة اليهودية "، فضلاً عن الحكومة البريطانية، ووفود عن حكومات مصر، والسعودية، والعراق، واليمن، وشرقي الأردن، واستمرت أعمال المؤتمر حتى 3/17، ولكن دون أن يتوصل إلى حلٍ ما[1].

لأن نذر الحرب العالمية الثانية قد ظهرت في الأفق، فقد سعت بريطانيا لتهدئة الشعب العربي في فلسطين، شأن شعوب بقية المستعمرات البريطانية، حتى تتفرغ بريطانيا للخطر النازي، والحرب القادمة، لذا أصدرت الحكومة البريطانية، في 17 مايو/ آيار 1939، " الكتاب البريطاني "، الذي وعدت فيه منح فلسطين الاستقلال، بعد عشر سنوات، بعد تقييد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وانتقال الأراضي للمستوطنين اليهود ومؤسساتهم، ولكن بعد خمس سنوات من صدور هذا الكتاب[2]!

لوعي القيادة الوطنية الفلسطينية بغرض لندن من " الكتاب الأبيض "، رفضته تلك القيادة، فيما انزعجت الصهيونية، من هذا الكتاب.

اندلعت الحرب العالمية الثانية، في سبتمبر/ أيلول 1939، ولم تضع أوزارها إلا بعد ست سنوات متصلة، حيث بدأت مرحلة فرز الأوراق في القضية الفلسطينية.

التقطت الصهيونية انتقال مركز الصدارة في المعسكر الاستعماري

(1) إميل توما، **جذور القضية الفلسطينية**، ط3، دمشق، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الإعلام والثقافة، ودار الجليل، 1984، ص187 - 188

(2) **المصدر نفسه**، ص188 - 195.

من بريطانيا إلـى الولايـات المتحـدة، خـلال سنـي الحـرب العالميـة الثانيـة، فنقلت الصـهيونية مركز ثقلها من لنـدن إلـى واشنطن[1]، مـا جعل الأولـى تتلكـأ فـي أمـر إقامـة المشـروع الصـهيوني فـي فلسطين، خاصـة بعـد أن تمخضت الحرب العالمية الثانيـة - ضـمن مـا تمخضـت عنـه - عن تلهـف الولايات المتحدة لوراثة بريطانيا وفرنسا في مستعمراتها.

سرعان ما تجلى التحيز الأمريكي للصـهيونية عبر مؤتمري الحـزبين الأمريكيين الكبيرين - الديموقراطي والجمهوري - غداة الحـرب العالميـة الثانية، وقد شدد المؤتمران علـي ضـرورة تهجير مئـة ألـف يهـودي إلـى فلسطين، الأمر الذي رفضته حكومة لندن، وأخيرًا تم التوصل إلـى تشكيل " اللجنـة الأنجلـو - أمريكيـة " (1945/12/10) للبحـث فـي أمـر القضـية الفلسطينية عمومًا، وفي أمر الهجرة اليهودي إلى فلسطين خصيصًا[2].

بعـد نشـاط اسـتمر نحـو خمسـة أشـهر، أصـدرت اللجنـة توصـياتها القاضـية بإدخـال مئـة ألـف يهـودي إلـى فلسطين[3]، الأمـر الـذي رفضـته لندن.

---

(1) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:
- عبد الرحمن، **مصدر سبق ذكره**، ص127 - 128،
- عبد القادر ياسين، **كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام 1948**، ط1، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، 1975، ص207.
- د. فلاح خالد علي، **فلسطين والانتداب البريطاني 1939 - 1948**، بيروت، مؤسسة الدراسات العربية، 1980، ص157 - 167.

(2) **المصدر نفسه**، ص181 - 202.

(3) **المصدر نفسه**، ص210 - 230.

تفجر الإرهاب الصهيوني ضد الجنود الإنجليز في فلسطين، فمن نسف القطارات، ومراكز الشرطة، إلى خطف الجنود والضباط، وإعدامهم، في سياق الضغط على لندن[1].

فيما اكتفى العرب بعقد قمة عربية، في مزارع الملك فاروق بأنشاص، 28 و29 مايو/ آيار 1946. وفيه أعلنوا أن فلسطين " قضية كل العرب "، وعليهم " صوت عروبتها " ! [2].

من جانبه أعلن رئيس مجلس اللوردات البريطاني، هربرت موريسون، مشروعه لحل القضية الفلسطينية، عبر تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وعلى ضوء هذا المشروع انعقد " مؤتمر لندن "، بوفود مؤتمر 1939 نفسها، مضافًا إليها وفد الجامعة العربية هذه المرة. واستمرت الدورة الأولى لمؤتمر لندن، من 9/10 - 1946/10/2، دون أن تنتهي إلى نتيجة. الفشل الذي أعيد إنتاجه في الدورة الثانية للمؤتمر (1/28 - 1947/2/24). وأعاد وزير الخارجية البريطاني، إرنست بيفن، فشل المؤتمر إلى ازدواجية تعهدات الانتداب البريطاني، وتدخل واشنطن[3].

2- تدشين القضية الفلسطينية

- في 1947/4/2 أدرجت لندن قضية فلسطين ضمن جدول أعمال

---

(1) علي، **مصدر سبق ذكره**، ص141 - 156.

(2) مروة جبر، **جامعة الدول العربية وقضية فلسطين (1945 - 1965)**، نيقوسيا، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، 1989، ص22 - 23.

(3) - توما، **مصدر سبق ذكره**، ص212 - 213.
- علي، **مصدر سبق ذكره**، ص230 - 241.

الجمعية العمومية للأمم المتحدة في دورتها العادية. بعد أن نصـح خبـراء وزارة الخـارجيـة البريطـانيـة، بيفن، بتحويـل القضـيـة إلـى الأمـم المتحـدة، التي ستعجز عن حلها، بسبب حرص الكتلة الاشتراكية على الوقـوف فـي الموقع المضاد لموقف الولايات المتحدة وحلفائها، عند التصويت على أي قضية، مما يفقد قضية فلسطين الحصـول علـى ثلثي الأصـوات اللازمـة، فتعود القضية إلى لندن، بعد أن تكون لندن قد قامت بمـا عليهـا، ورفعت عنها العتب[1].

انعقدت دورة طارئة للجمعية العمومية للأمم المتحـدة، أواخـر إبريـل/ نيسان 1947، وقررت تشكيل لجنة دولية، وصلت فلسطين، في 14 و15 6/ 1947[2]، وامتنعت " الهيئة العربية العليا " في فلسطين عن لقائهـا، فيما تصـاعدت أعمال الإرهاب الصهيوني في فلسطين. وفي 7/22 قابلت اللجنـة الدوليـة، ممثلـي الـدول العربيـة، فـي صـوفر (لبنـان)، فقـدم وزيـر الخـارجية اللبنانية، حميد فرنجية مـذكرة بإسم أولئك الممثلين، دعـت إلـى مناصـرة الحـق العربـي، وتبعـت " الهيئـة العربـي العليـا " فرنجيـة فيمـا فعل[3].

- وضـعت اللجنــة تقريرهـا، فــي 8/31، وعـرض علــى الجمعيـة العمومية للأمم المتحدة، وتضمن التقرير ضـرورة إنهـاء الانتـداب، ومـنح

---

(1) Nicholas bethel, the Palestine triagle - the struggle between the British, the Jews, and the Arabs (1935 - 1948), London, the trinity press, 1979, p. p. 310 - 313.

(2) علي، **مصدر سبق ذكره**، ص241 - 251.
(3) **المصدر نفسه**، ص251 - 254.

فلسطين الاستقلال، بعد مرحلة انتقالية، وتقسيم فلسطين إلى دولتين، عربية ويهودية. فيما رأت أغلبية اللجنة التقسيم السياسي مع الاتحاد الاقتصادي بين الدولتين. ورأت أقلية اللجنة قيام حكومتين مستقلتين، تتآلف منها دولة اتحادية مستقلة[1]. ورفضت " الهيئة العربية العليا " المشروعين، دفعة واحدة[2].

- تسارعت الأحداث، حتى كان التصويت على مشروع الأكثرية، الذي نال 33 صوتًا، ضد 13 صوتًا، وامتناع 10 عن التصويت، بينها بريطانيا نفسها، حيث غادر مندوبها في الأمم المتحدة القاعة عند التصويت[3].

- كانت المفاجأة أن السوفييت استداروا 180 درجة، وأعطوا صوتهم لتقسيم فلسطين، وهم الذين طالما أعطوا صوتهم لفلسطين مستقلة وديموقراطية. فما الذي حدث حتى غيَّر السوفييت موقفهم هذا؟!.

لقد اتكأ السوفييت هنا، أولاً، على ما ادعاه كبار المسئولين العرب من استحالة تعايش العرب واليهود في فلسطين، كما تأكد السوفييت، ثانيًا، من أن ميزان القوى، آنذاك، لم يكن يسمح للعرب بأكثر من التقسيم فضلاً عن أن التقسيم، ثالثًا، سيفضي إلى انسحاب القوات البريطانية من فلسطين

(1) **المصدر نفسه**، ص256 - 260.

(2) محمد أمين الحسيني، **حقائق عن قضية فلسطين**، ط2، القاهرة، مكتب الهيئة العربية العليا، 1956، ص167 - 170.

(3) علي، **مصدر سبق ذكره**، ص260 - 262.

- مصطفى عبد العزيز، **التصويت والقوى السياسية في الجمعية العامة للأمم المتحدة**، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، 1968، ص267 - 291.

التـي ستنال استقلالها، فيمـا رجَّـح السـوفييت، رابعًـا، أن يفضـي الاتحـاد الاقتصادي بين الدولتين، العربية، واليهودية، إلى اتحادهما السياسي. دون أن ينفـي هذا كلـه تـأثر السوفييت، سلبًا، من وقـوع الـدول العربيـة تحـت النفوذ الاستعماري، حتـى أن وفودهـا فـي الأمـم المتحـدة نـأت بنفسـها عن الوفـد السـوفييتي وتحاشـت الحـديث معــه، خشـية إغضــاب الــدول الاسـتعمارية، بـل إن تلـك الوفـود رفضـت مشـروعًا لوكيـل الخارجيـة السوفييتية، آنذاك، أندريه جروميكو، ينحاز، إلى حدٍ بعيد، للعرب. كما أن تلـك الوفـود قاطعـت حفـل شـاي أقامـه لهـا وكيـل الخارجيـة السـوفيتيية، فشنسكي. وزاد الطين بله تصويت الوفود العربية ضد احتلال أوكرانيا لمقعد في مجلس الأمن الدولي[1].

مـع هذا كلـه، يؤخـذ علـى هذا الموقـف للاتحـاد السـوفييتي أنـه، أولاً، انطلق من موقف تجريبي مبتذل، وثانيًا، فإن السوفييت انطلقوا مـن كـون الملمح الأساسي للقضية الفلسطينية هو صـراع بريطـاني - أمريكـي علـى مناطق النفوذ، وليس قضية تحـرر وطنـي، وثالثًـا، فـإن السـوفييت جـانبهم الصواب في تطبيق حق تقرير المصير، إذ أن اليهود ملـة دينيـة وليسـوا قوميـة لتصـبح لهـم دولـة تخصـهم، كمـا أن لـيس مـن حقهـم أن يقـرروا مصيرهم فوق أرض شعب آخر اغتصبوها.

(1) لمزيد من التفاصيل حول الأسباب التي حقَّت بالتحول السوفييتي في هذا الصدد، يمكن الاستعانة بـ:

- عبد القـادر ياسـين، محطـات سـوء فهـم السـوفييت وحركـة التحـرر الـوطني العربيـة، **رؤية** (غزة)، العدد الرابع والعشرون، السنة الثانية، تشرين الأول/ أكتوبر 2003، ص176 - 183.

- اندلعت الاشتباكات بين المقاتلين العرب الفلسطينيين وعناصر العصابات الصهيونية المسلحة الثلاثة (الهاغاناة/ الأرجون/ وشتيرن)، بمجرد صدور قرار التقسيم رقم 181 بتاريخ 1947/11/29، ورغم قلة أسلحة المقاتلين الفلسطينيين، وشح ذخائرهم، وتواضع تدريبهم العسكري، فإن الكفة مالت لصالحهم، وحققوا تقدمًا ملحوظـًا في القتال، جعل المندوب الأمريكي في مجلس الأمن الدولي، وارن أوستن في 3/19 يطالب بالعدول عن التقسيم[1]. فدفع الاستياء من هذا الموقف الأمريكي القيادة الصهيونية إلى حل إرهابي فريد، فكانت مذبحة دير ياسين 1948/4/9[2]، التي كانت مفصلاً بين النجاحات العسكرية العربية، وإخفاقاتها، خاصة بعد أن كانت قوات " الجهاد المقدس " الفلسطينية قد فقدت قائدها عبد القادر الحسيني 1948/4/8، مع تناقص الأسلحة والذخائر في أيدي المقاتلين العرب الفلسطينيين.

- ثم دخلت جيوش مصر، وشرقي الأدرن، والعراق، وسوريا، ولبنان إلى فلسطين، في 1948/5/15، مع آخر جندي بريطاني انسحب من فلسطين، وبعد يوم واحد من قيام دولة إسرائيل [3].

- لكن مجموع القوات العربية بالكاد وصل إلى ثلث القوات

(1) محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة**، الجزئين الرابع والخامس، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، 1960.

(2) لمزيد من التفاصيل ينصح بالعودة إلى:
وليد الخالدي، **دير ياسين**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999.

(3) محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة**، الجزئين الرابع والخامس، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، 1960، ص137، 145 - 147.

الصهيونية، وسُدس هذه القوات واحتياطها [1]. مما يعني هزيمة عربية مؤكدة. مع جهل القوات العربية بالأراضي، وبغموض الهدف الذي تقاتل من أجله هذه القوات، وافتقارها إلى القياد الموحدة، والتنسيق فيما بينها، وإلى التدريب العسكري الكافي، والسلاح المتقدم، والذخيرة الضرورية، ناهيك عن ضعف البنية الاقتصادية - الاجتماعية العربية وتشوهها، وخضوعه الأقطار العربية للاستعمار، بهذا القدر أو ذاك، وغياب الديموقراطية، وتوحش القهر الطبقي في الأقطار العربية

3- مجرى الحرب

- في 1947/9/6 اجتمعت، في صوفر بلبنان، اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، لدراسة تقرير اللجنة الدولية، ورأت اللجنة السياسية في هذا التقرير خطرًا يهدد السلام والأمن في فلسطين والأقطار العربية، لذا قررت الجامعة مقاومة ذاك التقرير. كما أوصت اللجنة السياسية العربية بمد أهل فلسطين بالمال والسلاح. ووعد رئيس وزراء العراق، آنذاك، صالح جبر بوقف ضخ النفط العراقي إلى الغرب، إذا تجاوبت السعودية مع هذا التوجه! [2]

(1) للمزيد من التفاصيل حول ميزان القوى بين الطرفين، يمكن الاستعانة بالمراجع التالية:
- حاييم هرزوج، **الحروب العربية - الإسرائيلية 1948 - 1982**، ترجمة بدر الرفاعي، القاهرة، دار سينا، 1993، ص13 - 22.
- لواء حسن البدري، **الحرب في أرض السلام**، القاهرة - بيروت، دار الوطني العربي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1976، ص9 - 10، 82.
- لواء إبراهيم شكيب، **حرب فلسطين 1948/ رؤية مصرية**، القاهرة، الزهراء للإعلام المصري، 1986، ص197 - 204.

(2) علي، **مصدر سبق ذكره**، ص251 - 252.

- انعقد مجلس الجامعة العربية، في بيروت، في 10/7، وتابع اجتماعاته في عاليه (لبنان)، حتى منتصف الشهر نفسه. واطلع المجلس على تقرير للجنة الفنية العسكرية، التي قررت اللجنة السياسية للجامعة تشكيلها، جاء فيه أن المنظمات العسكرية الصهيونية تضم ما لا يقل عن ستين ألف مقاتل، جيدي التسليح والتدريب، مع ضباط ذوي كفاءة عالية، بعكس العرب الذين يشكون من قلة السلاح، والتدريب، والضباط. وانتهت اللجنة الفنية بتوصية الدول العربية بحشد قوات لها على الحدود مع فلسطين، مع تشكيل قيادة عربية موحدة، يرصد لها ما لا يقل عن مليون جنيه، كدفعة أولى. وعليه قرر مجلس الجامعة تنفيذ مقررات بلودان السرية! في حال المساس بحق فلسطين في أن تكون دولة عربية مستقلة [1].

- اتخذت اللجنة الفنية العسكرية إياها من دمشق مقرًا لها، وأخذت تجنِّد المتطوعين، في معسكر قطنا، قرب دمشق، وتدربهم.

- في الأسبوع الثاني من ديسمبر/ كانون الأول 1947، عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية جلسات عدة، في القاهرة، انتهت إلى إذاعة بيان، في 12/17، استنكر قرار تقسيم فلسطين، وأضاف مليون جنية للإنفاق على التعبئة والتطوع، وإرسال ثلاثة آلاف متطوع، إلى فلسطين، على وجه السرعة [2].

- سرعان ما شكلت اللجنة الفنية العسكرية تنظيمين، أولهما حمل

(1) **المصدر نفسه**، ص253 - 254.
(2) **المصدر نفسه**، ص263.

اسم " جيش الانقاذ "، وتولي قيادته ابن طرابلس الشام، فوزي الدين القاوقجي[1]، أما التنظيم الثاني فحمل اسم " الجهاد المقدس "، وأشرفت عليه " الهيئة العربية العليا بفلسطين "، وتولى قيادته عبد القادر الحسيني [2].

- في 2/17 كانت أول هجمة عربية لجيش الإنقاذ، على مستعمرة نيراب تسيفي (الزراعة)، اخفقت في احتلالها [3].
- هنا عمد الصهاينة إلى التوسع في الإرهاب، فنظموا مذبحة دير ياسين الشهيرة (1948/4/9). وهي التي أساء الإعلام العربي استخدامها، فأوقع الرعب في قلوب العرب الفلسطينيين، في الوقت الذي استشهد عبد القادر الحسيني (4/8)، وشحت الأسلحة والذخائر، في أيدي المناضلين العرب؛ فلسطينيين وغير فلسطينيين، فبدأ ميزان القوى في الميل لصالح الصهاينة، بإطراد. وأخذت المدن الفلسطينية تتساقط كأوراق الخريف.
- في 4/12 قررت اللجنة السياسية للجامعة العربية دخول الجيوش

---

(1) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.
- جبر، **مصدر سبق ذكره**، ص55 - 57.

(2) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص125.
- إميل الغوري، **المؤامرة الكبرى/ اغتيال فلسطين ومحق العرب**، ط1، القاهرة، إصدار خاص، 1955، ص205 - 206، 204 - 222.

(3) للمزيد من التفاصيل حول هذه المعركة يمكن الرجوع إلى:
- **مذكرات فوزي القاوقجي 1977 - 1990**، د. خيرية قاسمية (إعداد)، ط2، دمشق، دار النمير، 1996، ص 349 - 351.
- شكيب، **مصدر سبق ذكره**، ص96.

العربية إلى فلسطين، بمجرد جلاء القوات البريطانية عنها (5/15). وتم اختيار ملك شرقي الأردن، عبد الله بن الحسين قائدًا عامًا لتلك الجيوش.

- نشرت يومية اليافية حديثًا للملك عبد الله، ذكَّر فيه بما سبق أن قاله لوفد الجامعة العربية: ".... إن جنح القوم - أعني يهود فلسطين - إلى السلم، فسنجنح لها... ولايزال أمر السلم في يد اليهود، إن هم شاؤوا، ونزلوا عن غلوائهم، ورضوا بما يمكن أن يكون مرضيًا للعرب " ![1]

- فيما أذاع الأمين العام للجامعة العربية، عبد الرحمن عزام باشا، بيانًا، أكد فيه أن " كل دور من أدوار هذه المعركة الفلسطينية محسوب للقيادة العسكرية ". وحذَّر المشككين في أمر النظام السياسي العربي وجامعته، " التي سيتضح، يومًا ما نضالها مع الفلسطينيين، ووراء الفلسطينيين، من الناحية العسكرية والسياسية " ! [2].

وقد أوصى رئيس جمهورية لبنان، بشارة الخوري، بالأمل، والصبر، والأناة، وإسعاف اللاجئين، وأكد بأن العرب مجهزون بأحدث السلاح، وأفتك العتاد! وأشار رئيس وزرائه، رياض الصلح إلى " أن الجامعة قد دبرت كل أمر، وأعدت لكل شيء عدته " [3]. أما رئيس وزراء سوريا، جميل مردم بك، فشدد على " أن العرب مصممون على المضي في خططهم، وتدابيرهم مستمرة، حتى ينال العرب ما يطلبون من حقوق

---

(1) **فلسطين** (يافا)، 1948/4/22.
أوردها: دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص142 - 143.
(2) **المصدر نفسه**، ص143 - 144.
(3) **المصدر نفسه**، ص144

مشروعة، إلخ.... " [1].

• جزع مستوطنو القدس، وهددوا قيادتهم السياسية بالتسليم للعرب، الذين يحاصرونهم، لكن تلك القيادة وعدتهم خيرًا، بناء على مفاوضات تجري مع أطراف عربية!

• في 4/16 اجتمعت الجمعية العمومية للأمم المتحدة، في نيويورك، في محاولة لفرض الهدنة، وتشكلت لجنة هدنة، في 4/23 [2].

• في 5/14 تمت الموافقة على الاقتراح الأمريكي بتعيين وسيط دولي، تختاره الدول الخمس الكبرى، بهدف تنظيم المصالح المشتركة، والتعاون مع لجنة الهدنة، وإدارة وتنسيق المنظمات الاختصاصية التابعة للأمم المتحدة. ما اعتبر - في مجمله - نقضًا لقرار التقسيم.

• ضنَّت الدولة العربية على المقاتلين العرب - فلسطينيين وغير فلسطينيين - نحو عشرة آلاف مقاتل بالمساعدات المالية والعسكرية.

• في 5/13 اجتمعت وفود الدول العربية ومندوبو جيوشها الخمسة، في قصر رغدان الملكي في عمان، ووضعوا اللمسات الأخيرة في خطة الحرب.

• في اليوم نفسه سقطت مستعمرة كفار عتسيون، قرب القدس، وفي اليوم التالي سقطت مستعمرات ريفاديم/عين تسورين/ باب فورت

(1) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.
(2) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم العام، المجلد الثالث، دمشق، 1984، ص470 - 471.

يتسحق، القريبة من كفار عتسيون [1].

- في 5/13، أيضًا، توجه البكباشي (المقدم) أحمد عبد العزيز من مصر إلى فلسطين، على رأس قوة متطوعين مصرية، بدأت باحتلال العوجة، ووصلت إلى الخليل (5/21)، وبيت لحم (5/24)، حيث احتلت مستعمرة رامات راحيل، وإن انسحبت منها [2].

- في 5/11 أعلنت الحكومة المصرية الأحكام العرفية (القانون 73 لسنة 1948)، وشنت حملة اعتقالات واسعة ضد المنظمات السياسية المصرية [3].

- في منتصف ليلة السبت، (14، 5/15)، وقعت ثلاث حوادث بالغة الأهمية، أولاها مغادرة المندوب السامي البريطاني ميناء حيفا. وثانيها إعلان قيام دولة إسرائيل. وثالثها زحف الجيوش العربية (المصرية/ الأردنية/ السورية/ اللبنانية/ والعراقية) على فلسطين، " لإنقاذها " ! وأذاع الملك عبد الله بيانًا، باعتباره القائد العام لهذه الجيوش، قال فيه: " إننا قد عقدنا الخناصر على أن نخوض المعركة، حتى نهايتها، فإما أن نعيش شرفاء، كرامًا، وإما أن تفنى الأمة العربية عن آخرها ". ثم توالى

---

(1) - هرزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص41 - 50.
- البدري، **مصدر سبق ذكره**، ص222 - 225.

(2) البدري، **مصدر سبق ذكره**، ص109، 249، 264 - 266.

(3) - **المصري** (القاهرة)، 1948/5/12.
- طارق البشري، **الحركة السياسية في مصر**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، ص 268 - 269.

تقدم الجيش المصري، وإن بصعوبة [1].

فقد اجتازت القوات المصرية الحدود الساعة 2359 من مساء يوم 1948/5/15، بقيادة الأميرآلاي أحمد علي المواوي، واشتبكت، في اثناء تقدمها مع مستعمرتي الدنجور، وكفارداروم.

وفي 16 و5/17 أغارت الطائرات المصرية على مطار تل نوف، ومحطة ريدبخ، ومصنع منشي زكي في منطقة تل أبيب، وكفار سيركين، ورامات ديفيد، وميناء تل أبيب، ومعسكر يونا شمالاً. وفي اليوم 5/17 صدر أمر بتعيين المواوي حاكمًا عسكريًا لمنطقة الاحتلال. وفي اليوم التالي جرت عمليات التطهير والغارات الجوية على أهداف عسكرية في تل أبيب، فضلاً عن شن هجمة على مستعمرة بيري، جنوب شرقي غزة. وفي اليوم نفسه احتلت القوات السورية سمخ، وفي اليوم التالي دخلت القوات المصرية بلدة بيت حانون، ومدينة بئر السبع العربيتين. وهاجمت دير سنيد، التي احتلتها تلك القوات يوم 5/24.

بعد يومين اثنين دخلت القوات المصرية مدينتي المجدل والخليل العربيتين. في اليوم التالي أغارت الطائرات المصرية، بطريق الخطأ، على مطار رامات ديفيد البريطاني، ففُقد اثنان من الطيارين المصريين، وخمس طائرات. وفي اليوم نفسه دخلت القوة المصرية الخفيفة بيت لحم، كما تحركت سرية من الحرس الملكي المصري إلى فلسطين. وفي اليوم 5/24 ضبطت مباحث القوات المصرية صهيونييْن يحاولان تلويث مياه

(1) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص149 - 150.

شرب الجيش المصري بميكروب التيفوس والدوسنطاريا. وفي اليوم نفسه تحركت مقدمة القوات السعودية إلى فلسطين. كما دخلت القوات المصرية إلى عراق السويدان. في اليوم التالي احتلت القوات المصرية مستعمرة رامات راحيل. وفي 6/7 احتلت القوات المصرية مستعمرة نيتسالم. وبعد يومين احتلت القوات المصرية برينحاس، وترقوميا. كما تحركت قوة من المتطوعين السودانيين إلى فلسطين.

لم يكد يمض إثنا عشر يومًا على الزحف، حتى كانت الجيوش العربية تسيطر على المناطق العربية المخصصة للدولة العربية في قرار التقسيم، مع بعض الاستثناءات. واسترد الجيش الأردني ما كان وقع في أيدي العصابات الصهيونية المسلحة من مناطق في القدس (5/28)، واستمرت الجيوش العربية تراوح مكانها، إلى يوم 6/11، حين قبل العرب بالهدنة، التي فرضها مجلس الأمن الدولي، والتي امتدت حتى 7/8، وخلالها ازداد وضع القوات المصرية سوءًا، فيما أعاد الصهاينة تنظيم صفوفهم، وعززوا وحدة جبهتهم الداخلية، ورفعوا مستوى استعداداتهم العسكرية، وتدفقت عليهم الأسلحة، والذخائر من الغرب الاستعماري، الذي حجبها عن العرب!.

الانحدار

ثم كانت الهدنة الثانية من 7/18/ 1948 إلى 1948/10/14، والهدنة الثالثة من 10/31 - 1948/12/21، والهدنة الرابعة من 1/7 - 1949/3/6، وفي أعقاب فترات الهدنة سابقة الذكر تأكدت الهزيمة العسكرية العربية، التي اعتبرها الخبير الاستراتيجي المصري المعروف،

اللواء حسن البدري بحق، " بداية النهاية ".

لقد انتهك الإسرائيليون الهدنة الأولى لمئة وخمسين مرة، ما مكنهم من احتلال قرى: بيت طيما، وكوكبا، وبيت دراس.

في 14 و6/15 اجتمع رؤساء الأركان العرب في القاهرة، وفي اليوم التالي التقوا الأمين العام لجامعة الدول العربية، عبد الرحمن عزام باشا، وفيما بين 22 و6/24 زار الملك عبد الله بن الحسن مصر.

في يوم 6/27 قدم الوسيط الدولي، الكونت فولك برنادوت، مقترحاته لحل الصراع العربي - الإسرائيلي، بعد أن كان مجلس الأمن عينه في موقعه هذا، في 5/20.

وفي 7/6 تفقد الملك فاروق الجبهة. وفي اليوم نفسه كانت عملية قرية بيت دراس.

وفي 8 - 7/9 عملية كوكبة، و7/9 عملية تبَّة الجيش.

في يوم 9 و7/10 استولت القوات المصرية على مستعمرة كفار داروم، لكن مدينتي اللد والرملة سقطتا (7/12) في أيدي القوات الإسرائيلية، وفي 7/15 شنت غارة جوية إسرائيلية على القاهرة، وردت الطائرات المصرية بغارة جوية على تل أبيب، في اليوم التالي.

وفي 7/17 احتلت القوات الإسرائيلية العسلوج، وانسحبت القوات الأردنية من بيت لحم، وفي اليوم التالي نجحت القوات المصرية في استرداد العسلوج، وإن أعاد الإسرائيليون احتلالها، في 7/22.

وخلال يومي 17 و7/18 بدء العمليات في منطقة الفالوجه - كراتية - حتة. وعلى مدى يومي 27 و7/28 اندلعت صدامات مسلحة بين القوات المصرية والإسرائيلية، في عراق المنشية والفالوجة.

وغطت أيام 6 - 10/15 تحرشات إسرائيلية بالجيش المصري.

وفي 10/16 فشل هجوم إسرائيلي على عراق المنشية والفالوجة، وعراق سويدان، وتبَّة الجيش. وهجوم آخر، في 10/18، على كوكبة، وبيت حانون.

في 10/20 استولى الإسرائيليون على حليقات، وفي اليوم التالي على بئر السبع. في الوقت الذي اغرق طوربيد إسرائيلي السفينة المصرية " فاروق ".

وابتداء من 10/24 بدأ حصار الإسرائيليين للقوات المصرية بالفالوجة. وخلال 27 - 10/28 تم الانسحاب المصري من بيت جيرين إلى الخليل، ومن أسدود ونيتساليم. كما تم 3 - 11/4 الانسحاب المصري من أسدود والمجدل.

واجتمع رؤساء الأركان العرب، في القاهرة (11/10)، لبحث الموقف. وفي اليوم التالي حل اللواء أحمد فؤاد صادق باشا محل الأميرآلاي أحمد علي المواوي في قيادة القوات المصرية بفلسطين. وقد رقي الأخير إلى رتبة لواء، في 1949/1/1، وعين مديرًا لسلاح المشاه!

توالت المعارك بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية تبة الشيخ نوران (5 - 12/10)/ محاولة قطع طريق غزة - رفح (22 - 12/25)/

العسلوج والعوجة (25 - 12/26)/ الهجوم على العريش (27 - 12/31)/ ثلاث هجمات على رفح (1 - 1949/1/11)، بعد أن كانت القوات المصرية أخلت، في 11/15، المجدل، ودير سنيد، وهربيا، فاحتلها الإسرائيليون، بدون أي جهد.

في 1949/1/7 تم وقف إطلاق النار، وأعلنت هدنة جديدة.

المحصِّلة

استلمت الجيوش العربية فلسطين، وما بين 80 و82 في المئة من أراضيها مع العرب، وعقدت الدول العربية اتفاقات الهدنة مع إسرائيل، فيما لم يبق للعرب، سوى 22 في المئة، فقط، من أرض فلسطين في أيدي العرب.

وهذا أحد قادة الحركة الوطنية الفلسطينية، آنذاك، يقرر أنه بعد قبول العرب الهدنة الثانية، وخسر العرب المركز الحربي الحسن، الذي كان لهم قبل استئناف القتال، وخسروا فوقه نحو ربع المنطقة العربية التي كانت في يدهم " [1].

صحيح أن مدنًا عربية فلسطينية قد سقطت، حين أرجأت الجيوش العربية دخولها إلى 1948/5/15، وهذه المدن هي: طبريا (4/19)، حيفا (4/23)، سلحه ويازور (4/30)، بيسان وصفد (5/12)، تل الجزر (5/13)، برير، يافا (5/14) [2].

---

(1) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص 162.

(2) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم العام، دمشق، 1984، المجلد الأول، ص392، 490، المجلد الثاني، ص36 - 37، 308، المجلد الثالث، ص29، 102، المجلد الرابع،

لكن في وجود الجيوش العربية، سقطت أيضًا كل من: دير أيوب واللطرون (15 و5/16)، وعكا (5/16)، وقرى ياسور، والجسير، والعسلوج، وحليقات، وجوليس (6/11)، والقطاونة، وعديس، وسمسه، وكوكبة (6/12)، ومدن اللد، والرملة (7/12)، والناصرة (7/15)، وبيت عفة وحليقات (10/20)، وبئر السبع (10/21)، كما نجحت القوات الإسرائيلية في فرض حصار محكم على القوات المصرية في الفالوجة (10/14).

التسليم بإسرائيل

في 1948/6/27 تقدم الوسيط الدولي، الكونت فولك برنادوت بمشروع يرمى إلى قيام اتحاد عربي - يهودي في شرق الأردن، وفلسطين، على أن تبقى القدس منطقة مستقلة، ذاتيًا، ومعها حيفا واللد. ورفض كل من العرب والصهاينة هذا المشروع[1]. وفي 9/17 اغتالت عناصر من عصابة " شتيرن " الصهيونية برنادوت، ومساعده الفرنسي، العقيد أندريه سيو. فنكَّست الدول العربية أعلامها، حدادًا على برنادوت[2].

في باريس انعقدت الجمعية العمومية للأمم المتحدة، في 9/20، وقرر تعيين " لجنة توفيق " من ثلاثة أعضاء يختارهم الأعضاء الخمسة

ص603، 621.
- شكيب، **مصدر سبق ذكره**، ص 100 - 107، 107
- الغوري، **مصدر سبق ذكره**، ص 262 - 268.
(1) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص 207 - 208
(2) **المصدر نفسه**، ص207 - 208.
- شكيب، **مصدر سبق ذكره**، ص 309.

الـدائمون فـي مجلـس الأمـن. فـي 9/23 عمـدت قيـادة الحركـة الوطنيـة الفلسطينية إلى تشكيل " حكومة عموم فلسطين ". وسرعان ما انعقد، فـي غـزة، المجلـس الـوطني الفلسـطيني، فـي 1948/10/1، وأعلـن اسـتقلال فلسطين، وإقامة دولة حرة ديموقراطية ذات سيادة، وأقر المجلس دستورًا لهذه الدولة، واختار علمًا لفلسطين [1].

قـي اليوم نفسه انعقـد، فـي عمـان، مـؤتمر فلسـطيني مضـاد، برئاسـة الشيخ سليمان الناجي الفاروقي، بهدف سحب الأرض من تحت المجلس الوطني الفلسطيني. تبعـه مـؤتمر آخـر، حمـل اسم " مـؤتمر أريحـا "، فـي 12/1، طالب الملك عبد الله بضم شرق فلسطين إلى شرقي الأردن [2].

في 1948/12/22 أصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قرارها رقم 194، وتضمن تشكيل " لجنة الأمم المتحدة للتوفيق بشأن فلسطين "، وأوكلـت إليهـا إعـادة اللاجئـين وتعويضـهم، وتشـكلت اللجنـة مـن فرنسـا، وتركيا، والولايات المتحدة [3].

فـي 1949/1/8، أعلـن، فـي ليـك سـكس، أن الحكومـة المصـرية، وإسـرائيل اتفقتـا علـى وقـف إطـلاق النـار، وعلـى أن تبـدأ محادثـات فـي رودس، في 1/12، علـى يد الوسيط الـدولي، رالـف بـانش. وسرعان ما عقدت مصـر اتفاقيـة هدنـة مـع إسـرائيل، فـي رودس، فـي 2/24، وتبعهـا

(1) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص 190 - 194، 210 - 213.
(2) **المصدر نفسه**، ص 213 - 214.
(3) هان - إيف أوليبه، **لجنة الأمم المتحدة للتوفيق بشأن فلسطين 1948 - 1951، حدود الرفض العربي**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1991، ص 1 - 2، 10 - 21.

لبنان (3/23)، فالأردن (4/3)، وأخيرًا سوريا (7/20) [(1)].

في 1949/3/21 دعت " لجنة التوفيق " الحكومات العربية، إلى مؤتمر، عقد في بيروت (3/21). حيث عرضت الحكومات العربية آراءها بصدد قضية فلسطين واللاجئين. وأقامت اللجنة مكتبًا لها في نيويورك، 1952، وبدأت تسعى لإحصاء أملاك اللاجئين، لكن إسرائيل عرقلت محاولات " لجنة التوفيق " في هذا الميدان [(2)].

بناءًا على دعوة من اللجنة، التأم " مؤتمر لوزان "، يوم 1949/4/26، الذي انتهى بتوقيع إسرائيل " بروتوكول لوزان "، في 1949/5/12، مما أسهم في قبول إسرائيل في الأمم المتحدة، بعد أن تعهدت إسرائيل تنفيذ القرار 194 للأمم المتحدة*، والتقيد بالتقسيم،

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول مفاوضات الهدنة، والاتفاقات التي تمخضت عنها، يمكن الاطلاع على:

- وليد الخالدي، **خمسون عاما على حرب 1948**، بيروت، دار النهار، 1998، ص 129 - 152.

- د. محمود متولى، **اتفاقية رودس بين العرب وإسرائيل (1949)**، القاهرة، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

(2) إيف أولييه، **مصدر سبق ذكره**.

(*) صدر **القرار 194**عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، بتاريخ 11 ديسمبر/ كانون الأول 1948، ويتكون من 15 بندًا، وهو قرارٌ خاصٌ بآلية تسوية الصراع العربي - الإسرائيلي، فركزت البنود السادس والسابع والثامن منه، على التعامل مع القضايا الآنية، التي نتجت عن الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى، ومنها العمل على أن تبقى محاور الوصول إلى الأماكن المقدسة - بما فيها الناصرة - مفتوحة، في القدس وبيت لحم، وإدارة مدينة القدس، التي سوف تكون - وفقا لقرار التقسيم - واقعة تحت سيطرة الأمم المتحدة. وتم تعريف نطاق إدارة الأمم المتحدة، على أنها تشمل بلدية القدس، والقرى، والمدن المتاخمة لها، والتي تشمل قرية أبو ديس، في الشرق، وبيت لحم في الجنوب، وعين الكرم في الغرب، والشوفات في الشمال. وفي البند العاشر، يطلب

وتـدويل القـدس. وإن أدارت إسـرائيل لـذاك البروتوكـول ظهـر المجـن. وانتهى الأمر بأن أوصـى مجلس الجامعة العربيـة الـدول العربيـة بـإبلاغ مبعوث اللجنة، د. جوزيف جونسون بفقدان الأمل في اللجنة. لكن بعد أن كانت الدول العربية قد اعترفت، ضمنـًا، بدولة إسرائيل[1]. وأرخت النكبة أستارها. وتتالت التداعيات في الدول العربية، فقام حسني الزعيم بانقلابـه فــي سـوريا (1949/3/30)، واغتيـل رئـيس وزراء لبنـان، ريـاض بـك الصلح (1951/7/17)، وبعده بأربعة أيام اغتيل الملك عبد الله، ثم كانـت ثورة 23 يوليو/ تموز 1952 في مصر.

وبـذا تكرسـت النكبـة الفلسـطينية وأرخـت أسـتارها، ومـا تبقـى مجـرد تفاصيل، وذيول، وتداعيات.

* * *

القرار من لجنـة المصـالحة، أن تتخذ الإجراءات التـي تكفل تسـهيل الحياة الاقتصـادية، والوصول إلى الموانئ، والمطارات، واستخدام وسائل المواصـلات، والاتصـالات. فيمـا اختص البند الحـادي عشـر منـه، بـاللاجئين، وحدد أن اللاجئين « الذين يريدون العودة إلـى منـازلهم، والعيش فـي سـلام مـع جيرانهم، يجب أن يسمح لهم بـالعودة، فـي أقـرب وقـت عملـي ممكـن، وأن يـدفع التعـويض عـن الممتلكـات، لهـؤلاء الـذين يقـررون عـدم العودة، أو للضرر في الممتلكات، وفقًـا للقـانون الـدولي ». واضـطرت إسـرائيل، للقبـول بذلك القرار، ليكون مسوغًا لقبول شرعية وجودها كدولة، في الأمم المتحدة، والمجتمع الدولي، ولهذا السبب، بالتحديد، فقد رفضت الدول العربية، آنذاك، القبول بذلك القرار.

(1) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص 248 - 260.

الفصل التاسع عشر:
أسباب النكبة من داخلها

عبد القادر ياسين

هل يمكن لمن كان ضمن المشرق أن يراه، مثل من كان خارجة؟!

لقد كتب الكثير عن أسباب النكبة الفلسطينية، من كتاب عرب، فلسطينيين، وغير فلسطينيين، على أن بعض من شاركوا في الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى، من ساسة وعسكر، أسهموا في كشف أوجه القصور، التي أوصلتنا إلى النكبة، والنسبة الأكبر ممن كتبوا في هذا الصدد، حرصوا على تبرئة ذواتهم، وتحميل الآخرين، مسئولية ما آلت إليه الأمور، لذا وجب التحذير.

هذا قومي عربي مستقل من فلسطين، شارك في الشأن السياسي، من خلال ارتباطه الحميم بالمفتي، وعبر الوفد الفلسطيني إلى الأمم المتحدة (1947)، يعيد هزيمتنا في حرب 48 إلى وقوع نسبة كبيرة من الدول العربية، تحت النفوذ البريطاني، فضلاً عن أن القوات العربية، لم تكن مؤهلة، أومدربة، ناهيك عن أنها لم تكن موحدة [(1)].

أما رئيس " النجادة*، فأعاد الهزيمة العربية، في تلك الحرب، إلى

(1) هالة سليمان الأسعد (إعداد)، **واصف كمال، شاهد على قضية فلسطين وقضايا عربية،** بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001، ص 205، 204.

(*) **النجادة**: أسسها وترأسها، محمد نمر الهواري، خريف 1945، في سبيل " توحيد صفوف العرب، والعمل على نهوضهم "، عبر الرياضة، وإن تم تنظيم " النجادة " في صيغة شبه عسكرية، وحققت انتشارًا واسعًا سريعًا بين الشباب العربي الفلسطيني. ما أشعر المفتي، الحاج أمين الحسيني، بمزاحمتها، فاضطرت " النجادة " إلى الاتحاد مع " الفتوة "، التابعة للمفتي.

اختلاف حكام العرب، على اقتسام الغنيمة، وتدخل الإنكليز، والأمريكان، وضغط مجلس الأمن، لتوقيع الهدنة الأولى. والارتجال في القتال، وعدم الاستعداد، رغم الوقت الكافي، والإمكانيات الواسعة. وغياب قيادة موحدة، والقتال المنفرد في الجبهات، والإقدام في مواطن الإحجام، والإحجام في مواطن الإقدام. وسوء النوايا، والتآمر الدنيء بين الدول العربية، بعضها البعض. وعدم الجد في القتال، والاستهتار بالعدو. وضعف روح الجندية في القوى العربية المقاتلة، وتغلب الساسة، وسيطرتهم على الميدان الحربي. وانهزام السياسة العربية، وانقيادها للإنكليز، وتباين أهدافها، وسيطرة الطبقة الرجعية الإقطاعية على العالم العربي، وتسخير جهود الأمة لمنافع الحكام الشخصية، وأنانيتهم واستئثارهم بالسلطة، وحبهم متاع الدنيا، من إشباع بطون، وإرواء شهوات، ونوم الطبقة الوسطى، وعدم مبادرتها لإنقاذ الموقف، بتنحية القادة. كل ذلك مقابل قوة الصهاينة، المادية، والمعنوية، والسياسية، والحربية، وروح التضحية، في الأفراد والزعماء [1].

لذا لم يكن غريبًا أن يدفع الغضب إلى إحباط صاحب هذه الرؤية، فيعود إلى فلسطين المحتلة، في 1949/12/10، بتشجيع من الوفد الإسرائيلي في مؤتمر لوزان!

سميح شبيب، الحركة الشعبية الفلسطينية في عهد الانتداب البريطاني، **شؤون فلسطينية** (نيقوسيا)، العدد 205، نيسان/ إبريل 1990، ص19 - 39.

(1) محمد نمر الهواري، **سر النكبة**، الناصرة، مطبعة الحكيم، 1955، ص 306 - 307.

فيما أعاد يساري فلسطيني مستقل - كان ضمن أعضاء " الهيئة العربية العليا**- الهزيمة العربية في حرب 1948، إلى انجرار السياسات العربية، والقادة، والحكام العرب، وراء الاتجاهات والأزقة المسدودة، التي يزينها، ويدفعهم إليها الغرب، فيتورطون في معارك جانبية مع الصهاينة، مكنت المستعمرين، الإنجليز، والأمريكيين، والفرنسيين، المسيطرين على اقتصاديات البلاد العربية، والطامعين في ثرواتها، وفي المحافظة على هذه السيطرة، من عرض القضية الفلسطينية، وكأنها نزاع بين شعبيين، وصراع بين قوميتين، بدلاً من كونه صراع بين شعبٍ يريد التحرير، وتقرير مصيره بنفسه، وفق حق تقرير المصير، الذي أقرته كل الشرائع الدولية، وبين الاستعمار البريطاني، فيمهدون، بل يحمون قرار التقسيم، وهكذا وقعت الكارثة [1]. حصيلة الاستعمار البريطاني، وسياسته في فلسطين، وحصيلة الصهيونية، وحصيلة صعود النازية، وتدفق الهجرة، حتى بلغت نسبة اليهود - الصهاينة، ما يقارب ثلث السكان، وحصيلة النكبة التي أصابت اليهود في الحرب العالمية الثانية، وأخيرًا حصيلة الرجعية العربية التي سارت في ركاب الاستعمار البريطاني، وسياسة القيادة العربية الفلسطينية التقليدية. كل هذه العوامل مجتمعة أدت إلى التقسيم، وقيام الدولة اليهودية في القسم الأكبر من فلسطين [2].

(**) **الهيئة العربية العليا**: المؤسسة الجبهوية للأحزاب العربية الفلسطينية، وقد تأسست بتدخل من جامعة الدول العربية، ربيع 1946، وإن وقعت هذه " الهيئة " تحت الهيمنة الكاملة لرئيسها، مفتي فلسطين، الحاج أمين الحسيني.

(1) د. خليل البديري، **ستة وستون عامًا على الحركة الوطنية الفلسطينية وفيها**، القدس، منشورات صلاح الدين، 1982، ص 155 - 156.

(2) حنا إبراهيم (إعداد)، **حنا نقارة، محامى الأرض والشعب**، عكا، دار الأسوار، 1985،

عضو وطني في " الهيئة العربية العليا "، أشار بأسى، إلى وقف تسليح الفلسطينيين، والحيلولة دون تدريبهم، وتنفيذ رغبة الاستعمار، بإقصاء الشعب الفلسطيني، من زمام قضيته الوطنية، ومنعه من الجهاد في سبيل وطنه، إلى انخداع مسئولين عرب، آخرين، بوعود الإنجليز، وحلفائهم. بل وصل الأمر ببعض الحكومات العربية، حد بث دعاية مغرضة ضد الشعب الفلسطيني، ومجاهديه، فيما حرمت الرقابة على الصحف، في بعض البلاد العربية، الفلسطينيين، من الرد على تلك الدعاية! ناهيك عن منع رئيس الحركة الوطنية الفلسطينية، آنذاك، مفتي فلسطين، الحاج أمين الحسيني من دخول فلسطين، وحجب المال، والسلاح، عن المجاهدين الفلسطينيين [1].

عضو وطني عام آخر في " الهيئة العربية العليا "، رأى بأن رضوخ الجيوش العربية، بقبولهم الهدنة، وفر " فرصة الدهر " للصهاينة، " مكنت دولتهم، تمكينًا تامًا "، واستغلوا كل دقيقة في جلب السلاح، والعتاد، والطائرات، والمدافع، والطيارين، والجنود، والضباط، والقواد. أما الحكومات والجيوش العربية، فاكتفت بالاحتجاج والشكوى. إلى نفاق الإنكليز، وتراخى حكام العرب في السير الحربي، وإسرافهم في التطمينات المضللة لشعوبهم، حتى أن أحد هؤلاء الحكام نفى أن يكون حكام العرب قبلوا الهدنة تحت ضغط إنكلترا، والأمم المتحدة، بل أن الدول العربية - برأيه قبلت الهدنة " وهى عالمة بأنها ستفوز، إن شاء

ص 154.

(1) إميل الغوري، **المؤامرة الكبرى/ اغتيال فلسطين ومحق العرب**، ط، 1 القاهرة، دار النيل للطباعة، 1955، ص 235 - 242.

الله، إن سلمًا وإن حربًا "، فيما زاد عليه رئيس وزراء لبنان، رياض الصلح " إن هذا القرار ليس إلا وقفًا لإطلاق النار، مدة معينة... وأن العرب يملكون ناصية الحال في فلسطين، ومركزهم من أمتن المراكز " ! أما جميل مردم، رئيس الوزراء السوري، آنذاك، فرأى أن " الهدنة فرصة جديدة لتسوية صحيحة " ! ولقد قيل - فيما قيل - على ألسنة مسئولين كبار، عسكريين، وسياسيين، إن العرب مالوا إلى الهدنة تحت ضغط قلة العتاد. وأعاد عضو " الهيئة " نفسه، عدم الاستعداد العسكري العربي، إلى بالغ الغفلة، والاستهتار، والانصراف التام عن فكرة استخدام الجيوش النظامية، في هذه الحرب. لقد دخلوا الحرب، وهم متيقنون من أن دخولهم لن ينقذ إلا الأقسام العربية. أما مابدا من تلكؤ، وتراخ، وارتباك، وارتجال، وغفلة، واستهتار، وضعف إعداد واستعداد، وفقد تضامن، وانسجام، فما هو إلا عَرَض لضعف البنية القومية العربية. لقد ذهب رجال اللجنة السياسية، للجامعة العربية، إلى أن مجرد زحف الجيوش العربية، بقطع النظر عن عددها، وعدتها، كانت لحمل الدول الكبرى على التدخل، وإيجاد حل، يرضى عنه العرب! وكانوا يقولون، صراحة، إنهم قد أعدوا لكل شيء عدة، وحسبوا لكل شيء حسابًا. فضلاً عن تقصير الحكومات العربية، الفادح، في تسليح أبناء الشعب الفلسطيني. ولعل ما يدعو للاستهجان، أن رئيس وزراء مصر، آنذاك، محمود فهمي النقراشي باشا، قال، في اجتماع اللجنة السياسية للجامعة العربية، في عالية، في 1947/10/6: " إني أريد أن يكون معلومًا من الجميع، أن مصر، إذا كانت توافق على الاشتراك في هذه المظاهرة - أي

الحشد على الحدود - فإنها غير مستعدة، قط، للمضي أكثر من ذلك ". ولأن النقراشي يتحدث باسم أكبر دولة عربية، فإنه يتحمل مسئولية أكثر من غيره. وأن كان صاحب هذه الآراء، لم يعف الإنكليز، من حصتهم في الجريمة، حيث استمروا في " دورهم اللئيم، أثناء الهدنة، وتسليمهم ميناء حيفا لليهود... آخر حزيران/ يونيو 1948 "، ناهيك عن " شدة تمسكهم في عدم إمداد الجيوش العربية... ومساعيهم في عرقلة التسليح العربي " [1].

ما أن استشهد قائد " الجهاد المقدس "، عبد القادر الحسيني، في معركة القسطل (1948/4/8) حتى بادر رأس الحركة الوطنية الفلسطينية، آنذاك، الحاج أمين الحسيني، إلى تعيين ذى الكفل عبد اللطيف، صاحب الخبرة العسكرية الجيدة، ليحل محل القائد الشهيد، لكن أبناء عائلة الحسيني، احتجوا على هذا التعيين، مرددين " مات حسيني، يجب أن يحل محله حسيني " ! وحين علم الحاج أمين الحسيني، بالأمر هاج وماج، لكنه - بعد أن التقى أبناء عائلته - رضخ لطلبهم، وعين صلاح الحسيني - المعدوم الخبرة العسكرية - محل عبد القادر الحسيني. وكأن المسألة عائلية، أو وراثية، أو خلافة، على حد قول ذى الكفل عبدا للطيف [2].

أما رأس الحركة الوطنية الفلسطينية، على مدى ثلاثينيات،

(1) محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة**، ط1، الجزئين الرابع والخامس، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، 1961م، ص 162 - 173.

(2) ذو الكفل عبداللطيف. **مذكراتي**، عجمان، دار سندباد للنشر، 2000، ص217 - 226.

وأربعينـات القـرن العشـرين، الحـاج أمـين الحسـيني، فقـد رد علـى سـؤال لـرئيس تحريـر يوميـة " المصـري " القاهريـة، أحمـد أبـو الفـتح، مـؤداه: مـاهى الأسـباب الرئيسـية لكارثـة فلسـطين؟ وكـان ذلـك بعـد نحـو خمـس سـنوات مـن وقـوع النكبـة، أجـاب الحسـيني بـأن الأسـباب منهـا مـا هـو خـارجي، ومنهـا مـا هـو داخلـي، وهـذه الأسـباب بعضـها قـديم، وبعضـها الآخر حديث. أما الأسباب الخارجية الرئيسية، فهي[1].

1- دوافـع التعصـب الـديني الشـديد عنـد اليهـود، وإصـرارهم علـى استعمار فلسطين، والاجتمـاع فـي بيت المقدس حـول " الهيكـل " (المكان الذي يقوم فيه المسجد الأقصى المبارك). ورفضهم إنشاء الوطن اليهودي في غير فلسطين.

2- الشـعور الروحـي المتـأثر بـالتوراة عنـد الإنجليـز، والأمـريكيين البروتستانت، خاصـة لمـا ورد فيهـا مـن تنبؤات، استغلها اليهـود لمصالحهم، عن عودة اليهود إلى فلسطين.

3- مـا خلفتـه الحـروب الماضـية بـين الشـرق، والغـرب، المعروفـة بالحروب الصليبية، التي أثيرت فيها العواطف الدينية، ومـا تلاهـا من حملات الجيوش العثمانية، على شرق أوروبا، في نفوس كثير من الشعوب الأوروبية، وغيرها، من أحقاد، وبغض عميق، ضـد العـرب والمسـلمين عامـة، ممـا حملهـا علـى الوقـوف إلـى جانـب الحركة الصـهيونية المتدثرة سياسيًا بالديانة اليهودية.

---

(1) محمد أمين الحسيني، **حقائق عن قضية فلسطين**، ط2، القاهرة، مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين، 1956، ص 168 - 170.

4- توافق أهداف الاستعمار البريطاني، ومصالحه، مع أطماع الحركة الصهيونية في فلسطين، ثم انضمام الولايات المتحدة الأمريكية إليها، فيما بعد، وذلك لأن الاستعمار يرمي إلى:

- جعل الدولة الصهيونية في فلسطين، متكًا له، وخنجرًا مسمومًا يشهره في وجوه الدول العربية.
- حاجزًا يفصل الأقطار العربية، في آسيا، عن الأقطار العربية في إفريقيا. وعائقًا دون تقدم الأمة العربية، واحتمالات نهوضها.

أما الأسباب الداخلية، فأهمها [1] :

1- وهن في الأخلاق القومية، وضعفٌ في الأيمان بالقضية العادلة، والعزيمة الوطنية، وما انتشر في الأمة من الفوضى، وضعف التنظيم.

2- الغفلة الشديدة عن تعرف مواطن الخطر المحدق بكيان الأمة العربية، والاستخفاف بالأخطار، استخفافًا ناشئًا عن الإهمال، وخور العزيمة، والغفلة، والاتكال، وعدم معرفة ما تنطوى عليه صدور الصهاينة، والمستعمرين. وقد كانت الدعاية الإنجليزية تعني خاصةً بتخدير المقامات العربية.

3- ما نأى بهذه المقامات عن الجد والعزم في معالجة قضية فلسطين.

4- لم يعن العالمان، العربي، والإسلامي، العناية الكافية، بقضية فلسطين.

---

(1) **المصدر نفسه**، ص 173 - 187.

5- تخـاذل بعض الـدول العربيـة، واخـتلاف سياسـاتها، أثنـاء معركـة فلسـطين، فلـم يقاتـل العـرب، ضـعفًا، فأضـاعوا الفرصـة، بعـدم تعاونهم على العدو، الذي لم يكن قويًا، يومئذ.

6- إعداد الإنجليز، طوال مدة انتدابهم على فلسطين، ولاسيما أثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة، كافـة الوسـائل لتنظـيم اليهـود، وتـدريبهم، وتسليحهم، وتهيئتهم لتسلم فلسطين، يقابل ذلك تجريـدهم العـرب مـن السـلاح، وإرهـاقهم، وإضـعافهم، ليعجـزوا عـن الصـمود فـي وجه اليهود.

7- أدى الضــغط الاسـتعماري إلــى وضــع القيـادة العسـكرية الفعليـة للجيوش العربية في تحت قيادة الجنرال الإنجليزي جـون بـاجوت جلـوب، والـذي أدار دفـة المعـارك، بمـا يوافـق أهـواء السياسـة البريطانية، الضالعة مع الصـهيونية.

8- لـم تتـوفر لأصـحاب العقـد والحـل العـرب الدراسـات السياسـية، والعسـكرية، والتاريخيـة، عـن فلسـطين، وعـن مبلـغ الخطـر الصــهيوني. كمـا أن بعضــهم، فـيمن أوكـل إلـيهم أمـر القيـادة العسكرية، قد برهنوا علـى إهمـال فاضـح فـي الشئون العسكرية، فضلاً عن أنهم لم يدخلوا فلسطين، ولـم يعرفـوا شيئًا عن شئونها الجغرافيـة، ومواقـع الصـهاينة العسـكرية، وتحصـيناتهم، وخطـوط دفاعهم.

9- توقيـع الهـدنتين، الأولــى، والثانيـة، بـين القـوات العربيـة، وتلـك

الصهيونية، نتيجة ضغط إنجلترا، وأمريكا، على بعض الدول العربية. فيما كان العرب في موقع المنتصر.

10- الدعايات المضللة، والأراجيف الكاذبة، التي تغلغلت في الأقطار العربية، والتي كانت تذيعها المصادر الاستعمارية، والصهيونية، عن قوة الصهاينة، وضعف العرب، وما روجته دوائر المخابرات، الإنجليزية، والصهيونية، من إشاعات باطلة عن الفلسطينيين، وإلصاقها بهم أبشع التهم، تشويها لسمعتهم، ونزعًا للثقة منهم، ومن عدالة قضيتهم، وإبعادًا لما بينهم وبين إخوانهم العرب، من روح المودة، والتعاون على دفع العدو الغاصب عن فلسطين.

حين نشر رأس الحركة الوطنية الفلسطينية مذكراته، في الشهرية الناطقة بلسان " الهيئة العربية العليا "، " فلسطين "، طور أسباب النكبة، فحمل الجامعة العربية مسئولية كبيرة في صنع النكبة، بقطع الجامعة المساعدة المالية عن المقاتلين الفلسطينيين، بل إن تلك الجامعة وضعت يدها على ما تبرعت به الشعوب العربية، لهذا الصدد، ومنعته عن المقاومين، وعن القوات غير الحكومية المقاتلة.

كما أوقفت اللجنة العسكرية، التابعة للجامعة العربية، وترأسها العميد طه الهاشمي، توزيع الأسلحة المقررة. بل إن تلك اللجنة صادرت الأسلحة التي اشتراها شعب لبنان، لشقيقه في فلسطين. كما أقدمت دول عربية على مصادرة مخازن الأسلحة، ومعامل إصلاحها، وتعبئة الذخيرة الخاصة بالمجاهدين الفلسطينيين، ناهيك عن إقدام الجامعة على نزع

قضية فلسطين من شعبها. وقد كان الضغط الاستعماري العامل الأكبر في إرسال الجيوش العربية إلى فلسطين، بغرض إبعاد الشعب الفلسطيني عن المعركة، ونزع شوكته الشعبية المقاتلة، وخشية تفاقم حرب العصابات والفداء. وبعد أن يكرر رأس الحركة الوطنية الأسباب التي سبق أن رصدها للنكبة، انتهى إلى " أن قضية فلسطين هي، في حقيقتها، وأساسها، قضية دينية، قبل أن تكون قضية سياسية... فاليهود يعتبرونها قضية دينية " ! [1].

أسباب العسكر العرب

في مذكراته، أشار القائد العام للجبهة المصرية في حرب 1948، اللواء أحمد فؤاد صادق باشا، ما ذكره له سلفه، اللواء أحمد المواوي، عن مظاهر التقصير، والتي حصرها في [2]

1- عدم تدريب جنود المشاة، ما أفضى إلى عجز ظاهر.

2- غياب التسهيلات للقائد من أجل تدريب مشترك للوحدات.

3- عدم إتاحة الفرصة للواء التدريب، لإتمام تدريبية، بل طلبت وحداته للقيام بأعمال تتعارض مع التدريب.

4- عجز سلاح خدمة الجيش عن إمداد الوحدات بالعربات اللازمة.

5- تلف عربات الفرسان، والدبابات الخفيفة.

---

(1) عبد الكريم عمر (إعداد)، **مذكرات محمد أمين الحسيني**، دمشق، دار الأهالي، 1999، ص 390- 403.

(2) **أخبار اليوم** (القاهرة)، 1951/1/13.

6- انتزاع العدو الإسرائيلي السيطرة الجوية، بعد الهدنة.

7- قلة المدافع.

8- إجبار المواوي على التقدم أكثر مما يجب، ما عرض خطوط مواصلاتة للتهديد.

9- فصل مستعمرات الشمال عن مستعمرات الجنوب، اضطر الجيش المصري إلى احتلال الخط الممتد من أسدود إلى بيت لحم، بقوات غير كافية، ما أطال خطوط التموين.

10- ضعف الروح المعنوية عند أكثر الجنود، بسبب النقص الهائل في التسليح.

أما المفتش العام للجيوش العربية، العميد طه الهاشمي، الذي حمل القسط الأكبر في تقصير الجامعة العربية، ولجنتها العسكرية، في إمداد المناضلين الفلسطينيين، وقوات المتطوعين العرب بالسلاح، فقد أدلى بدلوه، بادئًا بالقول " إن القوات العربية لم تحارب، بالمعنى الصحيح " ! وأعاد نجاح الصهاينة في تأسيس دولتهم " إلى أسباب سياسية، لا لأسباب عسكرية " !، مضيفًا " إن السياسة، حينما تتدخل في توجيه القتال في الحرب، يخسر الجيش المعركة ". مستطردًا " إن الجيوش العربية لم تشترك في قتال فلسطين بقوات كافية " ! فضلاً عن أن تلك الجيوش كانت " تحارب منفردة... من دون أن تخضع لقيادة عامة، تديرها حسب الخطة الحربية... من دون قيادة موحدة، من دون الاستناد إلى خطة حربية " ! واختتم الهاشمي تقديمه النقدي بالقول إن " الحركات التي

سبقت الهدنـة - إذا استثنينا حركـات القوات المصـرية - لـم تكـن عمليـات تجرى لاستهداف أغراض عسكرية. وإنما كانت السياسة النفعية " [1].

لعل السؤال المشروع، الذي يطرح نفسه بإلحـاح هنـا، هـو: لمـاذا كـل هذا التقصير المتعمد؟! وما لذى منع من تفادي النقص.

أمـا القائـد الليبــي، الـذي وفـد إلــى فلسـطين، وتـولى قيـادة المنطقـة الجنوبية فيها، مدة غير قصيرة من حرب 1948، فأوضح كيف أن اللجنة العسكرية، التابعة للجامعة العربيـة، عطلـت تـدريب أكثـر مـن ألـف شـاب فلسطيني على السلاح، كانت " الهيئـة العربيـة العليـا لفلسـطين " أرسـلتهم إلى سوريا لتلقى التدريب في معسكر (قطنا) قرب دمشق، وجاء تصـرف اللجنة العسكرية المستهجن هذا، بعد احتجاج تقدمت بـه حكومـة الانتـداب البريطـاني فـي فلسـطين. كمـا لـم يـنس ذاك القائـد الليبــي التنديـد بسياسـة الجامعة العربية، الرامية إلى " إقصاء الفلسطينيين عن ميادين المعركـة، ومنع الأسلحة، والأموال عنهم " [2].

فـي السياق نفسه، أخذ هذا القائد الليبي على القيادة العربية العامة أنهـا لم تستلم المواقع، الاستراتيجية والتكتيكية، مـن المجاهـدين، قبـل المباشـرة بالمعارك، لكـي تسيطر تلك القوات علـى الأعمـال العسـكرية، لاحقًـا، ممـا أدى إلى استيلاء الصـهاينة على هذه المواقع، بمجـرد انسـحاب المجاهـدين منها، مع كل ما فيهـا مـن مخـازن للأسـلحة، والـذخائر، فسيطر الصـهاينة

(1) **الزمان** (بغداد)، 1952/5/15، أوردها: دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص 168.
(2) محمد طارق الإفريقي، **المجاهدون في معارك فلسطين (1367هـ - 1948م)**، دمشـق، دار اليقظة العربية، د. ت.، ص 24 - 25.

على الأعمال الحربية، إلى نهاية الحرب. ولم يفت القائد نفسه الإشارة إلى خطيئة فقدان القيادة الموحدة للجيوش العربية، لتوحيد أعمالها، وتوجيه خططها، توجيهًا صحيحًا، إلى أهداف معينة. فضلاً عن عدم كفاية الاستعدادات " أمام العدو العنيد المجهز بأحدث الأسلحة، والآلات الحربية الفتاكة، والحائز على تأييد الدول الكبرى ". ناهيك عن إهمال " قيادة الجيوش العربية أمر المجاهدين في فلسطين، ولم توجه أعمالهم الحربية، للاستفادة منهم " [1].

قائد عسكري عربي آخر، من لبنان الشقيق، تلقى في صدره وظهره الكثير من الاتهامات، ولا أدرى ما إذا كانت أنظمة عربية بعينها قد حاولت أن تجعل منه " كبش فداء " ؟! أصدر مذكراته، واتهم الجميع، أغلب الظن ليبرئ نفسه. بدأ هذا القائد بالفزع من حمى المؤتمرات العربية، وكأن الأقطار العربية غدت في حالة " نفير عام "، فيما كان أغلب كبار المسئولين العرب، عسكريين، وسياسيين، مطمئنين " إلى أن حربًا لن تقع ". كما تأسى القائد نفسه من جهود الحاج أمين الحسيني " لعرقلة الأعمال، وتفريق الصفوف " ! فضلاً عن السماح لمراسلي الصحف الأجنبية، بالإطلاع على الأسرار العسكرية، ما شجعهم على بث الرعب في صفوف العرب بتأثير تهويل أولئك المراسلين في قوة العدو الصهيوني. إلى تحيز القوات البريطانية، وغرق العرب في الفساد، والفوضى، وافتقارهم إلى السلاح والعتاد، وغرق رؤسائهم في الأوهام. وأشار هذا القائد إلى ما سبق أن قاله له رئيس اللجنة العسكرية للجامعة

(1) **المصدر نفسه**، ص 98 - 103.

العربية، اللواء إسماعيل صفوة: "... ولعل الجامعة (العربية) نفسها غير جادة في كثير مما تقرر وتقول "، كما ينزعج القائد العربي إبن لبنان من " العقلية التوفيرية الرخيصة "، وكأن " العتاد أغلى قيمة من الدماء " !، " إلـي تعدد الـرؤوس، والصـلاحيات المتناقضـة "، فضـلاً عن أن الهدنـة التي فرضها الأمين العام للجامعة العربية، عبد الرحمن عزام باشا، في 1948/5/8، وفرت " فرصة لإيصال قوافل المؤن والذخائر إلى يهود القدس " المحاصرين. كما تلاعب بعض الرؤساء العرب بالخطة الرئيسية للجيوش العربية، قبل بدء المعركة. في الوقت الذي غرقت فيه هذه الجيوش في حالة من الرفاة، لم تعرفها في ثكناتها، أيام السلم، والأمة تلهو، وتطرب، ينتقل القائد نفسه إلى الجامعة العربية، التي شكا أمينها العام من معاناتها من التبعثر، ومن تفرق الكلمة، والتهرب من المسئوليات، والتخلف عن دفع الدول العربية ما سبق أن تعمدت به من أقساط مالية. وهذا رئيس وزراء العراق، آنذاك، " مزاحم الباجة جى " يوجه غضبة إلى الأمين العام للجامعة: " أنت يا عزام دبستنا بها الوحلة أنت لازم تنشلنا منها " ! فيما حاول عزام البحث عن مخرج، فلم يفلح. ثم ما كان من تأسيس " حكومة عموم فلسطين " * وما سببته من حرج لمصر، وللجامعة العربية، أمام الإنجليز! ويخلص القائد، نفسه، إلى أن دخول الجيوش العربية، لحرب 1948، لم يكن إلا وكأنه مسألة رفع عتب

(*) **حكومة عموم فلسطين**: التقى وجهاء فلسطينيون في غزة، في 1948/10/1، في هيئة مؤتمر وطني فلسطيني، سرعان ما انتخب حكومة، حملت اسم " حكومة عموم فلسطين " وترأسها أحمد حلمي عبد الباقي باشا، لكن النظام السياسي الرسمي العربي، عمل على تحنيط هذه الحكومة، منذ ولادتها. وقد نجح ذاك النظام، في مهمته هذه، أيما نجاح، لأسباب ذاتية، وموضوعية، لا يتسع المجال لذكرها هنا.

" ! وينتهي القائد العربي المخضرم، إلى أن توقيع اتفاقات الهدنة في رودس " كأنما هو وثيقة ناطقة بأن إسرائيل قامت، واقعيًا، لاشرعيًا " ! وأن " الحكومات العربية دخلت إليها (فلسطين) ممثلة مستهترة، وخرجت منها واهمة، مذعورة " [1]

الاستنتاجات

لقد غرق العسكريون في نقاط الضعف العسكرية، فيما استغرق السياسيون، في النقاط السياسية، وأهمل الجميع الأساس الاقتصادي - الاجتماعي لهذا كله، فأوجه القصور، سياسية كانت أم عسكرية، هي نتائج، وليست أسباب، تمرض، وليست المرض.

حتى العسكريون، لم يلاحظوا، بأن الهزيمة كانت قرارًا رسميًا عربيًا، إذا كيف تدخل دول عربية الحرب لتهاجم بثلث قوات أعدائها، وسدس قوات الأعداء مضافًا إليها الاحتياطي؟! ناهيك عن جهل الجيوش العربية بطبيعة الأرض، وبالهدف الذي تقاتل من أجله (التكليف العسكري)، وتعارُض أرادات الدول العربية، التي دخلت الحرب، ومبادرة بعض الجيوش العربية إلى سحب أسلحة المجاهدين الفلسطينيين، بمجرد دخول تلك الجيوش إلى فلسطين، بدل أن تستعين الجيوش بالمجاهدين والمحليين، وهم الأدرى بطبيعة الأرض، ونقاط ضعف العدو، على الأقل.

مع هذا كله، فلعل ما رصده المسئولون العرب، فلسطينيون، وغير

(1) خيرية قاسمية (إعداد)، **مذكرات فوزى القاوقجي**، ط2، دمشق، دار النمير، 1995، ص 321 - 506.

فلسطينيين، من أسباب للهزيمة، والنكبة، يكمل ما بدأه باحثون عرب، في رصد هذه الأسباب. أما الحق، فيبدو أنه على الطليان!.

* * *

الفصل العشرون:
قراءة في وثائق النكبة

أسمهان شريح

لم يكن لنكبة فلسطين أن تحصل على الشكل الذي حدثت به لولا تواطؤ القوى الإستعمارية العداونية متمثلة بالدول العظمى في أوروبا وأمريكا. فقد بدأ التحضير للنكبة بخطوات وإجراءات محددة، كما توفرت عوامل ذاتية وموضوعية أدت لتحقيق المشروع الصهيوني المدعوم من القوى العظمى عام 1948.

تتحمل أوروبا أولاً والولايات المتحدة الأمريكية ثانيًا، المسؤولية عن نكبة فلسطين، تشاركها عصبة الأمم وخليفتها منظمة الأمم المتحدة هذه المسؤولية؛ وليست الإمبراطورية العثمانية والأنظمة العربية بمنأى عن هذه المسؤولية؛ ومع مرور الوقت، وتيسّر سبل الحصول على المعلومات أخذت هذه المسؤولية تتكشف شيئًا فشيئًا، حتى اتضحت معالم المؤامرة الكبرى بحق فلسطين وشعبها. وقد انقشع الكثير من الضباب الذي كان يغشى معالم المسألة الفلسطينية، ومسببًا الكارثة التي حلّت بالشعب الفلسطيني، وذلك نتيجة إخراج عدد من الوثائق إلى حيز الضوء، وبالتالي فحصها وقراءتها بعقلانية وموضوعية.

وبذلك يغدو ملائمًا، بل ومفيدًا، الإطلال على هذه الوثائق، في محاولة للعثور على بعض أجزاء لوحة النكبة الفلسطينية، وتركيبها في

مكانها المناسب، وعلى طريق استكمال هذه اللوحة لاستخلاص الدروس والعبر اللازمة على طريق الصراع الطويل من أجل استرداد الحقوق الوطنية الفلسطينية.

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة قراءة أولية في وثائق النكبة من خلال بعض المصادر المتنوعة المتوافرة باللغة العربية، الصادرة أساسًا باللغة العربية، أو المترجمة إليها، لعلها تلفت نظر المختصين من سياسيين وقانونيين وغيرهم لإنجاز قراءات مختصة وأكثر عمقًا لوثائق النكبة.

ونظرًا لأغراض هذه الدراسة، فإنها ستعتمد التقسيم الموضوعي، فتتناول الوثائق البريطانية والفرنسية والألمانية والتركية والعربية، بالإضافة إلى وثائق عصبة الأمم والأمم المتحدة، وستتبع المنهج التحليلي في قراءة الوثائق.

مقدمة:

يعود تاريخ الأطماع الأوروبية في فلسطين خلال العصور الحديثة، إلى منتصف القرن السابع عشر، حيث كان البيروريتانيون يشكلون الطبقة الحاكمة في إنجلترا والأراضي المنخفضة، بالإضافة إلى كونهم القوة الاقتصادية المنفذة، فمنهم كبار التجار ورجال الأعمال. ونظرًا للصلة الوثيقة التي كانت تربط البيوريتانية اليهويدية، فقد تهيأ لليهود مجال واسع للمساهمة في النشاط التجاري دون خوف أو وجل من البيوريتانيين. ما جعل رئيس إنكلترا البيرويتاني آنذاك، أوليفر كرومويل، يدرك مدى الفائدة المادية التي كان بمقدور اليهود تقديمها لاقتصاديات بلده، وخاصة في المجال التجاري. ولذلك أبدى اهتمامًا كبيرًا بشؤون اليهود، وراح يقدم

لهم الكثير من التسهيلات. وقد نظم عدد من البيوريتانيين الإنكليز " حركة " [1] بهدف مساعدة اليهود على الاستيطان في فلسطين؛ وقاموا سنة 1649 بتقديم عريضة إلى الحكومة الإنكليزية جاء فيها: " إن الأمة الإنكليزية مع سكان الأراضي المنخفضة سيكون أول الناس وأكثرهم استعدادًا لنقل أبناء إسرائيل وبناتها إلى الأرض الموعودة لأجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب كي تصبح إرثًا دائمًا لهم [2].

وبالرغم من أن هذه الحركة ودعوتها إلى توطين اليهود في فلسطين لم يتمخض عنها أية نتيجة عملية، إلا أنها كانت مؤشرًا للقوى الحاكمة في بريطانيا وغيرها كي تولي فلسطين مزيدًا من اهتمامها، وتدرس بجدية مدى الفوائد الاقتصادية والسياسية التي يمكن جنيها من وراء توطين اليهود فيها. وبالفعل، فقد شهدت فلسطين، منذ منتصف القرن الثامن عشر، وبشكل أوضح في القرن التاسع عشر، نشاطًا مكثفًا واكب التوسع الإمبريالي الغربي، قامت به مجموعات من التجار وعلماء الآثار والمغامرين.

الوثائق البريطانية:

كان لبريطانيا الدور الرئيس في التسبب بنكبة الشعب الفلسطيني، فلم تكتف الحكومة البريطانية بمنح زعماء الحركة الصهيونية اليهود وعدًا

(1) د. أمين عبد الله محمود، **مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، شباط / فبراير 1984، ص 13، عن ريجبينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية في إنكلترا، **الصهيونية العنصرية** (بيروت: 1977)، مجلد 2، ص 28.
(2) **المصدر نفسه**، والصفحة نفسها.

يضـمن لهـم تحقيـق مشـروعهم فـي فلسـطين، هـو وعـد بلفـور، بـل سـعت جاهدة لتنفيذ هذا الوعد من خلال تضمينه فـي صـك الإنتـداب الـذي أقرتـه عصبة الأمم. وبعد إنقاذ مشروع الإنتـداب، وبسـط الإنكليـز نفـوذهم علـى فلسطين، أخـذوا بتنفيـذ وعـدهم، بـدءًا بتسـهيل هجـرة اليهـود الأوروبيين، وتمكيـنهم مـن الاسـتيلاء علـى الأراضـي الفلسـطينية، مـرورًا بتسـليحهم وتـأمين الحمايـة لهـم أثنـاء الصـدامات مـع الفلسـطينيين الـذين قـاوموا محـاولات اليهـود للاسـتيلاء علـى بلادهـم، وانتهـاء بتقـديم كـل التسـهيلات التي من شأنها تأسيس البنية التحتية للدولـة اليهوديـة التـي تـم الإعـلان عـن قيامها في الخامس عشر من أيار 1948، بعد استكمال شروطها.

ويتأكـد الـدور البريطـاني فـي نكبـة فلسـطين مـن خـلال قـراءة الوثـائق الرسمية ذات العلاقة.

وعد بلفور:

وهو عبـارة عـن رسـالة بعـث بهـا وزيـر الخـارجيـة البريطـانيـة، آرثـر بلفور، عام 1917، إلى اللورد روتشيلد، أحد زعمـاء الحركـة الصـهيونية في تلك الفترة، والتـي عرفـت فيمـا بعـد باسـم وعـد بلفـور؛ وتـم اعتبارهـا أول خطوة رسمية يتخذها الغـرب لأقامـة كيـان لليهـود فـي فلسـطين. وقـد قطعت فيهـا الحكومـة البريطـانيـة تعهـدًا بإقامـة دولـة لليهـود فـي فلسـطين. وفي ما يلي نص الرسالة:

" إن حكومة صـاحب الجلالـة تنظـر بعين العطـف إلـى تأسيس وطـن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غايـة جهـدها لتسـهيل تحقيـق هذه الغاية، على أن يفهم جليًا أنـه لن يؤتـى بعمل من شأنه أن ينـتقص مـن

الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع لها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى ".

ولم يكن وعد بلفور هو الوعد الأول الذي قدمته بريطانيا لليهود، بل سبقه وعدان إبان فترة الحرب ولكنهما توقفا، وكان الوعد الأول في آذار / مارس سنة 1916. على يدي جراي وأسكيث، ولكن حدث أن تعطل صدور هذا الوعد. وكانت المحاولة الثانية لإعطاء اليهود وعدًا في ربيع سنة 1917، حين كانت بريطانيا في ذلك الوقت في تنافس شديد مع فرنسا، التي كانت تريد كسب أصوات اليهود لتتفوق في فلسطين المعروف يومئذ بالقسم الجنوبي من سوريا، وكان الوزارة البريطانية عادت وصرفت النظر عن هذا الوعد أيضًا. ثم منحتهم وعد بلفور في 2 تشرين الثاني / نوفمبر 1917، مع اجتياح الجيوش الإنجليزية فلسطين [(1)].

وهكذا فإن احتلال فلسطين، فعليًا، من قبل الجيش الإنكليزي قد تم قبل تكليف عصبة الأمم بريطانيا بالانتداب على فلسطين.

من الناحية القانونية: صدر وعد بلفور على شكل رسالة موجهة من آرثر جيمس بلفور، الذي كان وزير خارجية بريطانيا آنذاك، والذي حمل التصريح اسمه، منذ ذلك الحين، إلى أدموند دي روتشيلد، وهو من أثرياء اليهود في بريطانيا، بتاريخ 1917/11/12، ما يشير بوضوح إلى أن

---

(1) د. محمد إسماعيل علي السد، **مدى مشروعية أسانيد السيادة " الإسرائيلية " في فلسطين**، عالم الكتب، القاهرة، 1975 ص 145.

تصريح بلفور لا يعدو أن يكون تصريحًا سياسيًا ليس له صفة الإلزام القانوني، فهو قد صدر عن شخص قانوني يملك أهلية الالتزام في دائرة الأعمال القانونية الدولية، وهذا الطرف هو بريطانيا ممثلة في وزير خارجيتها، الذي يملك طبقًا لقواعد القانون الدولي أن يعبر عن إرادة الدولة[1].

أما الطرف الثاني فهو فرد عادي ليس له أي كيان دولي، ومن ثم فإن ما يتم بينه وبين الحكومة البريطانية من علاقات واتفاقات لا يدخل في نطاق العلاقات الدولية ولا يحكمه بالتالي القانون الدولي [2].

ويمكن تقسيم وعد بلفور إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هو المتعلق باليهود ويقول: " تنظر حكومة صاحبة الجلالة بعين العطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل مساعيها لتسهيل هذا الهدف ".

ولابد هنا من الإشارة إلى نقطتين:

الأولى: إن الحركة الصهيونية في مراحلها الأولى لم تركز على فلسطين بصورة مطلقة دون سواها، فقد قامت بمحاولات سابقة للحصول على قبرص أو شبه جزيرة سيناء من بريطانيا. ودرس زعماء الصهاينة احتمال اتخاذ شرق أفريقيا والأرجنتين لإقامة دولة لليهود. ولكن بعد

(1) د. محمد طلعت الغنيمي، **قضية فلسطين أمام القانون الدولي**، دار المعارف، الإسكندرية، ص 11.

(2) سامي هداوي، **ملف القضية الفلسطينية**، تحرير د. يوسف صايغ، منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، بيروت، 1968 ص25.

انتصار (جماعة فلسطين) في المؤتمر الصهيوني الذي عقد عام 1904، عقب وفاة هيرتزل، بعد ذلك فقد تركزت مطالب الصهاينة على فلسطين. وهذا على الأقل يلي الشك حول الادعاءات الصهيونية اللاحقة بأن فلسطين هي الملجأ الوحيد المقبول لليهود في المنفى.

الثانية: فهي أن الجزء الأول من التصريح لم يفصح عما هو أكثر من (وطن قومي) في فلسطين. بالإضافة إلى أن هذا الوعد المحدود كان مشروطًا حسب الجزئين الثاني والثالث من التصريح [1].

القسم الثاني: هو المتعلق بحقوق الفلسطينيين ووضعهم، وينص على أنه: " من المفهوم بوضوح أنه يجب عدم القيام بأي عمل من شأنه الإجحاف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين "، وهو بذلك يقسم فلسطين على أساس طائفي تمهيدًا لضمان مكانة اليهود.

القسم الثالث: الذي يشير إلى وضع اليهود خارج فلسطين فيقول: " يجب ألا تجحف إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين بالحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في الأقطار الأخرى ".

إن هذه العبارة الأخيرة قد أعطت اليهود وطن شعب آخر، في الوقت الذي حافظت فيه على حقوق اليهود في بلدانهم الأصلية. ويعتبر وعد بلفور نصًا نموذجيًا لكيفية القضاء على شعب كامل له حضارته العريقة وإحلال آخرين مكانه، فعند صدور هذا الوعد كان عدد سكان فلسطين

(1) **اللاجئون الفلسطينيون**، مركز المعلومات البديلة، القدس، دمشق ص 8.

يناهز 600 ألف نسمة، بينما كان عدد اليهود لا يتجاوز، حسب تقرير مقدم من الإدارة العسكرية البريطانية في فلسطين لعصبة الأمم، 55 ألف نسمة بما فيهم اليهود الفلسطينيين (غير المهاجرين الأوروبيين)، ما يعني أن نسبة 91 % من السكان في فلسطين هم سكانها الأصليين. بينما لم يشكل اليهود سوى نسبة 9 % فقط من العدد الكلي للسكان [1]. وذلك بخلاف ما جاء به القسم الثاني من وعد بلفور، الذي أعطى صورة مضللة عن وضع اليهود في فلسطين وعد دعاوى ملكيتهم الثابتة لها، عندما استخدم عبارة (الطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين)، قاصدًا بذلك إعطاء انطباع مضلل بأن الفلسطينيين كانوا أقلية لا يعتد بها، وبأنهم يحتلون وضعًا ثانويًا بالنسبة لوضع اليهود؛ حيث توحي هذه العبارة بالحرص على حماية حقوق الفلسطينيين بصفتهم (الطوائف غير اليهودية) تمهيدًا للإستيلاء على حقوقهم في بلدهم بصفتهم أصحابه وسكانه الأصليين، وهو ما حدث فعلاً.

وبإمعان النظر في المعاني المتضمنة بهذه العبارة، يمكن إصدار الحكم التالي عليها: إنها كافية بذاتها لإبطال مفعول بقية الوعد (وعد بلفور) [2].

ومن الناحية السياسية التحليلة تقول القراءة الصهيونية / الإسرائيلية أن الحركة الوطنية الفلسطينية ظهرت أو انبعثت فقط نتيجة للقاء مع

(1) محمد سيف، **90 عامًا على وعد بلفور/قراءة قانونية**، مدونات مكتوب على الشبكة الإلكترونية.
(2) **المصدر نفسه**.

الصهيونية، وهو ادعاء ينطوي على قدر من الخبث المغرض من حيث أنه يسعى إلى صبغ الحركة الفلسطينية وروادها بألوان المحاكاة وانعدام التقاليد والإرث القوميين، بل ودمغها بالعدمية والعنفوية العبثية. ما قاد، بالتالي، إلى الإدعاء بأن الفلسطينية كانت بمنزلة ردة فعل رجعية على صدور وعد بلفور، وبالتالي ليس هناك بطبيعة الحال أية صلة أو رابطة بين هذا " الوعد " وبين الذين ظهروا بجريرته (" الطوائف والمجموعات غير اليهودية " في فلسطين). وهو ما يعني – وفقًا لما يرمي إليه الإدعاء ذاته – برهانًا آخر على مقولة " شعب بلا أرض لأرض بلا شعب ".

وفي قراءة إسرائيلية متخصصة لهذه الوثيقة، اعتبر د. يحيعام شور، الكاتب والمؤخ المحاضر في " كلية بيت بير "، أن في القراءة الإسرائيلية، أسسًا وعناصر عاطفية ووجدانية مفرطة، بل وحتى صبيانية وقاصرة بعض الشيء قبعت في صلب إصدار وعد بلفور، مثل التزام بريطانيا تجاه المساعدات الكيميائية – العسكرية التي قدمها البروفيسور حاييم وايزمان للمجهود الحربي البريطاني؛ العلاقات الشخصية بين زعماء صهيونيين وبين زعامة الحكم البريطاني؛ التوجه المسيحي الحماسي لدى رئيس حكومة بريطانيا لويد جورج؛ الإيمان بضرورة تطوير علاقات عمل وتعاون بين المشروع الصهيوني المستقبلي وبين البريطانيين، إضافة إلى الاعتبار الأخلاقي بشأن وجوب دعم ومساندة الشعب اليهودي المضطهد... إلخ.

ورأى شور أن وعد بلفور كان يهدف، أو من المفروض أن يؤدي، إلى دفن مشروعين سابقين فيما يتعلق بالشرق الأوسط: رسائل ماكماهون واتفاق سايكس – بيكو، بما يفضي إلى شرعنة وتكريس الكولونيالية البريطانية.

ويخلص شور إلى أن صيغة الوعد الذي أصدره البريطانيون لم تأت عبثًا أو من باب الصدفة: فقد شكل ذلك الوعد/ التصريح الصادر في الثاني من نوفمبر عام 1917 مدخلاً – رسميًا في نموذج الإنتداب، وشكل لاحقًا أرضية أخلاقية – دولية لإقامة دولة إسرائيل [1]. وفي القراءة السياسية، فإن وعد بلفور هو الخطوة الأولى على طريق بسط نفوذ بريطانيا على المنطقة من أجل تحقيق مصالحها فيها؛ تلك المصالح التي رأى المفكر الاستراتيجي كامل بترمان أنها لن تتحقق إلا بزرع كيان غريب في فلسطين صديق لبريطانيا وعدو لسكان المنطقة.

ومهما قيل في وصف " وعد بلفور "، والدور الرئيس الذي لعبه في مختلف مراحل المسألة الفلسطينية، فلن يكون من قبيل المبالغة اعتباره أحد الجذور الرئيسية للنكبة، إن لم يكن الجذر الأساس لها.

توصيات لجنة بيل:

كانت لجنة بيل التي عينتها الحكومة البريطانية في أعقاب اندلاع ثورة 1936، لتقصي أوضاع فلسطين، أول من اتبع فكرة تقسيم فلسطين بين الغزاة اليهود الأوروبيين والفلسطينيين أصحابها الأصليين، حيث

(1) د. يحيعام شور، **لماذا منح " وعد بلفور " لليهود تحديدًا؟** موقع المشهد الإسرائيلي الإلكتروني، 2005/12/1.

أوصت اللجنة في تقريرها الذي قدمته إلى الحكومة البريطانية، والذي صادقت عليه الأخيرة في تموز 1937، بتقسيم فلسطين إلى دولتين، يهودية وتضم حوالي 20 بالمائة من مساحة فلسطين، وفلسطينية تقم على المساحة المتبقية من فلسطين ومنطقة شرق الأردن. وقد احتلت توصية لجنة بيل أهميّة خاصة، لدى الحركة الصهيونية لأنها أضفت شرعية على ثلاث قضايا أساسية:

أولاً: مطالبتها بإنشاء دولة يهودية في فلسطين، الأمر الذي لم تتجرأ الحركة الصهيونية على المطالبة به رسميًا، وإن كانت تدعة إلى إنشاء " وطن قومي يهودي " في فلسطين.

ثانياً: مطالبتها بـ " تبادل سكان " بين الدولة اليهودية والدولة التي ستخصص للفلسطينيين.

وقد أثارت توصيات لجنة بيل نقاشًا حادّاً بين القادة الصهيونيين. واتسمت ردود الفعل الصهيونية الأولية بمعارضة شديدة، لأن توصيات اللجنة قسمت " أرض إسرائيل "، حسب زعمهم، ومنحت اليهود " جزءًا صغيرًا " منها فقط. غير أن هذه المعارضة أخذت تتضاءل وتخفت حتى تحولت إلى تأييد متحفظ أمام حقيقة توصية اللجنة بطرد العرب الفلسطينيين من الدولة اليهودية المقترحة [1].

(1) د. محمود محارب، **ستوت عامًا على النكبة: ترحيل الفلسطينيين؛ الجذور والممارسة**، موقع عرب 48، 2008/1/21.

وبـذلك أسسـت هـذه التوصـية للنكبـة الفلسـطينية بتضـمينها ترحيـل الفلسطينيين عن أراضيهم ما جعل بن – غوريون يوليها أهمية استثنائية، وخاصـةً التوصـية المتعلقـة بطـرد الفلسـطينيين، وأكـد أن علـى الحركـة الصهيونية " التمسك بالتوصية كما كنا تمسّكنا بوعد بلفور، بل كمـا هو تمسّكنا بالصـيهونية ذاتهـا، يتوجـب علينـا التمسـك بهـذه التوصـية بأقصـى قوتنـا وإرادتنـا وأمانينـا، لأن فـي هـذه التوصـية، مـن مجمـل التوصـيات، تعويضًـا مـا عـن سـلخ بقيـة أجـزاء الـبلاد... إن بنـد الترحيـل، حسـب اعتقادي، أهم من جميع مطالبنـا لزيـادة المسـاحة.. وإذا لـم يمكـن بإمكاننـا إخراج العرب من بين ظهرانينـا الآن ونقلهـم إلـى منـاطق عربيـة، الأمـر الذي تقترحـه لجنـة ملكيـة بريطانيـة، فإنـه لـن يكـون بمقدرونـا القيـام بذلك بسهولـة (هذا إذا أمكننا القيام بذلك أصـلاً) بعد إنشـاء الدولـة، عنـدما يكـون كل العالم المعادي لنا ينظر إلينا بسبعة عيون، لمراقبة تصرّفنا نحـن تجـاه أقليتنـا " [1].

وبـذلك تظهـر توصـيات لجنـة بيـل أن بريطانيـا كانـت متشـبثة بإنفـاذ وعدها لقيادة الحركة الصـهيونية بل تبنـت الصـهيوني المتثمثـل فـي إقامـة دولـة لليهود بصورة علنية.

وهو ما يوضـح أن تبنـي عصبة الأمم لوعد بلفور وتضـمينه فـي صـك الانتداب، ما هو إلا تأكيد على مدى إمسـاك بريطانيـا بهـذه الهيئـة الأمميـة وتسخيرها لأغراضـها الاستعمارية، لأن تنفيذ وعد بلفور كان سيستدعي، بالضرورة، التواجد البريطاني على أرض فلسطين، مـا أوحـى إلـى الفكـر

(1) **المصدر نفسه**.

الاستعماري البريطاني بابتداع فكرة الانتداب، بل وانتزاع مهر ختم عصبة الأمم عليه. وهو ما يبدو جليًا من خلال وثائق عصبة الأمم وخليفتها الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين، والتي مهدت لحدوث النكبة.

وثائق عصبة الأمم والأمم المتحدة:

عصبة الأمم هي هيئة دولية أنشئت إثر الحرب العالمية الأولى، بموجب معاهدة فرساي التي وقع عليها يوم 1919/6/28، ممثلو الحلفاء من جهة (كدول منتصرة) وممثلو ألمانيا من جهة أخرى (كدولة مهزومة).

وتضمنت هذه المعاهدة في بنودها الستة والعشرين الأولى ما أطلق عليه " عهد عصبة الأمم " الذي نص على إنشاء لجنة الانتدابات الدائمة من عضوية الدول الخمس الدائمة العضوية فيها. وتتلخص مهمة العصبة، التي ولدت رسميًا مع دخول معاهدة فرساي حيّز التنفيذ في 1920/1/10، حسب نص العهد (الميثاق) في إقامة نظام دولي جديد مؤسس على العدالة، وفي ضمان السلم والأمن الدوليين، وتطوير التعاون بين الأمم. لكن، وبمرور الوقت، أكدت الوقائع أن العقلية الاستعمارية كانت تسيطر على عصبة الأمم، في جميع مراحلها، منذ قيامها مطلع عام 1920، إلى أن خلفتها منظمة الأمم المتحدة عام 1946. وتمثلت هذه العقلية، بشكل خاص في السياسات الفرنسية – البريطانية التي سعت، بكل ما في الاستعمار من جشع ووحشية، إلى اقتسام غالبية دول آسيا وأفريقيا. وكانت الأقطار العربية التي انفصلت عن الحكم التركي المهزوم في الحرب، والمتطلعة إلى الاستقلال، تعدّ مغنمًا لهذه السياسة.

لهذا سارعت بريطانيا وفرنسا إلى احتلال ما استطاعتا احتلاله من تلك الأقطار، ومن بينها فلسطين، فوُضع العالم أمام الأمر الواقع، وتمّ استخدام عصبة الأمم لتقنين الاحتلال بشرعة دولية هي " عهد العصبة ". وبذلك أعطت هذه الهيئة الدولية الاستعمار " صبغة دولية مشروعة " تحت اسم " الانتداب ".

وكان ما ارتكبه بريطانيا بحق فلسطين وشعبها من خلال انتدابها خير دليل. فقد كان نصيب فلسطين من الاستعمار مضاعفًا حيث أضيف إلى الاستعمار مضاعفًا حيث أضيف إلى الاستعمار الذي أخضعت له أقطار العالم العربي، الاستيطان اليهودي الإجلائي الإحلالي؛ فاحتلتها إنكلترا منتدبة بتفويض من عصبة الأمم، في حين قامت الحركة الصهيونية بتنفيذ خطتها فغزتها هجرة فاستيطانًا، تحت حماية " الدولة المنتدَبة ورعايتها بالقوة والسلاح.

ويمكن التعرب على دور عصبة الأمم في توفير الظروف والشروط اللازمة لتحقيق المشروع الصهيوني في فلطسين، وبالتالي التسبب في حدوث النكبة، من خلال قراءة العناصر والعوامل التي تم إعدادها وتهيئتها في مرحلة ما قبل تشكيل عصبة الأمم، حتى إذا قامت هذه الهيئة الدولية، استخدم الاستعمار والصهيونية تلك العناصر والعوامل، باسم العصبة، وإطارها، ومن خلالها، لتنفيذ المراحل الأولى للمشروع الصهيوني. فقد كانت الدول الكبرى في بداية القرن العشرين تسعى إلى فرض سيطرتها على الأقطار العربية الخاضعة، آنذاك، للحكم العثماني، الذي كان يعيش مرحلة التفكك والانهيار. ومع نهاية الحرب العالمية

الأولى، انتهت الإمبراطورية العثمانية، وبينما كانت الحرب على أشدها وقعت كل من إنكلترا وفرنسا في 1916/5/16 اتفاقية " سايكس – بيكو " السرية التي مزقت منطقة الهلال الخصيب إلى مناطق أخضعتها لإدارة هاتين الدولتين. ومن ثم اتفقت إنكلترا وفرنسا في مؤتمر سان ريمو (1922/4/25) على اقتسام النفوذ على أقطار بلاد الشام والعراق، وقامت إنكلترا بإدماج تصريح بلفور في صك الإنتداب على فلسطين، وأقرت عصبة الأمم هذا الصك في 1922/7/24 منتهكة بذلك أحكام عهدها، الذي ادعى أن غاية الإنتداب هي مساعدة الشعوب على بلوغ مراتب الرقي والرفاهية، وتأهيلها لتقرر مصيرها ولتحكم نفسها بنفسها، وبذلك تكون الدول الخاضعة للإنتداب " أمانة مقدسة في عنق المدنية ". وعليه فقد أجمع فقهاء القانون الدولي الذين فسروا عهد عصبة الأمم، على أنه لا يجوز أن تتولى الدولة المنتدبة شؤون البلاد كمالكة مطلقة، بل كما يتولى الوصي ما عهد به إليه [(1)].

أعلن مشروع الإنتداب البريطاني على فلسطين من قبل عصبة الأمم المتحدة بتاريخ 6 يوليو / تموز 1921، وصودق عليه في 24 يوليو / تموز 1922، ووضع موضع التنفيذ في 29 سبتمبر / أيلول من العام نفسه، وتضمن مقدمة جاء فيها:

لما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت على أن يعهد بإدارة فلسطين التي كانت تابعة فيما مضى للدولة العثمانية بالحدود التي تعينها تكل الدول إلى دولة منتدبة تختارها الدول المشار إليها تنفيذًا لنصوص المادة

(1) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم العام، المجلد الثالث، دمشق، 1984 ص236.

22 من ميثاق عصبة الأمم..

ولما كانت دول الحلفاء قد وافقت أيضًا على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي أصدرته في الأصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر توفمبر / (تشرين الثاني) 1917 وأقرته الدول المذكورة لصالح إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، على أن يفهم جليًا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة الآن في فلسطين، أو بالحقوق والوضع السياسي مما يتمتع به اليهود في أي بلاد أخرى..

ولما كان قد اعترف بذلك بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين وبالأسباب التي تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد...

ولما كانت الفقرة الثامنة من المادة 22 المتقدمة الذكر تنص على أن درجة السلطة أو السيطرة أو الإدارة التي تمارسها الدولة المنتدبة سيحددها بصراحة مجلس عصبة الأمم إذا لم يكن هناك اتفاق سابق بشأنها بين أعضاء عصبة الأمم..

لذلك، فإن مجلس عصبة الأمم بعد تأييده الانتداب المذكور يحدد شروطه ونصوصه بما يلي:

(وهنا سيتم اقتباس بعض الشروط / المواد المتعلقة بموضوع البحث).

المادة الأولى: يكون للدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي وفقًا لما جاء بيانه في ديباجة هذا الصك وترقية مؤسسات الحكم الذاتي، وتكون مسؤولة أيضًا عن صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الجنس والدين.

المادة الثالثة: يترتب على الدولة المنتدبة أن تعمل على تشجيع الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الظروف.

المادة الرابعة: يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد، على أن يكون ذلك خاضعًا دومًا لمراقبة الإدارة.

المادة الخامسة: يعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ما دامت الدولة المنتدبة ترى أن تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض، ويترتب على الجمعية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة حكومة صاحب الجلالة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة في إنشاء الوطن اليهودي.

المادة السادسة: تتولى إدارة فلسطين مسؤولية سن قانون للجنسية، ويجب أن يشتمل ذلك القانون على نصوص تسهل اكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يتخذون فلسطين مقامًا دائمًا لهم.

وهكذا، فقد نشأ الانتهاك الرئيس لعهد العصبة في إدماج تصريح بلفور في صك الإنتداب. واعترف صك الإنتداب بالمنظمة الصهيونية كوكالة يهودية ملائمة لإسداد المشورة إلى إدارة (حكومة) فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الأمور التي تساهم في إنشاء الوطن القومي اليهودي. في حين لم ينص صك الانتداب على أن يعني أحد، أو جهة، أو مؤسسة بمصالح الشعب الفلسطيني، على غرار المركز الرسمي الذي منح للوكالة اليهودية. كما تؤخذ رغبات الفلسطينيين بالاعتبار كعامل رئيس في اختيار الدولة المنتدبة، وفقًا للمادة 22 من عهد عصبة الأمم [1].

وبذلك فقد سلكت الدولة المنتدبة على فلسطين نهجًا بحيث طبقت عهد العصبة لصالح اليهود وكأنهم سكان فلسطين الأصليين. ففي أول اجتماع عقدته لجنة الانتدابات الدائمة بعد نفاذ الإنتداب على فلسطين في عام 1923، لاحظت اللجنة طبيعة هذا الإنتداب الدائمة بعد نفاذ الإنتداب على فلسطين في عام 1923، لاحظت اللجنة طبيعة هذا الإنتداب الفريدة من نوعها، وسجلت قلقها من تناقضاته الأصلية. وفي تقرير أعدته في دورتها الخامسة عام 1924 وقدمته إلى مجلس العصبة، وقالت فيه: " في حين أن جميع صكوك الإنتداب الأخرى التي درست اللجنة تطبيقها حتى الآن، لم يقصد بها إلا إعمال المبادئ العامة الواردة في المادة 22 من العهد، يتسم صك الإنتداب على فلسطين بطبيعة أكثر تعقيدًا. وكما هو مذكور صراحة في ديباجة صك الإنتداب، وكما تبينه بوضوح بنود عديدة

(1) **المصدر نفسه**، ص 240.

من هذه الوثيقة، رغب المجلس أثناء وضعه شروط الصك، في الوقت الذي تعمل فيه أحكام المادة 22 من العهد، في أن ينفذ أيضًا خطة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، عملاً كما هو وارد في تصريح بلفور التاريخي، وهو تصريح أقرته دول الحلفاء الكبرى. وأن الواجب الأعظم للدولة المنتدبة، وفقًا للمبدأ الأساسي الوارد في 22 من العهد، هو ضمان تنمية الأقاليم الخاضعة للانتداب وفقًا لمصالح سكانها ". ومن ناحية أخرى، فإن لدى الدولة المنتدبة، بمقتضى تصريح بلفور تعليمات بالمساعدة على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، على أن يفهم جليًا، أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة الآن في فلسطين، أو بالحقوق والوضع السياسي التي يتمتع بها اليهود في أية بلدان أخرى" [1].

تبين هذه المادة أن الإنتداب وضع باعتباره إنشاء الدولة اليهودية كهدف أساس، واعتبر الفلسطينيين مجموعة من الإثنيات وضع باعتباره إنشاء الدولة اليهودية كهدف أساس، واعتبر الفلسطينيين مجموعة من الإثنيات والأعراق المنباينة. وبصورة أوضح: فقد أسقطت عصبة الأمم أوضاع الجماعات اليهودية المتباينة عرقيًا وقوميًا على الفلسطينيين وهم السكان الأصليين لفلسطين والذين ترتبط جذورهم فيه إلى عهود وأزمنة تاريخية موغلة في القدم؛ وذلك باعتراف بعض مؤرخي الغرب المتحررين من سطوة الدراسات التاريخية الكتابية (التوراتية) أمثال كيث وايتلام وتوماس طومسون وغيرهم.

(1) **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

وفيما يتعلق بوثائق الأمم المتحدة، والتي تعتبر خليفة عصبة الأمم، فإن قرارها بتقسيم فلسطين الصادر بتاريخ 1947/10/29، بناءً على طلب بريطانيا، لم يكن القرار الأول لتقسيم فلسطين، بل سبقه قرار لجنة ببل، وتكررت فكرة التقسيم في مؤتمر لندن 1946، حيث عرضت بريطانيا مشروع موريس القاضي بتقسيم فلسطين إلى أربع مناطق إدارية [(1)].

وعن حيثيات هذا القرار: فقد أوصت الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين: " دولة عربية "، تضم نحو 43.5% ودولة يهودية تضم نحو 56.5% من أرض فلسطين البالغة 27 ألف كم^2، ونص القرار على اتحاد اقتصادي يربط بين الدولتين، وعلى تدويل منطقة القدس. ولم تعر الجمعية العامة للأمم المتحدة التفاتًا إلى توصيات اللجنة التي عينتها، وأناطت بها مهمة القيام بالتحقيقات في فلسطين وتلقي الشهادات من السلطة المنتدبة وممثلي السكان فيها، وخاصة تلك المتعلقة بمطالب وحقوق الفلسطينيين. ما يدلل بجلاء أن منظمة الأمم المتحدة، كانت قد اتخذت قرارًا مسبقًا بإقامة دولة يهودية في فلسطين على حساب أصحابها الأصليين.

خصص قرار التقسيم للدولة اليهودية مساحة مقدارها 14.200كم^2 يملك الفلسطينيون ثلثي أراضيها، وقدر عدد الفلسطينيين في المنطقة المخصصة للدولة اليهودية بـ 509 آلاف نسمة بينما عدد اليهود 499 ألف نسمة. وعند صدور قرار التقسيم، كان الفسطينيون يشكلون أكثر من

(1) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم العام، المجلد الأول، دمشق 1984، ص557 - 558.

ثلثي عدد السكان في فلسطين ويملكون 96% من مساحتها.

في القراءة الأولى لقرار التقسيم، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن والتطرق لمبادئ العدل والإنصاف، فالغبن التاريخي الذي لحق بالفلسطينيين أصحاب فلسطين الشرعيين، قام على أساس الفكرة الصهيونية العنصرية التي ألغت الوجود الفلسطيني. وهو مخالفة صريحة لواحد من أهم الأهداف التي تبنتها المنظمة الدولية، وهي حق الشعوب في تقرير مصيرها (المادة ا ف2)، لأن إعمال هذا الهدف يتطلب احترام رغبة أصحاب فلسطين الشرعيين في تقرير مثير بلدهم. كما أن القرار يتفقر إلى أي سند قانوني، فالجمعية العامة لا تملك سلطة التصرف بدون ضابط في شؤون الأقاليم الموضوعة تحت الإنتداب، وفلسطين واحدة منها. لأن ميثاق الأمم المتحدة أنشأ نظام الوصية لكي يحل محل نظام الإنتداب بموجب اتفاقات للوصية تبرمها الأمم المتحدة مع الدول صاحبة الشأن. وقرر الميثاق أنه إلى حين وضع اتفاقيات الوصاية يجب استمرار العمل بالاتفاقات الدولية القائمة. ومعنى هذا أن الجمعية العامة عند نظرها في المشكلة الفلسطينية، كان عليها الدخول في مفاوضات لوضع فلسطين تحت الوصاية، وتقرير إنها الإنتداب البريطاني عليها في حال تحقيق أغراضه في تهيئتها للإستقلال.

والغبن التاريخي كما يراه الفلسطينيون كامن في إسباغ الشرعية على إقامة دولة إسرائيل، مع الضرب بعرض الحائط حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلّة، أو في حقه بألا تقام على أرضه دولة أخرى. فالإعتراف بقرار التقسيم هو اعتراف بالدولة اليهودية وشرعية يهوديّتها،

لأن قرار التقسيم لم يعتمد حق تقرير المصير لليهود، وإنمـا اعتمـد علـى شكل تقرير المصير لليهود ممثلاً بالدولة اليهودية [1].

ومما يؤكد تواطؤ الأمم المتحدة ودورها في نكبة الشعب الفلسطيني، مـا تم الكشف عنـه مؤخرًا من وثـائق، حيث كشف المؤرخ الإسرائيلي الدكتور (إلعاد بن درور) بالتزامن مع الذكرى السنوية الستين لصـدور " قرار التقسيم " عن وثـائق سرية تفيد أن الأمم المتحـدة كانـت قد أعـدت مخططًا لتشكيل (ميليشيا) يهودية مسلحة ومزودة بطائرات حربيـة بهـدف تنفيذ القرار بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فقط.

وكـان المؤرخ الإسرائيلي، قد اطلـع علـى وثـائق فـي الأمـم المتحـدة مصنفة على أنها سرية، إلا أن صفة السرية قد أزيلت عنهـا مؤخرًا وتـمّ فتحهـا أمـام الجمهـور. والمـدهش فـي المـواد التـي اطلـع عليهـا المـؤرخ الإسرائيلي توثيقها لمداولات ما سمي (باللجنـة التنفيذيـة) لتطبيـق " قـرار التقسـيم "، وعـزم الأمـم المتحـدة إنشـاء وتـدريب " ميليشـيا يهوديـة " وتسليحها بأسلحة وطـائرات حربيـة ومـدرعات. غيـر أن هـذه " اللجنـة " كانـت ضـعيفة وفشـلت فـي تنفيـذ مهامهـا مـع انـدلاع حـرب 1948، ولـم تتمكن من تنفيذ المخطط المرسوم.

ونقلـت صـحيفة " هـآرتس " عـن بـن درور وصـفة مخطـط الأمـم المتحدة بأنه " أكثر مادة مفاجئة وجدتها في الأمم المتحدة ". فالقرار الذي قضى بإقامة دولتين في فلسطين، وحظـي بتأييد 33 دولـة ومعارضـة 13

(1) د. روضة عطا الله رئيسة جمعية الثقافة العربية، **ندوة جميعة الثقافة العربية في حيفا حول قرار التقسيم**، موقع عرب 48 الإلكتروني، 2007/11/30.

وامتناع 10 دول عن التصويت، كانت القيادة الفلسطينية قد رفضته واعتبرته مخططًا استعماريًا عملت على إحباطه يومها، مما أدى إلى اندلاع حرب 1948.

وقد نص القرار على إنشاء ميليشيات في الدولتين عبارة عن قوة عسكرية تكون تحت سلطة الدولتين وغايتها بالأساس حفظ الأمن الداخلي في كل واحدة منهما. وأكد بن درور أن " الأمم المتحدة أهملت نصف قرار التقسيم، أي فكرة إقامة الدولة العربية، وكانت الفكرة تنفيذ إقامة الدولة اليهودية فقط، وأن تعمل الأمم المتحدة في وقت لاحق على إقامة الدولة العربية ". وأنه بموجب مخطط اللجنة التنفيذية، فإن المهمة الأساسية للمليشيا اليهودية كانت فرض سيطرة الدولة اليهودية على العرب الذين بقوا فيها والذين كان عددهم في الدولة اليهودية، وفقًا لخارطة التقسيم، مقاربًا لعدد اليهود.

كان من المفترض، حسب المؤرخ الإسرائيلي، أن تخضع قيادة الميليشيا للأمم المتحدة التي كانت ستعيّن أيضًا قادة المليشيا، لكن اللجنة التنفيذية كانت تعتزم إسناد إقامة المليشيا إلى عصابة " الهاغاناه " اليهودية وتحويلها إلى تنظيم شرعي مسلح، في الوقت الذي كانت تصف في آنذاك بالمنظمة الإرهابية [1].

ويعزو إيلان بابيه، الصوت الإسرائيلي الأقرب إلى الموضوعية والحقيقة، في كتابه " التطهير العرقي في فلسطين "، يعزو خطيئة الأمم

(1) هاشم منوّر، **الأمم المتحدة وقرار تقسيم فلسطين**، شبكة الإنترنت الإعلام العربي/ أمين، 2007/1/7.

المتحدة بحق فلسطين وأهلها بإقرارها قرار التقسيم، الذي أسس للنكبة بافتقارها إلى الخبرة، حيث لم يكن قد مضى على تأسيسها سوى عامين، وقد " عهدت بمسألة مستقبل مصير فلسطين إلى لجنة خاصة بفلسطين اتضح أن أيًا من أعضائها لم يكن لديه خبرة مسبقة بحل النزاعات أو معرفة بتاريخ فلسطين " [1].

إلا أن بابيه لا يلبث أن يلاحظ التأثير السيّء لقرار التقسيم في فلسطين وسكانها، فبدلاً من تهدئة الوضع، كما كان القصد منه، فاقم التوترات، وتسبب بتدهور البلد إلى واحد من أسوأ أطوار العنف في تاريخه، بسبب مدى ظلم وعدم شرعية الإجراءات التي اتخذتها الأمم المتحدة. فقد أدخل قرار التقسيم أكثر الأراضي خصوبة و400 قرية فلسطينية ضمن حدود الدولة اليهودية المقترحة. وهكذا فإن أشد جوانب القرار لا أخلاقية يتثمل في كونه لم يتضمن آلية لحماية فلسطين من التطهير العرقي في وقت لاحق، فإنه حيث يتم تبني أيديولوجيا إقصائية في واقع إثني شديد التوتر، فإن الحتمية هي التطهير العرقي. ولأنهم رسموا الخريطة على هذا النحو، فإن أعضاء الأمم المتحدة الذين صوتوا في مصلحة قرار التقسيم ساهموا مساهمة مباشرة في الجريمة التي كانت على وشك أن ترتكب " [2].

---

(1) إيلان بابيه، **التطهير العرقي في فلسطين**، ط1، مؤسسة الدارسات الفلسطينية، بيروت، 2007 ، ص41 -42.

(2) **المصدر نفسه**، ص44 - 45.

بعد كل هذا يخلص بابيه إلى قناعة تفيد بـ " خيانة الأمم المتحدة "، ذلك أنه بموجب قرار التقسيم، كان ينبغي للأمم المتحدة أن تكون حاضرة على الأرض لتشرف على تنفيذ خطتها للسلام، حيث تضمن قرار التقسيم أمورًا إلزامية واضحة جدًا، منها التعهد بأن تمنع الأمم المتحدة أية محاولة من الطرفين لمصادرة أراضٍ تعود ملكيتها إلى مواطني الدولة الأخرى، سواء كانت مزروعة أم لا. ورغم أن ممثلي الأمم المتحدة في فلسطين حاولوا الدفع باتجاه إعادة تقييم سياسة التقسيم، لكنهم، عمليًا، لم يقوموا بأكثر من المراقبة وإرسال التقارير عن بدء التطهير العرقي، خاصة أن السلطات البريطانية منعت وجود فريق منظم من الأمم المتحدة [1].

وبذلك، فإن الأمم المتحدة ساهمت بشكل مباشر في النكبة لا في إقرارها مشروع التقسيم، فحسب، ولكن في السكوت عن آثاره المدمرة. وهو أمر مفهوم عند الأخذ بعين الاعتبار أن مؤسسي الأمم المتحدة هي القوى الاستعمارية التي تقاطعت مصالحها مع مصالح الصهيونية. وهذا ما يظهر من خلال الإطلاع على الوثائق الأمريكية والفرنسية والألمانية.

وثائق أخرى:

كانت فرنسا أول من طرح بشكل جدي فكرة توطين اليهود في فلسطين، حيث أعدّت حكومة الإدارة الفرنسية عام 1798 خطة سرية لإقامة كومنولث يهودي في فلسطين، في حال نجاح الحملة الفرنسية في

---

(1) محمود، **مصدر سبق ذكره**، ص 14.

احتلال مصر والمشرق العربي " بما فيه فلسطين "، مقابل تقديم الممولين اليهود قروضًا مالية للحكومة الفرنسية التي كانت تمر، آنذاك، في ضائقة اقتصادية خانقة، والمساهمة في تمويل الحملة الفرنسية المتجهة نحو الشرق بقيادة نابليون بونابرت [1].

لقد أكد نابليون أنه على اليهود الاعتماد على فرنسا لكي تخلصهم من نير العبودية في أوروبا وجور الاضطهاد المسيحي المتعصب؛ باعتبار على فرنسا، لكي تخلصهم من نير العبودية في أوروبا وجور الاضطهاد المسيحي المتعصب؛ باعتبار أن لفرنسا كما لورما، إرثًا يهوديًا ستدافعان عنه.

وفي فترة لاحقة أصدرت فرنسا تصريحًا شبيهًا بتصريح بلفور، وهو تصريح كامبو، قبل استصدار وعد بلفور البريطاني في 2 تشرين الثاني / نوفمبر 1917، حيث أصدر المسؤول الفرنسي في خارجيتها وعد كامبو في شهر أيار / مايو عام 1917 [2]. ما يقرأ من خلاله تسابق كل من القوتين الإستعماريتين إنكلترا وفرنسا على إقامة دولة يهودية في فلسطين للحصول على مكاسب ومناطق نفوذ.

وفي وثائق الخارجية الألمانية، بخصوص الموقف الذي يجب اتخاذه من احتمال إنشاء دولة يهودية تحت الانتداب البريطاني: جاء في بند

---

(1) أسمهان شريح، **غزة المحررة أم مكسر العصا؟**، موقع المجموعة 194 على الشبكة الدولية، 6 /2006/11.

(2) نجدة فتحي صفوة، (مراجعة وتقديم)، **العالم العربي في وثائق سرية ألمانية 1937 - 1941**، ترجمة رزق الله بطرس، الوراق، لندن 2006، ص21.

سري للغاية وثيقة رقم 561، مجلد رقم 5 تسلسل D، برلين، تاريخ 1937/6/5: " إن تشكيل دولة يهودية أو كيان سياسي يقوده اليهود تحت الانتداب البريطاني ليس من مصلحة ألمانيا " [1].

وتعلل الخارجية الألمانية ذلك بأن الكيان اليهودي المزمع إقامته لن يستوعب يهود العالم، بل سيخلق موقع قوة إضافيًا بموجب القانون الدولي ليهود العالم.

وبذلك فإن معارضة ألمانيا للمشروع الصهيوني اقتصرت على عدم تمكين اليهود، الذين تريد التخلص منهم، من إيجاد موقع قوة لهم. من هنا جاء اعتراض ألمانيا على اتفاقية هافارا التجارية مع المنظمات الصهيونية، والتي يتم بموجبها نقل رأسمال اليهود المهاجرين أو الذين ينوون الهجرة من ألمانيا إلى فلسطين. حيث تقر الوثيقة أن منقولات هافارا الاقتصادية يبلغ حدًا تصل فيه إلى استنزاف البضائع من دون بدل، إما بالقطع الأجنبي أو على شكل بضائع. وهذا يعني، سياسيًا، دعمًا كبير القيمة لتشكيل دولة قومية يهودية بمساعدة رأس المال الألماني [2].

وإلى جانب موقف ألمانيا من " الوطن اليهودي " تعطي الوثائق الألمانية صورة عن المواقف الأوروبية من هذا المواضع إبان الإعلان عنه. فتحت عنوان " الموقف الألماني من تأسيس دولة يهويدة في فلسطين " ومما ورد في الوثيقة رقم 564 المؤرخة في 1937/6/22 يُقرأ انتقاد للجنة بيل، فترى أنه كان من الواجب أن تحقق في الشكاوى العربية

(1) **المصدر نفسه**، ص 23.
(2) **المصدر نفسه**، ص 25 - 29.

واليهودية في فلسطين، وأن تجد حلاً للنزاع العربي – اليهودي، وتقرير اللجنة لم ينشر بعد، لكن أصبح من المعروف، من تعليقات الصحافة، أن التقرير يدرس فكرة تقسيم فلسطين إلى منطقة عربية وأخرى يهودية.

والصحافة اليهودية – وكذلك في ألمانيا – تدافع بتعاطف عن إنشاء دولة يهودية، أو على الأقل – كيان سياسي بإدارة يهودية تحت الإنتداب البريطاني، والتي بصددها تقوم الدعاية من أجل أكبر توسيع ممكن للأراضي اليهودية.

وفي إشارة لموقف الرأي العام الإيطالي، الذي وصفته الوثيقة بالسلبي، رغم وضوحه، لاحظت الوثيقة أن الصحافة الإيطالية توجه الانتباه الانتقادي إلى المسألة اليهودية حتى في إيطاليا. وأن الموقف الإيطالي تجاه فكرة دولية يهودية في فلسطين يتقرر بالفعل – بالعداء للسامية إلى حد أقل من الخوف أن تطوّر إنكلترا تشكيل دولة يهودية في فلسطين إلى خطة لسياستها المتوسطية.

ورأت الوثيقة أن السياسة الفرنسية المتوسطية، في المدى المنظور، في حينه، لا تتأثر إلى الدرجة نفسها بتأسيس دولة يهودية في فلسطين كما يتأثر مجال المصلحة الإيطالية.

وترى الوثيقة أن هذه الأحداث المشار إليها، أدت إلى إعادة النظر في الموقف الألماني فيما يتعلق بمشكلة تأسيس الدولة اليهودية في فلسطين. حتى الآن، تقول الوثيقة، كان الهدف المبدئي للسياسة اليهودية لألمانيا تشجيع الهجرة اليهودية من ألمانيا، الذي تمليه متطلبات السياسة الداخلية،

يروّج في الواقع لدمج اليهود في فلسطين؛ وبذلك يسرّع تطوير دولة يهودية في فلسطين، ما من شأنه أن يظهر أن ألمانيا تؤسس لدولة يهودية في فلسطين.

لكن إبقاء اليهود متفرقين، في الواقع، كان ذو أهمية أكبر بالنسبة لألمانيا. لأنه عندما لا يعود أي فرد من العنصر اليهودي مستقرًا على الأراضي الألمانية، فإن القضية اليهودية تبقى من دون حل بالنسبة لألمانيا. لكن تطورات السنوات الأخير أظهرت أن اليهودية الدولية ستبقى بالضرورة عدوًا أيديولوجيًا، وبالتالي سياسيًا، لألمانيا الإشتراكية القومية. وعليه فإن القضية اليهودية، تشكل، في الوقت نفسه، واحدة من أهم المشكلات في سياسية ألمانيا الخارجية.. لذلك هناك أيضًا اهتمام ألماني كبير في التطورات الجارية في فلسطين، لأن الدولة الفلسطينية لن تستوعب يهود العالم بل – إلى حد مشابه لمجال نشاط الفاتيكان – سيتوفر لها موقع قوة إضافي بموجب القانون الدولي ما قد يكون له نتائج فاجعة على السياسة الخارجية الألمانية.

وتبيّن الوثيقة أن السفير الألماني في لندن، أخبر الحكومة البريطانية أن ألمانيا فعلاً قد شجعت هجرة اليهود إلى فلسطين إلى أكبر حد ممكن حتى الآن. ومع ذلك، كان من الخطأ الزعم أن ألمانيا ستؤيد تأسيس كيان سياسي في فلسطين تحت قيادة يهودية إلى حد ما. وفي الهياج المضاد لألمانيا من قبل اليهودية الدولية، لم تستطع ألمانيا الزعم أن تشكيل دولة

يهودية في فلسطين قد يشجع التطور السلمي للأمم [1].

وفي قراءة أولية يتبين أن ألمانيا عارضت مشروع قيام دولـة يهوديـة في فلسطين من منطلق مصالحها الخاصة. وبذلك اتسم موقفها بالإرتباك، فهي تريد التخلص من الوجود اليهودي فيها، إلا أنها خشيت من قيام دولة يهودية مـن شـأنها تقويـة نفوذ اليهود. والملاحظ أن ألمانيـا لـم تفرق بـين اليهودية والصهيونية من خلال نعتها للصهيونية بـ " اليهوديـة الدوليـة "، إلا أن المعارضـة الألمانية لقيام دولة يهودية في فلسطين، لـم تتطـور إلـى درجة التحالف مع الفلسطينيين لمواجهة هذا المشروع، بسبب التخفف مع معارضــة الفرنسـيين والبريطـانيين الـذين يبسـطون نفـوذهم علــى العـالم العربي، كما يتضح من خلال وثائق أخرى بعثت بها السفارة الألمانية في بـاريس إلـى حكومتهـا فـي بـرلين، مـا انعكس تخوفًـا وعدم اطمئنـان إلـى وعود ألمانيـا السرية لزعمـاء المشرق العربـي، وخصوصًـا فـي العـراق، بشـأن قيـام إمبراطوريـة عربيـة شـمالية تحت سيطرة العـراق. مـا يكشـف تنافسًـا بـين كـل مـن ألمانيـا، وبريطـانيـا علـى المنطقـة، ففـي حين حـاولـت بريطانيـا إقنـاع زعمـاء الحجـاز بأنهـا تؤيـد قيـام دولـة عربيـة فـي الجـزء الآسيوي من العالم العربي، أخذت ألمانيا بإيهام زعماء العراق أنهـا تؤيد مساعيهم لإقامة إمبراطورية عربية في منطقة الهلال الخصيب.

ومـن الوثـائق الأمريكيـة، تقريـر لجنـة الخبـراء الأمـريكيين، حـول تصـريح بلفـور وإقامـة دولـة يهوديـة فـي فلسـطين، المقـدم إلـى الـرئيس الأمريكي ويلسون في 1919/1/12، والذي جاء فيـه: " من الصـحيح أن

(1) **المصدر نفسه،** ص 30 - 35.

فلسطين يجب أن تصبح دولة يهودية فيما لو جعلها اليهود كذلك، ومتى أتيحت لهم الفرصة الكاملة... بيد أن اليهود في الوقت الحاضر، لا يكادون يؤلفون سدس مجموع السكان البالغ 700 ألف في فلسطين... وباختصار فإن فلسطين أبعد ما تكون بلدًا يهوديًا الآن. إلا أنه يمكن الاعتماد على بريطانيا، كدولة منتدبة، لكي تمنح اليهود ذلك المركز الممتاز (المميز) الذي يجب حصولهم عليه " [1].

ويقتطف كليفورد رايت من الوثائق الأميركية: أدلى مندوب الفلبين لدى الأمم المتحدة بخصوص قرار التقسيم بما يلي: " إن القضية هي إذا ما كان يجب على الأمم المتحدة أن تقبل بتحمل مسؤولية تنفيذ السياسة التي تتعارض بشكل واضح مع التطلعات الوطنية لشعب فلسطين، وإن حكومة الفلبين ترى أن للأمم المتحدة الحق في رفض تحمل مثل هذه المسؤولية ". وبعد يومين تم استدعاء المندوب الفلبيني وإقالته من منصبه. وكانت مكالمة هاتفية واحدة من واشنطن العاصمة مع الرئيس الفلبيني روكساس كفيلة بتغيير الموقف الفلبيني إزاء فلسطين بمقدار 360 درجة، وقد ساعد الصهيوني سول بلوم، عضو الكونغرس الأمريكي ورئيس لجنة الشؤون الخارجية، في ممارسة الضغط على المندوب الفلبيني [2].

(1) محمود عزمي، أصول قرار إنشاء دولة إسرائيل التاريخ الذي نسيه البعض، **صامد الاقتصادي**، (عمان)، العدد 125، صيف 2001، دار الكرمل، ص 174 - 175، عن **الموسوعة الفلسطينية**، القسم العام، المجلد الأول، ص 315 - 316.

(2) كليفورد رايت، حقائق وأباطيل في الصراع العربي الإسرائيلي، ط1، ترجمة عبد الله عريقات وعبد الله عيّاد، دار الناصر، عمان، 1992 ص112.

ومن ملفات وكالة الإستخبارات الأمريكية وثيقة بقلم رئيسـها كيرمـت روزفلـت جـاء فيهـا: " سـيطر الصـهاينة علـى زمـام المعركـة، وحشـدوا مجموعـة مـن الأمـريكيين المتنفـذين واختـاروا أهـدافهم بعنايـة ومارسـوا نفوذهم إلى أقصى درجة ممكنة، فتم تحديد ست دول أعربت عن رغبتهـا في التصويت ضـد الخطـة كأهداف مختـارة. انهالـت علـى منـدوبي الـدول السـت وعلـى حكومـاتهم رسـائل وبرقيـات، وجهـت مـن قبـل أعضـاء فـي الكونغرس الأمريكي ومـن آخـرين كـانوا يسـتغلون هيبـة ونفـوذ الحكومـة الأمريكية " [1].

وكتـب الصـحافي فـي شـيكاغو ديلـي تريبيـون درو بيرسـون: " إن الرئيس ترومان يضغط بشدة على وزارة الخارجية كما لم يفعل مـن قبـل من أجل ضمان التصويت لصالح قرار تقسم فلسطين [2].

ويعزو رايت موقف ترومـان إلـى قناعـة الثـاني بـأن الدولـة اليهوديـة سوف تخدم المصالح الأمريكيـة فـي المنطقـة. ويضـيف رايـت: " لـم تكـن القـوى الغربيـة هـي الوحيـدة التـي أيـدت الصـهاينة ودعمـتهم، فالاتحـاد السـوفييتي اتخـذ نفـس الموقـف، بـل إن دعمـه لـم يقتصـر علـى الـدعم السياسـي، فقـد جـاءت أهـم وأكبـر مسـاهمات الاتحـاد السـوفييتي فـي قيـام الدولة اليهودية على شكل تزويد هذه الدولة بشحنات من الأسلحة الثقيلة " [3]. ما قلب الميزان العسكري ضد العرب في حرب 1948.

(1) **المصدر نفسه**، ص 113.
(2) **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها عن شيكاغو ديلي تريبيون، 1948/12/9.
(3) **المصدر نفسه** والصفحة نسفها.

ومن الوثائق التركية: أثناء زيارات هرتزل إلى القسطنطينية عام 1896، وبعد عدم تمكنه من مقابلة السلطان، نصحه عزت بك، الحصول على قطعة من الأرض، وإقامة مستعمرات يهودية فيها، ثم تقديمها لتركيا مع مبالغ إضافية مقبل فلسطين [1].

وفي الوثائق العربية: أن الحكومة الأردنية عرقلت وصول أول فوج من جيش الإنقاذ إلى فلسطين، ثم وافقت على مضض، شرط أن يتم ذلك بسريّة وتحت جنح الظلام، استجابة لطلب حليفتها بريطانيا [2].

وأيضًا: يقول عبد الله التل، الضابط في الجيش الأردني، في كتابه " كارثة فلسطين " : أبرقت إلى جلالة الملك عبد الله بما يلي:

" ع/ 25 تاريخ 1948/5/1:

منعني قائد المنطقة الإنكليزي من حماية القنصلية العراقية وتقديم النجدة والمساعدة لجنودنا، في تلك المنطقة، وهددني باستعمال مدافعه ضدنا إذا لم أسحب الجنود والمدرعات وأخلي المنطقة. أسترحم من جلالتكم التدخل للسماح لنا بالدفاع عن النفس، وإذا سقط القطمون سقطت القدس بأيدي اليهود ".

ولما وصلت برقيتي لعمان جرى اتصال ما بين الملك والمندوب السامي في القدس، ولم أعلم ما جرى بينهما إلا أن الأمر قد ورد إليّ من

---

(1) أسمهان شريح، دور تركيا العثمانية في المشروع الإستيطاني في فلسطين، **صامد الاقتصادي**، عمان، العدد 113، صيف 1998، عن: محمد حسنين هيكل، **الاتصالات السرية بين العرب وإسرائيل**، الكتاب الأول ط5، دار الشروق، بيروت 1996، ص 23 - 56.

(2) **المصدر نفسه** ص21.

عمان لتنفيذ أوامر قائد المنطقة الإنكليزي باعتبار أن جميع وحدات الجيش العربي في فلسطين، إنما وجدت هناك بأمر من الإنكليز وتحت إشرافهم التام (1).

يستدل من هذه الوثيقة أن ثمة جهات إقليمية ساهمت في النكبة الفلسطينية، بسبب ارتباطها ببريطانيا التي كانت أهم الأطراف التي هيأت وساهمت في النكبة.

نتائج:

1- تعود فكرة إنشاء دولة يهودية في فلسطين إلى بداية نشوء استعمار في أوروبا.

2- لم يكن مشروع إقامة دولة يهودية في فلسطين حرصًا على اليهود، أو عطفًا عليهم، بل للتخلص من المشكلة اليهودية.

3- أدى انشغال الغرب بحل المشكلة اليهودية إلى الوصول لحل استعماري لهذه المشكلة.

4- حذت القوى الإستعمارية حذو الحركة الصهيونية في تجاهل الشعب الفلسطيني.

5- أدى تجاهل وجود الشعب الفلسطيني إلى استبعادهم من المشاركة في تقرير مصيرهم مما يخطط لهم ولبلدهم.

6- عملت الحركة الصهيونية بدأب واستخدمت كافة الوسائل الممكنة

(1) عبد الله التل، مذكرات، كارثة فلسطين، ط1، دار القلم، القاهرة، 1959، ص 10 - 11.

لتحقيق مشروعها.

7- استجاب الغرب الإستعماري لمطلب الصهيونية بسبب التقاء المصالح المشتركة وتقاطعها.

8- تبدو ألمانيا الإستثناء الوحيد في الحذر والتخوف والممانعة من إقامة دولة يهودية، إلا أن تلك الممانعة لم تصل إلى درجة عرقلة ومقاومة المشروع الصهيوني.

9- ساهمت بعض القوى الإقليمية في نكبة فلسطين.

10- دخلت أمريكا على خط دعم المشروع الصهيوني، منذ البدايات، فساهمت في نكبة فلسطين.

11- ساهمت المنظمات الدولية في نكبة فلسطين، منتهكة بذلك مواثيقها التي أقرتها وادعت فيها أنها تعمل على إحلال السلم العالمي ومنح الشعوب حرياتها واستقلالها.

وفي الخلاصة: فإن القوى العظمى، خططت ومهدت لنكبة فلسطين، وقد سخّرت عصبة الأمم والأمم المتحدة لتنفيذ مخططاتها، وهو أمر يمكن ملاحظته من خلال وثائقها العديدة، التي بات جزء كبير منها متوفرًا. ما يهيء للجهات المعنية أوراق قوة إشهارها في وجه المتسببين في النكبة، وبالتالي استخدامها لاسترداد حقوق الفلسطينيين في وطنهم وإزالة الظلم الذي وقع عليهم عن سابق تصميم وإصرار.

* * *

الباب الرابع

تداعيات النكبة

الفصل الحادي والعشرون:
الأبعاد الجغرافية والديموغرافية للنكبة

رشا حسني

أسهمت الطبيعة الجغرافية لفلسطين في جعلها مطمعًا للغزاة، على مر التاريخ، إما طمعًا في أرضها، أو رغبةً في استخدامها ممرًا لغزو بلادٍ عربية أخرى.

أولا:الطبيعة الجغرافية لأرض فلسطين

على الرغم من صغر مساحة فلسطين، التي لا تتجاوز سبعةً وعشرين ألفًا من الكيلو مترات المربعة، فإنها ظلت منذ أقدم العصور، تتمتع بمكانةٍ خاصةٍ، نظرًا لأهميتها، من الناحيتين الدينية والسياسية [1].

تأتي أهمية فلسطين الجغرافية، والاستراتيجية، مرتكزةً على موقعها من منطقة المشرق العربي، إذ تكون فلسطين الطرف الغربي للهلال الخصيب، الذي يحيط ببادية الشام على شكل نصف دائرة، ويتطابق في حده الغربي مع قناة السويس، ذلك الشريان الحيوي الذي يربط بين القارات الثلاث، أوروبا وآسيا وإفريقيا [2].

جمع موقع فلسطين بين خصائص الموقع القاري، وخصائص الموقع البحري، كما أن وقوع فلسطين عند ملتقى قارتي آسيا وإفريقيا، جعلها

---

(1) يوسف مجلي، **فلسطين والمظهرالجغرافي لمشكلتها**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.، ص1.

(2) هيثم الكيلاني، **الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية - الإسرائيلية 1948 - 1988**، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991، ص53.

تشارك مصر في أهمية موقعها، كمحورِ حركةٍ رئيسي، وحلقة اتصالٍ بين القارتين، لذا يمكن اعتبار تاريخ فلسطين اختزالاً مثاليًا لتاريخ الوطن العربي بأسره، إضافةً لكونها ميدانًا للحروب، التي استهدفت استعمار الدول العربية في شتى العصور [1].

على الرغم من صغر مساحة أرض فلسطين وبساطة تكوينها فإنها تضم أربع وحدات تتميز كل واحدة منها عن الأخرى، من حيث نظام سطحها، ومناخها، ونباتها. تشمل الوحدات الأربعة، السهل الساحلي، والغور، والهضاب الغربية، والهضاب الشرقية، التي تتكون منها المملكة الأردنية[2].

يبلغ طول السهل الساحلي من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب 120 ميلاً، أما عرضه فيتراوح بين بضعة أمتار عند حيفا إلى20 ميلاً، في طرفه الجنوبي، ويمتد السهل من رأس الناقورة شمالاً، حتى الحدود المصرية جنوبًا، تقسمه جبال الكرمل، الممتدة من حيفا قسمين غير متساويين، أحدهما شمالي والآخر جنوبي، يضيق السهل في الشمال، ويزداد اتساعًا بصورةٍ تدريجيةٍ، كلما تقدمنا صوب الجنوب. تعتبر أرض السهل الساحلي إحدى المناطق الخصبة النادرة في فلسطين، لذا كانت مطمعًا للصهاينة [3].

---

(1) أحمد صدقي الدجاني (مشرفًا)، **الفلسطينيون في الوطن العربي**، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1978، ص14.

(2) مجلي، **مصدر سبق ذكره**، ص8 - 9.

(3) **المصدر نفسه**، ص9 - 12.

أما منطقة الغور (وادي الأردن)، فهـي عبـارة عـن هبـوط فـي قشـرة الأرض بين انكاسرين متـوازيين، بحيـث بقيـت حافتـا الأخـدود مـرتفعتين، أكثر أجزاء هذا الوادي انخفاضًـا تتمثـل فـي البحـر الميـت، الـذي يـنخفض سطحه عن مستوى سطح البحـر بنحـو 392مترًا، أمـا وادي عربـة فهـو نموذج نـادر للصـحاري الداخليـة الحوضية، أهم ما يميـز وادي الأردن أنـه حدد فلسطين منذ بداية تعميرها من جهة الشرق كمـا أنـه لـم يمثـل حـاجزًا طبيعيًا، أمام الهجرات القادمة من شبه الجزيرة العربية [1].

تتنوع طبيعة الأرض في الهضبة الغربية، وتختلف تربتها عن السهل الساحلي، فهي مقسمة إلـى هضـبيات، تفصـلها بعضـها عـن بعـض وديـان عميقـة، وهـي فـي مجملهـا تبـدو متموجـة علـى شـكل تـلال. كـذلك حـال الهضبة الشرقية، التـي تتشـابه فـي كثيـر مـن سماتها مـع الهضـبة الغربيـة وإن كانت أكثـر ارتفاعًـا نتيجـةً لكثـرة الطفـح البركـاني، الـذي تجمـع فـوق سطحها، مما ساعد على تكثيف السحب فوقها، وأدى إلى تفتيت الصـخور الجيرية وزيادة خصوبة التربة [2].

و بـذلك يمكـن القـول بـأن أرض فلسـطين تتـألف مـن أربعـة أنمـاطٍ أرضية رئيسية، هي على التوالي، من الغـرب: السـهول السـاحلية الممتـدة من الشمال إلى الجنوب، وهي أخصـب أراضـي فلسطين. أما فـي الوسـط، فتوجد المرتفعات، وتتألف من كتل جبلية، تبدأ من الشمال بجبـال الجليـل، يليها سهل مرج بن عامر، الذي يعد ممرًا استراتيجيًا سهلاً، يربط السـهل

(1) الدجاني، **مصدر سبق ذكره**، ص17.
(2) مجلي، **مصدر سبق ذكره**، ص24 - 25.

الساحلي بغور الأردن، وإلى الجنوب منه تقع جبال نابلس، حيث مدينتي جنين ونابلس، ثم مرتفعات الخليل، حيث القدس والخليل. ولهذه المرتفعات أهمية استراتيجية، لكونها تتحكم بنطاق أراضي الغور، بشكلٍ كبير [1].

النمط الثالث للأراضي الفلسطينية يشمل أرض الغور، التي تمتد من سهل الحولة حتى نهاية البحر الميت، الذي ينخفض إلى 400 متر تحت سطح البحر [2].

يتمثل النمط الرابع في النطاق الصحراوي، الذي يشمل صحراء النقب، التي تشغل نصف مساحة فلسطين، وهي على شكل مثلث، قاعدته جنوب مرتفعات الخليل، ورأسه عند البحر الأحمر. تعد صحراء النقب ذات أهمية استراتيجية خاصة، لأنها حلقة الوصل بين شمال الجزيرة العربية وسيناء [3].

بتأمل الأقسام الحادة للأراضي الفلسطينية، التي تختلف كل منها، اختلافا جذريًا، عن غيرها، يمكن القول بعدم عدالة أي تجزئة لتلك الأرض، إذ يحرم ذلك فئة من الشعب من حقوقها في الاستفادة بمزايا بقية الأنماط الجغرافية.

---

(1) بسام محمد العبادي، **الهجرة اليهودية إلى فلسطين من 1880 - 1990**، عمان، دار البشير، 1990، ص13.
(2) **المصدر نفسه**، ص13.
(3) **المصدر نفسه**، ص 14.

إن محاولة تقسيم فلسطين، التي بدأت منذ نشأة الصـهيونية، تتعـارض مع الوضـع الجغرافـي للبلاد، لاعتمـاد وحـداتها بعضـها علـى بعض، كل الاعتماد، بل ولاعتمادها، أيضًا، على جاراتها لإمدادها بالميـاه، وتموينهـا بالحبوب، وإمدادها بالبترول [1].

إن المحـور الرأسـي الـذي يبـرز قيمـة فلسـطين، كموقـعٍ، بالدرجـة الأولى، قد لعب دورًا مهمًا في تـاريخ فلسطين. وجعل تاريخهـا جزءًا لا يتجزأ من تاريخ الـوطن العربـي، مشرقًا ومغربًـا. من ناحيـةٍ أخرى فـإن موقـــع فلســـطين، كممـــرٍ بالدرجـــة الأولـــى، جعلهـــا قبلـــةً للطـــامعين والمستعمرين، الأمر الـذي لم يـدع المجـال متسعًا أمـام سكانها الأصـليين كي ينعموا بالأمن، لذا لجأ السكان للاستقرار فوق الجبال، والتردد فحسب على السهل الساحلي، حسب الحاجة، في مواسم الزراعة، فقد كان السهل الساحلي والأودية الداخلية، على الرغم من اغرائهما بيئيًا، مسلكًا للجيوش والغزاة. وقد استغل العدو الصـهيوني تلك النقطـة، عند غزوه فلسطين، فعمد إلى احتلال السهل قبل التل والجبل [2].

ثانيا: حدود فلسطين ومشاريع التقسيم:

جــاءت حــدود فلســطين التـــي تـــم تحديـــدها، بدقـــة، وفقًـــا للاتفاقـــات والمعاهدات الدولية، نتيجةً للصراع بين القوى المختلفة لتحقيق مصـالحها، على حساب الشعب الفلسطيني، لذا فإنها تبـرز مظـاهر شـاذة لا تسير مـع الظواهر الطبيعية في كل الحلات، برغم تميز تلك الحدود بالتنوع، بحيث

(1) مجلي، **مصدر سبق ذكره**، ص29.
(2) الدجاني، **مصدر سبق ذكره**، ص21.

يعتبرها الباحثون متحفًا طبيعيًا، يشتمل على مختلف الصور للحد السياسي، فقطاعات منها تسير مع قمم جبلية عالية، وأخرى تسير مع خط تقسيم المياه بين نظم نهرية مختلفة الاتجاه والانحدار. كما تسير بعض قطاعات هذه الحدود في وسط أنهار، وفي وديان جافة، وأحيانًا كانت تسير وسط البحيرات العذبة، ثم غيرت مسارها إلى ضفافها. بعض أجزاءٍ منها تسير وسط البحار الملحية المغلقة، ومع البحار والخلجان الساحلية. وتسير حدودها الجنوبية الغربية وسط منطقة صحراوية، ومن ثم فهي هندسية منتظمة [1].

ارتبط تعيين الحدود الشمالية لفلسطين، بما انتهى إليه مؤتمر الصلح، الذي عقد في سان ريمو (أغسطس/ آب 1920)، بتوقيع معاهدة " سيفر "، التي نصت على الفصل بين فلسطين من جهة، وكل من سوريا والعراق، من جهةٍ أخرى. كما انتهى المؤتمر إلى وضع سورية وتشمل لبنان - تحت الانتداب الفرنسي، وفلسطين، وشرقي الأردن، تحت الانتداب البريطاني. وواضح أن عامل المياه كان دافعًا رئيسيًا وراء تعيين الحدود على اعتبار أن المياه من أهم موارد الصحراء، وقد جاء تعديل الحدود تحت تأثير الحركة الصهيونية في بريطانيا، بوصفها سلطة الانتداب في فلسطين، التي تتولى مسئولية تنفيذ " وعد بلفور " [2].

(1) محمد محمود إبراهيم الديب، **حدود فلسطين، دراسة تحليلية لوثائق الانتداب**، القاهرة، جامعة عين شمس، 1980، ص 148 - 149.
(2) الدجاني، **مصدر سبق ذكره**، 12.

كذلك الحال بالنسبة للحدود الشرقية لفلسطين، فقد ارتبط تحديده بموقف بريطانيا، بوصفها صاحبة سلطة الانتداب على فلسطين، التي كانت تشمل شرق الأردن، وفقًا لما قرره مجلس الحلفاء الأعلى في (سان ريمو)، في مساحاتٍ واسعةٍ من النقب، التي ينتمي أغلبها إلى المعروف باسم " صحاري الحماده "، وتتخلل هذه الهضاب مساحات سهلية واسعة، تنتشر فوقها رواسب من الأحجار، والحصى، والزلط، وتنتمي هذه السهول، إلى النوع المسمى " سهول الرق " [1].

تحكمت ستة معايير رئيسية في رسم الحدود السياسية لفلسطين، وهي: الاعتبار العسكري والاستراتيجي لحماية قناة السويس ومصر من تركيا والمحافظة على الأسرة الخديوية لصالح انجلترا. وكان ذلك العامل الأساسي وراء رسم الحد السياسي الجنوبي الغربي لفلسطين مع مصر، عام 1906 [2].

إلى ذلك كان الاعتبار الاقتصادي عاملاً حاسمًا في رسم حدود فلسطين الشمالية، والشمالية الشرقية، والشرقية، والجنوبية، بما يشمله ذلك الاعتبار من أراضٍ خصبة، وثرواتٍ معدنية، وشبكات النقل، والمواني [3].

لعبت الصهيونية، ممثلة في معتنقيها، وعملائها، وأدواتها، وعملائها، عاملاً أساسيًا، كذلك، في وضع حدود فلسطين، وفقًا لصك الانتداب.

(1) **المصدر نفسه**، ص14.
(2) الديب، **مصدر سبق ذكره**، ص150.
(3) **المصدر نفسه**، ص150 - 151.

أرسل الصهاينة البعثات، للقيام بدراسة فلسطين، ومواردها، ووضع حدودٍ لها، واتصلوا بالمسئولين على مستوى العالم، للتأثير عليهم بشتى الأساليب، لرسم حدود فلسطين، ومواردها، ووضع حدود فلسطين، بما يتماشى مع مصالحهم [1].

كان الاستيطان الاستعماري رابع العوامل التي وضعتها القوى المؤثرة في رسم حدود فلسطين، ضمن أولوياتها، فجاءت وفرة الرقعة الكافية لتوطين اليهود، وتوفير الموارد الاقتصادية والطبيعية لهم، بعد تفريغها من سكانها الأصليين بشتى الوسائل [2].

أما الصفقات والاعتبارات الإثنوغرافية فقد مثلت العاملين الخامس والسادس التي تحكمت في رسم حدود فلسطين. واتضحت آثارهما في التعديلات، التي أقرت عام 1920، على الحدود، دون سند واقعي أو تفسير طبيعي أو بشري. فقد بادلت انجلترا جنوب جبل الدروز (العرب) بقراه الجنوبية، التي كانت تحت سيطرتها، في شرق الأردن، والنصف الشرقي من بلدة بو كمال، نظير وادي اليرموك، والنصف الغربي لجبل سنجار. وقد كانت كمية البترول ونسبته، التي اتفقت عليه انجلترا على منحها لفرنسا، بمقتضى مؤتمر " سان ريمو "، عام 1920، عاملاً اساسيًا لتعديل الحد السياسي في الشمال الشرقي لصالح فلسطين، على حساب سوريا [3].

(1) **المصدر نفسه**، ص151.
(2) **المصدر نفسه**، ص151 - 152.
(3) **المصدر نفسه**، ص152.

فــي حــين تــردد بــين الحــين والآخــر الاعتبــارالإثنوغرافي (الــدين والتاريخ) كمعيار لرسم الحدود السياسية لفلسطين، فيما بين عامي 1920 - 1922، ومعـروف أن فلسـطين التاريخيـة تمتـد مـن دان إلـى بئـر سـبع فحسب، ولم تكن النقب جزءا منها، وبشكلٍ عام يصعب الاتفاق بشأن هذا الاعتبــار، الــذي قـد يخضــع لعمليـات تضـليل وتزييـف للاسـتيلاء علـى الارض [1].

تعددت مؤامرات ومشاريع التقسيم في محاولـة لفـرض حـدود جديدة على أرض الواقع، تقلص من مساحة الدولـة الفلسطينية، لصـالح الدولـة المزعومة، مع منحها مزايا الموقع، وخصـوبة التربـة، واعتـدال المنـاخ، وحرمان أهل البلاد الأصليين من تلك المميزات.

بـدأت مشـاريع التقسـيم بمشـروع لجنـة بيـل (1937)، الـذي أوصـى بتقسـيم فلسـطين إلــى ثلاثــة اقسـام. أولهـا عربــي، ويضـم شـرق الأردن، ويتكون من مملكة عربية ذات سيادة مرتبطة بمعاهدة مع بريطانيـا، علـى غـرار العـراق وسـوريا، وثانيهـا قسم يهـودي تقـوم فيـه دولـة ذات سيادة، مرتبطـة كذلك بمعاهدة مع بريطـانيا، وانتداب انجليزي، يمتد من منطقـة " يافا " إلى القدس. وقد رفض هذا المشروع من " اللجنـة العربيـة العليـا "، فأعقبه اقتراح صـهيوني للتقسيم، عـام 1938، طـالب بقيام دولـة فـي غربـي نهــر الأردن، ومنطقــة غــزة و بئــر الســبع، وتتقســيم القــدس بــين الدولــة الصـهيونية ومنطقة الانتـداب البريطـاني. قوبـل هذا الاقتـراح بـالرفض، لـيس من العرب فحسب، وإنما كذلك من " الصـهاينة الاصـلاحيين "، الـذين كـانوا

(1) **المصدر نفسه**، ص152 - 153.

يطمعون في أكثر من ذلك [1].

في عام 1946، وضعت اللجنة الأنجلو أمريكية مشروعًا جديدًا للتقسيم استهدف الحد من الانتداب لصالح الكيان الصهيوني. تلاه ثلاثة مشاريع، وضعتها لجنة الأمم المتحدة، في عامي 1947، و1948، آخرها مشروع التقسيم، الذي وضعه الوسيط الدولي، الكونت فولك برنادوت، الذي اعتبره الصهاينة في غير صالحهم، وسارعوا باغتيال برنادوت، ومرافقة الكولونيل الفرنسي سيرو [2].

جاء مشروع التقسيم، الذي أقرته الأمم المتحدة، في 29 نوفمبر/ تشرين الثاني 1947، بمنح العرب 112.3 كم2، ومنح اليهود 177كم2 في الوقت الذي كان فيه 94.33 كم2 من الأراضي الفلسطينية مملوكة للعرب، حتى عام 1948 [3].

بعد صدور قرار التقسيم، سعى الطرف الصهيوني لتحقيق أمرًا واقعيًا في فلسطين، بالضغط على العرب في جميع أرجاء فلسطين، فاندلعت الاشتباكات في كل مكان، وبعد انقضاء 12 يومًا على صدور قرار التقسيم قتل 79 صهيونيًا واستشهد 32 عربيًا، في إشارةٍ لعدم خضوع الجانب العربي وتسليمه بهذا القرار [4].

---

(1) خيرية قاسمية، **الصراع العربي - الإسرائيلي في خرائط**، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1979، ص 46، 54.

(2) إسماعيل شموط، **موجز تاريخ فلسطين المصور**، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الإعلام والتوجيه القومي، 1972، ص19.

(3) **المصدر نفسه**، ص20.

(4) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص70.



(الخريطة – 1) [1]

---

(1) خيريـة قاسـمية، **الصـراع العربـي - الإسـرائيلي فـي خـرائط**، القـاهرة، معهـد البحـوث والدراسات العربية، 1979، ص 69.

بتأمل الخريطة (1) الموضحة للدولتين العربية واليهودية، حسب اقتراح قرار التقسيم، مع تدويل القدس، يتبين اختيار الأراضي الساحلية السهلية المميزة، لتمنح للكيان الصهيوني، في حين اختص قرار الأمم المتحدة الفلسطينيين بالمناطق الجبلية الوعرة. وكما هو واضح فهناك تداخل بين أراضي الدولتين المقترحتين، وعزل للجزء الخاص بغزة وما حولها عن بقية الاراضي الفلسطينية. الأمر الذي يؤكد أهمية العوامل الجغرافية، كخلفية لاختيار الأراضي التي منحتها الأمم المتحدة للصهاينة، كي تساعدهم على اقامة دولة قوية آمنة. في حين تم اختيار أراضي وعرة، منعزلة عن بعضها، متقطعة الأوصال، لتقوم عليها دولة فلسطينية ضعيفة، تعتمد على العدو في كل مجالات الحياة، ولا تتحقق لها الوحدة العضوية، التي هي أهم شروط الدولة القوية.

من ناحية أخرى لا تقتصر خطورة المشروع الصهيوني على اغتصاب الأرض، وإنما تكمن الخطورة الحقيقية في مفهوم الحدود بالنسبة للكيان الإسرائيلي، فهو مفهوم متحرك، يتطور مع تطور هذا الكيان، ونموه، كما يرافقه تطور المجال الحيوي، الذي يعني الحيز والمناخ المنتظر أن يمتد إليه الكيان الصهيوني، في المراحل القادمة، لذا يحرص الكيان الإسرائيلي على بقاء مجاله الحيوي في حالة عجزٍ وشلل، كي لا ينشأ عنه إعاقة مستقبلية لتمرد الجسم الإسرائيلي، فإسرائيل تبادر إلى ما يسمى الضربات الاستباقية، لأي بوادر تخرج عن المنظور

الاستراتيجي الإسرائيلي [1].

ثالثًا: حرب1948:

بعد أن مهدت مشـاريع التقسيم، التـي اختتمـت بقـرار الأمـم المتحـدة بتقسيم فلسطين (نـوفمبر/ تشـرين الثـاني 1947) الطريـق أمـام الاحـتلال الصـهيونـي، واصـطنعت لـه شـرعية دوليـة. كـان مـن السـهل إتمـام الخطـة الأخيرة فـي مخطـط الغـزو الصـهيونـي وقيـام دولتـه بمحاربـة دول عربيـة لمـتكن قـد نالـت اسـتقلالها، بعـد، ولا تملـك الأسـلحة، والخطـة، والإلمـام بالطبيعة الجغرافية لمسرح الحرب.

اشتعلت المقاومة الفلسطينية، فور إعـلان قـرار التقسيم، وشـهد شـهر ديسمبر/ كانون الأول 1947 عدة معارك، نجح فيها المقـاومون فـي صـد هجمـات الصـهاينة علـى بيـت صـفافا والقـدس القديمـة، ولفتـا، والقطمـون، وباب الخليل. وفي يناير/ كانون الثاني 1948 تمكنت المقاومة الفلسطينية من محاصرة الحي اليهودي في القدس القديمـة، كمـا دارت عـدة معـارك، استهدفت تخفيـف ضـغط القـوى الصـهيونية باتجـاه المـدن الأخـرى، منهـا معركة جدين، قرب ترشيحا، في المنطقة الشمالية، ومعركة بيت سوريك. وفـي فبراير/ شباط تمكـن العـرب مـن نسـف شـارع هاسـوليل اليهـودي، ومهاجمـة حـي مونتيفيـوري، ونسـف شـارع بـن يهـودا بالقـدس، مـا حـدا باللجنة الخماسية لمجلس الأمن رفع تقريرها المؤكد على ضرورة تـأليف قـوة دوليـة، تتـولى فـرض التقسيم فـي فلسـطين، غيـر أن مجلـس الأمـن، والجمعية العامة رفضـا التوصـيات، كمـا رفضـت بريطانيـا السـماح للَّجنـة

(1) العبادي، **مصدر سبق ذكره**، ص159.

الخماسية بدخول فلسطين، إلا بعد انتهاء الانتداب [1].

وصلت المقاومة الفلسطينية إلى أوجها، في مارس/ آذار 1948، حيث تمكن العرب من السيطرة على رأس العين، ما بين القسطل وتل أبيب، كما نسفت المقاومة الفلسطينية دار " الوكالة اليهودية "، في شارع الملك جورج بالقدس، وهاجمت القوافل اليهودية التي تحمل المؤن إلى مستعمرات القدس. وفي إبريل/ نيسان 1948 شهدت المقاومة الفلسطينية تراجعًا شديدًا، نتيجة لاحتلال الصهاينة قرية القسطل، واستشهاد قائد " الجهاد المقدس " عبد القادر الحسيني، بعد تمكنه من استعادتها، وسرعان ما احتلها الصهاينة من جديد، بعد استشهاد الحسيني [2].

برغم الجهاد المستميت للمقاومة الفلسطينية، سقطت المدن العربية، الواحدة تلو الأخرى، بعدما منعت السلطات البريطانية وصول الاعدادات العسكرية للمجاهدين، ولم تسع لحماية أهل طبرية، وسمح، وبيسان، ويافا، وحيفا، وغيرها من المدن والقرى التي احتلها الصهاينة، بعد تسلمها من الإنجليز فور انسحابهم منها، قبيل 15 مايو/ آيار1948 [3].

شغلت المعارك التي نشبت للسيطرة على الطرق المؤدية للقدس، بال العرب، منذ صدور قرارالتقسيم، كانت المقاومة تستهدف الاحتفاظ بباب

---

(1) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص74، 76.

(2) **المصدر نفسه**، ص78.

(3) محمد عزة دروزة، **فلسطين وجهاد الفلسطينيين في معركة الحياة والموت ضد بريطانيا والصهيونية العالمية 1917 - 1948**، القاهرة، الهيئة العربية العليا لفلسطين، 1959،
ص94 - 95.

الواد، الممر التاريخي، الذي يربط سـهل فلسطين الغربـي بجبـال القدس، ويعتبر مفتاحًا لتلك المدينة، فـي الوقـت الـذي كـان فيـه االصـهاينة يسـعون للاستيلاء علـى هذا الممر، ومـا حولـه مـن قـرى وهضـاب، ليتمكنـوا مـن احتلال القدس، وتزويد حاميتهـا بـالمؤن والجنـود، بعدما تمكنـت المقاومـة من قطع طرق أريحا ورام الله والخليل. خرب العرب الطرق المؤدية إلى باب الواد، وأعطبوا أنابيب المياه، وتصدت مجموعات " الجهاد المقدس " للقوافل الصـهيونية المسلحة. ولكن فـي 15 مـايو/ آيـار 1948، وبانتهـاء الانتداب البريطاني، وإعلان قيام الكيان الصهيوني، تسلم الجيش الأردنـي المواقع التي كانت بحوزة المقاومة بين اللطـرون وبـاب الـواد، وبعد أقل من شهرين، في يوليو/ تموز 1948 تمكـن الصـهاينة، خـلال فتـرة الهدنـة الأولى، من حشد قواهم، ثم هاجموا الجيش الأردنـي فـي قطـاع اللطـرون [1].

بسقوط المدن الفلسطينية، الواحدة تلو الأخـرى، منـذ الأسبوع الثالـث مـن إبريـل/ نيسـان إلـى الأسـبوع الثـاني مـن مـايو/ آيـار، سـقطت جبهـة المنطقة الساحلية الغربية، وعظم جبهة الجليلين، الشرقي، والغربـي، ولـم يأت موعد انتهاء الانتداب البريطاني، حتى كانت الأراضـي التـي اختص بها قرار التقسيم اليهود في أيديهم، إضـافةً إلـى مـدن وقـرى أخـرى، مثـل يافا، وجزء كبير من الجليل الغربي، وجزء كبير من قرى القدس، واللـد، والرملة [2].

(1) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص80، 82.
(2) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص95 - 96.

برغم صعوبة الموقف، كان من الممكن تداركه بالتدخل العربي السليم القائم على خطة عسكرية منظمة. لكن ذلك لم يحدث، فقد كان إجمالي القوات العربية، التي حاربت الصهاينة لايزيد عن 15 ألفًا، وكانت قياداتها غير موحدة، فضلاً عن عدم الإلمام بالطبيعة الجغرافية للبلاد.

لم يكن الوقت قد فات، بعد، لتغيير مسار تلك الحرب، خاصة مع عقد الجمعية العمومية للأمم المتحدة دورة استثنائية، للنظر في القرار الذي اتخذه مجلس الأمن، بإعادة القضية إليه، لإعادة النظر فيها على ضوء التطورات، فقررت وقف لجنة التقسيم عن ممارسة مهمتها، وتعيين الكونت فولك برنادوت وسيطًا دوليًا، الذي سرعان ما اغتاله الصهاينة، بعدما أوصى بضم القدس والنقب للعرب. ولو حشدت القوات العربية قواتها لتلك الحرب لأمكن تغيير الوجه المظلم لتلك الحقبة التاريخية، لكن قلة عدد القوات، خاصة من مصر والعراق - التي لم تبلغ 4آلاف جندي - كانت من أهم أسباب الهزيمة، إضافةً للافتقاد للقيادة العامة المسيطرة على القوات، فضلاً عما بدا من دهشةٍ إزاء الحصون اليهودية، ومن جهل بجغرافية فلسطين، مع أن استقصاء تلك المعلومات من أهم البديهيات العسكرية وأيسرها تحقيقًا، لو تم التعامل مع الحرب بالجدية الكافية [1].

اقتصر ما حققته الجيوش العربية على انتصارات محدودة، فاجتازت القوات المصرية الحدود، في 15مايو/ آيار 1948، واستولت على ثلاث مستوطنات، وكانت على مسافة 20 كم جنوبي تل أبيب، كما وصل

(1) **المصدر نفسه**، ص 96 - 101.

الجيش الأردني القدس، في 17مايو/ آيار 1948، وتقدم الجيش السوري فـي الشـمال الشـرقي، ووصـل أحـد جسـور بنـات يعقـوب، واحتـل " مشمارهايردن ". وفي الشمال استولى الجيش اللبناني مع قوات " جيش الإنقاذ " على معسكر المالكية، وتابعت قوات " جيش الإنقاذ " طريقها، باتجاه الناصرة في الجليل، كما تحرك الجيش العراقي في منطقة جنين، وكان مسرح عمليات قوات الجهاد المقدس موزعًا في مناطق الجيش الأردني، والعراقي، والمصري. غير أن الصهاينة استغلوا الهدنة الأولى - التي دعا إليها مجلس الأمن الدولي - في مايو/ آيار 1948، والتي امتدت 4أسابيع، وبدأت من 11يونيو/ حزيران، حتى 7 يوليو/ تموز 1948، وحشدوا الأسلحة المتقدمة من طائرات، ومدفعية، وسيارات مصفحة، ليزدادوا توسعًا، ويتمكنوا من ضم غرب الجليل، واللد، والرملة، وجزءًا كبيرًا من وسط فلسطين [1].

لم تمض أربعة أيام على استئناف القتال، حتى تطور الموقف لغير صالح العرب، بانسحاب القوة الأردنية من حول اللد والرملة، والقوة العراقية من رأس العين، ومجدل الصادق، وبعض مناطق مرج بن عامر، سرعان ما احتلها الصهاينة، وتوجت هذه المفاجأة، بقصف القاهرة، ودمشق، وعمان. وتفرغت قوات الصهاينة لمحاصرة كتائب الجيش المصري، حتى كادت تهزمه، لذا تمت الموافقة على الهدنة الثانية، وبدأت فعليًا، في 18 يوليو/ تموز 1948. استمر الموقف المرير الذي اضطرت مصر على إثره - بعد انسحاب بقية القوات العربية - على

(1) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص 84، 86.

قبول المفاوضات المنفردة على الصهاينة، وتوقيع هدنة دائمة، في رودس، في فبراير/ شباط 1949، ثم تبعتها حكومات الأردن، فلبنان، وأخيرًا سوريا [1].

(1) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص 103.



شكل (٤١) الكيان الصهيوني يوسع حدوده ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩

الخريطة رقم – 2 [1]

---

(1) **المصدر نفسه**، ص 87.

توضح الخريطة رقم (2) المناطق التي تم احتلالها فيما بين 1948 و 1949.

وبذلك تُرك الفلسطينيون ليلقوا، وحدهم، مصيرهم المجهول، ما بين المذابح الإسرائيلية، التي يمكن وصفها بالإبادة العرقية، وبين مرارة التحول إلى لاجئين في شتى بقاع العالم.

رابعا: تغيير الخريطة الديموغرافية

ينص قرارمجلس الوزراء البريطاني، عام 1905، على الموافقة على تقرير كامبل بزمن رئيس وزراء بريطانيا، آنذاك، على " ضرورة العمل على فصل الجزء الافريقي في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوي، بإقامة حاجز بشري قوي وغريب، يحتل الجسر البري، الذي يربط آسيا بإفريقيا، بحيث يشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربةٍ من قناة السويس، قوة صديقة لبريطانيا، وعدوة لسكان المنطقة " [(1)].

لا يدع ذلك القرار مجالاً للشك بأن إسرائيل هي صنيعة الاستعمار، وذراعه الممتد نحو الوطن العربي كله لا فلسطين وحدها. ويشير ذلك القرار، كذلك، للمؤامرة الموضوعة، مسبقًا، وقبل " وعد بلفور "، في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر1917، بضرورة تغيير الطبيعة الديموغرافية لفلسطين، وإحلال اليهود محلهم بالقوة.

تمت الهجرة اليهودية إلى فلسطين على عدة مراحل، بدأت مبكرًا في سنة 1882، إثر إغتيال القيصر الروسي ألكساندر الثاني، وقرار الروس

(1) ناصر موسى زيد كيلاني، **إسرائيل دولة المهجرين**، عمان، مديرية المكتبات والوثائق الوطنية، 1985، ص8.

بطـرد اليهـود، لتـورط بعضـهم فـي عمليـة الاغتيـال. وبعـدها تأسسـت جمعيات " أحباء صهيون " في أوروبا الشرقية، وجذبت لعضـويتها شبابًا من يهود روسيا، ورومانيا، وبريطانيا، عملت هذه الجمعيات على تهجير 30 ألف يهودي إلى فلسطين عام 1882، إثر اغتيال القيصر الروسي الكساندر الثاني، وقرار الروس بطرد اليهود، لتورط بعضهم في عملية الاغتيال. وبعدها تأسست جمعيات " أحباء صهيون " في أوروبا الشرقية، وجذبت لعضويتها شبابًا من يهود روسيا ورومانيا وبريطانيا، عملت هذه الجمعيات على تهجير 30 ألف يهودي إلى فلسطين عام 1882، قبل أن يفرض الحاكم العثماني، في إبريل/ نيسان من العام نفسه حظرًا على دخول اليهود احتالوا على قرار الحاكم العثماني عن طريق الرشوة، وتسللوا إلى الأراضي الفلسطينية وأقاموا ثلاث مستعمرات يهودية تملكت 3200 دونمًا [1].

شملت المرحلة الأولى من مراحل الهجرة اليهودية ست موجات، امتدت من عام 1880 وحتى عام 1948، تميزت الموجة الخامسة منها بتركيزها على انتقاء المهاجرين، فكانوا شبابًا دون الثلاثين، أو أولادًا في الحادية عشرة، أصبح هؤلاء في عام 1948 قادرين على حمل السلاح، ومنهم تكون جيش الدفاع الإسرائيلي. كما اتسمت تلك الموجة بتدافع اليهود من العراق، وسوريا، ولبنان إلى فلسطين، خوفًا من الخطر الألماني. أما في فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، فقد زادت نسبة المهاجرين اليهود، ليصلوا إلى 6أضعاف، ما قبل الانتداب. وبعد عام

(1) **المصدر نفسه**، ص13 - 14.

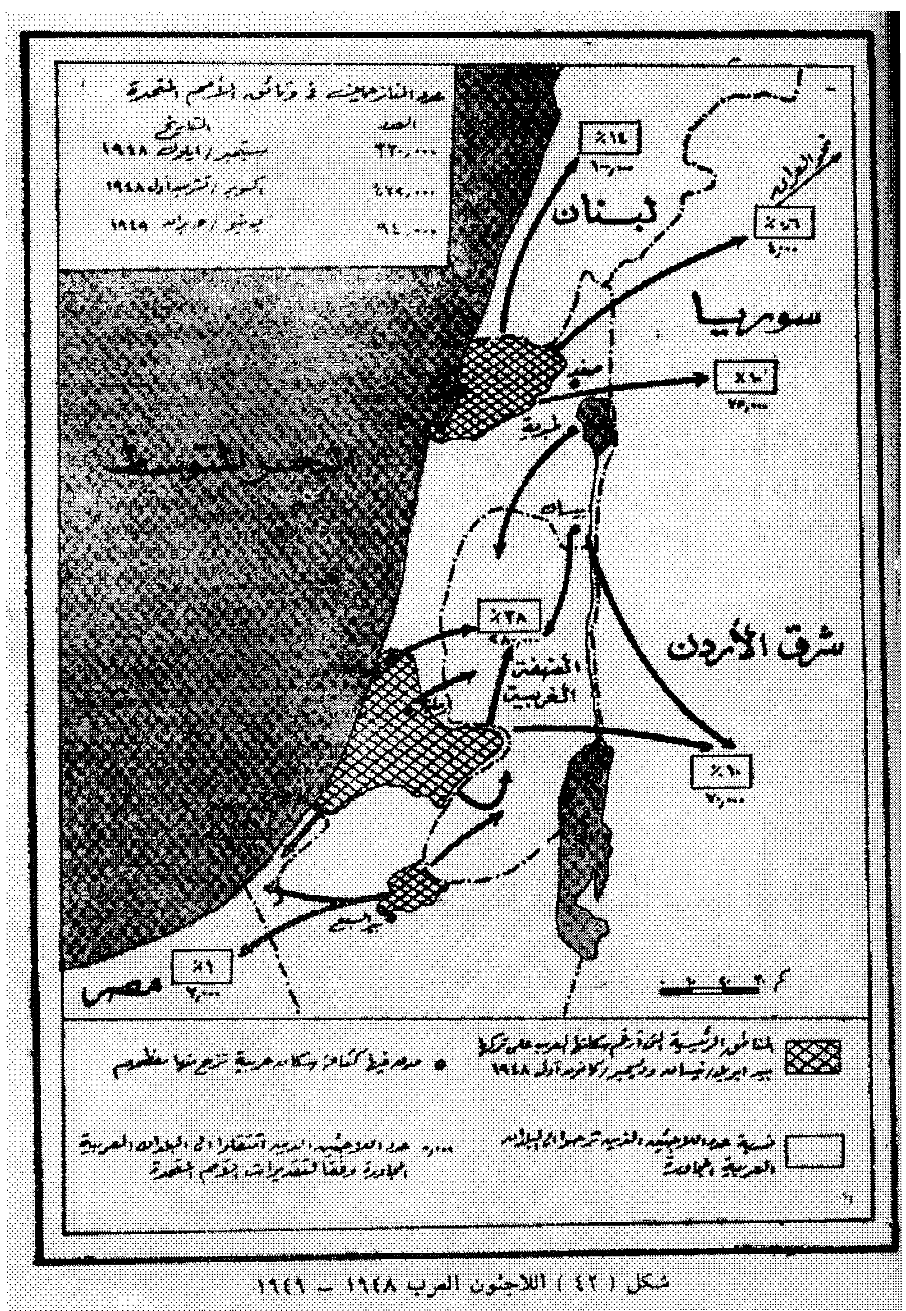
1939، اتخذت الهجرة اليهودية شكلاً مكثفًا، بحيث بلغ عدد المهاجرين، في الفترة من 1939 حتى وقوع النكبة، نحو15 ألفًا. أما مجموع الذين وصلوا، خلال عامٍ واحد من قيام إسرائيل، إلى أرض فلسطين، فقد بلغ 203 ألفًا [1].

في الوقت نفسه أخذ الكيان الصهيوني في اتباع سياسات الطرد والتهجير المنهجية، بشتى السبل والوسائل غير المشروعة، لتغيير الواقع الديموغرافي للبلاد، جاء نزوح عرب فلسطين نتيجةً لعمليات الطرد القسري في حيفا، واللد، والرملة، وطبرية، وبئر السبع، وغيرها من المدن والقرى، إضافةً لفقدان الأمن نتيجة لغياب الأجهزة اللازمة، بعد أن بدأت بريطانيا انسحابها، منذ مارس/ آذار 1948، تاركةً قوى رمزيةً مبعثرةً. ولم يتوان الكيان الصهيوني عن ممارسة الإرهاب، وارتكاب المذابح، وأبشعها مذبحة دير ياسين، في 9إبريل/ نيسان 1949، التي ذبح فيها نحو 700 نسمة، هم أهل تلك القرية، لم ينج منهم إلا عددًا محدودًا للغاية. استخدمت الدعاية الصهيونية هذه المجزرة لخدمة الحرب النفسية، وحث العرب على مغادرة ديارهم، خوفًا على حياتهم، وأعراضهم [2].

(1) **المصدر نفسه**، ص24 - 28.
(2) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص88.

تشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن عدد النازحين من أهل فلسطين، الذين أجبروا على مغادرة وطنهم، حتى ديسمبر/ كانون الأول 1948، بلغ 725 ألف نسمة، أما من بقي من أهل فلسطين داخل الأراضي المحتلة، فتقدر الإحصاءات الإسرائيلية عددهم فيما بين 120إلى 130 ألفًا، وهناك مصادر أخرى تقدر هذا العدد بحوالي 900 ألف نسمة [1].

(1) الدجاني، **مصدر سبق ذكره**، ص19.



شكل (٤٢) اللاجئون العرب ١٩٤٨ – ١٩٤٩

(الخريطة رقم 3) [1]

(1) **المصدر نفسه**، ص89.

توضح الخريطة رقم (3) عدد النـازحين حتـى1949 والأمـاكن التـي نزحوا اليها.

بعـد انتهـاء معـارك 1948، ووقـوع النكبـة، أصـبحت أرض فلسطين مقسمة إلـى ثلاثـة أجـزاء، بلغـت مسـاحة الأول 20.77كـم2، أقيمـت عليـه دولـة إسـرائيل. الجـزء الثـاني بلغـت مسـاحته 5.878 كـم2 ويمثـل الضـفة الغربيـة، وضـم إلـى إمـارة شـرقي الأردن، وشـكل معهـا " المملكـة الأردنيـة الهاشـمية ". الجـزء الثالـث، البـالغ مسـاحته 326 كـم2، ويمثـل " قطـاع غـزة "، وضـع تحـت الإدارة المصـرية [(1)].

إثـر ذلـك تشـتت الفلسـطينيون فـي دولٍ مختلفـة، وانقسـموا إلىعـدة أقسـام، فهنـاك عـرب الأرض المحتلـة، الـذين لـم يغـادروا الأراضـي التـي احتلتهـا إسـرائيل، وهنـاك اللاجئـون الفلسـطينيون، الـذين هـاجروا مـن أراضـيهم، للإفـلات مـن بطـش القـوات الصـهيونية وأقـاموا فـي الضـفة الغربيـة، وقطـاع غـزة، وفـي الأردن، وسـوريا، ولبنـان، ومصـر، والعـراق. يقـدر إجمـالي اللاجئـين فـي تلـك المنـاطق، فـي عـام 1949، بحـوالي 960 ألـف نسـمة، حسـب تقـدير وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين (الأونروا) [(2)].

أي أن الاحـتلال الصـهيوني لـم يكتـف بـاحتلال الأرض، وتغييـر ملامحهـا لضـمان تمـام الاسـتيلاء عليهـا، وإنمـا عمـد لاسـتخدام شـتى

(1) **المصدر نفسه**، ص 88.
(2) **المصدر نفسه**، ص88، 91.

الطرق غير المشروعة، لتغيير الخريطة الديموغرافية لأهل فلسطين. واستخدم المحتل الصهيوني المعطيات الجغرافية للسيطرة على البلاد، والاستيلاء على ثرواتها، كما عمد إلى الطرد القسري، واستخدام الوحشية لاحلال اليهود والصهاينة من شتى بقاع الأرض محل أهل فلسطين في أذهان الأجيال القادمة إلى أن يتم التحرير.

* * *

الفصل الثاني والعشرون:
ثورتي مصر والعراق

منى محروس

منذ بدأت الهجرات اليهودية إلـى أرض فلسطين، كـان لـدى الشـعوب العربيـة موقـفٌ معـادٍ لتلـك الهجـرات، كمـا دعـم الشـعب العربـي الثـورة الوطنية الفلسطينية (1936 - 1939).

وكان للشعبين المصري والعراقـي، دوران بـارزان، فـي مسـاندة تلـك الثـورة، وطـالبـت الجمـاهير العربيـة الأنظمـة الحـاكمـة بالتـدخل السـريع، لإنقاذ الشعب الفلسطيني، لما يعانيه جراء الاحتلال، من اغتصاب وسلب لأراضيه، وعندما رضخت الحكومات العربيه لمطالب شعوبها، أرسلت جيوشها إلى فلسطين، دون تنظيمٍ، أو تسليحٍ كافٍ لخوض معركـةٍ حقيقيـةٍ ضد جيشٍ مستعدٍ لخوض معركة.

عندما تقدمت الجيوش بطلب العون من أنظمتها، أرسلت إليها أسلحةً غير صـالحةٍ لخوض حـربٍ متكافئةٍ، لكن الجيوش العربيـة استمرت فـي مقاومتها، ونجحت في معارك عدة ضد العصـابات الصـهيونية المسلحة، وإن كانت الحرب حسمت، في النهاية، لصالح العدو الصـهيوني، بهزيمـة الجيـوش العربيـة، مـا كـان لـه أبلـغ الأثـر فـي نفـوس تلـك الجيـوش، بعـد خروجها من فلسطين، دون تحقيق الهدف الحقيقي، الذي ذهبوا من أجلـه، وعـادت الجيـوش إلـى أوطانهـا، وهـي مشـحونة ضـد أنظمتهـا، وضـد

الاحتلال، في آنٍ معًا، فماذا كانت ردة فعل هذه الجيوش عامةً، وجيشي مصر والعراق خاصةً؟ هذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل.

الاستعداد للمعركة:

كان ملوك ورؤساء الدول العربية قد اجتمعوا، في عمان، في 29 إبريل/ نيسان 1948، وأوصوا بتعيين الملك عبد الله بن آلحسن، قائدًا للجيوش العربية، وأن يتولى اللواء الركن نور الدين محمود، من العراق، منصب القائد التنفيذي، ويكون تابعًا للجنة السياسية لجامعة الدول العربية، مباشرة، وكان ذلك قبل بدء العمليات الحربية بخمسة أيامٍ فقط، وكان مجلس الوزراء العراقي قد اجتمع، يوم 1948/5/9، بحضور السيد جمال مردم، رئيس الحكومة السورية، السيد رياض الصلح، رئيس الحكومة اللبنانية، وفي هذا الاجتماع تم تأييد قرار جامعة الدول العربية، كما عقد اجتماع آخر، في اليوم التالي، في دمشق، في غياب ممثل كلٍ من حكومتي مصر والسعودية، وطلب وضع خطة عسكرية، بناءً على طلب الساسة، الذين حضروا الاجتماع، وتم وضع خطة نهائية للعمليات المقبلة في فلسطين، مع تحديد مهام كل من الجيوش العربية، بالفعل، وتحدد دور كل من مصر والسعودية، رغم عدم حضورهما ذلك الاجتماع.

كان دور مصر حسب الخطة الموضوعة:

1 - التقدم من حدود مصر في رفح إلى الشمال نحو تل أبيب، وتصفية ما يقابل الجيش المصري من مستعمرات.

2 - أن تقوم البحرية المصرية بمراقبة السواحل الفلسطينية،

ومحاصرتها.

3 - أن تقوم القوة الجوية المصرية بمساندة الجيش، عند تقدمه.

أما دور الجيش العراقي فكان حسب الخطة، التقدم من إربد إلى جسر المجامع، على نهر الأردن، وكيشر وكوكب الهوى، ومنها إلى بيسان، ثم العفولة، فالناصرة.

ما حدث، لاحقًا، أكد غياب تنظيم عسكري عربي، قبل بدء الحرب، فإسناد مهام إلى قوات غير موجودة، بشكل فعلي، عند الاستعداد، كمصر والسعودية، يؤكد الاستخفاف العربى تجاه تلك الحرب. والدور المصري قد حدد دون وجود مندوب أو ممثل للجيش المصري[1].

في الوقت المحدد لدخول الجيوش العربية فلسطين، كانت هناك أوضاع سيئة تسود الدول العربية عمومًا، وجيوشها بشكل خاص، ولم يضع حكام العرب الخطر الصهيونى في إعتبارهم، وكانت مصالحهم الشخصية فوق كل شئ، بما في ذلك فلسطين، وظل الحكام العرب يعقدون إجتماعاتهم، دون محاولة مد يد العون الفعلي للمجاهدين العرب في فلسطين، وحرص أولئك الحكام على إرضاء السياسة البريطانية، ومسايرتها، وأضاعوا الوقت هباءً، وكان كل يومٍ يمر يزداد اليهود في فلسطين قوة، فيما يزداد العرب ضعفًا، ولم تتحرك الجيوش العربية إلى فلسطين إلا بعد خروج الإنجليز، وتسليم فلسطين لليهود، كما أن الجيوش

(1) لواء أ. ح. د/ إبراهيم شكيب، **حرب فلسطين 1948، رؤية مصرية**، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، 1986، صـ158- 159.

العربية التي دخلت أرض فلسطين 1948. كانت تفتقر للعتاد، والسلاح، والقيادة الكفوئة، وكانت الخيانة واضحة من قبل الملوك والحكام العرب، رغم تلك الظروف تحركت الجيوش العربية، ومن ضمنها الجيش المصري، دون سلاح، فالسلاح فاسد، قديم، متآكل، والقيادة غير أمينة، وخطوط التموين غير سليمة أو متماسكة. وعلى العكس من ذلك كان العدو على أتم الاستعداد، من عدة وعتاد، وأثناء الحرب تقدم المجاهدون المصريون بعزيمة وثبات، وهم يتذكرون أهم قادتهم الذين أستشهدوا، وعلى رأسهم البطل أحمد عبد العزيز(1).

منذ بدء الاحتلال البريطانى لمصر عام 1882، وحتى حرب فلسطين 1948، قد مر الجيش المصري بأحقاب تاريخية ثلاث، الأولى من بدء الاحتلال البريطانى وحتى معاهدة 1936، والثانية من 1936، وحتى إعلان الحكومة المصرية عدم اشتراك مصر في الحرب العالمية الثانية، تجنبًا لويلاتها، في عام 1940، والثالثة من عام1940وحتى انتهاء حرب فلسطين عام 1949، ومن ثم حتى قيام ثورة يوليو 1952.

في الحقبة الأولى، كان ضباط الجيش الإنجليزي يسيطرون على الجيش المصري، بشكلٍ كاملٍ، حيث كانوا يشغلون كل المراكز القيادية للجيش المصري، بما في ذلك القيادة العامة للجيش، ولم يكن وزير الحربية المصري يملك حق التدخل في أيٍ من شئون الجيش، وحرصت القيادة الإنجليزية أن يكون الجيش

(1) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، **ثورة شعب**، القاهرة، دار النهضة العربية، 1965 صـ133: 150.

المصـــري مجـــرد جـــيش احتفـــالات، ولكـــن الضـــباط المصـــريون اشـتهروا، فـي تلـك الحقبـة، بالحفـاظ علـى كـرامتهم، ووطنيـتهم، الأمـر الـذي عرضــهم للمحاكمــات العســكرية، أحيانًــا، والفصــل مــن خدمــة الجيش، أحيانًا أخرى(1).

بدأت الحقبـة الثانيـة، بعد توقيـع معاهدة 1936، وحتـى عـام 1940، واتسم ضـباط الجـيش، أنـذاك، بالطـابع الـوطني، وانسـحب الموظفـون البريطانيون من الجيش كما عادت القوات المصرية إلى السودان، بعد أن كانت انسحبت منه، عام 1924، ووصلت بعثة عسكرية بريطانية، تولت إعادة تنظيم الجيش المصري، وتسليحه، وتدريبه. كما عين اللواء محمود شـكري باشـا قائـدًا للجـيش، بعـد سـفنكس باشــا، وارتفـع عـدد الجـيش المصري، في ديسمبر/ كانون الأول عام 1939، بعد قيام الحرب العالمية الثانيـة، إلـى 1421ضـابطًا، 34.855 مـن الرتـب الأخـرى. وكـان هنـاك نقـصٌ طفيـف فـي ميزانيـة ذلـك العـام، والتـي بلغـت 1444 ضــابطًا، و 36.840 صفًا وجنديًا.

أما الحقبة الثالثة، والتي تطور خلالها الجيش المصـري، فبدأت عـام 1940، وأعلنت مصر عدم المشاركة في الحـرب العالميـة الثانيـة، الأمـر الـذي جعـل البعثـة العسـكرية البريطانيـة تتـأخر فـي مهمتهـا، وتـم سـحب الضباط الإنـجليز أركـان الحـرب، وحـل محلهـم ضـباط وحـدات، ووسـمت سياسة الجيش المصـري بعدم الإتزان، فالقيود البريطـانية عليه من نـاحيـة، وعدم وجود سياسة تحكم الجيش من قبل الحكومـات، مـن نـاحيـة أخـرى،

(1) شكيب، **مصدر سبق ذكره**، صـ14.

الأمر الذي ولد استياءً من قبل عناصر الجيش من البريطانين والحكومة على حدٍ سواء[1].

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، عرض الإنجليز على الحكومة المصرية شراء أعداد كبيرة من دبابات شيرمان، ومعدات عسكرية أخرى، في الوقت الذي كانت إنجلترا مدانة لمصر بحوالي 400 مليون جنيه استرليني. ومع ذلك رفضت الحكومة المصرية هذا العرض، كما أهملت تعزيز الجيش، وتطويره، وعانى الجيش من النقص الشديد في السلاح والذخيرة، وكانت النتيجة دخول الجيش المصري، حرب فلسطين، وهو يعاني نقصًا واضحًا، في أسلحته، ومعداته، وذخيرته وتدريبه. " الأمر الذي ولد البغض والكراهيه من قبل ضباط الجيش، الذي لا يعنيه مصلحة قواته المسلحه، والتي ستخوض معركة عن أرض مقدسه كفلسطين. " وكانت رئاسة الجيش قد وضعت خطة، في 23 مارس/ آذار 1947، لزيادة عدد الجيش، وإعادة تنظيمه، وتسليحه، وذلك للوصول بتعداد الجيش إلى 6349 ضابطًا، و44250 من الرتب الأخرى، ولكن الجيش المصري دخل حرب فلسطين، ولم تطرأ عليه أي زيادة تذكر، اعتبارًا من ديسمبر/ كانون الأول عام 1947، وحتى مايو/ آيار 1948، مع إعلان التعبئة، وتشكيل وحدات احتياطية للطوارئ. ومع تطور الأحداث في فلسطين، زار وزير الدفاع المصري قوات الجيش في العريش، في 17 فبراير/ شباط 1948، واقترح دراسة احتمال استخدام القوة، أو جزء منها في التقدم شرقًا إلى فلسطين، وإعادة النظر في

(1) **المصدر نفسه**، صـ 142، 145.

وحدات العريش وبحث أوجه النقص في القوة، سواء في الأفراد، أو المعدات، وذلك لاستكمالها. كما بحث الوزير ما يمكن للجيش تقديمه من المعاونة في حدود طاقته، آنذاك. ورفع الوزير تقريرًا للموقف من إدارة العمليات الحربية، وأعد ذلك اللواء مصطفى مرسي لطفي باشا، مدير العمليات الحربية، في مارس/ آذار 1948، ولذلك اقترح رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة، في مذكراته، التي قدمها لوزير الدفاع ضرورة إعادة النظر في العروض التي قدمت من الشركات الأجنبية، وأهمها العرض المقدم من شركة زروفكابرتو، واتخاذ الخطوات العملية في سبيل تعزيز الجيش بالأسلحة الآلية الحديثة. وقد بعث اللواء لطفي بمذكرة إلى رئيس هيئة أركان الجيش بالنيابة، اللواء عثمان المهدي، في التاسع من مايو/ آيار 1948، طلب فيها سرعة استكمال القوات في العريش، من العربات، والمعدات الفنية، والأسلحة، والذخيرة. واتضح من ذلك أن الجيش المصري لم يكن مستكملاً لأسلحته، ومعداته، عشية قرار دخول فلسطين، في العاشر من مايو/ آيار 1948. وكان يعاني نقصًا واضحًا في ذخيرته، بالإضافة إلى القصور الواضح من جانب المخابرات في توفير المعلومات عن الأرض، والعدو، للقوات المنتظر دخولها فلسطين، الأمر الذي دفع بمدير عمليات الجيش إلى طلب قيام طائرات السلاح الجوي بالمساعدة في الحرب[1].

الجو الذي نشأ فيه الضباط المصريون:

(1) **المصدر نفسه**، صـ145: 158

كان الضباط المصريون الشبان يسعون فرادى ومجموعات، إلى بيت الفريق عزيز المصري في " المطرية "، فلطالما حدثهم عن مصر، وعن أنفسهم، باعتبارهم خلاص مصر مما هي فيه. وكان " المصري " يبث فيهم أفكاره، المليئة بالحرص على وجود جيل مصري قوي مثقف، يُعتمد عليه، وظل يحثهم على القراءة في جميع المجالات. وكان هؤلاء الضباط يتشوقون للقاء الذي يجمعهم مع عزيز المصري، للتعرف على أفكاره، وتلقي توجيهاته. في الوقت الذي أصبحت فيه الأحزاب السياسية تتعارك من أجل التقرب من الملك وبريطانيا، من أجل البقاء في السلطة، وتناسوا الهم الوطني، وازدادت الفجوة بين الجماهيرمن جهة والأحزاب وزعمائها، والنظام الحاكم من جهة أخرى، ومن هنا بدأت تظهر الأفكار الثورية والتقدمية، وتركت هذه الأحوال للشعب المصري عامة، والعسكريين خاصة خيبة أمل، فبدأت تظهر أفكار شابة متحررة " كمصر الفتاه " وظهر مصلحون من العسكريين أشاعوا الأمل في التغيير بأساليب جديده على الفكر السياسي المصري، وتجلى ذلك في " عزيز المصري "، الذي نقل كل ذلك إلى الضباط الشباب الذين كانوا مستمرين في اللجوء إليه، للتعلم منه، وكان حادث فلسطين هو الكاشف الحقيقي عن الأزمة التي تعيشها مصر، وكانت الحافز الذي دفع الضباط للتحرك الفعلي. وكان العمل السياسي في الجيش يمر بمظاهر مختلفة، من اتصال بقوى خارجية، إلى كتابة صحفية، إلى تهيج ثوري، إلى اتفاقات جنائية، بل إلى أعمال عنف، وانتهت إلى ثورة، كما أسهمت حرب فلسطين في تحرك مصر، لامتلاك جيش قوي. وانغمس ضباط الجيش في العمل السياسي،

بهدف التغيير، الذي يعيد لمصر وجهها الصحيح، وكانت المحصلة ثورة 23 يوليو، تموز 1952[1].

عن تاريخ هؤلاء الضباط الوطنيين، يقول عبد الناصر في " فلسفة الثوره " : إن طلائع الوعي العربي بدأت تتسلل إلى تفكيري، وأنا طالب في المدرسة الثانوية، أخرج مع زملائي في إضراب عام، في الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني من كل عام، احتجاجًا على وعد بلفور.... لم أكن أجد في نفسي سوى أصداء العاطفة، وثم بدأ نوع من الفهم يخالج تفكيري حول الموضوع، لما أصبحت طالبًا في الكلية الحربية، أدرس تاريخ فسطين، بصفة خاصةً.... ولما بدأت أزمة فلسطين، كنت مقتنعًا بأن القتال في فلسطين ليس قتالاً في أرض غريبة، وهو ليس انسياقًا وراء عاطفة، وإنما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس " [2]، يقول عبد الناصر: " أذكر يومًا، عقب صدور قرار تقسيم فلسطين في نوفمبر/ تشرين الثاني 1948، عقد فيه الضباط الأحرار اجتماعًا، واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة الفلسطينية، وذهبت، في اليوم التالي، أطرق باب الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين، وكان لا يزال يعيش في الزيتون، وأقول له إنكم في حاجة إلى ضباط، يقودون المعارك، ويدربون المتطوعين. في الجيش المصري عدد كبير من الضباط يريد ان يتطوع، وهم تحت أمرك، في أي وقت تشاء. وقال لي الحاج أمين الحسيني إنه

(1) عبد الوهاب بكر، **الجيش المصري وحرب فلسطين 1948 - 1952**، القاهرة، دار المعارف، 1982، صـ273: 278.

(2) اللجنة العربية لتخليد القائد جمال عبد الناصر، **فلسفة الثورة**، القاهرة، الجزء الثالث، صـ39: 56

سعيد بهذه الروح، ولكنه يرى أن يستأذن الحكومة المصرية، قبل أن يقول شيئًا. ورأى الحاج أمين الحسيني، آنذاك، أن يستأذن الحكومة المصرية ولكن طلبه قوبل بالرفض، وبعدها كانت مدفعية أحمد عبد العزيز تدك المستعمرات اليهودية، جنوبي القدس، وكان قائد المدفعية هو كمال الدين حسين، عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار، التي تحولت إلى مجلس قيادة الثورة، وكان حسن إبراهيم قد سافر إلى دمشق واتصل ببعض ضباط فوزي القاوقجي، الذي كان يقود " جيش الانقاذ " يستعد لمعركة فاصلة في المنطقة الشمالية من فلسطين [1].

وضع حسن إبراهيم وعبد اللطيف البغدادي خطة جزئية، للقيام بعمل حاسم في المعركة التي يستعد لها جيش الإنقاذ. وقرر إبراهيم والبغدادي أن يقوم سلاح الطيران المصري، وذلك لاستخدامه في المعركة، مساندًا لجيش الإنقاذ ولم تكن مصر قد دخلت حرب فلسطين، كان جو الرقابة في القوات المسلحة، بما فيها سلاح الطيران، حذرًا متيقظًا. بدأت في مطار سلاح الطيران حركة عجيبة، وبرز فيها نشاط واسع لإصلاح الطائرات، وإعدادها، وكانت هناك جهود واضحة في التدريب. وقليل من الضباط يعرف هذا السر، يعرفون أن الطائرات وقوادها قد أعدوا ليومٍ تجيء فيه إشارة سرية من سوريا، لينطلقوا بعدها إلى الجو حتى يشتركوا بكل قوتهم في معركة حاسمة على الأرض المقدسة، وبعدها يتوجهون إلى مطار قرب دمشق، وينزلون فيه، ويترقبون الأحوال في مصر، ويعرفون صدى الحركة التي أقدموا عليها، ويقررون بعدها كيف يتصرفون، يقول

(1) **المصدر نفسه**، صـ 43.

عبد الناصر: " وكان شعورنا في اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار أن هذه المخاطرة الجزئية، لم تكن حبًا في المغامرة، ولا رد فعل للعاطفة في نفوسنا، إنما كانت وعيًا ظاهرًا لإيماننا بأن رفح ليست آخر حدودنا، وأن نطاق سلامتنا يوجب علينا أن ندافع عن حدود إخواننا الذين شاءت لنا أحكام القدر أن نعيش معهم في منطقة واحدة، ولم تتم الخطة، لأننا لم نتلق إشارة من سوريا، وقضت الظروف بعدها أن تدخل الجيوش العربية كلها الحرب في فلسطين ". يردف عبد الناصر " يعنيني من حرب فلسطين شيء عجيب، لقد دخلتها شعوب العرب بنفس المرارة والخيبة، قد تعرضت لنفس العوامل وحكمتها نفس القوى التي ساقتها إلى الهزيمة. ومن هنا نجد أن الضباط الأحرار كانوا منظمون بشكل كبير، قبل دخول تلك الحرب، وساهمت تلك الحرب في تشكيل وعيهم، بشكل كبير، حيث بدأ هؤلاء الضباط يربطون مصير الأمة العربية بأكملها ببعضا " [(1)].

يمكننا القول أن الحماس كان شديدًا، في بداية عام 1948 لدى كافة الشعوب العربية للجهاد على أرض فلسطين، وكان ضباط الجيوش العربية وخصوصًا الشباب منهم أكثر اندفاعًا للتطوع في سائر جبهات القتال: ففي سوريا قدم عدد كبير من الضباط طلبات الالتحاق عن طريق قيادتهم وقدم قسم منهم استقالته من الجيش، إلى أن قبلت رئاسة الأركان السورية إقرار 46 ضابطًا منهم مع عدد كبير من ضباط الصف والجنود، وزعم كبار ضباط العراق الفكرة، وانضم الكثير من الضباط الشباب المحالين على التقاعد، إلا أنهم اشتركوا، قبلاً، في ثورة " رشيد

(1) **المصدر نفسه**، صـ 44، 45.

عالي الكيلاني "، وكان أوائل المتطوعين المصريين المقدم أحمد عبد العزيز، والنقباء " حسين فهمي عبد المجيد (مدفعي)، معروف الحصر، كمال الدين حسين (مدفعي)، حمدى واصف، عبد المنعم عبد الرؤوف، محمود عبده، عبد الجواد طبالة، والملازمون زغلول الشلبي، عمر النبيلي، كمال حسك، ومدلول عباس، والنقيب مشيل عيسى (من أصل فلسطيني)، والملازمون الأوائل: محمد الحنيطي، كمال سعدون، علي كمال الدين، والملازمان: عبد العزيز حمدي، حاسم عماره [1]. في اليوم الأول من يناير/ كانون الثاني 1948، تجمعت ثمانية أفواج، ومن بينهما فوج اليرموك، قائده الرئيس مدلول عباس (عراقي)، فوج القادسية: قائده المقدم مهدي صالح العني (عراقي)، فوج حطين: قائده المقدم عادل نجم الدين(عراقي) [2].

أزمة السلاح العربي :

لم يكن التسلح، ولا استيراد السلاح ولا صنعه محليًا، مشكلة من بين المشاكل التي شغلت بال مسئولي الدول العربية، في السنوات الأولى من حياة تلك الدول، دوليًا، بعد انفصالها عن الحكم العثماني، ذلك أن خضوعها لحكم الاستعمار الأوروبي، بشكلٍ أو بآخر، في الفتره التي مرت بين 1918: 1948 وبعدها، أبعدها عن العناية بمسألة التسليح، وانشغلت أكثر بمسألة الاستقلال. وبالرغم من اعلانات الاستقلال في ما

(1) محمد فائز القصري، **حرب فلسطين عام 1948، الجزء الثاني، مرحلة النضال والجهاد**، دمشق، المطبعة العمومية، 1962، صـ 247: 249.

(2) عارف العارف، **النكبة، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، 1947: 1952**، بيروت، المطبعة العصرية، و. ت.، صـ 38: 41.

بين 1930، 1948، في مصر والعراق وبعض الدول العربيـة الأخـرى، فإن مصائرهذه البلدان ظلت مربوطـة بالرغبـة الأجنبيـة فـي أمور حياتيـة أساسية، يتوقف عليها مصير الأمة بشكل عام. كانت الجيوش العربية من المؤسسات، التي لم يرض الاستعمار أن تصبح أداة حرة قوية بين القوى التي أخذت تحاول سد الفراغ العسكري، على إبقاء الجيش تحت السلطان الأجنبي بشكل غير واضح. وهكذا كانت الجيوش العربيه في 1948، عام بدأ مرحلة حاسمة في تاريخ الصراع العربي الصـهيوني، وكانـت جيوش سبع دول عربية مستقلة، جيوشًـا غير مستقلة، بـالمعنى الصـحيح للكلمـة. فجيش مصر والعراق على سبيل المثال قد عقدا معاهدتين مع بريطانيـا، وكان هناك تحكمًـا بريطانيًـا علـى قوى البلدين العسكرية، وبشكل شـامل ومرهق. ولكن الفقر وضآلة العدد جعل حالهمـا أتعس من حـال الجيـوش العربية الأخرى.

فـي العقـد الأربعين مـن هـذا القـرن كانـت هنـاك محـاولات للضـباط العرب، في كل جيش عربـي، لتطـوير مؤسسـتهم، وترقيتهـا، لتلعب دورًا رئيسيًا فـي معركـة الـدفاع عن الـوطن، بشـكل عـام، وفـي معركـة إنقـاذ فلسطين، بشكل خاص، فكان هناك إلحاح من قبل الضباط على حكوماتهم للحصول على السلاح، فطلب ضباط الجيش العراقـي وشرق الأردن من حكوماتهم ضرورة استيراد سـلاح جديد وفعـال، ولكنهم فشلوا فـي إقنـاع حكومـاتهم، للسيطرة البريطانيـة علـى تلـك الحكومـات. كمـا ألـح ضـباط الجيش المصري على الملك فاروق بطلب المزيد من السـلاح، وأعطـاهم الملـك سـلاحًا فاسـدًا، غيـر صـالح للاسـتخدام، وكـان ذلـك حـال الجيـوش

العربية على العموم، الأمر الذي جعل ضباط تلك الجيوش تفكر، أولاً، في التخلص من تلك الحكومات، حينما تعود إلى أوطانها [1].

كانت الحرب الفلسطينية، بالنسبة لعدد كبير من الضباط، وخاصة " الضباط الأحرار "، تجربة من نوع مرير، فتسليح الجيش لم يكن كافيًا، ولم تكن هناك قيادة بالمعنى المتعارف عليه، وأصبحت قضية الأسلحة مشكلة رئيسية تدق أبواب القصر بالإدانة، وضغط الملك، آنذاك، على الحكومة، والنيابة العامة، حتى أمرت بحفظ التحقيق بالنسبة لرجال الحاشية. وكانت تلك الحادثة من أهم أسباب اتساع الفجوه بين الملك وضباط الجيش، فانكشف الوجه الحقيقي للملك وحاشيته، أمام ضباط الجيش، مما ترك أثرًا بالغًا لدى الأخرين، ورغبة في الانتقام من الملك، ونضج هذا النظام أمام الشعب المصري. وبدأ الضباط يضعون أمامهم أهدافًا رئيسية، وخطوات فعلية، من أجل ذلك، للثوره ضد هذا النظام الفاسد، كما سبب الحصار داخل الفالوجه لدى الضباط المصريين شعورًا بالحقد الدفين ضد النظام الذي جر الجيش إلى تلك الحرب [2].

عن حصار القوات المصرية في الفالوجة، يقول عبد الناصر في " فلسفة الثورة " إن الظروف السياسية المحيطة بالعاصمه، التي نتلقى منها الأوامر تحيطها بحصار، وتلحق بها عجزًا آكثر من الذي تصنعه بنا نحن القابعين في منطقة الفالوجة... وكنت مؤمنًا أن الذي يحدث لفلسطين كان

(1) أنيس صايغ، **ميزان القوى العسكرية بين الدول الغربية وإسرائيل**، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، 1967، صـ 9: 12.
(2) شكيب، **مصدر سبق ذكره**، صـ 434: 453.

يمكن أن يحدث وما زال احتمال حدوثـه قائمًـا لأي بلـد فـي هذه المنطقـة، مادام مستسلمًا للعوامل والعناصر والقوى التـي تحكمـه الآن، ولمـا انتهـى الحصار وانتهت المعارك في فلسطين، وعدت إلى الوطن، كانت المنطقه كلها في تصوري قد أصبحت كلاً واحدًا... كان الحادث يقع فـي القـاهرة، فيقع مثيلاً له في دمشق غدًا، وفي بيروت، وفـي عمـان، وبغـداد، وغيرهـا ". ما يؤكد تأثير الحـرب والحصـار فـي الضـباط، بشكلٍ كبير، فالحصـار وحد تلك الجيوش العربية دون أن تدري، وعـادت الجيـوش، ولـديها عـدو واحد، وهو أي عدو يعتدي على أي بلد من بلدان المنطقة [1].

حرب فلسطين والضباط المصريين :

إذا كانت حرب فلسطين قد بدأت فـي 15 مـايو/ آيـار 1948، بتفـوق عددي إسرائيلي، يقابله تفوق عربي في قوة النيران، فإن الإسرائيليون قد بدأو عملياتهم، في 15 اكتوبر/ تشرين الأول 1948، وهم محققين تفوقًـا في العدد، والعتاد على الجيـوش العربيـة مجتمعـة[2]. يـذكر فـاتيكوتس فـي كتابـه " الجـيش المصـري فـي السياسـة " أن الأحـد عشـر ضـابطًا الـذين جمعتهم اللجنة التأسيسية لجماعـة الضـباط الأحـرار، أواخـر عـام 1949، دخل منهم الكليه الحربية 1936، ثمانية، والباقي دخلوها بعدهم، يتصـور أن تنظـيم الضـباط الاحـرار ظهـر ككيـان تنظيمـي فـي 1949، ولـم يكـن الأمر قبل ذلك سوى مجرد إرتباطات وعلاقات شخصية، بدأت في الكلية الحربية، بين عامي 1936، 1939 ونمت، وتحددت، بين عـامي 1945،

(1) فلسفة الثورة، **مصدر سبق ذكره**، صـ 46، 47.
(2) شكيب، **مصدر سبق ذكره**، صـ 342.

1948، وتطورت أكثر، أثناء حرب فلسطين ولم يكن هناك التحام فكري بينهم، يعتمد على الخطط المنظمة، والعمل الثوري، بل تطورت افكارهم من خلال الأحداث التي مرت بها البلاد الفتره من 1948: 1951. ثم جاءت حرب فلسطين لتبعث في شباب " الضباط الأحرار "، وقبل إعلان الحكومة دخولها الحرب في 15 مايو/ آيار قررت جماعة الضباط مساندة المقاومة الفلسطينية بالعرض الذي قدمة عبد الناصر للحاج أمين الحسيني، كما أشرنا من قبل، وقدم عبد الناصر استقالته، آنذاك، من الجيش للإنضمام إلى حركة الكفاح هناك، ولكن استقالتة رفضت، وإن استطاع جمال الدين حسين أن يستقيل، وتطوع في فلسطين. كانت تجربة فلسطين صدمةً بالنسبة للجيش والشعب ولحركة الضباط الأحرار. وكان الشعب المصري يرى أن الجيش مؤسسة عسكرية تقف بجوار الملك، ويسيطر عليها هو والاحتلال، وكان دخول الجيش حرب فلسطين أول نشاط لهذه المؤسسة، في القرن العشرين، واحتضنت الجماهير كافة العمليات العسكرية، بآمالها، ونمى لديها الشعور بانتماء الجيش وضباطه المقاتلين لها، " ومن هنا بدأت ثقة الشعب في الجيش، الأمر الذي جعلهم يساندون الثورة التي قام بها هؤلاء الضباط، في يوليو/ تموز1952، وكانت حرب فلسطين السبب في ذلك "، وما حدث في فلسطين كان واحدًامن عوامل التقارب بين الجيش والجماهير. وأدرك الضباط، آنذاك، أن العدو لم تكن إسرائيل، وحدها، ولكنه الاحتلال البريطاني، والرجعية المحلية في مصر، مجتمعين. وفي الفترة من 1949، ومع العودة من فلسطين، وضع أساس التنظيم كله، واختير اسم " الضباط الأحرار "،

ورسم أهدافه، ونظمه، وتمثل ذلك في:

1- القضاء على الإستعمار وأعوانه.

2- إنشاء جيش وطني قوي.

3- إيجاد حكم نيابي سليم.

في الفترة من 1950: 1951 أصدر " الضباط الأحرار " العديد من المنشورات، التي تؤكد أن الجيش جيش الأمة، وليس ملك فرد من الأفراد (الملك)، كما ذكر فوشية في كتابه " المنشور الأول " في نوفمبر/ تشرين الثاني 1949، صدر مكتوبًا بخط اليد، وفيه نداء للمصريين بتحرير الوطن، وبدأ درس فلسطين المرير، يعطي ثماره، مع المطالبة بإعادة تنظيم الجيش وتدريبه، ومع دعوة الحكام، للكف عن تبديد خيرات البلاد في البذخ والترف[1].

يقول عبد الناصر: " ذهبت أتجول في المواقع، وأتعرف على حقيقة الجو بين الضباط. وفي الحقيقة كنت أحاول أن أضم بعضهم إلى تنظيم الضباط الأحرار... وطريقتي، في ذلك الوقت، كانت ترتكز على عاملين، الأول: أن أعطي الثقة لكل من أقابلهم، والثاني: أن أقوي صلتي الشخصية بهم، إلى أبعد حد... إن الثقة والصداقة كفيلتان، عندما يحين الوقت المناسب، أن تتحول إلى شيء أعمق، وأنا أنظر حولي الآن، فأجد وجوهًا كثيرة في تنظيم الضباط الأحرار، التقيت بها، لأول مرة، في

(1) طارق البشري، **الحركة السياسية في مصر 1945: 1952**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، صـ 457، 471.

الخنادق في فلسطين ". ومن هنا نجد أن حرب فلسطين كانت فرصة حقيقية لدى " الضباط الأحرار " المصريين في ضم عدد آخر من الضباط الوطنيين إلى تنظيمهم، ممن شاركوا في الحرب[1].

كما رأى الضباط المصريين، وعلى رأسهم عبد الناصر، بأنهم وسط شعب لا يختلف كثيرًا عن الشعب المصري، بل أن تاريخهم وحياتهم تتصل، عضويًا، بتاريخ الشعب المصري وحياتة، وكان العدو لا يقتصر عداءه على الشعب الفلسطيني، وحده، وإنما يمتد عداؤة بامتداد مطامعه، إلى تهديد ما حول فلسطين، شمالاً وجنوبًا. ورأى عبد الناصر نفسة في فلسطين، ومعه مقاتلين من ضباط وجنود معظمهم من الشعوب العربية، ضباط وجنود من فلسطين، والأردن، والعرا ق، والسعودية، كلهم يقاتلون من أجل هدفٍ يقع خارج الحدود السياسية الضيقة لدولهم، ولكنه هدف يعنيهم جميعًا ويمسهم. وأدرك عبد الناصر بأن خطر هذا الاستعمار يهدد المنطقة العربية بأكملها، فكل البلدان العربية تتعرض للاحتلال، وكلها غير مستقلة، ورأى الضباط أن لديهم دورًا يجب أن يقوم به داخل أوطانهم[2].

عاد جنود الجيش المصري من فلسطين، سنه 1949، وأحس مقاتلون فيه بأنه لابد من عمل شيء، وأن الأمانه الملقاة على عاتقهم ضخمة وكبيرة، وتألفت جماعة " الضباط الأحرار "، وقرروا نشر دعوتهم داخل

(1) محمد حسنين هيكل، **يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين**، باريس، منشورات مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر، 1978، صـ 23: 39.
(2) **المصدر نفسه**، صـ 118، 119.

صـفوف الجيش، للعمـل علـى إنقـاذ الـبلاد ممـا تعانيـه مـن فسـاد. والتـزم هؤلاء الضباط بالحرص الشـديد علـى جمـاعتهم، وكتمـوا أمـرهم، واعـدوا نفسهم لأستقبال الموت في أي لحظة، واجتمعت هيئتهم، في يناير/ كـانون الثـاني 1950، لاختيـار رئـيس لهـم، ووقـع الاختيـار علـى جمـال عبـد الناصر، بالإجماع، وتكرر نفس الاختيار في ينـاير/ كـانون الثـاني1950، وينـاير/ كـانون الثـاني 1952، وانحصـر دور " الضـباط الأحـرار " فـي الدعوة لحركتهم، والتمهيد لها، وإعداد الرأي العام داخل صـفوف الجيش وخارجه للثورة.

بالرغم من عدم مشاركتة الجيش فـي العمـل الفدائي فـي القنـال، سـنة 1951، بسبب سوء ظروفه، بعد العودة من حرب فلسطين، فـإن الضـباط الأحـرار لـم ينسـوا واجـبهم، وقـاموا بتـدريب الفـدائيين علـى حـرب العصابات، وتزويدهم بالسـلاح والـذخيرة. " كانـت حـرب فلسطين درسًـا أدرك، بعده، الجيش عدم المشاركة في معركة غير مستعد لها، كما أدرك الضباط أن بريطانيا أرادت استدراج الجيش إلى معركة القنال، للنيـل مـن الجيش، والقضـاء عليـه، كمـا قضـت علـى جيش عرابـي (1882) وكمـا حدث في النقب، أثناء حرب فلسطين " [1].

ثم حدث صدام عنيف بين " الضباط الأحـرار " والملـك فـاروق، بعد خـوض الضـباط الأحـرار انتخابـات نـادي الضـباط، فـي ديسـمبر/ كـانون الأول 1951، الأمـر الـذي جعـل الملـك فـاروق يحـل مجلـس إدار النـادي مرة، ثم إعلانه، مرةً أخرى، عام 1952. في تلك الآونة ازدادت الأحوال

(1) عاشور، **مصدر سبق ذكره**، صـ 168، 169.

سوءًا بين الضباط والملك[1].

لم يضم الجيش المصري، طوال عصر الاحتلال وحتى ثورة يوليو 1952، إلا الفقراء، والطبقات المهملة من الشعب، وظل المثقفون ومتوسطو الحال بعيدين عن صفوف الجيش، الأمر الذي أدى إلى انخفاض مستوى الجيش، انخفاضًا مؤسفًا، وقبل ثورة يوليو، بلغ الجيش المصري درجة من الإهمال، وتدهورت الروح المعنوية، بشكلٍ كبير، جعل قيام ثورة يوليو أمر لا رجعة عنه، ويوم 23 يوليو/ تموز 1952، عرف العالم أن الجيش المصري قد ارتقى مستواه، واعترفت قوات الاستعمار بأن الجيش المصري أصبح أضخم قوة حربية ضاربة في الشرق الأوسط [2].

كانت حرب فلسطين العامل الرئيسي في قيام ثورة يوليو، على ما أوضح عبد الناصر في " فلسفة الثورة " بقوله: " كنا نحارب في فلسطين، ولكن أحلامنا كلها في مصر، كان رصاصنا يتجه إلى العدو الرابض أمامنا في خنادقه، ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا... وفي فلسطين كانت خلايا الضباط الأحرار تدرس، وتبحث، وتجتمع في الخنادق، والمراكز، وجلسنا في الحصار لا نعرف له نتيجة ولا نهاية. كان حديثنا الشاغل وطننا، الذي يتعين علينا محاولة إنقاذه. يقول عبد الناصر: " لم ألتق في فلسطين بالأصدقاء، الذين شاركوني في العمل من

(1) **المصدر نفسه**، صـ 169.
(2) **المصدر نفسه**، صـ 153.

أجل مصر، وإنما التقيت بالأفكار التي أنـارت أمـامي السبيل " [1]. كانـت حرب فلسطين، صفحة جديدة في تاريخ الجيش المصري، وتحـولاً هامًـا، وأهم عناصـره أن الجهود التـي بـذلت مـن أجـل إحيـاء الجـيش المصـري تميزت بأنها محاولة مصرية خالصة... وأن هذا الموقف كان يخدم تحقيق رغبة التيار الشعبي في امتلاك جيش حديث يفتخر به، وكانت تلك قضـية مرتبطة، بالدرجة الأولى، بما حدث فـي فلسطين، ومـن النتـائج المباشـرة لهذه الحرب، إدخـال تعديلات علـى المنهج الدراسـي للكليـة الحربيـة، بعد قيـام ثـورة يوليـو/ تمـوز ودروس مـواد جديـدة، مثـل الأرصــاد الجويـة، واقتصاديات الحرب، اللغة العبرية، كانت من المواد الجديدة التي تدرس، كما أدخل تدريس الإشارة [2]. لم تكن مصـر هـي البلـد الوحيد الـذي شـهد تحولاً جذريًا، بعد حرب فلسطين، كـان لهزيمـة 1948 أثـر كبيـر فـي كل أنحاء الوطن العربـي، وفـي بلـد بعـد آخـر أصـبحت الأنظمـة القديمـة لـيس لديها أى دور تقوم بـه، ففـي سـوريا أطـاح انقـلاب بنظـام الـرئيس شـكري القويتلي عام 1949، وازدهر التدخل العسكري، كنمط جديد فـي السياسـة العربيـة، كمـا تـم اغتيـال الملـك عبـد الله، ملـك الأردن، عـام 1952، كمـا دخلت مصر فترة من الاضطرابات السياسية، والتي انتهت بثورة الضباط الأحرار، في يوليو/ تموز 1952[3]. وأذاع السادات رئيس مصر الأسبق بيان الثورة قائلاً: " اجتازت مصر فترةً عصيبة فـي تاريخهـا الأخيـر مـن

(1) فلسفة الثورة، **مصدر سبق ذكره**، صـ 8: 14.
(2) بكر، **مصدر سبق ذكره**، صـ 165: 169.
(3) آفي شليم، آيوجين روجـان، وآخـرون، **حرب فلسطين**، ترجمـة ناصـر عفيفـي، القـاهرة، مؤسسة روز اليوسف، 2001، صـ 18.

الرشوة، والفساد، وعدم استقرارالحكم، وقد كان لكل هذه العوامل تأثيرًا على الجيش، تسبب المرتشون والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين، وأما فترة ما بعد هذه الحرب قد تضافرة فيها عوامل الفساد، وتآمر الخونه على الجيش وتولى أمرهم إما جاهل أو خائن أو فاسد، حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا داخل الجيش رجالاً نثق في قدرتهم، وخلقهم وفي وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستلقى هذا الخبر بالأبتهاج والترحيب " [1]. وأشار بيان الثورة إلى الهزيمة في فلسطين كعامل رئيسي في قيام ضباط الجيش بثورة يوليو/ تموز.

الجيش العراقي في فلسطين:

كان الجيش العراقي من الجيوش، التي شاركت في حرب فلسطين. ففي 7 يناير/ كانون الأول 1947، وافقت وزارة الداخلية العراقية على قيام جمعية ألفها عدد من أعيان الشعب العراقي في بغداد، تحديدًا، وأسموها " جمعية إنقاذ فلسطين "، وتم انتخاب عدد من الأسماء في الهيئة التنفيذية العليا للجمعية، ومنهم: - الفريق الركن حسين فوزي ابراهيم باشا (رئيسًا)، اللواء الركن إبراهيم باشا الراوي (نائبًا للرئيس) عبد الرحمن خضر (محاسبًا)، إبراهيم عطار باشا (أمينًا للصندوق)، محمود فهمي درويش (سكرتيرًا عامًا)، والعلامة الشيخ محمد النهاوي، الزعيم الركن توفيق حسين، العقيد طاهر محمد عارف، العقيد عبد القادر العزاوي، النائب جميل الأورفة لي، الدكتور اسماعيل ناجي، والشيخ

(1) إذاعة الفراعيين الألكترونية، **بيان الثورة**، إحتفالية 23 يوليو/ تموز2007، الساعة 6م.

فرحان العرس، جميل روحـي، نـور الـدين داوود، والشيخ محمد محمود الصـواف (أعضـاء). وقـد اسـتقال العضـوان الأخيـران، وحـل محلهمـا المحاميان عبد البـاقي السـعيدي، وابراهيم مصـطفي الأيوبي (أعضـاء).. وأول عمل قامت بـه الجمعيـة دعوتهـا الشـعب العراقـي للتطـوع من أجل القتـال فـي فلسـطين، ولبـى الـدعوة نحـو عشـرة آلاف شـخص، سـجلوا أسماءهم في سجل المتطوعين من أجل إنقاذ فلسطين، وكان من هؤلاء من سبق أن انخرطـوا فـي سـلك " الجنديـة أو الشـرطة "، جنـودًا وضـباطًا، وتألفـــت مـــن المتطـــوعين أفواجًـــا عديـــدة، باســـم " الحســـين "، و " القادسية "، وما إلى ذلك من الأسماء التاريخية. كما تكونت سرية من المغاوير (الكوماندوز)، قوامها ضباط متدربون على هذه الأعمال، وأقيم في بغداد معسكر لتدريب الجنود الأحداث، وكـان كلمـا تـدربت فرقـة مـن المتطوعين، سافروا إلى الشام، لتكون تحت رعاية اللجنة العسكرية. وفي 1948/1/7، غادرت بغداد أول وحدة من سرية المغاوير، ونزلت دمشق، بمرافقـة اثنـان مـن أعضـاء الجمعيـة، همـا عبـد الـرحمن ومحمـود فهمـي درويـش، لتنظـيم الاتصـال بـين الجمعيـة واللجنـة العسـكرية. وفـي 1948/1/15 سـافر إلـى الشـام " فـوج الحسـين بـن علـي "، وتبعـه، بعـد يومين، " فوج القادسية "، وأرسل إلـى الشـام، فـي الوقـت نفسـه، السـلاح، والعتـاد اللازمـين لهـذه الوحـدات، أو مـن هنـا نجـد أن أول مـن لبـى نـداء الدفاع عن فلسطين هم ضباط الجيش وجنوده، الذين تألفت منهم " جمعيـة إنقاذ فلسطين " [1]. ثم ألغيت الجمعية بمساع حكومية، وتألفت بعد ذلـك "

(1) العارف، **مصدر سبق ذكره**، صـ 49.

الجبهة المتحدة لإنقاذ فلسطين "، والأشخاص الذين تكونت منهم، وهم مخلصين لوطنهم، وينتمون لأحزاب، وعقليات مختلفة، بشكل لم يسمح لهم بالتعاون والعمل المشترك. نذكر منهم الرئيس جميل المدفعي، محمد الصدر (رئيس الأعيان)، ومصطفى العمري. وكان من بين أعضاء الجبهة " يهود "، وهذا ما أكده رئيس الجمعية، حسين فوزي باشا، كما جمعت الجبهة من الشعب العراقي ما يزيد عن مئتي ألف دينار، وخصصت هذا المبلغ لشراء الأسلحة من إيطاليا، بواسطة وزير الدفاع العراقي، شاكر الوادي، والذي عرف باتصالاته مع الإنجليز[1].

العراق ودعمة لقضية فلسطين:

كان العراق، قبل الحرب العالمية الثانية، مساندًا لقضية فلسطين، كما أيد الشعب العراقي الشعب الفلسطيني في ثورتة الوطنية (1936 - 1939) على الانتداب البريطاني، وضد الهجرة اليهودية الواسعة إلى فلسطين، وتطوع عدد من الشباب العراقي للجهاد في فلسطين، ومساندتها، ماديًا ومعنويًا، وبعد الحرب العالمية الثانية كانت جميع الأحزاب المجازة تتخذ من القضية الفلسطينية قضية قومية، ودعت إلى إنشاء دولة فلسطينية مستقلة موحدة.

بعد إعلان الحكومة العراقية الأحكام العرفية، في 1948/3/15 بسبب اندلاع حرب فلسطين، ساد العراق نوع من الإرهاب السياسي، وانكمشت على إثرها الحركة النقابية، واعتقل رؤساء نقابات العمال،

(1) **المصدر نفسه**، صـ 51، 52.

وعقدت اللجنـة السياسـية لجامعـة الـدول العربيـة، فـي 10 إبريـل/ نيسـان 1948، وبحثت الوضـع العربـي المتأزم في فلسطين، وأوضـح الحـاج أمين الحسيني أن موقـف المدافعين العـرب الفلسطنيين في منتـهى الخطـوره، كم أنتقد أعضـاء اللجنـة مـن العـراق والسـعودية لتـأخرهم فـي تقـديم الأسـلحة للمجاهدين الفلسطينيين، وتم مطالبة العراق بما يلـي:

1- إرسال لواء من الجيش العراقي، ليرابط على حدود فلسطين من ناحيـة شـرق الأردن، لمراقبـة الوضـع، وتقويـة معنويـات المـدافعين عـن فلسطين.

2- إرسال الأسلحة الثقيلة للمجاهدين الفلسطنيين.

إلـى ذلـك انتقـد الشـعب العراقـي حكومتـه لعـدم إسـراعها فـي إرسـال الجـيش لفلسـطين، للقتـال بجانـب المجاهـدين ضـد العصـابات الصـهيونية الاستيطـانية، وخرجـت، آنـذاك، المظـاهرات وأضـرب طـلاب المـدارس، إلى أن وصـل هؤلاء إلى مجلس الـوزراء، فـألقى رئـيس الـوزراء، محمـد الصـدر، كلمـة وعـد فيهـا المتظـاهرين بتنفيـذ مطـالبهم، وتضـمن خطابـه إرسـال الجـيش العراقــي إلــى فلسـطين، وإرسـاء نظـام " الفتـوة " فـي المـدارس، وتـدريب الطـلاب والطالبـات، تـدريبًا عسـكريًا، وأن تعلـن الحكومة موقفها المبدأي من قضـية فلسطين[1]. بـدأ العـراق إرسـال قواتـه إلـى فلسـطين، تنفيـذًا لقـرار الجامعـة العربيـة، وافتقـرت الاسـتعدادات العسكرية المطلوبة من الجبهة العراقية إلى الاستعداد على خير وجـه، إذ

(1) صدام حسين، **العراق في التاريخ**، بغداد، المكتبة الوطنية، 1983، صـ 723، 725.

افتقدت أشياء هامة، مثل المعلومات عن العدو التي ستواجهه، والخطة الملائمة للحرب، وتضامن عربي، ودعم دولي. كما تعرضت القوى الوطنية والأحزاب السياسية العراقية للضغط والإرهاب، والمطاردة، وبذلك سيطر المؤيدون لمعاهدة بورتسموت على الحكم في وزارة الباجه جي، تلك الوزارة التي أعادت الثقة للموقعين على المعاهدة، بتعين شاكر الوادي وزيرًا للدفاع، وعودة صالح جبر، ونوري السعيد إلى بغداد. الأمر الذي أصاب المعارضة في البرلمان بالاستياء، فشنت حملة ضد الباجه جي، وضد اضطهاد الوطنيين، كما أعلنت الأحكام العرفية، جعل ذلك حزب الأحرار الوطني يعلن تجميد نشاطه في مطلع يناير/ كانون الأول عام 1948، لم يبق من الأحزاب العلنية، آنذاك، إلا " حزب الاستقلال "، وواجهت الوزارة صعوبات جديدة، لموقفها من القضية الفلسطينية، وعدم مساندة الجيش المصري الذي كان محاصرًا في الفالوجة، آنذاك، وخرجت المظاهرات المطالبة باستئناف القتال في فلسطين ونجدة الجيش المصري، هنا قدم الباجه جي استقالته، في يناير/ كانون الثاني 1949، وعهد إلى نوري السعيد بتأليف وزارة جديدة، وهدفها " إنقاذ الوضع في فلسطين "، إلا أن السعيد سحب الجيش العراقي من فلسطين، الأمر الذي مكن العصابات الصهيونية من احتلال مواقع الجيش العراقي. وألف نوري السعيد حزبًا جديدًا بإسم " الاتحاد الدستوري " في نوفمبر/ تشرن الثاني 1949، وقدم السعيد استقالة حكومته، في 1949/12/10، وخلفه جودت الأيوبي. ولعل من أهم أعمال وزارته إلغاء الأحكام العرفية، في أواخر 1949، الأمر الذي أدى إلى

عودة النشاط الوطني، وإن كان الأيوبي قدم استقالته، هو الآخر في الأول من فبراير/ شباط 1950[1]. من هنـا نـجد أن الـدور العراقـي فـي حـرب فلسـطين كـان متناقضًـا. فالقـادة العراقيـون أول مـن دافـع عـن التـدخل العسكري في فلسطين، بواسطة جيوش الدول العربية، ومع ذلـك فـالجيش العراقي، بالرغم من أنه أكبر قوة شاركت فـي الحـرب، وإن لـم يقم بفعل أكثر من احتلال مواقع فـي تلـك الضـفة، كمـا طالـب الـوزراء العراقيـون مقاطعة عربية، بترولية، وتجارية على الدول الغربية المؤيدة للتقسيم، ولم يفعلـوا شـيئًا مـن أجـل تحقيـق ذلـك. وأثنـاء الحـرب رفـض العـراق كـل مبـادرات وقـف إطـلاق النـار، ولكنـه لـم يكـن يمتلك استراتيجية عسكرية تـدعم ذلـك، وبالتـالي عجـز عـن ترجمـة رفضـه. كمـا رفضـت الحكومـة العراقيـة المشـاركة فـي مباحثـات الهدنـة، وبـدا أنهـا علـى اسـتعداد كامـل لسحب قواتها، في إسرع وقت، لكن ذلك لم يلـغ إرتبـاط الشـعب العراقـي، والضباط العراقيين، بقضية فلسطين، كلجنة الدفاع عن فلسطين، وأنشطة أشخاص مثل الضباط فـي الجيش الطرفـي من طـرابلس بيـروت، فـوزي القـاوقجي، الـذي أصـبح قائـدًا لجـيش الإنقـاذ، عـام 1948، وقبـل ذلـك بسنوات، كانت زيارة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني للعـراق، والـذي اتصـل بـدوائر النفوذ المحيطـة برشيد عـالي الكيلانـي، وأصبحت لقضية فلسطين الغلبة على كل القضايا الأخرى، ونـجد أن بريطانيا قد نجحت في تفرقة محركي الأحداث في العراق، ولكن ذلك لم يؤثر علـى العوامل التي

(1) **المصدر نفسه**، صـ 726، 728.

دفعت المجتمع العراقي للارتباط الحميم بالقضية الفلسطينية[1].

بعد أن فشلت الحكومات العربية، التي أرسلت جيوشها للقتال في فلسطين ضد الصهاينة، وما حدث من مهازل، وتواطؤ، واستخفاف بحقوق الشعب الفلسطيني، من جانب بعض حكام العرب، لم يتحقق الهدف الرئيسي، الذي ذهبوا من أجله، وتم الانسحاب من فلسطين، دون القيام بعمل ينقذ فلسطين. كان ذلك أمرًا مؤلمًا لضباط الجيش العراقي، لعدم إتاحة الفرصة لهم لمقاتلة الصهاينة، بشكل متكافئ، وذلك لضعف التسليح، وقلته، بالإضافة لعدم صدق نوايا الحكام، الأمر الذي زاد من غليان ضباط الجيش ضد النظام والحكام، " لأن أمر هؤلاء الحكام قد افتضح أمام الجيوش، وكانت حرب فلسطين العامل الذي كشفهم، على حقيقتهم ". وظهرت من هنا مجموعة من الضباط الشباب في صفوف الجيش العراقي ساخطةً على هذا الوضع، وذلك نتيجة لأحداث فلسطين، بالإضافة إلى كشف دور بريطانيا، التي قدمت العون للصهاينة، وقدمت غطاءً شرعيًا لهم في المحافل الدولية، ولم تقدم شيئًا لـ " حلفائها " العرب في الامم المتحدة. كما حركت حرب فلسطين غالبية ضباط الجيش العراقي وقادتة. ويرى العقيد الركن نجيب الربيعي*• أن حرب فلسطين لم تكن حربًا بالمفهوم الصحيح، وإنما هي لعبة، وإن دخول الجيش العراقي، على حد وصفه، كان مسرحيةً، أخرجها الضابط الإنجليز "

(1) شليم، روجان، **مصدر سبق ذكره**، صـ 134، 136.

(● *) أحد القادة العراقيين، الذين شاركوا في حرب فلسطين.

جون باجوت جلوب باشا " [1].

رأى الربيعـي ضـرورة توحيد جهود الضباط الـوطنيين للقيـام بعمـل ضد الحكومة في بغداد، والانتقام منها، بعد عودة الجيش العراقـي للـبلاد، وضباط الجيش قد أدركوا خطـورة مـا قـام بـه، وزاد ذلك الضباط كرهًا للوصي على العرش عبد الإله، وقاموا بتشكيل خلايا سرية، وأسهم بعمل أول خلية في حرب فلسطين (1948) النقيب رفعت الحاج سري، الذي ضم إليه عددًا من الضباط الذين عايشوا الحـرب، واكتشفوا مـا فيهـا مـن فسـاد وتخـاذل بحق العرب الفلسطينيين. قـام الركن رفعت الحـاج سـري بمحاولـة اغتيـال جلـوب باشـا، وبتأييد مـن الـركن نجيب الربيعـي، ولكنـه فشل، ثم نشطت الخلايـا السرية للضباط الوطنين العراقيين، وتوسـعت، وانضـم اليهـا أعـداد مـن الضـباط البـارزين، أمثـال العقيـد الـركن نجيـب الربيعي، والمقدم الـركن عبد الكريم قاسم، والمقدم طـارق سعيد فهمـي، والرائد عبد الوهاب أمين، والرائـد داوود الجنـابي، والرائـد طـاهر يحيـى، والنقيب محسن الرفيعي، والملازم خليل ابراهيم وغيرهم من الضباط[2].

صدر أول منشور، هاجم حكام العرب، واتهمهم بالخيانـة، وتوعدهم بالمصير المؤلم، في الوقت الذي اتهمت فيـه السلطات البريطانيـة الفريق صالح الجبوري بأنه سيقود الجيش للأستيلاء على السلطة، لمجرد عودتة للـبلاد، ورأى الضـباط إمكانيـة مـا خططـوا لـه، وذلـك بعد نجـاح الثـورة

(1) محمـد حمـدي الجعفـري، **انقـلاب الوصـي فـي العـراق، انتفاضـة تشـرين الثـاني عـام 1952**، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2000، صـ 146: 151.

(2) **المصدر نفسه**، صـ 131.

المصرية، التي قادها " الضباط الأحرار " عام 1952، وكان تأثير ذلك واضحًا على الضباط، فازداد عدد الضباط المنتمين لتلك الخلايا، وأطلق عليها " حركة الضباط الأحرار " تيمنًا بالضباط الأحرار المصريين. كما نجحت تلك الخلايا في التنظيم والاعداد لوضع خطة الثورة، موضع التنفيذ، وكان نشوء " الضباط الأحرار " بشكل منظم وسري، منذ عام 1948، خطوة مهمة على صعيد العمل السياسي السري في صفوف الجيش. " وذلك عامل مشترك بين الضباط المصريين والعراقيين، كلاهما كان يفعل نفس الشيء أثناء حرب فلسطين، بالقيام باختيار اكفأ العناصر وأكثرها وطنية، لضمها لتنظيماتهم "، وكانت تلك أكبر نكبة تعرضت لها أجهزة الاستخبارات البريطانية، العاملة في العراق، والتي خيل لها بأنها على علم بكل ما يجري في صفوف الجيش. بعد أن قامت بمحاولات فاشلة لاحتواء الجيش العراقي، وتحجيمه، وإضعافه. إلا أن حركة " الضباط الأحرار " التي قامت بثورة 14يوليو/ تموز 1958، كانت السكين التي ذبحت مصالح بريطانيه في العراق " [1].

لقد كان لحرب فلسطين أثر واضح على نفوس المواطنين والجيش العراقي، بشكل خاص، فعندما أصدرت القوى الوطنية وضباط الجيش الوطنيين حكمًا على النظام الملكي العراقي، وحملته مسئولية فشل الجيوش العربية في حربها ضد الصهاينة، كان ذلك بداية السقوط التدريجي للحكم الملكي العراقي، ولم يعِ هناك مبرر لإقناع الشعب بأن الحكم الملكي حريص على المصالح العربية، بعدما فرَّط في حقوق

(1) **المصدر نفسه**، صـ 155: 162.

العـرب فـي فلسـطين، وكانـت انتفاضـة نـوفمبر/ تشـرين الثـاني 1952، امتدادًا لما حدث في يناير/ كانون الثاني عـام 1948، فالـدوافع والأسـباب واحدة، ولكن ثورة 23 يوليو/ تموز المصرية كانت السبب الذي سرَّع في إشعال تلك الانتفاضة في العراق، التـي تم استخدام الجيش فـي إخمادهـا. كانـت غالبيـة الضـباط الـذين يقـودون القطاعـات الداخليـة إلـى بغـداد مـن المـوالين للـبلاط. لكـن ذلـك لـم يمنـع الضـباط الأحـرار فيمـا بيـنهم، مـن استغلال الفرصة والانقضاض على النظام ومن ثمَّ إسقاطه. وكانت هنـاك ظروف معينة جعلت " الضباط الأحرار " يؤجلون تنفيذ خطتهم (والـربط الذي حدث بـين أوضـاع فلسطين والعـراق يؤكـد تـأثير تلـك الحـرب علـى نفوس هؤلاء الضباط وعلـى نشـأتهم الثوريـة، بالقدر الكبيـر، الأمـر الـذي جعلهم يربطـون مصـائرهم بمصـير فلسـطين). والتفكيـر فـي وضـع خطـة لإسقاط النظام مـن قبـل ضـباط الجيش كـان كافيًـا للإقتنـاع بـأن الـبلاط قـد هـزم، وفضـح أمـر الحكومـات العميلـة، المتعاونـة مـع الاسـتعمار ضـد مصـالح الشعوب، قد تحقق ذلك، بالفعل. الامر الذي أضعف الوصـي علـى العرش والنخبة المواليه له والحاكمة، التي تزايدت، بمرور الوقت. وفـي الوقت أخذ ولاء الضباط، للحكم في الانحسار المطرد. فكانوا يخافون من المصـير الـذي سـيلاقونه فيمـا بعـد... الأمـر الـذي جعلهـم يستسـلمون، بسهولة، صبحية 14 يوليو/ تموز عام 1958، عند تحرك الجيش لاسقاط النظام الملكي [1].

(1) ليث عبد الحسن جواد الزبيدي، **ثورة تموز 1958 في العراق**، بغداد، منشورات مكتبـة اليقظة العربية، 1981، صـ 106: 142.

أثر حرب فلسطين على الضباط العراقيين. :

نشأ تنظيم الضباط الأحرار، إثر رجوع الجيش العراقي من فلسطين، إدركت غالبية هؤلاء الضباط بأن النصر يجب أن يمر ببغداد، قبل فلسطين، وقد دفعت بهذا الاتجاه، بشكل كبير، ثورة يوليو المصرية، وحتى في المبادئ والمطالب الوطنية، ومنها:

1- إزالة النظام الملكي، وإقامة نظام جمهوري.

2- القضاء على الإقطاع، وتشريع قانون الإصلاح الزراعي.

3- تحقيق الإصلاحات الجذرية، في جميع المجالات، وإزالة التخلف.

4- تحرير اقتصاد العراق وماليته.

5- تأليف مجلس قيادة الثورة، من أعضاء اللجنه العليا للضباط الأحرار.

6- استرداد حقوق الشعب العراقي لجمع ثرواته، والتصرف بما تقتضيه مصلحة الشعب.

7- تحقيق الوحدة الوطنية.

8- تحقيق العدالة الاجتماعية.

بالاضافة إلى مبادئ وأهداف قومية، الدرعية للوحدة العربية، والمساهمة مع الدول العربية الأخرى في تحرير فلسطين، ومن المبادئ الأخرى:

1- التحرر الوطني وإزالة القواعد العسكرية البريطانية.

2- الخروج من حلف بغداد.

3- اتباع سياسة عدم الانحياز.

4- تحديد العلاقات السياسية، والاقتصادية للعراق، مع جميع دول العالم على أساس المصلحة الوطنية والقومية.

5- إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول الاشتراكية الشعبية.

من هنا نجد أن أهداف الضباط الأحرار العراقيين قد تأثرت، بشكل كبير، بأهداف الضباط الأحرار المصريين. ومن هنا نجد أن ثورة 23 يوليو/ تموز1952 قد سرعت في تحريك الجيش العراقي، ورسم أهدافه الوطنية[1].

كانت دعوة عبد الناصر للوحدة، التحرر من الاستعمار، ومن اللأنظمة الحاكمة، قد حرك المشاعر الوطنية في نفوس كل الوطنين العراقين، ووصل أول مبعوث للثورة إلى بغداد، في الأسبوع الأول من شهر مايو/ آيار 1954، وهذه كانت بداية جولة استطلاع للعراق، والوقوف على الوضع السياسي فيه، ومحاولة الاتصال بالعناصر القومية والثورية، والوطنية، وكان أول لقاء مع الضباط الأحرار مع العقيد رفعت الحاج سري، الذي حمل رسالة للرئيس جمال عبد الناصر، قال فيها: إنه بدأ مع بعض رفاقه في تنظيم العناصر الوطنية المخلصة من الضباط، ليجمع تنظيمًا مماثلاً لتنظيم الضباط الأحرار في مصر[1].

---

(1) **المصدر نفسه**، صـ 42، 43.

(1) عبد الكريم العلوجي، **عبد الناصر والاشتراكية**، مخطوط لم ينشر بعد، د. ت..

الضباط العراقين والثورة:

ما دفع الضباط للقيام بالثورة، في 14يوليو/ تموز 1958، تحقيق آمال الشعب العراقي في التحرر والوحدة. وقد أثرت سياسة مصر على الأحزاب العراقية، التي طالبت السياسة مشابهة لسياسة مصر وسوريا، بالابتعاد عن سياسة الأحلاف العسكرية، التي لا تفيد العراق، فلا توجد مصلحة للعراق منها، وانتقد الضباط الأحرار السياسة التي انتهجتها الحكومة، التي تآمرت على سوريا، وحاولت توجيه الجيش العراقي لضرب سوريا، وحينما كان عبد الكريم قاسم، والعقيد عبد السلام عارف في الأردن، عام 1956، على رأسهم اللواء التاسع عشر، أجريا اتصالات مع الضباط السوريين، ومنهم عبد الحميد سراج، واللواء عفيف البرزي، في منطقة (الرمثا)، على الحدود الأردنية - السورية، وصرح قاسم بعدم اقتناعه بسياسة النظام الملكي العراقي، وأكد عدم مشاركت جميع ضباط الجيش العراقي بالقيام بأي عمل ضد الجيش السوري. وطلب " قاسم " من " السراج " أن يبلغ عبد الناصر رسالة مفردها وجود حركة ضباط أحرار في الجيش العراقي، سوف تأخذ على عاتقها إزالة النظام الملكي [1].

* كما كان للعدوان الثلاثي (خريف 1956) على مصر، دور هام في إصدار الضباط العراقيين على السير في خططهم الثورية، التي بدأت بحرب فلسطين، كقضية مصيرية، تهم العالم العربي كله، ومرورًا بثورة يوليو، إلى أن جاء " العدوان الثلاثي " على مصر، وكان ذلك دافعًا آخر

(1) الزبيدي، **مصدر سبق ذكره**، صـ 42، 43.

لإصدارهم على القيام بالثورة، وولد ذلك شعورًا عدائيًا من قبل الشعب العراقي تجاه الحكومة، وقامت الأحزاب السياسية بالقيام بالعمل المسلح وزرع المتفجرات في الأماكن التي يتواجد فيها الضباط البريطانيون، كما عمل الضباط على تهيئة الجماهير الشعبية لإسقاط النظام الملكي، وكان للوحدة المصرية - السورية (1958/2/22) أثر بالغ على الشعب العراقي، وطالب الأحزاب القومية بالإنضمام إلى هذه الوحدة. ويمكن أن يكون عجز الأحزاب السياسية العراقية عن القيام بالثورة الشعبية، هو ما دفع هؤلاء الضباط إلى تفجير ثورة 14 يوليو/ تموز[1].

والخلاصة، إن الإطاحة بالملكية العراقية، عام 1958، لم تكن نتيجة مباشرة لحرب 1948، بل إن تلك الحرب كانت عاملاً من عوامل ذاتية مؤثرًا في الضباط الأحرار، الذين شاركوا في تلك الحرب، وفي تكوينهم الثوري [2]. بدءًا بالانقلاب العسكري في سوريا (1949)، مرورًا بثورة 23 يوليو 1952، و " العدوان الثلاثي "، وتنامي الشعور القومي لدى ضباط الجيش والشعب، وتحقيق الوحدة العربية بين مصر وسوريا، بالاضافة للانتصارات المختلفة التي أحرزها الشعب العربي في كل من مصر، وسوريا، والأردن، وتصاعد الثورة في الجزائر، وافتضاح أمر " حلف بغداد "، ومعه الحكومة العراقية ناهيك عما للأزمة الداخلية التي تعرض لها العراق، والتعقيد في مشاكل الجماهير الحيوية، وتدهور الاقتصاد الوطني وتقييد الحريات الديمقراطية من موقع مهم في صنع

(1) **المصدر نفسه**، صـ 41.
(2) شليم، آيوجن، **مصدر سبق ذكره**، صـ 157.

ثورة 14 تموز 1951 الوطنية العراقية[1]. ونجح " الضباط الأحرار " في ضم فئة الجنود وضباط الصف، الذين ينتمون لأصول فلاحية، والذين لعبوا دورًا كبيرًا في إسقاط النظام الملكي. أن ثورة يوليو/ تموز 1958، تاريخيًا، هي حصيلة نضال طويل ومرير، وخاصة للشعب العراقي، وكانت نهاية حتمية، بعد أن استنفذ النظام الملكي طاقته على الحياة ولم يعد بإمكانه مواكبة حركة تطور المجتمع العراقي، وتقدمه، وكانت من هنا مبادرة القوى الوطنية، ولى رأسهم ضباط الجيش، بتفويض النظام الملكي، والإعداد لبناء المجتمع العراقي على أسس جديدة [2].

* * *

(1) حسين، **مصدر سبق ذكره**، صـ 736، 740.
(2) الزبيدي، **مصدر سبق ذكره**، صـ 13: 35.

الفصل الثالث والعشرون:
انعكاسات النكبة على سوريا

نهال قاسم

عندما قررت البلاد العربية، في 15 آيار/ مايو 1948، الدخول في حربٍ ضد العصابات الصهيونية في فلسطين، لطردهم منها، وتخليص فلسطين من قبضتهم، وكانت الحكومة السورية من أسبق الدول العربية إلى إعلان الحرب، دفاعًا عن هذه القطعة الغالية من الوطن العربي، رغم أن سوريا كانت حديثة عهدٍ بالاستقلال، ولم تكن على مستوى من القدرة العسكرية أو التدريب الذي يؤهلها لذلك. وقد كانت سوريا دومًا ترى[1] في تدفق الهجرة الصهيونية إلى فلسطين خطرًا يجب التصدي له، ليس على الكيان السوري وحده، وإنما على الأمة العربية كله.

إلا أن الهزيمة التي منيت بها الجيوش العربية في حرب 1948، قد جعلت الشعوب العربية عامة، والسوري خاصة، تدرك أن أحد الأسباب الرئيسية للهزيمة[2]، وضياع فلسطين، كان نتيجة التفكك في القيادة، والاختلاف في الأهداف، وطغيان المصالح الشخصية على مصلحة الأمة، و لهذا ثار الشعب العربي في سوريا، لا على حكومته وحدها، وإنما على الحكومات العربية عمومًا، و قد بدأ بعدها يتطلع إلى تغيير الحكم القائم في البلاد، الذي استغل الأحكام العرفية[3] لتشديد أعمال القمع

---

(1) محمد فرج، **النضال الشعبى في سوريا (قصة الانقلابات)**، سلسلة " كتب قومية العدد 151، الدار القومية للطباعة والنشر، ص 44، 45

(2) **المصدر نفسه**، ص 44

(3) **المصدر نفسه**، ص 45

ضد القوى الديمقراطية، فضلاً عن تأزم الوضع السياسي الداخلي، والاقتصادي بعد هزيمة الجيش، واستغلال كل من الولايات المتحدة[1]، وبريطانيا، وفرنسا، هذا الوضع، لتثبيت مواقعهم في سوريا، فبدأت في التآمر، مع مختلف القوى الرجعية، المتمثلة في طبقة كبار الملاك، والرأسماليين، الذين كانوا يسيطرون على الحياة الاقتصادية، والسياسية، في تلك الفترة، لإدخال سوريا في مشاريعها (سوريا الكبرى) و(الهلال الخصيب). وقد أدى ضعف طبقتي البروليتاريا[2] والبرجوازية الوطنية، ورجعية البرجوازية الكبيرة، المرتبطة بمالكي الأراضي الإقطاعيين، وضعف المشاركة الشعبية في الحياة السياسية والاجتماعية في البلاد، وخشية الأمريكان من تنامي التيارات العقائدية، الشيوعية واليسارية، داخل البلاد، وتزايد التواجد السوفيتي بعد رحيل الانتداب الفرنسى عن سوريا، التي أصبحت تئن تحت أوضاع قلقة مضطربة، وخاصة بعد نكبة فلسطين، واتهام بعض قيادات الجيش[3] والسياسيين بالفساد، وسرقة المجهود الحربي للجيش، الأمر الذي أدى إلى إقالة وزير الدفاع " أحمد الشرباتي "، ثم الوزارة بأكملها، كما احتدمت النقاشات بين السياسيين في البرلمان، حتى أن الشرطة تدخلت أكثر من مرة لفضها، كما ازدادت

(1) د. فوبليكوف وآخرون، **تاريخ الأقطار العربية المعاصرة (1917 - 1970)**، الجزء الأول، موسكو، أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي، معهد الاستشراق، عام 1975، ص 105.

(2) ن. ك. نيفيوديفا، على المبدأ **(نضال الحزب الشيوعى السوري من أجل الجبهة الوطنية الموحدة) 1936 - 1966**، ترجمة زياد الملا، دمشق، دار العلم، 1992، ص 141

(3) **المصدر نفسه**، ص 140.

الاضرابات ضد تعسف الاحتكارات الأجنبية داخل البلاد، ما أدى إلى تزايد نفوذ الجيش السوري، وتدخله في الحياة السياسية، والمدنية، وتشجيعه للقيام بالانقلابات العسكرية، بتأييد من الأوساط الاحتكارية الأمريكية، والبريطانية، التي تغلغلت في سوريا، بالاضافة إلى تطلع مختلف التكتلات البرجوازية - الاقطاعية، إلى تحقيق مصالح شخصية، أو عرقية، أو أيدولوجية، بمساعدة العناصر اليمينية المدنية والعسكرية[1]، للقضاء على الحريات الديمقراطية، وتغيير الاتجاه التقدمي لتطور سوريا، ما أدى إلى وضع حد لفترة الاستقرار النسبي، وفتح طريق للأزمات الاقتصادية، والسياسية المستمرة، ودخول سوريا منذ نهاية آذار/ مارس 1949، سلسلة من الانقلابات العسكرية وتغيير الحكومات.

وقد اكتظت ملفات الأرشيفين الدبلوماسيين البريطاني والأمريكي[2]، وكذلك اليوميات والمذكرات السياسية السورية، بالتحذيرات من الانقلاب الوشيك.

وهو ذات الأمر الذي استشعره، د0أديب منصور[3]، في مقاله يوم 1948/11/14 جريدة " ألف باء " اليومية، التي تصدر في دمشق، وعبر فيه عن حالة اليأس وفقدان الثقة عند المدنيين السوريين، وتطلعهم إلى

---

(1) مصطفي عاشور، **إنقلاب الزعيم و اختراع التسعات الأربعة**، إسلام أون لاين، 2007/6/14.

(2) ديفا، **مصدر سبق ذكره**، ص 141.

(3) أيوجين روجان، آفي شليم، وآخرون، **حرب فلسطين (إعادة كتابة تاريخ 48)**، ترجمة ناصر عفيفي، القاهرة، مؤسسة روزاليوسف، سلسلة الكتاب الذهبي، 2001، ص 188.

قيادات نشطة، وإيمانهم بقدرة الجيش - دون غيره - على إنقاذهم من تردى الأوضاع الداخلية.

وبعد نشر مقاله بثلاثة أيام، قام " حسنى الزعيم " الذي كان رئيسًا لأركان الجيش السوري، بالانقلاب الأول في تاريخ سوريا[1]، الذي حظي في البدء بمساندة فئات البرجوازية الصغيرة، التي كانت تتوقع من الحكومة الجديدة تطبيق برنامجها في الإصلاحات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والزراعية خاصة، وتهيئة حكم ديمقراطي صحيح[2] والبدء في وضع قانون جديد للانتخاب، وإعطاء المرأة السورية حق الانتخاب، وتطهير الجهاز الحكومي، وإسناد الأعمال إلى المخلصين، والقضاء على البطالة، وتوفير الغذاء، والكساء، والدواء، ورفع مستوى الحياة للطبقة الكادحة، وتحديد الملكية، وتوزيع الأراضي الحكومية على المعدمين، وإحياء الوعي القومي.

ويذكر أحد أهم عملاء " المخابرات المركزية الأمريكية " في الشرق الأوسط[3]، آنذاك، أن انقلاب " الزعيم " قد تم الإعداد له، ووضع خطته المتكاملة، وبكافة التفصيلات المتعلقة به في السفارة الأمريكية في دمشق، بيد أن الإنقلاب حافظ على صبغة سورية محضة أمام أنظار العالم الخارجي إلى أن بدأت الروائح تفوح منه، والألسن تتناقله، وأن " حسنى الزعيم ليس أكثر من صبي من صبيان الأمريكان ".

---

(1) اليعازر بعيري، **ضباط الجيش في السياسة والمجتمع العربي**، الطبعة الأولى، ترجمة بدر الرفاعي، القاهرة، دار سينا للنشر، 1990، ص 60.
(2) فوبليكوف، **مصدر سبق ذكره**، ص 106.
(3) محمد فرج، **مصدر سبق ذكره**، ص 50، 51.

في كتابٍ لاحقٍ[1] يضيف العميل نفسه أن " الزعيم " قد قام بالتمهيد للانقلاب بخطوتين الأولى - حملة تضليل إعلامي بدائية غايتها إبراز حالة المحافظة على أمن وسلامة الدبلوماسيين الأجانب في البلاد، والثانية - الوسائل التي اتبعها للحيلولة دون تسرب أى معلومات عن مخططه قبل بلوغه مرحلة من التقدم يعجز أيًا من كان عن إحباطها0 ومن ناحية أخرى يؤكد العميل نفسه أن " الزعيم " قد توخى الحذر[2]، ولم يفصح عن أي نية إنقلابية أمام أحد من قادة الألوية مع العلم بأن خطته قد شملتهم جميعا دون علمهم!

كما يشير العميل نفسه في كتابه الأول إلى تأكيد " الزعيم " مرارًا و تكرارًا أنه لا ينوي العودة بالبلاد إلى الحكم البرلماني، وعزمه على الزج بالسياسيين الفاسدين في السجون، وإعادة تنظيم جهاز الحكومة على أسس أكثر فاعلية، وإجراء الإصلاحات الضرورية في المجالين الإقتصادي والاجتماعي، واتخاذ بعض " الاجراءات الإيجابية " لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي، وهي النقطة التي كانت بمثابة المخدر الذي ثنى وزارة الخارجية الأمريكية عن عزمها طلب إلغاء فكرة تنفيذ الانقلاب العسكر[3].

(1) مايلز كوبلاند، **لعبة الأمم**، الطبعة الأولى، تعريب مروان خير، مكتبة الزيتونة، بيروت، 1970.

(2) مايلز كوبلاند، **اللاعب واللعبة (عالم الاستخبارات الأمريكية في اعترافات أحد رجالاته)**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الحمراء للطباعة والنشر، 1990، ص 79.

(3) **المصدر نفسه**، ص 82.

كان التخطيط للإنقلاب دقيقًا[1]، و نفذ بسرعة، ولم يلق مقاومة تذكر. ففي الثانية من صباح يوم1949/3/30، قامت وحدات الجيش، بمحاصرة دمشـق، ودخولهـا وخـلال سـاعة، كـان الجـيش قـد احتـل مقـر الحكومـة المدنية، ومراكز البوليس، والمرافق العامـة، وألقـى القبض علـى رئـيس الجمهوريـة " شـكرى القـوتلي "، و " خالـد العظـم " رئـيس الـوزراء[2]، وعدد من القيادات، والشخصيات السياسية.

يذكر محلل إسرائيلي[3] بأن " القوتلي " كان على علمٍ تام بمعظم الخطـط الخاصـة بـالتمرد، والمـؤامرات التـي كانـت شـائعة فـي السـنوات المبكرة لاستقلال سوريا، والتـي كشـف العديـد منهـا، بـأن لهـا علاقـة بمـا أطلـق عليـه البريطـانيون " حركـة الملكيين " فـي سوريا، وإيمـان معظـم الضـباط السـوريين، بـأن " مـن 50 إلـى 75 % " مـن القـوات المسـلحة السـورية، تؤيـد قيـام إنقـلاب عسـكري وإنشـاء " سوريا الكبرى " بالتنسيق مع بريطانيا.

ولذلك فقد قام " القوتلي " بتكوين شبكة واسـعة مـن الجواسيس، مـن أجل معرفـة كافـة أخبـار " الحركـة الملكيـة " فـي سوريا[4]، والمتعـاطفين معها من أفراد الجيش، وفي تصريح لرئيس المكتب السوري للمعلومات، أكـد فيـه " أنــه علــى ثقــة، مـن أن أي متاعـب فــي سـوريا، سـوف تقـوم بريطانيا برعايتهـا "، وقـد عملـت " الحركـة الملكيـة " علـى إثـارة السـخط

(1) بعيري، **مصدر سبق ذكره**، ص 62.
(2) عاشور، **مصدر سبق ذكره**.
(3) روجان وآخرون، **مصدر سبق ذكره**، ص 188.
(4) **المصدر نفسه**، ص 189.

بين صفوف الجيش، والدعاية للملك، بين جماهير الشعب السوري، ما ساعد في ازدهار بذور الفرقة، والانقسام، وعدم الثقة في التربة السورية.

ومن ناحية أخرى، فقد كان الدروز على قمة القائمة الطويلة، لأعداء " القوتلي " في الداخل، والذي كان يتخوف من أن يعملوا كفرقة استكشاف، تمهد لغزو الموالين للإنجليز، لسوريا، بعد أن قاموا بالثورة على دمشق، في النصف الأخير من عام 1947، وتحول زعماؤهم نحو البريطانيين، طلبًا للمساعدة، وكان جبل الدروز، ذو الموقع الإستراتيجي، عند الركن الجنوبي الشرقي، من سوريا، على الحدود الأردنية، على مقربة من فلسطين.

وقد كانوا يتمتعون بقدرٍ كبيرٍ من الاستقلال، تحت الانتداب الفرنسي، وبعد الاستقلال، حرمهم القوتلي منه، بعد أن قام بدمج جبل الدروز، مع بقية سوريا، وفرض الحكم المركزي، كما قام القوتلي بإلغاء النتائج الإقليمية في الانتخابات البرلمانية، في ذاك العام، والتي حقق فيها مرشحوا عائلة " الأطرش "، نصرًا ساحقًا، في جبل الدروز، حتى يحرمهم القوتلي من الحكم، كما قام بتقليص المساعدات الحكومية للمنطقة، وحاول إشعال حرب أهلية، ما بين قبائل الدروز، بمساعدة، وتسليح مناوئي الأطرش، وهم عدد من القبائل الأقل نفوذًا، وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم " الشعبيين "، وذلك بعد أن عجز القوتلي عن استخدام القوة العسكرية، لفرض الحكم المركزي، على منطقة الدروز، ولكن حيلة القوتلي، في بث الفرقة ما بين صفوف خصومه، باءت بالفشل، بعد أن أثبت رؤساء قبائل عائلة " الأطرش "، أنهم أكثر قوة،

وشعبية، مما يعتقد، فقاموا باستئصال شأفة " الشعبيين "، في الأشـهر الأخيرة، من عام 1947، كما قاموا بقطع كل خطوط الهاتف والتلغراف المتصلة بدمشق، وأغلقوا الطرق المؤدية إلى الجبل، وقد وصل الأمر إلى حد تهديد مركبات الجيش، ومنعها من الوصول إلى جبهة فلسطين، ثم طلبوا من الملك " عبد الله "، الزحف على دمشق، لتنفيذ خطته " سوريا الكبرى "، ومع بداية انخراط سوريا في حرب فلسطين عام 1948، اضطر القوتلي إلى العدول عن سياسته الخاصة بالدروز[1]، كما سبق، وعدل عن سياسته، الخاصة بإصلاح الجيش، وفشلت محاولاته، في رأب الصدع، مع عائلة " الأطرش "، وتهدئة ثائرة زعماء الدروز، الذين ظلوا عاقدين العزم، على الاطاحة به[2]، وقد استغل " الزعيم "، قائد الجيش، هذه العوامل، للقيام بانقلابه الأول، الذي قوبل في بداية الأمر، بالرضا، وخاصة بعد أن صاحبه حالة من الانفراج[3]، واتخاذ العديد من الخطوات الإصلاحية، في أجهزة الدولة، وتكوين لجان لإعادة النظر، في القوانين المرعية، وسن قوانين جديدة، كما أصدر القانون المدني الجديد في 18آيار/ مايو 1949، وقانون العقوبات، وقانون التجارة، وقانون التحسين العقاري، كما أصدر مرسومًا، بالغاء الأوقاف، وحلها، وتصفيتها، وقام بمحاولة عزل الدين عن الدولة، وسيادة قانون الدولة في جميع المرافق، ما جعل الشعب يتفاءل، ويأمل الكثير في هذا العهد الجديد، وحل جميع المشكلات التي يعاني منها، وتوفير الحياة الكريمة

(1) **المصدر نفسه**، ص 190.
(2) **المصدر نفسه**، ص 192.
(3) فرج، **مصدر سبق ذكره**، ص 52.

له[1].

لكن تاريخ قائد الانقلاب، ونشأته التي لم تسمحا له بأن ينال قسطًا كافيًا من التعليم، جعلاه جاهلاً بشئون السياسة، والرئاسة، والحكم، كما يقال عنه أنه كان ضعيف الشخصية، وتشوب حياته الكثير من الاتهامات، وسوء السلوك، الذي يمس سمعته، وعندما تولى شئون الحكم، وهو الأمر الذي لم يخطر على باله مطلقًا، والذي تم بمساعدة القوات المسلحة، ولهذا كان دائم التخوف، من أن يثور ضده أحد رجاله، ولذلك بدأ بإعداد حرس خاص يحيط به، ليحميه، كما قام بابعاد بعض الضباط من ذوي الميول القومية، من الأكراد، والشراكسة، مما أثار غضب الكثيرين منهم[2].

بدأ النظام الجديد يكشف عن وجهه الديكتاتوري، بإعلانه حل البرلمان، الذي حل محله هيئة دستورية، كلفت بوضع دستور، وقانون جديد للانتخابات، كما أعلن حل جميع الأحزاب السياسية، وحظر المظاهرات، والاجتماعات، وفرض الرقابة العسكرية في البلاد، وقد اعتبر " الزعيم "، نفسه، منقذَ الأمة العربية، من الخطر الشيوعي[3].

وفي أوائل نيسان/ إبريل، أعلن حل مجلس النواب، وتولى " الزعيم " كلتا السلطتين التشريعية، والتنفيذية، وفي الأسبوع الأول من حزيران/ يونيو، دعا إلى إجراء استفتاء للموافقة، على تعديل قانون الانتخاب للرئيس، والذي لم يستشر فيه أيًا من أعضاء الحكومة، والذي جرى

(1) **المصدر نفسه**، ص 53.
(2) **المصدر نفسه**، ص 52.
(3) ديفا، **مصدر سبق ذكره**، ص 141، 142.

استفتاء عليه يوم 25 حزيران/ يونيو، وتم فيه الموافقة على القانون الرئاسي الجديد، وأن " الزعيم " - المرشح الوحيد - قد اختير رئيسًا للجمهورية، في الاستفتاء الذي شارك فيه 90% من الناخبين، إذ حصل " الزعيم " على 99% من الأصوات، وفي اليوم التالي، تشكلت حكومة جديدة برئاسة " حسنى البرازي "، تضم ستة من المدنيين، إضافةً إلى الزعيم عبد الله عطفة، كوزير للدفاع، بينما منح " الزعيم "، نفسه، رتبة المشير، التي لم تكن موجودة من قبل في سوريا[1]، وقد بدأ حكم " الزعيم " في الانهيار بعد خمسة أشهر، من قيامه بالانقلاب، بعد أن جمع في يديه، بصفته قائد الانقلاب، جميع المسئوليات، والسلطات، منذ اللحظة الأولى لانقلابه.

وأصبح واضحًا بأن سوريا، بدأت تعيش في فترة حكم فردي، مطلق، لايتفق مع السياسة العميقة، التي رسمها الشعب العربي في سوريا، لنفسه، الأمر الذي شعر به، أيضًا، الضباط الذين شاركوا " الزعيم " الانقلاب، حين بدأوا يلمسوا انحرافًا في سياسات " الزعيم " الاستبدادية، وانشغاله ببناء مجده الشخصي، دون أن يهتم بمصالح أمته، وقد ترتب على ذلك، أن أصبح مكروهًا، من شعبه، الذي أخذ يتطلع إلى إنهاء حكمه، بخاصة بعد أن فتح الباب أمام التغلغل الأمريكي[2]، بعد توقيع اتفاقية مع شركة " التابلاين " الأمريكية، لتمديد خطوط البترول، عبر الأراضي السورية، ومد الاتفاقية السورية - الفرنسية، حول حق فرنسا

(1) بعيري، **مصدر سبق ذكره**، ص 162.
(2) فرج، **مصدر سبق ذكره**، ص 53.

بإصدار النقد السوري، وتعيين الجنرال الألماني " روديف " مستشارًا أول في وزارة الدفاع السورية[1].

قام " الزعيم " - تدعمه بعض الأوساط الأجنبية - بحملة إرهاب ضد القوى الديمقراطية في سوريا، اعتقل فيها 150 شخصًا، من كوادر وقيادات " حزب البعث "، في دمشق، وتم تقديمهم إلى المحاكمة العسكرية، مما اضطر الحزب الشيوعي، إلى الانتقال للعمل السري، وقد نظم الشيوعيون مظاهرات خاطفة، في الأماكن المزدحمة في المدن، وأخذوا يهتفون ضد الديكتاتورية، والعمالة، كما تشكلت عدة وفود نسائية، طالبت بالافراج عن المعتقلين السياسيين، الذين كانوا يتعرضون للتعذيب الوحشي، أيامًا متواصلةً، وفي أوائل آب/ أغسطس 1949، أعلن المعتقلون السياسيون إضرابًا عن الطعام، احتجاجًا على معاملة إدارة السجن السيئة، والتعذيب الجسدي، كما قامت مظاهرة نسائية، تصدرتها النساء الشيوعيات، تضامنًا مع المعتقلين السياسيين، والتي انطلقت من سراي الحكومة إلى البرلمان، وقد تعرض العديد منهن للاعتقال، والضرب المبرح بالهراوات، من قبل الشرطة. وقد كانت هذه المظاهرات مقدمةً للاطاحة بديكتاتورية الزعيم، وتقييده للحريات العامة، واعتقال كل من يعارض حكمه من الكتاب، ورجال الفكر، والصحافة، فيما عدا الصحف التي تكيل له المديح، ومنها (الأيام، المنار، القبس، ألف باء، العلم، والشعب). ونمت في عهده أجهزة المخابرات، والأمن بطريقةٍ

(1) ديفا، **مصدر سبق ذكره**، ص 142.

غير مسبوقة[1].

أما عن سياسته الخارجية، تجاه المنطقة العربية، والتي أوضحها في بداية عهده، من حرصه على التقيد بميثاق جامعة الدول العربية، والترحيب بأي اتفاقٍ، أو ميثاقٍ، ما بين الدول العربية، أو أي خطوة ترمي إلى تقوية أواصر المودة، بين سوريا، وشقيقاتها، وقد سارعت كل من العراق، والأردن، إلى الاعتراف بالوضع الجديد بعد نجاح الانقلاب، وقيل أن اتفاقًا عقد ما بين " الزعيم " والملك عبد الله في بلدة " المفرق "، وأن هذا الانقلاب كان لصالح الأسرة الهاشمية، كما قيل أن مقابلةً تمت بين " الزعيم " ونورى السعيد، على حدود سوريا والعراق، لتأييد فكرة الانقلاب، لصالح الأسرة الهاشمية، ولكن " الزعيم " سرعان ما تراجع عن موقفه، بعد عودته إلى دمشق، ورفض مشروع (سوريا الكبرى)، و(الهلال الخصيب)، الأمر الذي باعد بينه وبين بريطانيا، التي أيدت انقلابه، منذ ساعاته الأولى، طمعًا في تحقيق هذين المشروعين، أو أحدهما، كما كانت بعض الأحزاب تؤيدهما، مثل " الحزب السوري القومي الاجتماعي "، و " حزب الشعب "، وقد تمادى " الزعيم " في تحدي الدولتين الهاشميتين - الأردن، والعراق - فقام بإرسال الجيش السوري، لاحتلال الأردن، مما زاد العلاقات بين الدولتين ترديًا، وتم إغلاق الحدود بين سوريا، والأردن، وفي ذات الوقت توطدت علاقة " الزعيم " بمصر، والمملكة العربية السعودية، وتركيا.

(1) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها.**

أما عن سياسته الدولية، فقد بدا واضحًا التقارب ما بين الزعيم وأمريكا، وفرنسا وخاصة بعد توقيعه اتفاقيتي (التابلاين والنقد)، مع ما فيهما من مساس بسيادة سوريا، طمعًا في أن تدعمه الدولتان، وتؤيدان انقلابه، وتعترفان بحكمه[1].

يؤكد العميل الأمريكي بأن نهاية " الزعيم "، في صبيحة 14 آب/ أغسطس 1949، على أيدي مجموعة من أصدقائه الضباط، بقيادة سامي الحناوي، إسمًا، وأديب الشيشكلي، فعلاً، بدأت بمحاصرة الزعيم، وقتله، ثم دفنه في المقبرة الفرنسية، يؤكد أن " عمالة أي حاكم لدولةٍ عظمى "، حتى لو كانت أقوى دولة في العالم، لا تكفي لضمان بقائه في الحكم، واستمراره في السلطة.

ورغم النهاية المأساوية " للزعيم "، فقد كان أول من أرسى في السياسة العربية، ثقافة الانقلابات، كما أرسى سياسة المرشح الواحد للرئاسة، ونسبة التسعات الأربع، في نجاح الرؤساء في الاستفتاءات، ومنهج التعامل العنيف مع المعارضين، ومنهج الإكراه للشعوب، من أجل الحصول على الشرعية للنظام الانقلابي[2].

الإنقلاب الثاني للزعيم " سامي الحناوي " في 14 آب/ أغسطس 1949، قائد الفرقة الأولى المتمركزة على الجبهة السورية الإسرائيلية، وبالتعاون مع ضباطه، ومنهم بعض الدروز الموالين لـ " الحزب السوري القومي الاجتماعي "، وقد أفاض في بيانه الأول بالحديث عن الفساد

---

(1) فرج، **مصدر سبق ذكره**، ص 54، 55.

(2) كوبلاند، لعبة الأمم، **مصدر سبق ذكره**، ص 76.

الأخلاقـي لعهـد " الـزعيم "، وخروجـه علـى القـانون، واسـتهانته بالتقاليـد القومية، ثم أقسم الجيش " أمام الله والتاريخ "، على أن يترك تسيير البلاد للزعماء المدنيين، في الوقت المناسب[1]، وهكذا انتقلت السلطة، إلـى فئـة عسـكرية، أخـرى، نتيجـة ضـعف القـوى الديمقراطيـة، واعتمـادًا علـى مسـاعدة بريطانيـا، وأوسـاط البرجوازيـة - الإقطاعيـة المواليـة لبريطانيـا، والمتمثلـة فـي " حـزب الشـعب "، وعلـى رأسـها قائـد الانقـلاب[2]، وكـان الشيوعيون لايزالون مضربين عن الطعام، في المعتقلات، فـأفرج عنـهم، والتقى " الحناوي " بالعديد منهم، فضلاً عن بعض الشخصيات السياسية، والحزبية الآخرى، بعد أن عادت جميع الأحـزاب، للعمـل العلنـي[3]، فيمـا عدا " الحزب الشيوعي " كما ألغيت اتفاقية شركة (التـابلاين) الأمريكيـة، واتفاقيـة " النقدية " مع فرنسا[4]، وقد قدم الحناوي ابتكارًا جديدًا في تكتيك الانقلاب العسـكري، أصـبح، منـذ ذلـك الحـين، عرفًـا يحتـذى بـه، ألا وهـو تكوين لجنة من الضباط، تمثل أعلى سلطة تشريعية، وتنفيذية، وقضـائية، فـي الـبلاد، ممـا يضـفي صـبغة دسـتورية، وشـرعية علـى الديكتاتوريـة العسكرية[5]، ثم قام الحناوي باستدعاء المجلس الأعلـى لادارة البلاد، وحدد شهر كانون الأول/ ديسمبر، من العام نفسه، موعدًا لانتخـاب جمعية تأسيسية، حصـل علـى أغلبية مقاعدها " حـزب الشـعب " [6]، وتشـكلت حكومـة مدنيـة

(1) بعيري، **مصدر سبق ذكره**، ص 64.
(2) ديفا، **مصدر سبق ذكره**، ص 142.
(3) الملا، **مصدر سبق ذكره**، ص 191.
(4) ديفا، **مصدر سبق ذكره**، ص 143.
(5) بعيري، **مصدر سبق ذكره**، ص 64.
(6) ديفا، **مصدر سبق ذكره**، ص 143.

مؤقتة، برئاسة هاشم الأتاسي، الذي كان رئيسًا للجمهورية السورية، فيما بين 1936 - 1939[1]، وعين خالد العظم، الذي كان رئيسًا للوزارة، التي أطاح بها " الزعيم "، وزيرًا للمالية، وعين رشدي الكيخيا، وزيرًا للخارجية، و أكرم الحوراني، وزيرًا للزراعة، وميشيل عفلق، وزيرًا للمعارف[2]، ولم يشترك في الوزارة من العسكريين، سوى عبد الله عطفه، كوزير للدفاع[3]، وقد استلم عدد من ممثلي حزبي " البعث "، و " الاشتراكي "، مناصب في الجيش[4]، وقد جاءت سياسة الحناوي نقيضًا لتلك التي استنها " الزعيم "، فعلى المستوى الداخلي، توقفت خطوات العلمنة، بإهمالها، ووضع العراقيل، أمام تطبيقها، بينما سمح للمرأة، بالإدلاء بصوتها، في الانتخابات التي جرت في عهد الحناوي[5]، كما تجددت المحادثات للتوقيع على مشروع (سوريا الكبرى)، و(الهلال الخصيب)، مع تزايد النفوذ البريطاني، والرأسمالي في البلاد[6]، بدلاً من الولاء لفرنسا، والولايات المتحدة، كما قام " الحناوي "، بتوطيد العلاقات مع مصر، والسعودية، وتركيا، والعراق، والأردن، وهى السياسة التي كانت تتفق، تمامًا، مع توجهات زعماء " حزب الشعب "، أكبر الأحزاب السياسية في البلاد، كما أصبحت سوريا، بصفةٍ خاصةٍ، الهدف الأول لنشاطات التجار، والصناع، والحرفيين، في

(1) بعيري، **مصدر سبق ذكره**، ص 65.
(2) ديفا، **مصدر سبق ذكره**، ص 143.
(3) بعيري، **مصدر سبق ذكره**، ص 65.
(4) ديفا، **مصدر سبق ذكره**، ص 143.
(5) بعيري، **مصدر سبق ذكره**، ص 66.
(6) ديفا، **مصدر سبق ذكره**، ص 143.

حلب.

وقد أتاحت الظروف، للحناوي، قوة جماهيرية راسخة، اعتمد عليها، وبالتالي، لم يكن في حاجة إلى فرض قيود ديكتاتورية[1]، بينما ظل التقييد على الشيوعيين، قائمًا، وخاصة في مجال قطع مورد العيش، عبر تسريحهم من وظائفهم[2]، وجاءت أول دعوة شعبية، من للوحدة مع العراق، في بداية أيلول/ سبتمبر، من جانب أحد ممثلي الحزب السوري القومي، ودون علم القيادة، وكان صبري العسلي*، الذي أصبح، بعد ذلك، بتسع سنوات، نائبًا للرئيس عبد الناصر، في عهد الوحدة، هو صاحب تلك الدعوة، لكن معارضي الوحدة، وقفوا ضد المشروع البريطاني الاستعماري، الذي كان هدفه إقامة عرش للأمير عبد الإله** في سوريا، وتزايد التواجد البريطاني، الأمر الذي رفضه كلٌ من الشيوعيين، و " الحزب العربي الاشتراكي "، بينما رحب به كلٌ من " حزب الشعب "، و " الوطن "، و " الأخوان المسلمين "، وتمثل الاعتراض، في أن الوحدة مع بلد يحكمه العرش الهاشمي، يمكن أن يفقد سوريا استقلالها، وطبيعتها الجمهورية، ويحولها - تحت شعار الوحدة - إلى تابعٍ للاستعمار البريطاني، ويزيد من الجفوة مع مصر، والسعودية، ولذلك كان اقتراح رئيس الحزب الاشتراكي، أكرم الحوراني - ممثل الأقلية - إضافة

---

(1) بعيري، **مصدر سبق ذكره**، ص 66.

(2) الملا، **مصدر سبق ذكره**، ص 191، 192.

(*) **صبري العسلي**: الذي قام بتشكيل الحكومة الجديدة بعد أن قدم د. معروف الدواليبي استقالة حكومته.

(**) كان الوصي على عرش العراق.

(الحفاظ على النظام الجمهوري)، في القسم على اليمين الدستوري، بينما تقدمت الأغلبية الجمعية التأسيسية، التي كانت تقف في صف الوحدة، بينما تركز المعارضون لها، في الأوساط الشعبية، والضباط، وبدعمٍ من الحناوي، باقتراحٍ يقضي أن يتضمن قسم " رئيس الجمهورية "، " العمل من أجل تحقيق الوحدة ما بين البلاد العربية "، وقد رفضت الجمعية فكرة الإضافة، بأغلبية 60، ضد 48، وأقرت سياسة الوحدة مع العراق، وتم تحديد 19 كانون الأول/ ديسمبر 1949، موعدًا لأداء اليمين الدستوري، ولكن الانقلاب الثالث الذي قام به اللواء الأول بقيادة العقيد " أديب الشيشكلي "، في جنح الظلام، وبعد مقاومةٍ قصيرةٍ، استولى فيها على دمشق، وتم القبض على الحناوي، ومرافقيه من العسكريين، والمدنيين، وقد استلم الشيشكلي، بنفسه، قيادة الأركان العامة، ثم تشكلت حكومة من " حزب الشعب "، برئاسة ناظم القدسي، تسلم فيها " معروف الدواليبي " وزارة الدفاع، ثم رئاسة الوزارة، وقد دعم كلٌ من حزبي " البعث " و " الاشتراكي "، النظام الجديد، وبدأ بالتالي إعداد الدستور الجديد، وأطلقت الحريات الديمقراطية، إلى حد ما، وقد استفاد الحزب " الشيوعي "، من هذا الوضع، رغم الحظر على نشاطه العلني، فقد تابع النضال، وتوحيد صفوف كافة القوى الديمقراطية، للدفاع عن الاستقلال[1]، كما خاض الشيوعيون، نضالاً عنيفًا، ضد الأحلاف، والارتباطات، والمعاهدات مع الاستعمار، لاسيما الإمبريالية الأمريكية، كما قاموا بتنظيم مظاهرة ضد

---

(1) بعيري، **مصدر سبق ذكره**، ص 66، 67.

ربط لبنان بمعاهدة أمريكية، وأسسوا " اتحـاد الشباب الـديمقراطي "، و " حركة أنصار السلام "، اللتان لعبتا دورًا كبيرًا في التعبئة الشعبية العامة، من أجل السلم، والديمقراطية0 كما ظل نشاط الحزب ونفوذه بـارزًا، فـي الوسط النقابي، والعمالي[1].

لاحقًا، أفاض كاتبٌ يساريٌ سوري في وصف انقلاب الشيشكلي، وما صـاحبه مـن صـراعاتٍ سياسيةٍ بين السياسيين السوريين، والعسكر فـي الجيش السوري، الذين اقتحموا الحياة السياسية السورية، بقوة، وموقـف الحـزب الشـيوعي، مـن الانقلابـات، التـي حاولـت القضـاء علـى الحيـاة السياسـية السـورية، عبـر القمـع، والاعتقـالات، التـي طالـت الأحـزاب السـورية، وفـي مقدمتها الحـزب الشـيوعي السـوري، وحـزب الشـعب، والاخوان المسلمين، والحزب السوري القومي الاجتماعي، وحزب البعث العربـي الاشـتراكي، علـى الـرغم مـن تعـاطف بعض هذه الأحـزاب مـع العسكر السياسيين، وقـادة هذه الانقلابـات، حسبما اقتربـت سياسـة هـؤلاء العسكر مع توجهات الأحزاب، عدا الحـزب الشيوعي السـوري، وحـزب البعث العربي الاشتراكي[2].

يذكر أن البيان الأول للشيشكلي، كان من أجل وحـدة، وسـلام الـبلاد، وحماية النظام الجمهوري، وأنه ليس للجيش أية مآرب أخرى، وقد أعلـن عزمه على تسليم مقاليد الأمور، إلـى رجـال سوريا المنتخبين، دستوريًا،

(1) الملا، **مصدر سبق ذكره**، ص 192.

(2) بسام سفر، **ضوء جديد على الصراع السياسي في سوريا**، النور، (دمشق)، العدد 276، 2007/1/10.

وأنه لن يتدخل في الأمور السياسية، تحت أي ظرف من الظروف، ما لم يكن هناك ما يهدد وحدة البلاد، وسلامتها[1].

ومن ثم يمكن للساسة أن يمارسوا سلطتهم، بشرط ألا تتعارض آراؤهم السياسية، مع وجهات نظر الساسة، من الضباط، ولكن الشيشكلي، قام بتعطيل الحياة الدستورية، والبرلمانية، وبدأ يحكم حكمًا ديكتاتوريًا عسكريًا مباشرًا، ولذلك فقد اجتمعت قيادة الحزب الشيوعي السوري، لدراسة الأوضاع المستجدة، وقد ألقى الأمين العام للحزب، كلمةً في الاجتماع الموسع للجنة الحزب المركزية، تحت عنوان " من أجل النضال بنجاح في سبيل السلم، والاستقلال، والديمقراطية "، التقرير التوجيهي العام حول سياسة الحزب ومهماته، بالتوجه نحو العمال، والفلاحين، للتصدي للإجراءات البوليسية، التي إتخذها الإنقلاب الثاني للشيشكلي، من حل جميع الأحزاب السياسية، وإغلاق مكاتبها في دمشق، والمدن الأخرى، بالشمع الأحمر، وانطلقت الجماهير إلى الشارع، تهتف ضد الديكتاتورية، كان أضخمها تلك التي بدأت في الجامعة السورية، وانضم إليها طلاب الثانوية في دمشق، ضد تأييد السلطة للحلف التركي الباكستاني الأمريكي، والمطالبة بإعادة النظر في شروط الإتفاقيات المعقودة مع الشركات الأجنبية، وتأميم هذه الشركات، وتحت ضغط الحركة المعادية للإمبريالية، عمدت الحكومة البرجوازية السورية، التي لها موضوعيًا، مصلحة في إضعاف التبعية، حيال الإحتكارات الأجنبية، إلى تأميم مؤسسات شركة التبغ الفرنسية (ريجى دى تابا)، وشركتي

(1) **مصدر سبق ذكره**، ص 67.

(المياه، والكهربـاء)، وتوصـلت إلـى اتفـاقٍ مـرضٍ فـي شـروط الإتفـاقيتين المعقودتين مع شركة (نفط العراق)، وشركة (التابلاين) الأمريكية[1].

كمـا صـدر مرسـوم يحـد مـن إمكانيـة مـنح الامتيـازات للإحتكـارات الأجنبيـة، وقـد أسـهم النضـال ضـد دسـائس الـدول الإمبرياليـة فـي توطيـد العلاقـات مـع العـرب، فشـاركت سـوريا عـام 1950، فـي إعـداد وتوثيـق ميثاق الأمن الجماعي للبلدان العربيـة، كمـا جـرت عدة مظـاهرات شـعبية ضـخمة فـي سـوريا، لـدعم النضـال التحريـري، لشـعوب مصـر، وتـونس، والمغرب، وسائر البلدان العربية[2].

وقـد تـابع الشـيوعيون النضـال مـن خـلال توزيـع المنشـورات والمظاهرات الخاطفة، وخاصـة ضـد (حلـف البحـر المتوسط)، ورسـول الاسـتعمار " أرتـاخو " وزيـر خارجيـة أسـبانيا، إلـى لبنـان، كمـا جمعـوا التوقيعات، بالمئات، تضامنًا مع الشعب الكوري، ضد العدوان الأمريكي. وامتد نفوذ الشيوعيون إلى كل المدارس، والمعاهد، والجامعات، واتحـاد الطلبة الجمهوريين، الـذي عقد مـؤتمره الأول فـي نيسـان/ أبريل 1953، فـي حلـب، بشكلٍ سري، وحضـره أكثـر مـن 30 " رفيقًـا " يمثلـون سـائر المحـافظات، وطلبة الجامعة، الـذين طـالبوا فيـه بـإطلاق الحريـات العامـة، وفضـح ديكتاتوريـة " الشيشـكلي " القمعيـة، وإعلانـه الأحكـام العرفيـة، واعتقـال معظـم القيـادات السياسـية للأحـزاب، ومـنهم الكيخيـا، عـدنان الأتاسـي، الجـابري، صـبري العسـلي، ميشـيل عفلـق، أكـرم الحـوراني،

(1) **مصدر سبق ذكره**، ص 194.
(2) **مصدر سبق ذكره**، ص 107.

صلاح البيطار، كما وضع هاشم الأتاسي قيد الإقامة الجبرية[1].

ومع بداية عام 1954، أقدم الديكتاتور على خطوةٍ إجرامية كبيرة أعطى فيها أوامره بقصف جبل العرب، مما أودى بحياة الكثيرين، ثم قام بعقد مؤتمر كبير في منزل أحد زعماء " الحزب الوطني " في حمص " عبد الله فركوح "، وفي حضور أقطاب الحزبين (الشعب والوطني)، وبعض قادة الإخوان المسلمين، بينما رفض دعوة ممثلين عن الحزب الشيوعي، والذين حضر، بعضهم، ضمن الجماهير المحتشدة، وتم فيه فضح سياسة الحزبين، وموقفهما من الدستور، وأهدافهم المستترة، ورفع شعارات الحزب الوطنية، والديموقراطية. وفي أواخر كانون الثاني/ يناير 1954، بدأ النضال المسلح، في جبل الدروز، ضد ديكتاتورية " الشيشكلي " [2]، وفي 25 شباط/ فبراير 1954، ثارت الوحدات العسكرية المرابطة في شمال سوريا، والتي أنضم إليها سائر وحدات الجيش السوري، والجماهير الغفيرة، في حديقة حلب، التي كانت مركز الثورة، التي قام بها مجموعة من الضباط، بعضهم من الديموقراطيين، وقد أعلن بالتعاون مع " الأتاسي "، وأتباعه داخل الجيش، والبعثيين، والشيوعيين، تأييدهم للإنقلاب، وضرورة خوض المعارك القادمة، في جبهة موحدة، مع كل من يعادي الأحلاف، والمعاهدات، وبرامج " المساعدة " ويدعو إلى سيادة الحريات الديموقراطية، كما اجتمع الزعماء السياسيون، في حمص، وقرروا بطلان كافة الأجراءات التي أتخذها "

(1) **مصدر سبق ذكره**، ص 195، 196.
(2) **مصدر سبق ذكره**، ص 107.

الشيشكلي " منذ إنقلابه في تشرين الثاني/ نوفمبر 1951، وعاد الأتاسي، إلى رئاسة الجمهورية، في 3 كانون الثاني/ يناير 1954، وصدر قرار بإجراء انتخابات عامة، خلال ثلاثة أشهر، كلف بعدها صبري العسلي، بتشكيل حكومة جديدة، بعد أن قدم د. معروف الدواليبي، إستقالة حكومته[1].

وقد تشكلت الحكومة الجديدة، من ممثلي الحزبين الأساسيين (الشعب والوطني)، بينما ظل مجلس النواب، الذي حله " الشيشكلي "، مبعدًا، لكن التناقضات الداخلية ما بين الحزبين، والنهوض الشعبي، والطلابي الواسع، أدى إلى نشوء أزمة وزارية، واستقالة الوزارة، فيما بعد، والقيام بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ حياديةٍ في18 حزيران/ يونيو 1954، برئاسة المحامي سعيد الغزي، وفي آب/ أغسطس، عاد شكري القوتلي، من منفاه الاختياري في مصر، إلى دمشق[2].

ويصف قائد شيوعي سوري عن آلية انتخاب شكري القوتلي رئيسًا للجمهورية، وعدم فوز منافسه خالد العظم نائب الكتلة الديمقراطية، ودور " حزب الشعب " في عدم فوزه من تشكيل الوزارة الأولى في المجلس، على رغم أنه رئيس الكتلة الأكبر في البرلمان، وتكليف النيابي " فارس الخوري " بدلا منه[1].

(1) **مصدر سبق ذكره**، ص 196، 197.
(2) حبيب عيسى، **الإقليم الشمالى - الطريق إلى الوحدة**، دمشق، مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية، 2008/3/17.
(1) **مصدر سبق ذكره**، ص 74.

حيث يقدم ذاك القائد الشيوعى السوري، تقييمًا واضحًا للصراع السياسي في سوريا، في الفترة 1954 - 1957، ودور صفقة السلاح من تشيكوسلوفاكيا، إلى مصر، وإنهاء قيادة الجنرال البريطاني " جلوب " للجيش الأردني، وتأميم قناة السويس، و " العدوان الثلاثي " على مصر، ومؤامرة " ستون "، لقلب نظام الحكم السوري، والصراع الذي احتدم ما بين قوى الرجعية، والقوى التقدمية هناك[1]، وإقرار المجلس النيابي، قانون الانتخابات الجديد، في سوريا (27 حزيران/ يونيو 1955)، وإنشاء " الحزب الديمقراطي الكردي " للمطالبة بالحقوق الوطنية والقومية للشعب الكردي السوري (1957)، و أخيرًا في 5 شباط/ فبراير1958، موافقة البرلمان على اتفاقية الوحدة مع مصر، وتحويل سوريا إلى إقليم شمالي في " الجمهورية العربية المتحدة "، وترشيح الرئيس الراحل " جمال عبد الناصر " رئيسًا للجمهورية[2].

ويوضح القائد، نفسه، موقف الحزب الشيوعي السوري من هذه الوحدة، بالوثائق الصادرة عنه، واللقاءات التي جرت بين بعض قياديه، وبعض السياسيين الذين كان لهم دور هام في الوحدة مع مصر.

هذا وقد حققت سوريا ازدهارًا كبيرًا في المجال الاقتصادي، والزراعي، في أوائل خمسينيات القرن العشرين، حيث كانت البلد العربي الوحيد الذي يزيد فيه معدل الانتاج الزراعي، والصناعي عن معدل

(1) **مصدر سبق ذكره**.
(2) مرشد اليوسف، **المشروع القومى للاصلاح والتغيير الديمقراطى في سوريا**، أخبار الشرق، دمشق، 30 نيسان/ إبريل 2007.

الزيادة السكانية0

كما برز على الساحة الثقافية في الفترة من 1950 - 1954 عدد كبير من الكتاب والشعراء الماركسيين في لبنان وسوريا، وظهرت مجلتي " الطريق " و " الثقافة الوطنية "، وكانت الأحزاب والحركات القومية العربية في 1950، لا تزال قيد التأسيس، وكانت أجهزة الدولة، بما فيها مؤسساتها العسكرية، أضعف من أن تستبد بالشعب، وبالتالى فإن الانقلابات العسكرية الثلاثة التي شهدتها الأعوام 1949 - 1954، لم تتمكن من إحكام سيطرتها على المجتمع فسقط الانقلاب الأول خلال أشهر، والثانى خلال أيام، والثالث خلال عامين، ولكن عمومًا، لم تتمكن هذه الانقلابات من الحد من الحراك الجماهيري المتصاعد، الذي تم التعبير عنه من خلال توسيع قواعد الأحزاب، والحركات السياسية، وخاصة الأحزاب ذات التوجه القومي العربي، ما يؤكد قوة البنية الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، في كل مؤسسات الدولة، وأجهزتها الناشئة التي لم تمكن الانقلابيين من إحكام سيطرتهم على المجتمع فقتل قائدا الانقلابين الأول و الثاني، فيما فر الثالث[1].

تشير العديد من الدراسات إلى تشابه البيان الأول في معظم الانقلابات، وارتداء القائمين بها ثياب الوطنية، والرغبة في محاربة الفساد، وإحداث التنمية، ونشر الديمقراطية، ورفع الظلم... إلخ، من أجل الحصول على الشرعية اللازمة للحكم.

(1) عاشور، **مصدر سبق ذكره**.

نخلص مما سبق، إلى أن هزيمة الجيش السوري في حرب 1948، هز بعنف شجرة النظام السياسي السوري، فتساقطت أوراق النظام القديمة، مفسحةً المجال، باطراد، لأوراقٍ جديدة، تمثلت في نهوض " البعث "، و " الشيوعي " السوريين. كما أقحمت الهزيمة " بقوة " الجيش السوري في خضم الحياة السياسية السورية، ما عزز مواقع " البعث " و " الشيوعي " داخل الجيش السوري. كما حثت الهزيمة التوجه الشعبي السوري للوحدة العربية حتى توج هذا التوجه بتحقيق الوحدة المصرية - السورية، مطلع 1958، على النحو المعروف.

* * *

الفهـرس

* * *